كتاب الأغاني
الجَزء الثاني والعشرون

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

صـــوت

ومـقـالـهـا بـالـنِّـعـفِ نـعـف مُـحـسّـر لِـفـتـاتـهـا هـل تـعـرفـيـن الـمُـعـرِضـا
ذاك الـــذي أعـــطـــى مـــواثـــقَ عـــهـــدِه ألَّا يـخـون وخِـلْـت أن لـن يَـنْـقُـضـا
فـلـئـن ظـفـرتُ بـمـثـلـهـا مـن مـثـلـه يـومـاً لـيـعـتـرِفَـنَّ مـا قـد أَقـرضـا
[الكامل]

الشعر لخالد [بن عبد اللَّه] القسري والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبش.

وقبل أن أذكر أخباره ونسبه فإني أذكر الرواية في هذا الشعر.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد قال: حدثني أبو بشر محمد بن خالد البجلي قال: حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبي يحدث قال:

حدثني مسمع بن مالك بن جَحُوش الأسدي البجلي قال:

ركب خالد بن عبد اللَّه وهو أمير العراق، وهو يومئذٍ بالكوفة، إلى ضيعتِهِ التي يقال لها المكرخة، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ، وركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك يا اللَّه ابن جحوش هل سمعت غريض مكة يتغنى:

ومـقـالـهـا بـالـنَّـعـفِ نـعـف مُـحـسّـر لِـفـتـاتـهـا هـل تـعـرفـيـن الـمُـعـرِضـا
[الكامل]

قال: قلت: نعم، قال: الشعر واللَّه لي، والغناء لغريض مكة.

وما وجدت هذا الشعر في شيءٍ من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيون، وإنما يوجد في الكتب المحدثة والأسانيد المنقطعة. ثم نرجع الآن إلى ذكره.

نسب خالد بن عبد اللَّه وأخباره

نسبه:

هو خالد بن عبد اللَّه بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد اللَّه بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شِقّ بن صَعْبٍ ـ وشق بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ابن يشكر بن رهم بن أفرك ـ وهو سعد الصبح ـ بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن الفرز ويقال الفرز بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

غلبة بجيلة على هذا النسب:

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب وشهرته بها فإن بجيلة ليست برجل، إنما هي امرأة قد اختلف في نسبها، فقال ابن الكلبي: يقال لها بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، تزوجها أنمار بن إراش، فولدت له الغَوث ووَداعة وصُهيبة وحَزيمة وأشهل وشهلاء وطريفاً والحارث ومالكاً وفهماً وشيبة.

قال ابن الكلبي: ويقال إن بجيلة امرأة حبشية كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً، غير خثعم فإنه انفرد فصار قبيلة على حِدَتهِ ولم تحضُنه بجيلة، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم:

وما قَربتْ بجِيلةُ منك دوني ... بشيء غير ما دُعيتْ بجيلَهْ
وما لِلغَوْث عندك إن نَسبنا ... علينا في القرابة من فضيلَهْ
ولكنَّا وإياكم كَثُرنا ... فصِرْنا في المحَلّ على جَدِيلَهْ

[الوافر]

جديلة هاهنا موضع لا قبيلة.

وهم أهل بيت وشرف في بجيلة، لولا ما يقال في عبد اللَّه بن أسد؛ فإن أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابي إن شاء اللَّه.

كرز الأعنة:

وعلى ما قيل فيه أيضاً فقد كان له ولابنه خالد سُؤدد وشرف وجود، وكان يقال لكُرْز: كُرْزُ الأعنَّة، وإياه عَنى قيسُ بن الخطيم بقوله لما خرج يطلب النصر على الخزرج:

فإن تنزل بذي النَّجْداتِ كُرْزٍ تلاقِ لديه شُرْباً غير نَزْرِ
له سَجلان سَجْلٌ[1] من صَريحٍ وسَجْلُ رَثيئةٍ بعتيق خمْرِ
ويمنع من أراد ولا يُعايا مقاماً في المحكّة وسْط قسْرِ

[الوافر]

رب بجيلة:

وكان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزهاً عنها، وله يقول [القائل] القتَّال السّحَمي:

فأبلِغْ ربَّنا أسدَ بن كُرْزٍ بأن النأي لم يك عن تَقالي[2]

[الوافر]

وله يقول القتَّال يعتذر:

فأبلغ ربَّنا أسدَ بن كُرْزٍ بأني قد ضللت وما اهتدَيْتُ

[الوافر]

وله يقول تأبَّط شرًّا:

وجدت ابنَ كرز تستهلّ يمينه ويطلق أغلال الأسير المُكَبَّلِ

[الطويل]

وكان قوم من سُحمة عرضوا لجارٍ لأسد بن كرز، فأطردوا إبلاً له، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية، وتتبعهم حتى عاذوا به، فقال القتَّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه، ويستقيله فِعْلَهم بجاره، ولم أذكرها هاهنا لطولها، وأن ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب، وإنما نذكر هاهنا لُمعاً، وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها، وسميته: كتاب التعديل والانتصاف.

---

(١) السَّجْل: الدلو العظيمة المملوءة.

(٢) التقالي: الكره والبغض.

إعراقهم في الشعر:

ولبني سحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصيدة، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً:

ألا أَبـلِـغـا أبـنـاء سُـحـمـة كـلّـهـا ... فـتـى خـشـعـم عـنـى وذلٌّ لـخـشـعـم
فـمـا أنـتـمُ مـنـي ولا أنـا مـنـكـمُ ... فـراش حـريـقِ الـعَـرفـجِ[1] الـمـتـضـرِّمِ
فـلـسـت كـمـن تـزري الـمـقـالـة عِـرْضـه ... دنـيّـاً كـعُـود الـدوحـة الـمُـتـرنّـمِ
ومـا جـارُ بـيـتـي بـالـذلـيـل فـتُـرتـجـى ... ظُـلامـتـه يـومـاً ولا الـمـتـهـضَّـمِ
وأفـرك آبـائـي وقـسـرٌ عَـمـارتـي ... هـمـا ردّيـانـي عِـزتـي وتـكـرُّمـي
وأحـمـس يـومـاً إن دعـوت أجـابـنـي ... عـرانـيـن مـنـهـم أهـل أيـدٍ وأنـعـمِ
فـمـن جـارُ مـولـيً يـدفـع الـضـيـمَ جـارُه ... إذا ضـاع جـاري يـا أمـيـمـة أو دمـي
وكـيـف يـخـاف الـضـيـم مـن كـان جـاره ... مـع الـشـمـس مـا إن يـسـتـطـاع بـسـلَّـمِ

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة.

ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها هاهنا لأن تعلم إعراقهم في الشعرِ وسائرها يذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل إن شاء اللَّه تعالى.

إسلام أسد بن كرز وابنه:

وأدرك أسد بن كرز الإسلام هو وابنه يزيد بن أسد، فأسلما.

فأما أسد فلا أعلمه روى عن رسول اللَّه ﷺ رواية كثيرة، بل ما روى عنه شيئاً.

وأما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة، وذكر جرير بن عبد اللَّه خبر إسلامه، حدث بذلك عنه خالد بن يزيد عن إسماعيل [بن خالد] بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد اللَّه قال:

أسلم أسد بن كرز ومعه رجل من ثقيف، فأهدى إلى النبي ﷺ قوساً، فقال له النبي ﷺ: «**يا أسد من أين لك هذه النَّبعة؟**» فقال: يا رسول اللَّه تنبت بجبالنا بالسَّراة، فقال الثقفيُّ: يا رسول اللَّه الجبلُ لنا أم لهم؟ فقال النبي ﷺ: «**بل الجبل جبل قَسْرٍ به سمى إبراهيم قسر بن عبقر**»، فقال أسد: يا رسول اللَّه ادعُ لي، فقال: «**اللَّهم اجعل نصرك ونصر دينك في عقب أسد بن كرز**».

---

(١) العرفج: شجر سهلي، واحدته العرفجة.

هل دعا الرسول لأسد بهذا الدعاء؟

وما أدري ما أقول في هذا الحديث، وأكره أن أكذب من روى عن رسول اللّه ﷺ، [ولكن ظاهر الأمر يوجب أن لو كان رسول اللّه ﷺ] دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا كان ابن ابنه خالد يلعنه على المنبر، ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ـ قبّحه اللّه ولعنه ـ إلا أني أذكر الشيء كما روي، ومن قال على رسول اللّه ﷺ ما لم يَقُلْ فقد تبوأ مقعده من النار، كما وعده عليه السلام.

أسد ينجد جرير بن عبد اللّه:

وكان جرير بن عبد اللّه نافر قضاعة، فبلغ ذلك أسد بن كرز، وكان بينه وبينه ـ أعني جريراً ـ تباعدٌ، فأقبل في فوارس من قومه ناصراً لجرير، ومعاوناً له ومنجداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابه في السلاح، ارتاع له وخافه، فقيل له: هذا أسد جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليست لي بكل بلد ابنَ عمّ عاقّاً مثل أسد، فقال جعدة بن عبد اللّه الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد:

تدارك ركضُ المرءِ من آل عبقرٍ ... جريراً وقد رانتْ عليه حلائبُهْ[1]
فنفّس واسترخى به العقْدُ بعدما ... تغشَّاه يوم لا توارى كواكبُهْ
وقال ابنُ كرز ذو الفَعَال بنفسه ... وما كنت وصَّالا له إذ تحاربُهْ
إلى أسد يأوي الذليل ببيتِه ... ويلجأ إن أعيت عليه مذاهبُهْ
فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعظماً ... إذا المُجْتَدى المسؤول ضنّت رواجبُهْ[2]

[الطويل]

يزيد بن أسد يروي الحديث:

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومه مع أبيه على النبي ﷺ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً، ذكره هُشيم بن بشر الواسطي، عن سنان بن الحكم قال:

سمعت خالد بن عبد اللّه القسري وهو على المنبر يقول: حدثني أبي عن جدي يزيد بن أسد قال: قال لي رسول اللّه ﷺ: «**يا يزيد أحبب للناس ما تحبه لنفسك**».

---

(١) الحلائب: مفردها الحلبة، وهي الدفعة من الخيل في الرهان.

(٢) الرواجب: مفرده الراجبة، وهو مفصل أصل الأصبع.

خطبة يزيد يوم صفين:

وخرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه في بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، وكان مطاعاً في اليمن عظيم الشأن، ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام. فوجد عثمان قد قتل، فانصرف إلى معاوية ولم يُحدِث شيئاً، ولما كان يوم صفين قام في الناس فخطب خطبة مذكورة، حرضهم فيها، فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع: أنه قام وعليه عمامة خزّ سوداء، وهو متكئ على قائم سيفه، فقال ـ بعد حمد اللَّه تعالى، والصلاة على نبيه رسول اللَّه ﷺ ـ: وقد كان من قضاء اللَّه جلّ وعز أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض، واللَّه يعلم أنني كنت لذلك كارهاً، ولكنهم لم يُبلعونا ريقنا، ولم يدعونا نرتادُ لديننا، وننظر لمعادنا، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا، وقد علمنا أن في القوم حلماء وطغاماً، فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا ونسائنا، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا، فأحرجونا، حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيَّةً فإنا للَّه وإنا إليه راجعون. والحمد للَّه رب العالمين واللَّه الذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبيّاً لوددت أني مِتّ قبل هذا، ولكن اللَّه تبارك وتعالى إذا أراد أمراً بلغه ولم يستطع العبادُ ردَّه. فنستعين باللَّه العظيم.

ثم انكفأ.

خمول ذكر عبد اللَّه بن يزيد:

ولم تكن لعبد اللَّه بن يزيد نباهةُ منْ ذكرتُ من آبائه. وأهل المثالب يقولون إنه دَعيٌّ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قُتِل عمرو هرب حتى سألت اليمانية عبدَ الملك فيه لما أمَّن الناسَ عامَ الجماعة، فأمنه.

خالد الخِرِّيت:

ونشأ خالد بن عبد اللَّه بالمدينة، وكان في حداثته يتخنث، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي مع عمر بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائله إليهن، وكان يقال له: خالد الخِرِّيت[1].

فقال مصعب الزبيري:

---

(١) الخرِّيت: الدليل الماهر الحاذق.

كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره فقال: أرسلت الخريت، أو قال: أرسلت الجَريَّ[1] فإنما يعني خالد بن عبد اللّه القسري. وكان يترسل بينه وبين النساء.

مجلس الأحبة:

أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن مزيد وغيرهما، عن الزبير، عن عمه، وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال:

بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي، ومعه خالد بن عبد اللّه القسري [وهو خالد الخريت] الذي يذكره في شعره، إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما، وهما يتماشيان، فقصداهما، وجلسا معهما مليّاً، فأخذتهم السماء ومُطِروا، فقام خالد وجاريتان للمرأتين. فظلّوا عليهم بمطرفه وبُرْدين له حتى كفَّ المطر وتفرقوا، قال: وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

أفي رسم دار دَمْعُكَ المترقرقُ ... سفاهاً وما استنطاقُ ما ليس يَنطقُ
بحيث التقى جَمْعٌ ومُقْضَى مُحَسِّرٍ ... معالم قد كادت على الدهر تَخْلَقُ
ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا ... وذِكْرُك رسمَ الدار ممَّا يُشوِّقُ
مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً ... لنا لم يُكَدّرْه علينا مُعَوِّقُ
وممشى فتاةٍ بالكساء يَكُنُّها ... به تحت عَيْنٍ برقُها مُتأَلِّقُ
يَبلّ أعالي الثوبَ قَطْرٌ وتحته ... شُعاع بدا يُعشِي العيون ويُشرِقُ
فأحسن شيء بدْءُ أوَّلِ ليلةٍ ... وآخرها حُزْنٌ إذا نتفرَّقُ

[الطويل]

الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول.

موعد عمر بن أبي ربيعة:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العباس المروزي قال: حدثنا ابن عائشة قال:

حضر ابنُ أبي عتيقٍ، عمرَ بنَ أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله:

---

(١) الجري: الرسول.

ومـن كـان مـحـزونـاً لإهـراق عَـبـرةٍ وَهَـى غَـرْبُـهـا فـلـيـأتـنـا نَـبْـكِـهِ غَـدا
يُـعِـنْـهُ عـلـى الإثـكـال مـن كـان ثـاكِـلاً وإن كـان مـحـزونـاً وإن كـان مُـقْـصَـدا

[الطويل]

قال: فلما أصبح ابنُ أبي عتيق أخذ معه خالداً الخِرِّيت، وقال: قم بنا إلى عمر، فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئنا لموعدك، قال: وأي موعد بيننا؟ قال: قولك:

فـلـيـأتِـنـا نـبـكـيـه غـدا

قد جئناك لموعدك، واللَّه لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق. ثم مضى وتركه.

قال ابن عائشة: خالد الخريت هو خالد القسري.

خالد يترسّل بين عمر والنساء:

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هِفَّان، عن إسحاق. وأخبرنا محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه عن الحزامي والمسيبي ومحمد بن سلام قالوا:

خرجت هند والرباب إلى متنزه لهما بالعقيق في نسوة، فجلستا هناك تتحدثان مليّاً، ثم أقبل إليهما خالد القسري، وهو يومئذٍ غلام مؤنث يصحب المغنين والمخنثين، ويترسّل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء، فجلس إليهما، فذكرتا عمر بن أبي ربيعة وتشوقتاه، فقالتا لخالد: يا خرِّيت ـ وكان يعرف بذلك ـ لك عندنا حُكمك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه، فقال: أفعل، فكيف تريان أن أقول له؟ قالتا: تؤذنه بنا، وتُعلمه أنَّا خرجنا في سرٍّ منه، ومُرْهُ أن يتنكر ويلبس لِبسَة الأعراب ليرانا في أحسن صورة، ونراه في أسوأ حال فنمزح بذلك معه، فجاء خالدٌ إلى عمر فقال له: هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما، قد خرجن إلى العقيق، على حال حذر منك، وكتمان لك أمرهما؟ قال: واللَّه إني إلى لقائهن لمشتاق، قال: فتنكر والبسْ لبسة الأعراب، وهلمَّ نمضِ إليهن. ففعل ذلك عمر ولبس ثياباً جافيةً، وتعمم عِمة الأعرابِ وركب قَعُوداً له على رَحْل غير جيد، وصار إليهن، فوقف منهن قريباً ثم سلم عليهن وقد عرفنه، فقلن له: هلم إلينا يا أعرابي. فجاءهن وأناخ قَعُوده، وجعل يحدثهن وينشدهن. فقلن له: يا أعرابي ما أظرفك وأحسن إنشادك، فما جاء بك إلى هذه الناحية؟ قال: جئت أَنْشُدُ ضالَّة لي.

فقالت له هند: انزلْ إلينا واحسر عمامتك عن وجهك، فقد عرفنا ضالتك، وأنت الآن تُقَدِّر أنك قد احتلت علينا [ونحن واللّه احتلنا عليك] وبعثنا إليك بخالد الخرِّيت حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوأ حالاتك، وأقبح ملابسك. فضحك عمر ونزل إليهن، فتحدث معهن حتى أَمسوا، ثم إنهم تفرقوا. ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

صـــوت

ألـم تَـعْـرفِ الأطـلال والـمـتـربَّـعـا ... بـبـطـن حـلـيَّـاتٍ دوارسَ بَـلْـقَـعـا
إلى السرح من وادي الـمُـغـمَّس بُـدِّلت ... مـعـالِـمُـه وبـلاً ونـكـبـاءَ زَعْـزَعـا
فـيَـنْـحَـلْـنَ أَو يُـخْـبِـرَن بـالـعـلـم بـعـدمـا ... نَـكـأْنَ[1] فـؤاداً كـان قِـدْمـاً مُـفـجَّـعـا
لـهـنـد وأَتـرابٍ لـهـنـد إذ الـهـوى ... جَـمـيـعٌ وإذ لـم نـخـشَ أن يـتـصـدّعـا

[الطويل]

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد:

تَـبَـالَـهْـن[2] بـالـعـرفـان لـمـا عـرفـنـنـي ... وقـلـن أمـرؤٌ بـاغٍ أَكَـلَّ وأَوضـعـا
وقـرَّبـن أسـبـاب الـهـوى لـمـتـيّـمٍ ... يـقـيـس ذراعـاً كـلـمـا قـسـن أصـبـعـا

[الطويل]

أصل كرز بن عامر:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني. وذكر مثل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى.

أن كرز بن عامر جدّ خالد بن عبد اللّه كان آبقاً[3] عن مواليه عبد القيس من هَجَر، ويقال إن أَصله من يهود تيماء، وكان أَبَقَ، فظفرت به عبدُ شمس، فكان فيهم عند غمغمة بن شقٍّ الكاهن، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة، فكان عندهم حتى أَدرك وهرب، فأخذته بنو أَسد بن خزيمة، فكان فيهم، وتزوج مولاة لهم يقال لها زرنب، ويقال: إنها كانت بَغيًّا، فأصابها، فولدت له أَسد بن كُرْز، سماه باسم أَسد بن خزيمة، لرقَّة كانت فيهم، ثم إن نَفَراً من أهل هجرَ مرُّوا به، فعرفوه، فلما رجعوا إلى

(١) نكأه: قضى عليه.
(٢) تباله: تظاهر بأنَّه أبله.
(٣) آبِق: يقال: أبق العبد أي هرب من سيّده فهو آبق.

هجر أَخذوا فِداءه، وصاروا إلى مواليه [فاشتروه وابنه] فلم يزل فيهم حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف، فلما رأى دار بجيلة أعجبته، فاشترى نفسه وابنه وجاء فنزل فيهم، فأقام مدة، ثم ادّعى إليهم، وعاونه على ذلك حيٌّ من أَحْمس يقال لهم: بنو منبه، فنفاهم أبو عامر ذو الرُّقعة ـ سُمي بذلك لأن عينه أُصيبت، فكان يغطيها برقعة من خرق وهو ابن عبد شمس بن جوين بن شِق ـ فنزل كرز في بني سُحمة هارباً من ذي الرُّقعة، ثم وثب على ابنِ عمٍّ للقتَّال بن مالك السُّحمي فقتله، وهرب إلى البحرين مع التجار، فأقام مدة، ثم مات، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدَّعي في بجيلة، ولا تُلْحِقه إلى أن مات، ونشأ ابنه عبد اللَّه بن يزيد، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، فكتب له، وكان كاتباً مُفَوَّهاً، وذلك في إمارة عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه فنال حظاً وشرفاً، وكان يقال له: خطيب الشيطان، ووسم خيله: القسريّ، ثم تدسّس ليملك أرضاً في بلاد قسر، فمنعته بجيلة ذلك أَشد المنع، فلم يقدر عليه، حتى عظم أمره، ونشأ ابنه خالد، ومات هو، فكان خالد في مرتبته، ثم وَلِيَ العراق، وقال قيس بن القتَّال له في هذا المعنى:

ومن سَمَّاك باسمك يا ابن كرزٍ وأين المولد المعروف أنَّى

[الوافر]

وقال بجير بن ربيعة السُّحْمي:

نفته من الشِّعبين قَسْرٌ بعِزّها إلى دار عبد القيس نَفْيَ المُزَنَّم[1]

[الطويل]

عبد اللَّه بن يزيد عبدٌ آبق:

قال أبو عبيدة: وكان بين عبد اللَّه بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان، فقال له عبد اللَّه: إنما أنت عبدٌ لعبد القيس، فقال: اسكت، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك، فقال له عبد اللَّه: أنا ابن أسد بن كرز، نحن الذين نضمن الشهر، ونطعم الدهر، فقال له أبو موسى بن نصير: تلك قسر ولست منهم، وإنما أنت عبد آبِق، قد كنتُ أراك تروم مثل ذلك فلا تقدر عليه ـ ثم نفاه جرير بن عبد اللَّه إلى الشام، فأقام بها مدة، ثم مضى إلى حبيب، فقال له: دع ذِكْر البحرين، لفرارك منهم ـ وأنت عبدٌ وأصلك من يهود تيماء، فأسكتهما عبد الملك. ولم يسره ما قال عبد اللَّه لأبي موسى بن نصير لأنه كان على شرطة

(١) المزنَّم: اللئيم المعروف بلؤمه وشرّه.

عمرو بن سعيد يوم قتله، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير:

جَـاريـت غـيـرَ سـؤومٍ فـي مُـطـاولـة يـا ابـن الـوشـائـظ[1] مـن أبـنـاء ذي هَـجَـرِ
لا مـن نِـزارٍ ولا قـحـطـانُ تـعـرفـكـمْ سـوى عـبـيـدٍ لـعـبـد الـقـيـس أو مُـضَـرِ
[البسيط]

الرياسة والسخاء يستران أمر خالد:

وقال أبو عبيدة: فأخبرني عبد اللّه بن عمر بن زيد الحكمي قال:

كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان، وكان أكذب الناس في كل شيء، معروفاً بذلك، ثم نشأ ابنه عبد اللّه، فسلك منهاجه في الكذب، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة، إلا أن الرياسة، وسخاء كان فيه، سترا ذلك من أمره.

حديثه يدل على نسبه:

قال عمرو بن زيد: فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد اللّه ـ أخو خالد ـ بخبر المُغيرة بن سعيد وخروجه بالكوفة، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها، فقلت له، من أنت يا ابن أخي؟ قال: إسماعيل بن عبد اللّه بن يزيد القسري فقلت: يا ابن أخي، لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبك. فجعل يضحك.

خالد من أجبن الناس:

أخبرني اليزيدي، عن سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، وذكره أبو عبيدة، واللفظ له قالا:

كان خالد بن عبد اللّه من أجبن الناس، فلما خرج عليه عُرف بذلك وهو على المنبر، فدهش وتحيّر وقال: اطعموني ماء، فقال الكميت في ذلك ومدح يوسف بن عمر:

خـرجـت لـهـم تـمـشـي الـبـراحَ ولـم تـكـن كـمـن حِـصْـنـه فـيـه الـرِّتـاجُ[2] الـمُـضَـبَّـبُ
ومـا خـالـد يـسـتـطـعـم الـمـاء فـاغـراً بـعـدلـك والـداعـي إلـى الـمـوت يـنـعـبُ
[الطويل]

(١) الوشائظ: الدّخلاء في القوم وليسوا منهم.
(٢) الرِّتاج: الباب الكبير المغلق وعليه باب صغير.

أول كذبة لابن الكلبي:

وقال ابن الكلبي: أول كذبة كذبتها في النسب: أن خالد بن عبد اللَّه سألني عن جدته أم كرز، وكانت أمةً بغيّاً لبني أسد يقال لها: زرنب فقلت له: هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فسرَّ بذلك ووصلني.

ابن منظور ينفي نسب خالد لقومه:

قال: ثم قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي: يا أبا الصباح قد ولدتمونا، فقال: ما أعرف فينا ولادة لكم وإن هذا لكَذبٌ، فقيل له: لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك، قال: أأفسد وأستليط[1] من ليس مني، وأقرّ بالكذب على قومي؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكنديَّ وكان عامله ـ بضرب مولى لعبَّاد بن إياس الأسدي فقتله، فرُفع إلى خالد، فلم يُقِده، فوثب عبادٌ على خداش فقتله، وقال:

لعمري لئن جارت قضيَّةُ خالدٍ عن القصد ما جارت سيوف بني نَصْرِ

[الطويل]

خالد يعرض باللَّه عز وجل:

فأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني عن سحيم بن حفص قال:

قتل خداشٌ الكندي [رجلاً من بني أسد، وكان الكندي عاملاً] لخالد القسري فطولب بالقود، وهو على المنبر فقال: واللَّه لئن أقدتُ من عاملي لأقيدن من نفسي، ولئن أقدت من نفسي ليُقيدنَّ أميرُ المؤمنين من نفسه، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ليُقيدن رسول اللَّه ﷺ من نفسه، ولئن أقاد رسول اللَّه من نفسه، هاهْ هاهْ، يُعَرِّض باللَّه عزّ وجلّ.

لعنة اللَّه على خالد.

ابن البظراء:

أخبرني الحسن قال: حدثنا الخراز، عن المدائني، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان قالوا:

كانت أم خالد رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس، وإذا قام

(١) أستليط: أدَّعي ولداً ليس لي.

الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم، فقال أعشى هَمدان يهجوه ويعيره بأمه ـ وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك الوقت قالوا: ابن البظراء، فأنف من ذلك، فيقال إنه ختن أمه وهي كارهة فعيره الأعشى بذلك حين يقول ـ:

لعمرك ما أدري وإني لسائل أبظراء أمْ مختونة أمُّ خالدِ
فإن كانت المُوسى جَرت فوق بظرها فما ختنت إلا ومَصَّانُ[1] قاعدُ
يرى سَوأةً من حيث أطلع رأسه تمر عليها مُرهفاتُ الحدائدِ

[الطويل]

وقال أيضاً فيه يرميه باللواط:

ألم تر خالداً يختار ميماً ويترك في النكاح مشقّ صادِ
ويبغض كل آنسة لعوب وينكح كل عبد مُستفادِ
ألا لعن الإلٰه بني كُريز فكرْز من خنازير السوادِ

[الوافر]

خالد يكره علياً:

قال المدائني فيخبره: وأخبرني ابن شهاب بن عبد اللّه قال: قال لي خالد بن عبد اللّه القسري: اكتب لي النسب، فبدأت بنسب مُضَر، [فمكثت فيه أياماً ثم أتيته فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر] وما أتممتُه، فقال: اقطعْه، قطعَه اللّه مع أصولهم، واكتب لي السيرة، فقلت له: فإنه يمرّ بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب فأذكره فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم.

لعن اللّه خالداً ومن ولّاه وقبّحهم، وصلوات اللّه على أمير المؤمنين.

أَما آن لربكم أن يغضب لكم؟

وقال أبو عبيدة: حدثني أبو الهذيل العلاف قال:

صعد خالد القسري على المنبر فقال: إلى كم يغلب باطلُنا حقَّكم؟ أَمَا آن لربكم أن يغضب لكم؟

وكان زنديقاً وأمه نصرانية، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم. وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلماتِ ويطؤونهن، فيُطلق لهم ذلك، ولا يُغَيِّرهُ عليهم.

(١) المصَّان: الحجَّام وفي البيت إقواء.

وقال المدائني: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام.

قال: ودخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق، فقال له: العن عليّ بن أبي طالب ولك بكل نبقة دينار [ففعل فأعطاه بكل نبقة ديناراً. لعنهما اللَّه وصلى على أمير المؤمنين].

قال المدائني: وكان له عامل يقال له خالد بن آهي وكان يقول: واللَّه لخالدُ بن آهي أفضل أمانة من علي بن أبي طالب ـ صلوات اللَّه عليه ـ.

وقال له يوماً: أيما أعظم: ركيَّتنا أم زمزم؟ فقال له: أيها الأمير، من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الملح الأجاج؟

وكان يسمي زمزم: أم الجُعْلان.

حائك بن حائك:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

أتى الفرزدقُ، خالدَ بن عبد اللَّه القسري يستحمله في ديات حملها، فقال له: إيه يا فرزدق، كأني بك وقد قلت: آتي الحائك بن الحائك فأخدعه عن ماله إن أعطاني، أو أذمه وأهجوه إن منعني، فأنا حائك بن حائك، ولست أعطيك شيئاً، فاذْممني كيف شئت، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها:

ليتني من بَجيلة اللؤم حتّى يُعزل العاملُ الذي بالعراقِ
فإذا عامل العراقين ولَّى عُدْتُ في أُسرة الكرام العتاقِ

[الخفيف]

قال: وإنما أراد خالد بقوله الحائك بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن، والانتفاء من العبودية لأهل هجر.

وكان خالد شديد العصبية على مضر، وبلغ هشاماً أنه قال: ما ابني يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق.

أمير المؤمنين أكرم على اللَّه من أنبيائه:

قال: وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين بحبسه في دور آل الحضرمي، فأعظم الناس ذلك وأنكروه، فقال: قد بلغني ما قد أنكرتم من أخذي عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه، واللَّه لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها، واللَّهِ

لأميرُ المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه ـ صلى اللّه عليهم ولعن خالداً ـ.

أخبرني أبو عبيدة الصيرفي قال: حدثنا الفضل بن الحسين المصري قال: حدثني عمر بن شبّة قال: حدثني عبيد اللّه بن حسان قال: حدثني عطاء بن مسلم قال:

قال خالد بن عبد اللّه ـ وذكر النبي ﷺ ـ فقال: «**أيما أكرم عندكم على الرجل، رسوله في حاجته أو خليفته في أهله؟**» يُعرض أن هشاماً خير من النبي ﷺ.

ذلك ملح أجاج وهذا عذب نقاخ:

قال أبو عبيدة: خطب خالد يوماً فقال: إن إبراهيم خليل اللّه استسقى ماء فسقاه اللّه ملحاً أجاجاً، وإن أمير المؤمنين استسقى اللّه ماء فسقاه اللّه عذباً نقاخاً.

وكان الوليد حفر بئراً بين ثنية ذي طُوى وثنية الحجون فكان خالد ينقل ماءها فيوضع في حوض إلى جانب زمزم ليظهر للناس فضلها. قال: فغارَتْ تلك البئرُ فلا يُدْرى أين هي إلى اليوم.

خالد زنديق:

أخبرني الحسن الأسدي قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع، عن ابن عائشة قال:

كان خالد بن عبد اللّه زنديقاً، وكانت أمّه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه، فرأى يوماً عكرمة مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامة سوداء، فقال: إنه بلغني أن هذا العبد يشبه علي بن أبي طالب ـ صلوات اللّه عليه وسلامه ـ وإني لأرجو أن يسود اللّه وجهه كما سود وجه ذاك.

اللهم العن خالداً وأخزه.

قال: وحدثني من سمعه وقد لعن عليّاً ـ صلوات اللّه عليه وسلامه ـ فقال في ذكره: عليُّ بن أبي طالب: ابن عمّ محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، وزوج ابنته فاطمة، وأبو الحَسَن والحُسين، هل كَنيت؟

اللّهم العن خالداً وأخزه وجدد على روحه العذاب.

إسماعيل بن خالد يسب بني أمية:

وقال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد اللّه القسري بني أمية عند أبي

العباس السفاح في دولة بني هاشم فذمهم وسبهم، وقال له جمَّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان رضوان اللَّه عليه: يا أمير المؤمنين أيسب بني عمك وعماتك رجلٌ اجتمع هو والخريت في نسب؟ إن بني أمية لحمك ودمك، فكُلْهم ولا تُؤكِلهُمْ. فقال له: صدقت. وامسك إسماعيل فلم يُحرْ جواباً.

سليمان يأمر بقطع يد خالد:

وقال ابن الكلبي:

كان خالد بن عبد اللَّه أميراً على مكة، فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب وهو ينظر، فأبى، فضربه مائة سوط، فخرج الشَّيْبِيُّ إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه، فصادف الفرزدق بالباب، فاسترفده، فلما أذن للناس ودخلا شكا الشيبيُّ ما لحقه من خالد، ووثب الفرزدق فأنشأ يقول:

سَلُوا خالداً لا أكرم اللَّه خالداً ... متى وليتْ قسرٌ قُريشاً تدينُها
أقبلَ رسولِ اللَّه أم ذاك بعده ... فتلك قريش قد أغثَّ سمِينُها
رَجَوْنا هُدَاه لا هدى اللَّهُ خالداً ... فما أمُّه بالأمِّ يُهْدَى جَنينُها

[الطويل]

فحمي سليمان وأمر بقطع يد خالد، وكان يزيد بن المهلب عنده، فما زال يُفَدِّيه ويقبِّل يده حتى أمر بضربه مائة سوط ويُعفى عن يمينه، فقال الفرزدق في ذلك:

لعمري لقد صُبَّت على ظهر خالد ... شآبيبُ[1] ما استهللْنَ من سَبَل القَطْرِ
أَيُضرَب في العِصْيان من كان طائعاً ... ويَعْصي أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ
فنفسَك لُمْ فيما أتيتَ فإنما ... جُزيت جزاء بالمُحَدْرَجَةِ[2] السُّمْرِ
وأنت ابن نصرانيةٍ طال بَظْرُها ... غَذَتْكَ بأولاد الخنازير والخمْرِ
فلولا يزيد بن المهلَّب حَلَّقت ... بكفِّك فتخاءٌ[3] إلى الفرخ في الوَكْرِ
لعمري لقد صال ابنُ شيبةَ صولةً ... أرتك نجومَ الليل ظاهرةً تسري

[الطويل]

فحقدها خالد على الفرزدق، فلما ولي العراق وحفر نهر المبارك بواسط، قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه، منها:

---

(١) شآبيب: مفردها شؤبوب، الدفعة من المطر.
(٢) المُحَدْرَجة: كناية عن السياط. (٣) الفتخاء: اللينّة الجناح من العقبان.

وأهلكتَ مالَ اللَّه في غير حَقِّه على النَّهر المشؤوم غيرِ المباركِ
وتضرب أقواماً صِحاحاً ظهورهمْ وتترك حق اللَّه في ظهر مَالِكِ
[الطويل]

وقال ـ ويقال: إنها للمفرج بن المرقع ـ:

كأنك بالمبارك بعد شهرٍ يخوض غِمارهُ بقع الكِلابِ
كذبتَ خليفةَ الرحمن عنه وسوف يرى الكذوب جَزا الكذابِ
[الوافر]

فأخذ خالدٌ الفرزدقَ فحبسه واعتلّ عليه بهجائه إياه في حفر هذا النهر المبارك، فقال الفرزدق في السجن:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فعجِّلْ هداك اللَّهُ نَزْعَك خالدَا
بَنَى بِيعَةً فيها الصليبُ لأمه وهدَّم من بُغْضِ الإلٰه المساجدا
[الطويل]

فبعث هشام إلى خالد رسولاً يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالداً القسريَّ:

ألا قطع الرحمن ظهر مطيَّةٍ أتتنا تَخطَّى من بعيدٍ بخالدِ
وكيفَ يؤمُّ المسلمين وأمُّه تدين بأن اللَّه ليس بواحدِ
[الطويل]

ابن عياش يشتم خالداً:

أخبرنا الحسن قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني قال:

شتم عبد اللَّه بن عياش الهمذاني خالدَ بن عبد اللَّه في أيام منصور بن جمهور، فسمعه رجل من لخم، فقدّمه إلى منصور واستعداه عليه، فقال له منصور: ما تريد؟ فقال ابن عياش: أمرنا أيها الأمير برقية العقرب.

وفيه عجب، لخميٌّ يستنصر كَلْبِيّاً على همذاني لبَجليٍّ دعي.

علاقة خالد بهشام:

وقال المدائني في خبره:

كان خالد بن عبد اللَّه قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده، فأدلَّ وتمرغ عليه، حتى إنه التفت يوماً إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام فقال له: كيف بك يا بني

إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين؟ قال: أواسيهم ولو في قميصي، فتبين الغضبُ في وجه هشام واحتملها.

قال المدائني: حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام:

أنه كان واقفاً على رأس هشام فسمع هذا من خالد.

قال: وكان إذا ذُكرَ هشام قال له: ابنُ الحمقاء. فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البَطر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر فقال: ماذا يقول [لعله يقول]: الأحول؟ قال: لا واللَّه، ولكن لا تلتقي به الشفتان. قال: فلعله. قال: ابن الحمقاء، فأمسك الشامي، فقال: قد بلغني كل ذلك عنه.

استغلال السلطة:

واتخذ خالد ضياعاً كثيرة، حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم فدخل عليه دهقان كان يأنس به، فقال له: إن الناس يحبون جسمك، وأنا أحب جسمك وروحك، قد بلغت غلة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلتك، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا، فاحذر، فقال له خالد: إن أخي أسد بن عبد اللَّه قد كلمني بمثل هذا، أفأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك، دَعْه، فرُبَّ يومٍ كان يطلب فيه الدرهم فلا يجده.

بخله على الطعام:

وقال المدائني في خبره:

كان خالد بن عبد اللَّه بخيلاً على الطعام، فوفد إليه رجل له به حُرمة فأمر أن يكتب له بعشرين ألف درهم، وحضر الطعام، فدعا به، فأكل أكلاً منكراً فأغضبه، وقال للخازن: لا تعرِضْ عَليَّ صَكَّه، فعرَّفه الخازنُ ذلك، فقال له: ويحك، فما الحيلة؟ قال: تشتري له غداً كل ما يحتاج إليه في مطبخه، وتهب للطباخ دراهم حتى لا يشتري شيئاً، وتسأله، إذا أكل خالد أن يقول له: إنك كنت اليوم في ضيافة فلان. فاشترى له كل ما أراد حتى الحطب، فبلغ خمسمائة درهم، فأكل خالد فاستطاب ما صُنع له، فقال له الطباخ: إنك كنت اليوم في ضيافة فلان. قال له: وكيف ذاك؟ فأخبره، فاستحيا خالد، ودعا بصكه فصيَّره ثلاثين ألفاً، ووقع فيه. وأمر الخازن بتسليمها إليه.

قال: وكان لبعض التجار على رجل دين، فأراد استعداء خالدٍ عليه، فلاذ الرجل

ببوَّاب خالد، وبرَّه، فقال له: سأحتال لك في أمر هذا بحيلة، لا يُدْخله عليه أبداً، قال: فافعل. فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل، وخالد يأكل سمكاً، فجلس فأكل أكلاً شنيعاً كثيراً، فغاظ ذلك خالداً، فلما خرج قال لبوابه: فيم أتاني هذا؟ قال: يستعدي على فلان في دَين يدعيه عليه، قال: واللّه إني لأعلم أنه كاذب، فلا يدخلنّ عليّ. وتقدم إلى صاحب الشرط بأن يقبض يده عن خصمه.

زمزم يسأل عن الحمار:

وقال المدائني في خبره:

كان خالد يوماً يخطب على المنبر، وكان لُحَنَةً[١]، وكان له مؤدب يقال له: الحسين بن رهمة الكلبي، وكان يجلس بإزائه: فإذا شك في شيء أومأ إليه، وكان لخالد صديق من تغلب يقال له: زمزم، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته وقال له: قد حضرتني مسألة قال: ويحك، أما ترى الشيطانَ عينه في عيني؟ يعني حسيناً، قال: لا بد واللّه منها. قال: هاتها. قال: أخبرني عن الحمار إذا ساف[٢] ثم رفع رأسه وكرف[٣] أي شيء يقول؟ قال: أراه يقول: ما أطيبه يا رباه، قال: صدقت، ما كان يستشهد على هذا سوى ربه.

زمزم الأحمق:

قال المدائني: وقال خالد يوماً على المنبر: هذا كما قال اللّه عز وجل: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم. ثم أُرتج عليه. فقال للتغلبي: قم يا زمزم فافتَح عليَّ سورة كذا وكذا. فقال: خَفِّضْ عليك أيها الأمير ولا يهولنَّك ذلك فما رأيت عاقلاً قط يحفظ القرآن، وإنما يحفظه حمقى الناس. قال: صدقت يرحمك اللّه.

خالد والمغنيات:

وقال المدائني: حدثني أبو يعقوب الثقفي قال:

قال خالد بن عبد اللّه للعريان: يا عريان، أعجزت عن الشرط حتى أولي غيرك؟ فإن الغناء قد فشا وظهر، قال: لم أعجز، وإن شئت فاعزلني، فقال له: خذ لي المغنيات، فأخذ خمساً منهن أو ستّاً، فأدخلن إليه، فنظر إلى واحدة منهم بيضاء

---

(١) لُحَنَة: كثير الخطإ باللغة والقراءة.

(٢) ساف: شمَّ.

(٣) كرف: تطلق للحمار حين يشم بول الأتان ثم يرفع رأسه ويقلب شفته.

دعجاء، كأنها أشربت ماء الذهب، فدعا لها بكرسي فجلست ثم قال: أين البَرْبَط[١] الذي كانت تضرب به؟ فأحضر، ثم سَوَّته فغنت:

إلـى خـالـد حـتـى أَنـخْـن بـخـالـد فـنِـعـم الـفـتـى يُـرْجـى ونـعـم الـمـؤمَـلُ

[الطويل]

فقال: اعْدِلي عن هذا إلى غيره، فغنت:

أروح إلـى الـقـصَّـاص كـلَّ عـشـيـة أُرَجـي ثـوابَ الـلَّـه فـي عَـدد الـخُـطـا

[الطويل]

قال: وأقبل قاصّ المِصر فقال له خالد: أكانت هذه تروح إليك؟ قال: لا، وما مثلها يروح إليَّ، قال: خُذ بيدها فهي لك قال: ومولاها بالباب فسأل عنها، فقيل: وهبها للقاص، فتحمل عليه بأشراف الكوفة فلم يرددها عليه حتى اشتراها منه بمائتي دينار.

إمارة العراق لا تشرف خالداً:

وقال المدائني:

قال خالد في خطبته: واللَّه ما إمارة العراق مما يشرفني، فبلغ ذلك هشاماً فغاظه جداً، وكتب إليه: بلغني يا ابن النصرانية أنك تقول: إن إمارة العراق ليست مما يشرِّفك، صدقتَ، واللَّه ما شيء يُشرِّفك، وكيف تَشْرُف وأنت دعِيٌّ إلى بجيلة القبيلة القليلة الذليلة، أما واللَّه إني لأظن أن أولَ ما يأتيك ضَغِنٌ من قيس فيشد يديك إلى عنقك.

هشام يعزل خالداً ويعذبه:

وقال المدائني: حدثني شبيب بن شيبة، عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال:

لم تزل أفعال خالد به حتى عزله هشام وعذبه، وقتل ابنه يزيد بن خالد، فرأيت في رجله شريطاً قد شُدَّ به، والصبيان يَجرّونه، فدخلت إلى هشام يوماً فحدثته وأطلت، فتنفس ثم قال: يا خالد، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إليَّ قرباً، وأَلَذّ عندي حديثاً منك، قال: يعني خالداً القسريّ، فانتهزتها ورجوت أن أشفع، فتكون لي عند خالد يدٌ، فقلت: يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده؟ فقد أَدَّيته بما فرط منك، فقال: هيهات إن خالداً أَوْجفَ[٢] فأعجفَ[٣] وأَدَلَّ فأملَّ، وأفرط في

(١) البَرْبَط: العود، مُعَرَّب بَرْبَط، أي: صدر الإوزّ، لأنه يشبهه.
(٢) أوجف: اضطرب.
(٣) أعجف: ذهاب سمنه.

الإساءة فأفرطنا في المكافأة، فحَلم الأديمُ، ونغَل الجرح وبلغ السيل الزُبى والحزام الطُبْيَينِ. فلم يبق فيه مُستصلح، ولا للصنيعة عنده موضع، عد إلى ما كنت فيه.

تخنَّث خالد:

فأما أخباره في تخنُّثه وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم، عن أبي هفان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الحارث بن سعيد السعيدي، عن إبراهيم بن قدامة الحاطبي عن أبيه، واللفظ لعلي بن صالح في خبره قالا:

ذكريات عمر بن أبي ربيعة:

قال الحاطبي: أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرق القوم دنوت منه، ومعي صاحب لي، فقال لي صاحبي: هل لك في أن نُريغَه[1] عن الغزل فننظر هل بقي منه شيء عنده؟ فقلت له: دونك، فقال: يا أبا الخطاب، أحسن واللَّه رَيْسان العذريّ قاتله اللَّه، قال: وفيمَ أحسن؟ قال: حيث يقول:

لو جُزَّ بالسيف رأسي في محبتها ... لمرَّ لا شكَّ يهوي نحوها راسي

[البسيط]

فقال: نعم أحسن، قال: فقلت: يا أبا الخطاب، وأحسن واللَّه تحيّةُ بنُ جنادة العذريّ، قال: فيماذا؟ قلت: حيث يقول:

سرَتْ لعينيك سلمى بعد مَغفاها ... فبتَّ مستوهناً من بعد مَسراها

فقلت أهلاً وسهلاً من هَداكِ لنا ... إن كنت تمثالها أو كنت إياها

[البسيط]

وفي رواية الزبيري خاصة:

تأتي الرياح التي من نحو أرضكمُ ... حتى أقول دنتْ منَّا برَيَّاها[2]

وقد تراخت بها عنا نوًى قُذُفٌ ... هيهات مصبحها من بعد ممساها

من حُبِّها أتمنى أن يلاقيَني ... من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها

---

(١) أراغ: طلب وأراد على وجه المكر.

(٢) الريَّا: مطرها.

كـيـمـا أقـول فـراقٌ لا لـقـاء لـه وتـضـمـر الـيـأسَ نـفـسـي ثـم تـسـلاهـا
ولـو تـمـوت لـراعـتـنـي وقـلـت لـهـا يـا بـؤس لـلـدهـر لـيـت الـدهـرَ أبـقـاهـا
[البسيط]

ويروى:

. . . . . لـراعـتـنـي مـنـيّـتـهـا وقـلـت يـا بـؤس لـيـت الـدهـر أبـقـاهـا

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه، أحسن واللَّه ولقد هيجتما عليَّ ما كان ساكناً مني، فلأُحدثنَّكما حديثاً حُلْواً، بينا أنا أوّل أعوامي جالس إذا بخالد الخِرِّيت، فقال: مررت بأربع نسوةٍ قَبيلٍ يَرِدْن ناحية كذا وكذا من مكة، لم أرَ مثلهن قطّ، فيهن هند، فهل لك أن تأتيهن مُتَنَكّراً، فتسمع من حديثهن ولا يعلمن؟ فقلت: وكيف لي بأن يَخْفى ذلك؟ قال: تلبس لبسة الأعراب، ثم تقعد على قعود كأنك تَنشُدْ ضالَّة، فلا يشعرن حتى تهجم عليهن، قال: فجلست على قعود، ثم أتيتهن، فسلمت عليهن، فآنسنني، وسألنني أن أُنشدهن، فأنشدتهن لكُثَيِّر وجميل وغيرهما، فقلن: يا أعرابي، ما أملحك لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا، فإذا أمسيت انصرفت، فأنخت قعودي وجلست معهن، فحدثتهن وأنشدتهن، فدنت هند، فمدّت يدها، فجذبت عمامتي، فألقتها عن رأسي، ثم قالت: باللَّه لظننتَ أنك خدعتنا، نحن واللَّه خدعناك، أرسلنا إليك خالداً الخريت في إتياننا بك على أقبح هيئتك، ونحن على أحسن هيئتنا. ثم أخذن بنا في الحديث، فقالت: يا سيدي، لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي في جيبي، فنظرت إلى حري، فرأيته ملء العين والنفس، فصحت: يا عُمَراه يا عمراه قال: فصحتُ: لبيك لبيك، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا، فتفرقنا عن أنعم عيش، فذلك حين أقول:

ألـم تـعـرف الأطـلال والـمـتـربـعـا بـبـطـن حُـلَـيّـات دوارس بَـلـقَـعـا
[الطويل]

[وذكر الأبيات.

انقضت أخبار خالد لعنه اللَّه].

صـوت

أنـائِـلُ مـا رُؤْيـا زعـمـتِ رأيـتِـهـا لـنـا عَـجـبٌ لـو أن رؤيـاك تـصـدقُ

أنـائِـلُ مـا لـلـعـيـش بـعـدك لـذَّة ولا مـشـربٌ تـلـقـاه إلا مُـرَنَّـقُ[١]
أنـائِـلُ إنـي والـذي أنـا عـبـدُه لقد جعلتْ نفسي من البين[٢] تُشفِقُ
لـعـمـرُك إن الـبـيـن مـنـك يَـشـوقـنـي وبـعـض بُـعـادِ الـبَـيْـنَ والـنـأي أَشْـوَقُ
[الطويل]

الشعر لصخر بن الجَعْد الخُضْرِيّ.

[أخبرنا محمد بن يزيد عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري]. وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر، ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل، ولم يأت ذلك من وجه يصحّ، والزبير أعلم بأشعار الحجازيين.

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

(١) مُرَنَّق: مُكدَّر.
(٢) البَيْن: البعد والفراق.

أخبار صخر بن الجعد ونسبه

اسمه ونسبه:

صخر بن الجَعْد الخُضْري، والخضرُ ولد مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وصخر أحد بني جِحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: وسمي ولد مالك بن طريف الحضر لسوادهم، وكان مالك شديد الأُدْمة، وخرج ولده إليه، فقيل لهم الخُضْر، والعرب تسمي الأسود الأخضر.

وهو شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد كان يعرض لابن ميَّادَة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخضريِّ من المهاجاة، ورام أن يُهاجيه فترفَّع ابنُ ميادة عنه.

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش، عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن الزبير بن بكار، مجموعاً. وأخبرني بأخبارٍ له متفرقة الحرميُّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار. وحدثني بها غيرهما من غير رواية الزبير، فذكرت كل شيء من ذلك مفرداً، ونسبته إلى راويه.

غرامه بكأس بنت بجير:

قال الزبير ـ فيما رواه هارون عنه ـ حدثني من أثق به عن عبد الرحمن الأحول بن الجون قال:

كان صخر بن الجعد مغرماً بكأس بنت بُجَير بن جُندب، وكان يشبّب بها، فلقيه أخوها وقَّاصٌ، وكان شجاعاً، فقال له: يا صخر إنك تشبب بابنة عمك وشَهَرْتها، ولعمري ما بها عنك مذهب، ولا لنا عنك مرغب، فإن كانت لك في ابنة عمك حاجة فهلمّ أزوجكها، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمنّ ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنه منك، فأُقسم باللَّه لئن فعلتَ ذلك ليخالطَنَّك سيفي فقال له: لا بل واللَّه إن لي لأشدّ الحاجة إليها، فوعده موعداً، وخرج صخر لموعده حتى نزل بأبيات القوم، فنزل منزل الضيف، فقام وقَّاص فذبح وجمع أصحابه، وأبطأ صخر عنهم، فلما رأى

ذلك وقاصٌ بعث إليه أَنْ هلُمَّ لحاجتك، فأبطأ، ورجع الرسول فقال مثل قوله [فأبطأ] فغضب وعمد إلى رجل من الحيّ ليس يُعْدَل بصخرٍ يقال له حِصْن، وهو مُغضب لما صنع، فحمد اللَّه وأثنى عليه وزوّجه كأس، وافترق القوم، ومرُّوا بصخر فأعلموه تزويجَ كأس بحصن، فرحل عنهم من تحت الليل، واندفع يهجوها بالأبيات التي قذفها فيها فيما قذفها، وذلك قوله حين يقول:

وأنكحَها حِصْناً ليطمس حمْلَها ... وقد حملتْ من قبلِ حِصْنٍ وجَرَّتِ

[الطويل]

أي زادت على تسعة أشهر، قال: وترافع القوم إلى المدينة، وأميرها يومئذ طارقٌ مولى عثمان رضي اللَّه عنه، قال: فتنازعوا إليه، ومعهم يومئذٍ رجل يقال له حزْم، وكان من أَشد الناس على صخر شرّاً، قال: وفيه يقول صخر:

كفى حَزناً لو يعلم الناسُ أنني ... أُدافع كأساً عند أَبوابِ طارقِ

أتنسيْنَ أياماً لنا بسُوَيقةٍ ... وأَيامَنا بالجِزْع جزْع الخَلائقِ

ليالِيَ لا نخشى انصداعاً من الهوى ... وأيام حزم عندنا غير لائقِ

إذا قلتُ لا تفشي حديثي تعجرَفتْ ... زياداً لوُدٍّ هاهنا غير صادقِ

[الطويل]

قال: فأقاموا عليه البيّنة بقذفِ كأس، فضُرِب الحدّ، وعاد إلى قومه، وأَسف على ما فاته من تزويج كأس، فطفق يقول فيها الشعر، قال الزبير: فأنشدني عمي وغيره لصخر قوله:

لقد عاوَدَ النفسَ الشقِيَّةَ عِيدُها ... نعم إنه قد عاد نَحْساً سُعودُها

وعاودَه من حُبِّ كأسٍ ضَمانةٌ ... على النأْيِ كانت هَيْضةً تَستقِيدُها

وأَنَّى تُرجيها وأَصبح وصلُها ... ضعيفاً وأَمستْ هَمَّه لا يَكيدُها

وقد مرّ عصرٌ وهي لا تستزيدني ... لما استُودِعَتْ عندي ولا أَستزيدُها

فما زلْت حتى زلَّتِ النعلُ زلَّةً ... برجلك في زوراءَ وَعْثٍ صُعودُها

أَلا قُلْ لكأسٍ إن عرضْتَ لِبيتِها ... فأينَ بُكا عيني وأين قَصيدُها

لعلّ البكا يا كأسُ إن نفعَ البكا ... يُقرِّب دنيانا لنا فيُعيدُها

وكانت تناهتْ لوعةُ الودّ بيننا ... فقد أصبحت يُبْساً وأُذبِلَ عودُها

[الطويل]

ويروى: وقد ذَاءَ عُودُها، يقال: ذَبل وذَأَى وذَوى بمعنى واحد.

لـيـالـيَ ذات الـرمْـث لا زال هـيْـجُـهـا ... جُـنـونـاً ولا زالـتْ سـحـابٌ تَـجـودُهـا
وعـيـش لـنـا فـي الـدهـر إن كـان فَـلْـتـةً ... يـطـيـبُ لـديـه بـخْـلُ كـأسٍ وجـودُهـا
تـذكَّـرت كـأسـاً إذ سـمـعـت حـمـامـةً ... بـكـت فـي ذُرى نـخـلٍ طِـوالٍ جَـريـدُهـا
دعـت سـاقَ حُـرٍّ فـاسـتـحـنَّـتْ لِـصَـوْتِـهـا ... مُـوَلَّـهَـةً لـم يَـبْـقَ إلا شَـرِيـدُهـا
فـيـا نـفـسُ صـبـراً كـلُّ أَسـبـابِ واصـلٍ ... سـتُـنـمـى لـهـا أَسـبـابُ هـجـرٍ تُـبـيـدُهـا

[الطويل]

قال أبو الحسن الأخفش:

سَـتـنـمـي لـهـا أسـبـابُ صـرْمٍ تـبـيـدُهـا

وهو أجود.

ولـيـل بـدَتْ لـلـعـيـن نـارٌ كـأنـهـا ... سـنـا كـوكـبٍ لا يـسـتـبـيـن خُـمـودُهـا
فـقـلـت عـسـاهـا نـار كـأس وعـلَّـهـا ... تَـشَـكَّـى فـأمـضـى نـحـوهـا وأعـودُهـا
فـتـسـمـع قـولـي قـبـل حَـتْـفٍ يَـصـيـدنـي ... تُـسَـرُّ بـه أو قـبـل حَـتْـفٍ يـصـيـدُهـا
كَـأنْ لـم نـكـن يـا كـأسُ إلْـفـي مـودَّةٍ ... إذ الـنـاسُ والأيـامُ تُـرْعـى عُـهـودُهـا

[الطويل]

ندم وذكريات:

حدثنا عبد اللَّه بن مالك النحوي قال: حدثنا محمد بن حبيب قال:

لما ضُرب صخر بن الجعد الحد لكأس، وصارت إلى زوجها، وندم على ما فرط منه، واستحيا من الناس للحد الذي ضُربه فلحق بالشام فطالت غيبته بها، ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس، فباعوه وانتقلوا إلى الشام، فمر بها صخر، ورأى المبتاعين لها يَصرِمونها، فبكى عند ذلك بكاء شديداً وأنشأ يقول:

مـررتُ عـلـى خـيـمـاتِ كـأس فـأسـبـلـت ... مـدامـعُ عـيـنـي والـريـاحُ تُـمـيـلُـهـا
وفـي دارهـم قـوم سـواهـم فـأسـبـلـت ... دمـوع مـن الأجـفـان فـاضَ مَـسـيـلُـهـا
كـذاك الـلـيـالـي لـيـس فـيـهـا بـسـالـمٍ ... صـديـقٌ ولا يَـبـقـى عـلـيـهـا خـلـيـلُـهـا

[الطويل]

وقال وهو بالشام:

ألا لـيـت شـعـري هـل تـغـيـر بـعـدنـا ... عـن الـعـهـد أم أمـسـى عـلـى حـالـه نَـجْـدُ؟
وعـهـدي بـنـجـدٍ مـنـذ عـشـريـن حِـجـة ... ونـحـن بـدُنـيـا ثَـم لـم نـلـقَـهـا بـعـدُ

به الخوصة[١] الدهماء تحت ظِلالها رياض بها الحَوْذان والنَّفلُ[٢] الجعْدُ[٣]

[الطويل]

قال: ومر على غدير كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعان عليه، فوقف طويلاً عليه يبكي، قال: وكان يقال لذلك الغدير: جنان، فقال صخر:

بَليت كما يبلى الرداء ولا أرى جناناً ولا أكناف ذروة تخلُقُ

أُلوِّي حَيازيمي بهن صبابة كما يتلوى الحيَّةُ المتشرقُ

[الطويل]

صخر يرثيها:

أخبرني عبد اللَّه بن مالك، عن محمد بن حبيب قال: قال السعيدي: حدثني سبرة مولى يزيد بن العوام قال:

كان صخر بن الجعد المحاربي خِدْناً[٤] لعوام بن عقبة، وكان عوام يهوى امرأة من قومه يقال لها سوداء، فماتت فرثاها، فلما سمع صخر بن جعد المرثية قال: وددت أن أعيش حتى تموت كأس فأرثيها، فماتت كأس فقال:

على أم داودَ السلامُ ورحمةٌ من اللَّه يجري كل يوم بشيرُها

غداةَ غدا الغادون عنها وغودِرت بلمَّاعة القِيعانِ يستَنُّ مُورُها

وغُيِّبْتُ عنها يوم ذاك وليتني شهِدت فيحوي مَنكبيَّ سريرُها

[الطويل]

ويروى: فيعلو منكبيَّ.

نزَتْ كبدي لما أتاني نَعِيُّها فقلت أدانٍ صَدْعها فمُطيرُها

[الطويل]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير قال: حدثني خالد بن الوضاح قال:

قال عبد الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجمحي لعبد اللَّه بن مصعب: سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه: من الذي يقول:

---

(١) الخوصة: ورق النخل، جمعها الخوص.

(٢) النَّفل: واحدته النَّفلة، وهو نبت من أحرار البقول زهره أصفر وطيب الرائحة.

(٣) الجَعد: ضرب من النبت.

(٤) الخِدْن: الصاحب، وهو من يخادنك في كل أمر ظاهر وباطن.

ألا يـا كـأس قـد أفـنـيـتُ شِـعـري فـلـسـتُ بـنـائـلٍ بـالاً رَجـيـعَـا
[الوافر]

ولم أدر لمن الشعر، فقال عبد اللَّه بن مصعب: هو لصخر الخضري، وأنشد باقي الأبيات وهي:

تـرجِّـي أن تـلاقـى آل كـأسٍ كـمـا يـرجـو أخـو الـسَّـنَـةِ الـرَّبـيـعَـا
فـلـسـت بـنـائـم إلا بـحـزنٍ ولا مـسـتـيـقـظـاً إلا مـرُوعـا
فـإنـك لـو نـظـرت إذا الـتـقـيـنـا إلـى كـبـدي رأيـت لـهـا صُـدُوعـا
[الوافر]

جزع صخر لما زوجت كأس:

قال ابن حبيب في رواية عبد اللَّه بن مالك:

لما زوجت كأس جزع صخر بن الجعد لما فرط منه، وندم وأَسف وقال في ذلك:

هـنـيـئـاً لـكـأسٍ قـطـعُـهـا الـحـبـلَ بـعـدمـا عـقـدنـا لـكـأسٍ مـوثـقـاً لا نـخـونُـهـا
وإشـمـاتُـهـا الأعـداء لـمـا تـألـبـوا حـوالـيَّ واشـتـدت عـلـيَّ ضُـغُـونُـهـا
فـإن حـرامـاً أن أخـونـك مـا دعـا بـيَـلـيَـلَ[1] قـمـري الـحـمـام وجُـونُـهـا
وقـد أيـقـنـت نـفـسـي لـقـد حِـيـل دونـهـا ودونـك لـو يـأتـي بـيـأس يـقـيـنُـهـا
ولـكـن أبـت لا تـسـتـفـيـق ولا تَـرى عـزاء ولا مـجـلـودَ صـبـرٍ يُـعِـيـنُـهـا
لـوَ انَّـا إذا الـدنـيـا لـنـا مـطـمـئِـنَّـة دحـا[2] ظِـلَّـهـا ثـم ارجـحـنَّـت غـصـونُـهـا
لـهـونـا ولـكـنَّـا بـعـزَّة عـيـشِـنـا عـجـبـنـا لـدنـيـانـا فـكـدنـا نُـعـيـنُـهـا
وكـنـا إذا نـحـن الـتـقـيـنـا ومـا نـرى بـعـيـنـيـن إلا مـن حـجـاب يَـصُـونُـهـا
أخـذنـا بـأطـراف الأحـاديـث بـيـنـنـا وأوسـاطـهـا حـتـى تَـرِقَّ فـنُـونُـهـا
[الطويل]

قال ابن حبيب: أرسلت كأس بعد أن زُوِّجت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم كأنه يُلبسها خِماراً، وأن ذلك جدَّد لها شوقاً إليه وصبابة، فقال صخر:

أنـائـل مـا رؤيـا زعـمـت رأيـتِـهـا لـنـا عَـجَـب لـو أن رؤيـاكِ تـصـدُقُ
أنـائِـل لـولا الـودُّ مـا كـان بـيـنـنـا نـضَـا مثل ما ينضو الخضاب فيخلُقُ
[الطويل]

(١) يَلْيَل: موضع قرب وادي الصفراء. (٢) دحا: عَظُم.

هرب صخر من التاجر سيار:

أخبرنا حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد اللَّه بن شبيب قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه البكري قال:

قدم صخر بن الجعد الحضري المدينة فأتى تاجراً من تجارها يقال له سَيَّار، فابتاع منه بُرًّا وعطراً وقال: تأتينا غدوة فأقضيك، وركب من تحت ليلته فخرج إلى البادية، فلما أصبح سيار سأل عنه، فعُرف خبره، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه حتى أتوا بئر مطلب وهي على سبعة أميال من المدينة، وقد جهدوا من الحر، فنزلوا عليها، فأكلوا تمراً كان معهم، وأراحوا دوابّهم وسقوها، حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين، وبلغ الخبر صخر بن الجعد فقال:

أهون عليَّ بسيار وصفوته ... إذا جعلت صِراراً دون سيَّارِ
إن القضاء سيأتي دونه زمن ... فاطوِ الصحيفة واحفظها من العارِ
نسائل الناس هل أحسسْتُمُ جلباً ... محاربيًّا أتى من نحو أظفارِ
وما جلبت إليهم غير راحلةٍ ... وغير قوْس وسيف جفنُه عاري
وما أربتُ لهم إلا لأدفعهم ... عني ويُخرجني نقضي وإمراري
حتى استغاثوا بأَلوى[1] بئر مطّلب ... وقد تحرق منهم كل تمَّارِ[2]
وقال أولهم نُصحاً لآخرهم ... ألا ارجعوا واتركوا الأعراب في النارِ

[البسيط]

أبو الصموت وسمحاء:

أخبرني عبد اللَّه بن مالك، عن محمد بن حبيب قال: حدثنا ابن الأعرابي قال:

كان الجعد المحاربي أبو صخر بن الجعد قد عمّر حتى خرف، وكان يكنى أبا الصموت، وكانت له وليدة يقال لها سمحاء، فقالت له يوماً: يا أبا الصموت، زعم بنوك أنك إن مت قتلوني، قال: ولم؟ قالت: ما لي إليهم ذنب غير حبي لك، فأعتقها على أن تكون معه، فمكثت معه يسيراً ثم قالت له: يا أبا الصموت، هذا عرابة من أهل المعدن يخطبني، قال: أين هذا مما قلت لي؟ قالت: إنه ذو مال، وإنما أردتُ ماله لك، قال:

(١) ألوى: ضرب من الشجر تنبت حبالاً تعلَّق بالشجر وتتلوى عليها ولها في أطرافها، ورق في طرفه تحديد.

(٢) التمَّار: بائع التمر.

فأُتني به، فأتته به فزوجه إياها، فولدت له أولاداً، وقوته بما كانت تصيبه من الجعد، وكانت تأتي الجعد في أيام فتخضب رأسه ثم قطعته، فأنشأ الجعد يقول:

أمسى عَرابةُ ذا مالٍ وذا ولدٍ ... من مالِ جعدٍ وجعدٌ غير محمودِ
تظل تُنشِقه الكافور متكِئاً ... على السرير وتعطيني على العُودِ

[البسيط]

قال: والجعد هو القائل لامرأته:

تعالجني أم الصموت كأنما ... تداوي حِصاناً أوهنَ العَظمَ كاسِرُهْ
فلا تعجبي أمَّ الصموت فإنه ... لكل جواد معثرٌ هو عاثرُهْ
وقد كنتُ أصطاد الظباء مُوطِّئاً ... واضرب رأس القِرن والرمح شاجرُهْ
فأصبحتُ مثل العُش طارت فراخه ... وغودِر في رأس الهَشيمة سائرُهْ

[الطويل]

فلما كبر حمله بنوه فأتوا به مكة، وقالوا له: تعَبَّد هاهنا، ثم اقتسموا المال الذي كان له، وتركوا له منه ما يصلحه فقال:

ألا أبلغْ بني جعدٍ رسولاً ... وإن حالت جبالُ الغوْر دوني
فلم أرَ معشراً تركوا أباهم ... من الآفاق حيث تركتموني
فإني والرواقصِ حول جَمعٍ ... ومَحطمهن من حَصبَا الحجونِ
لوَ انِّي ذو مُدافعةٍ وحَولي ... كما قد كنت أحياناً كموني
إذا لمنعتكم مالي ونفسي ... بنصلِ السيف أو لقتلتموني

[الوافر]

بين صخر ودرن:

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عثمان البكري.

عن عروة بن زيد الخضري عن أبيه قال: كنت في ركب فيهم صخر بن الجعد ودرن مولى الخضريين معنا، ونحن نريد خيبر، فنزلنا منزلاً تعشينا فيه، فهيَّجنا إبل صخر، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يرجز ويقول:

لقد بعثْتُ حادياً قراصفا[1]

(١) القراصِف: الشديد السرعة.

فردَّده قِطعاً من الليل لا ينفده ولا يقول غيره، ثم قال لنا: إني نسيت عِقالاً، فرجع يطلبه في المتَعشى، ونزل درن يسوق بالقوم فارتجز درنٌ ببيت صخر وقال:

لقد بعثْتُ حادياً قراصفا ... من منزل رحلت عنه آنفا
يسوق خُوصاً رجّفاً حواجفا[1] ... مثل القسيِّ تقذف المقاذِفا
حتى ترى الرَّباعيَ العُتارِفا[2] ... من شدة السير يزجّي واجفا[3]

[الرجز]

قال: فأدركه صخر وهو في ذلك، فقال له: يا ابن الخبيثة، أتجترئ على أن تنفذ بيتاً أعياني؟ فقاتله فضربه حتى نزلنا ففرقنا بينهما.

صوت

إذا سرَّها أمر وفيه مساءتي ... قضيت لها فيما تحبُّ على نفسي
وما مرَّ يوم أرتجي منه راحة ... فأذكره إلا بكيت على أمسي

[الطويل]

الشعر لأبي حفصٍ الشطرنجي، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

(١) الحواجف: الصدور.
(٢) العُتارف: الشديد.
(٣) الواجف: المسرع في السير.

أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

اسمه ونسبه:

أبو حفص عمر بن عبد العزيز، مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدّب غيَّره فيما يقال وسماه عبد العزيز.

عليَّة تنتحل شعره:

أخبرني بذلك عمي، عن أحمد بن الطيب، عن جماعة من موالي المهدي:

ونشأ أبو حفص في دار المهدي ومع أولاد مواليه، وكان كأحدهم، وتأدّب، وكان لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به، فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدي انقطع إلى عُليّة، وخرج معها لما تزوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين أخوتها وبني أخيها فتنتحل بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها:

تـحـبَّـبْ فـإن الـحـبَّ داعـيـة الـحُـبِّ

وهو صوت مشهور لها.

صفات أبي حفص:

حدثني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: حدثني الكندي.

عن محمد بن الجهم البرمكي قال: رأيت أبا حفص الشطرنجي الشاعر، فرأيت منه إنساناً يُلهيك حُضوره عن كل غائب، وتسليك مجالسته عن هجوم المصائب، قربه عرس، وحديثه أنس، جدُّه لعب ولعبه جد، ديِّن ماجد، إن لبسته على ظاهره لبست موموقاً لا تمله، وإن تتبعته لتستبطِن خبرته وقفت على مروءة لا تطور الفواحش بجنباتها، وكان فيما علمته أقل ما فيه الشعر، وهو الذي يقول:

صـــوت

تـحـبَّـب فـإن الـحـبَّ داعـيـة الـحـبِّ وكـم من بـعـيدِ الـدار مـسـتـوجِـب الـقُـرْبِ
إذا لـم يـكـن فـي الـحـب عـتـبٌ ولا رضـاً فـأيـن حـلاوات الـرسـائـل والـكـتْـبِ
تَـفَـكّـر فـإن حُـدّثـت أن أخـا هـوى نـجـا سـالـمـاً فـارج الـنـجـاة مـن الـحـبِّ
وأطـيـب أيـام الـهـوى يـومـك الـذي تـروّعُ بـالـتـحـريـش فـيـه وبـالـعَـتْـبِ

[الطويل]

قال: وفي هذه الأبيات غناء لعليّة بنت المهدي.

وكانت تأمر أن يقول الأشعار في المعاني التي تريدها فيقولها وتغني فيها، قال: وأنشدني لأبي حفص أيضاً:

عَـرِّضَـنْ لـلـذي تَـحِـبُّ بـحُـبِّ ثـم دَعْـهُ يَـروضـه إبـلـيـسُ
فـلـعـلَّ الـزمـان يُـدنـيـك مـنـه إنَّ هـذا الـهـوى جـلـيـلٌ نـفـيـسُ
صـابـرِ الـحُـبّ لا يـغـرّنْـكَ فـيـه مـن حـبـيـب تـجـهُّـمٌ وعـبـوسُ
وأَقـلّ الـلـجـاجَ واصـبـر عـلـى الـجـهـ ـدِ فـإن الـهـوى نـعـيـم وبُـوسُ

[الخفيف]

في هذه الأبيات للمسدود هزج ذكره لي جحظة وغيره عنه وأما:

تـحـبَّـبْ فـإن الـحـب داعـيـة الـحـبِّ

فقد مضت نسبته في أخبار عليّة.

أبو حفص يجيب الرشيد نيابة عن ماردة:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك. وأَخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أَبو العباس الكاتب قال:

كان الرشيد يحب ماردة جاريته، وكان خلَّفها بالرقة، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتقاها، فكتب إليها:

صـــوت

سـلامٌ عـلـى الـنـازحِ الـمـغـتـرِبْ تـحـيَّـةَ صـبٍّ بـه مـكـتـئـبْ
غـزالٌ مـراتِـعُـه بـالـبَـلـيـخِ إلـى ديـر زكَّـى فـقـصـر الـخـشـبْ

أيـا مـن أعـانَ عـلـى نـفـسـه بـتـخـلـيـفـه طـائـعـاً مـن أَحَـبّْ
سـأسـتـر والـسـتـر ـ مـن شـيـمـتـي هـوى مـن أحـبُّ بـمـن لا أحِـبّْ
[المتقارب]

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجي صاحب عُليّة، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات فقال:

أتـانـي كـتـابُـك يـا سـيـدي وفـيـه الـعـجـائـبُ كـلّ الـعـجَـبْ
أتـزعـم أنـك لـي عـاشـقٌ وأنـك بـي مـسـتـهـام وصـبّْ
فـلـو كـان هـذا كـذا لـم تـكـن لـتـتـركـنـي نُـهـزةً[1] لـلـكـرَبّْ
وأنـت بـبـغـدادَ تـرعـى بـهـا نـبـاتَ الـلـذاذةِ مـعْ مـن تـحِـبّ
فـيـا مـن جـفـانـي ولـم أجْـفـه ويـا مـن شـجـانـي بـمـا فـي الـكـتـبْ
كـتـابـك قـد زادنـي صَـبـوةً[2] وأَسـعـرَ[3] قـلـبـي بـحـرِّ الـلـهـبْ
فـهَـبْـنـي نـعَـمْ قـد كـتـمـتُ الـهـوى فـكـيـف بـكـتـمـان دَمْـع سَـرِبْ
ولـولا اتـقـاؤك يـا سـيـدي لـوافـتـك بـي الـنـاجـيـات الـنـجـبْ
[المتقارب]

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد حتى حَدَرها[4] إلى بغداد في الفرات، وأمر المغنين جميعاً فغنوا في شعره.

قال الأصبهاني: فمن غنى فيه إبراهيم الموصلي، غنى فيه لحنين: أحدهما ماخوري والآخر ثاني ثقيل عن الهشامي، وغنى يحيى بن سعد بن بكر بن صغير العين فيه رملاً، ولابن جامع فيه رمل بالبنصر، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى، وللمعلَّى خفيف رمل بالوسطى، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامي، وقال: كان المختار من هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم.

شعر أبي حفص يرقق الرشيد على عُليّة:

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني جماعة من كتاب السلطان:

(١) النُهزة: الفرصة تُنتهز.
(٢) الصَّبوة: جهلة الفُتُوَّة.
(٣) أسعَر: أشعل، أحرق.
(٤) حَدَر: حطَّ من عُلُوّ.

أن الرشيد غضب على عليّة بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشطرنجي شاعرها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، ويسأله الرضا عنها ويستعطفه لها فقال:

صوت

لو كان يمنع حسن العقلِ صاحبَه ... من أن يكون له ذَنبٌ إلى أحدِ
كانت عليّة أربَى الناس كلِّهمُ ... من أن تُكافا بسوء آخرَ الأبدِ
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فَتُحْرَمُه ... قد كنتُ أحسب أني قد ملأتُ يدي

[البسيط]

قال: فأتاها بالأبيات، فاستحسنتها وغنت فيها، وألقت الغناء على جماعة من جواري الرشيد، فغنينه إياه في أول مجلس جلس فيه معهن، فطرب طرباً شديداً، وسألهن عن القصة، فأخبرنه بها، فبعث إليها، فحضرت، فقبل رأسها، واعتذرت فقبل عذرها، وسألها إعادة الصوت فأعادته عليه، فبكى وقال: لا جرم أني لا أغضب أبداً عليك ما عشت.

البيت بمائة دينار:

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحيى، عن عمرو بن بانة قال:

دخل أبو حفص الشطرنجي على يحيى بن خالد، وعنده ابن جامع، وهو يلقي على دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها، وقال لأبي حفص: قل في دنانير بيتين يغني فيهما ابن جامع، ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد، فقال أبو حفص:

صوت

أشبهك المسكُ وأشبهتِه ... قائمة في لونه قاعِدَهْ
لا شك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينةٍ واحِدَهْ

[السريع]

قال: فأمر له يحيى بمائتي دينار، وغنى فيهما ابن جامع.

قال الأصبهاني: لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج.

أبو عيسى لا يعود أبا حفص:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان أبو حفص الشطرنجي ينادم أبا عيسى بن الرشيد، ويقول له الشعر فينتحله، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته، وكذلك بعليّة عمتهم، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به، فمرض فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى، فكتب إليه:

إخـاء أبـي عـيـسـى إخـاء ابـن ضَـرّةٍ ... وودي لـــه ودّ ابـــن أمّ ووالـــدِ
ألـمْ يـأتـه أنّ الـتـأدُّبَ نـسـبـةٌ ... تـلاصـق أهـواء الـرجـالِ الأبـاعـدِ؟
فـمـا بـالـه مـسـتـعـذباً مـن جـفـائـنـا ... مـواردَ لـم تـعـذبْ لـنـا مـن مـواردِ
أقـمـت ثـلاثـاً حِـلْـفَ حـمَّـى مـضِـرَّة ... فـلـم أَره فـي أهـل وُدي وعـائـدي
سـلامٌ هـي الـدنـيـا قـروضٌ وإنـمـا ... أخـوك مـديـمُ الـوصـل عـنـد الـشـدائـدِ

[الطويل]

الرشيد يستحسن شعره:

حدثني جعفر بن الحسين قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثنا أبي.

عن أبي حفص الشطرنجي قال: قال لي الرشيد يوماً: يا حبيبي، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتَهما، قلتُ ما هما يا سيدي؟ فمن شرفهما استحسانك لهما، فقال قولك:

صـوت

لـم ألـق ذا شَـجَـن يـبـوح بـحـبِّـه ... إلا حـسـبـتـك ذلـك الـمـحـبـوبَـا
حـذراً عـلـيـك وإنـنـي بـك واثـق ... ألّا يـنـال سـواي مـنـك نـصـيـبـا

[الكامل]

فقلت: يا أمير المؤمنين، ليسا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صدقك واللّه أعجب إليَّ، وأحسن منهما حيث تقول:

إذا سـرَّهـا أمـرٌ وفـيـه مـسَـاءتـي ... قـضـيـتُ لـهـا فـيـمـا تـريـد عـلـى نـفـسـي
ومـا مـرَّ يـوم أرتـجـي فـيـه راحـةً ... فـأذكـره إلا بـكـيـت عـلـى أمـسـي

[الطويل]

في البيتين الأولين اللّذين للعباس بن الأحنف ثقيل أول لإبراهيم الموصلي، وفيهما لابن جامع رمل عن الهشامي، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

أبو حفص يشعر بدنو أجله:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني الحسين بن يحيى قال: حدثني عبد اللَّه بن الفضل بن الربيع قال: دخلت على أبي حفصٍ الشطرنجي شاعر عليّةَ بنت المهدي أعوده في علته التي مات فيها، قال: فجلست عندَه، فأنشدني لنفسه:

صوت

نعى لك ظلّ الشبابِ المشيبُ ... ونادَتك باسم سواكَ الخطوبُ
فكنْ مستعدّاً لداعي الفناءِ ... فإن الذي هو آتٍ قريبُ
ألسنا نرى شهواتِ النفو ... س تفنى وتبقى عليها الذنوبُ؟
وقبلك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
يخاف على نفسه من يتوبُ ... فكيف ترى حالَ من لا يتوبُ؟

[المتقارب]

غنّى في الأول والثاني إبراهيم هزجاً.

إنقضت أخباره.

صوت

أبى ليليَ أنْ يذهَبْ ... ونيطَ الطَّرْف بالكوكبْ
ونجمٌ دونه النّسرا ... ن بين الدَّلوِ والعَقرَبْ
وهذا الصبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يَقربْ

[الهزج]

الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

دمن تأخذ هذا الصوت من إسحاق:

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النخوي قالا:

حدثنا محمد بن حماد قال: التقيت مع دِمنَ جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً، فقلت لها: أسمعيني شيئاً أخذته من إسحاق، فقالت: واللَّه ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتاً قطّ، وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلَّويه ووجه القرعة الخزاعي وجواري الحارث بن بسخنر أن يلقوا علينا ما يختاره من أغانيهم،

وأما عنه فما أخذت شيئاً قطّ، إلا ليلة، فإنه انصرف من عند المعتصم وهو سكران، فقال للخادم القيِّم على حُرمه: جِئني بدمن، فجاءني الخادم فدعاني، فخرجت معه، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه، وهو يصنع في هذا الشعر:

أبـــى لـــيـــلـــي أن يـــذهـــبْ ونـــيـــط الـــطـــرف بـــالـــكـــوكـــبْ

[الهزج]

وهو يتزايد فيه ويقوِّمه حتى استوى له، ثم قام إلى عود مصلح معلق كان يكون في بيت منامه، فأخذه فغنى الصوت حتى صح له واستقام، وأخذته عنه، فلما فرغ قال: أين دمن؟ فقلت: هو ذا أنا هاهنا، فارتاع وقال: مذ كم أنت هاهنا؟ قلت: منذ بدأت بالصوت، وقد أخذته بغير حمدِك، فقال: خذي العود فغنيه، فأخذت العود فغنيته حتى فرغت منه، وهو يكاد يتميز غيظاً، ثم قال: قد بقي عليك فيه شيء كثير، وأنا أصلحه لك، فقلت: أنا مستغنية عن إصلاحك، فأصلحه لنفسك، فاضطجع في فراشه ونام وانصرفت، فمكث أياماً، إذا رآني قطب في وجهي.

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قُتِل في حروب الفِجار من قريش.

ذكر الخبر في حروب الفجار
وحروب عكاظ ونسب أميمة بنت عبد شمس

نسب أميمة:

أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأمها تفخر بنت عبيد بن رواس بن كلاب، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن ذالح بن ذكوان السلمي، فولدت له أمية بن حارثة.

الفجاران:

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات، ولم يكن لقريش في أولها مدخل، ثم التحقت بها.

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام ولم تسمّ باسمها لشهرتها.

وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمها، لأنهم استحلوا فيه الحرم، وكانت أيامه: يوم نخلة، وهو الذي لم يشهده رسول اللَّه ﷺ منها، وشهد سائرها، وكان الرؤساء فيه حربَ بن أمية في القلب، وعبدَ اللَّه بن جُدعان وهشامَ بن المغيرة في المجنبتين، ثم يوم شمْطَة، ثم يوم العَبْلاء، ثم يوم عُكاظ، ثم يوم الحرة.

أول أمر الفجار:

قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفجار أن بَدْرَ بن معشر الغفاري أحد بني غِفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد منافة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمَنَعته على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ، وقعد فيه، وجعل يبذخ على الناس ويقول:

نحن بنو مُدركة بن خندفِ ... من يَطعنوا في عينه لا يَطرِفِ
ومن يكونوا قومَه يُغطرفِ[1] ... كأنهمْ لُجةُ بحرٍ مسدِفِ

[الرجز]

(١) يغطرِف: يغرق في الكرم والسخاء.

وبدر بن معشر باسطٌ رجله يقول: أنا أعزُّ العرب، فمن زعم أنه أعزّ مني فليضربها بالسيف فهو أعز مني، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له: الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة، فضربه بالسيف على ركبته فأندرها[١]، ثم قال:

خذْها إليك أيها المخندف.

وهو ماسك سيفه، وقام أيضاً رجل من هوازن فقال:

أنـا أبـو الـدهـقـان ذو الـتـغـطـرُفِ بـحـر بـحـورٍ زاخـرٌ لـم يُـنْـزفِ
نـحـن ضـربـنـا رُكـبـةَ الـمُـخـنـدفِ إذ مـدَّهـا فـي أشـهُـر الـمُـعَـرَّفِ[٢]

[الرجز]

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها.

اليوم الثاني من أيام الفجار الأول:

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفجار الأول، وكان السبب في ذلك أن شباباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام، فرأوا امرأة من بني عامر جميلة وسيمة، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فُضلٌ[٣] عليها بُرقع لها، وقد اكتنفَهَا شبابٌ من العرب وهي تحدثهم، فجاء الشبان من بني كنانة وقريش فأطافوا بها، وسألوها أن تسفِر[٤]، فأبتْ، فقام أحدهم فجلس خلفها، وحل طرف درْعها، وشده إلى فوق حجزتها[٥] بشوكة، وهي لا تعلم، فلما قامت انكشف درْعها عن دبرها، فضحكوا وقالوا: منعتنا النظر إلى وجهك وجدْت لنا بالنظر إلى دبرك، فصاحت: يا آل عامر، فثاروا وحملوا السلاح، وحملته كنانة، واقتتلوا قتالاً شديداً، ووقعت بينهم دماء، فتوسط حرب بن أمية، واحتمل دماء القوم، وأرضى بني عامر من مثلة صاحبتهم.

اليوم الثالث من أيام الفجار الأول:

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار الأول، وكان سببه أنه كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن دَينٌ على رجل من بني كنانة فلواه[٦] به، وطال اقتضاؤه إياه فلم يعطه شيئاً، فلما أعياه وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقِرد، ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا الرُّباح[٧] بمالي على فلان بن فلان الكناني؟ من يعطيني مثل هذا

(١) أندرها: أزالها عن مكانها.
(٢) المُعَرَّف: الموقف بعَرَفة.
(٣) فُضُل: ترتدي ثوباً واحداً.
(٤) تُسْفِر: تكشف عن وجهها.
(٥) الحجزة: موضع التكة من السروال.
(٦) لوى: ماطل، أمهل.
(٧) الرُّباح: القرد.

بمالي على فلان بن فلان الكناني؟ رافعاً صوته بذلك، فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة، مرّ به رجل منهم فضرب القرد بسيفه فقتله، فهتف الجُشمي: يا آل هوازن، وهتف الكناني: يا آل كنانة، فتجمع الحيان واقتتلوا حتى تحاجزوا، ولم يكن بينهم قتلى، ثم كفوا وقالوا: أفي رباح تريقون دماءكم وتقتلون أنفسكم؟ وحمل ابن جُدعان ذلك في ماله بين الفريقين.

أول حروب الفجار الثاني:

قال: ثم كان يوم الفجار الثاني، وأول يوم حروبه: يوم نخلة وبينه وبين مبعث النبي ﷺ ستٌّ وعشرون سنة، وشهد النبي ﷺ ذلك اليوم مع قومه وله أربع عشرة سنة، وكان يناول عمومته النَّبل، هذا قول أبي عبيدة، وقال غيره: بل شهدها وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

قال أبو عبيدة:

كان الذي هاج هذه الحرب في يوم الفجار الآخر أن البَراض بن قيس بن رافع أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد منافة بن كنانة، كان سِكيراً فاسقاً، خلعه قومه وتبرّؤوا منه، فشرب في بني الدّيل فخَلعوه، فأتى مكة، وأتى قريشاً، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه فأحسن حربٌ جوارَه، وشرب بمكة حتى هَمّ حربٌ أن يخلعه، فقال لحرب: إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعني سواك، وأنك إن خلعتني لم ينظر إليّ أحدٌ بعدك، فدعني على حِلفك، وأنا خارج عنك، فتركه، وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة.

لطيمة النعمان:

وكان النعمان يبعث، إلى سوق عكاظ في وقتها بلطِيمة[1] يُجيزها له سيِّد مضَر فتباع ويشترى له بثمنها الأدَم والحرير والوِكاءُ[2] والحِذاءُ والبُرودُ من العَصْب والوَشي والمُسيّر[3] والعَدَني، وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة، فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى، إلى حضور الحج، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال، وبها نخل وأموال لثقيف، فجهز النعمان لطيمةً له وقال: من يجيزها؟ فقال البراض: أنا أجيزها على بني كنانة، فقال النعمان: إنما أريد رجلاً يجيزها على أهل نجد، فقال عُروة الرّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، وهو يومئذٍ رجل من هوازن: أنا أجيزها

(١) اللطيمة: العير التي تقوم بحمل الطيب وبر التجَّار.
(٢) الوِكاء: ما يتكأ عليه. (٣) المُسَيَّر: ضرب من البرود مُخطّط.

أبيتَ اللعن، فقال له البراض: وعلى بني كنانة تجيزها يا عروة؟ قال: نعم، وعلى الناس جميعاً، أفكلبٌ خليع يجيزها؟ قال: ثم شخص بها، وشخص البراض، وعروة يرى مكانه، لا يخشاه على ما صنع، حتى إذا كان بين ظهري غطفان إلى جنب فَدَك بأرض يقال لها أُوارة قريباً من الوادي الذي يقال له تيْمَن، نام عروة في ظلّ شجرة، ووجد البراض غفلته فقتله، وهرب عضاريط[١] الرِّكاب فاستاق الركاب[٢]، وقال البراض في ذلك:

وداهيةٍ يُهالُ[٣] الناسُ منها ... شددْتُ لها بني بَكرٍ ضُلوعي
هتكتُ بها بيوت بني كلاب ... وأرضعتُ الموالِيَ بالضُّروعِ
جمعت لها يديَّ بنصلِ سيفٍ ... أَقلّ فخَرّ كالجِذْعِ الصريعِ

[الوافر]

وقال أيضاً:

نقَمْتُ على المرءِ الكلابيِّ فخرَه ... وكنت قديماً لا أُقِرُّ فخَارَا
علوتُ بحدّ السيف مفرقَ رأسِه ... فأسمعَ أهلَ الواديين خُوارَا

[الطويل]

قال: وأمّ عروة الرحال نفيرة بنت أبي ربيعة بن نُهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة، فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه:

فأبلِغْ إن عرضتَ بني نُمير ... وأخوالَ القتيلِ بني هلالِ
بأنّ الوافد الرحَّالَ أضحى ... مُقيماً عند تَيمَن ذِي الظِّلالِ

[الوافر]

[قال أبو عبيدة فحدثني أبو عمرو بن العلاء] قال: لقي البراضُ بشرَ بن أبي خازم، فقال له: هذه القلائص[٤] لك على أن تأتيَ حربَ بنَ أمية وعبد اللّه بن جدعان، وهشاماً والوليد ابني المغيرة، فتخبرهم أن البراض قتل عروة، فإني أخاف أن يسبق الخبرُ إلى قيسٍ أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً، فقال له: وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟ قال: إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضمرة، قال: ومر بهما الحُليس بن يزيد أحد بني الحارث بن

(١) العضاريط: مفردها عضروط وهو الخادم أو العبد.
(٢) الرِّكاب: الإبل التي تستعمل للنقل. (٣) يُهال: يشعر بالهول.
(٤) القلائص: مفردها القلوص وهي الشابة من الإبل.

عبد مناة بن كنانة وهو يومئذٍ سيد الأحابيش من بني كنانة، والأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نُفاثة بن الديل، وبنو لحيان من خزاعة، والقارة، وهو أثيع بن الهون بن خزيمة، وعَضَل بن دمس بن محلم بن عائذ بن أثيع بن الهُون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة، فقال لهم الحليس: مالي أراكم نَجيّاً[1]؟ فأخبروه الخبر، ثم ارتحلوا وكتموا الخبر على اتفاق منهم.

ابن جدعان:

قال: وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم، ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال، فجاءه القوم فأخبروه خبر البراض وقتله عروة، وأخبروا حرب بن أمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة، فجاء حرب إلى عبد اللَّه بن جدعان فقال له: احتبِسْ قبلَك سِلاح هوازن، فقال له ابن جدعان: أبِالغَدْرِ تأمرني يا حرب؟ واللَّه لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضُربتُ به ولا رمح إلا طُعنتُ به ما أمسكت منها شيئاً، ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف في مالي تستعينون بها، ثم صاح ابن جدعان في الناس: من كان له قبلي سلاحٌ فليأت وليأخذه، فأخذ الناس أسلحتهم، وبعث ابنُ جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء: إنه قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الأمر فلا تنكروا خروجنا. وساروا راجعين إلى مكة، فلما كان آخر النهار بلغ أبا براء قتلُ البراضِ عروةَ، فقال: خدعني حرب وابن جدعان، وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم، فأدركوهم بنخلة، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم، وجَنَّ عليهم الليلُ فكَفُّوا، ونادى الأدرمُ بن شعيب أحدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشر قريش، ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حرب بن أمية في القلب، وابن جدعان في إحدى المجنبتين، وهشام بن المغيرة في الأخرى، وكان رؤساء قيس، عامرَ بنَ مالك ملاعب الأسِنَّة على بني عامر، وكدّام بن عمير على فهم وعدوان، ومسعود بن سهم على ثقيف، وسبيع بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية، والصِّمة بن الحارث وهو أبو دريد بن الصّمة على بني جُشم، وكانت الراية مع حرب بن أمية، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب، فقال في ذلك خِداش بن زُهير:

يا شَدّةً ما شددْنا غير كاذبة ... على سَخِينةَ[2] لولا الليلُ والحرَمُ

(١) نجيّاً: تتناجون وتتسارون.

(٢) السَّخينة: الليلة الحارَّة.

إذ يـتَّـقِـيـنـا هـشـامٌ بـالـولـيـد ولـو أنَّـا ثَـقِـفـنـا هِـشـامـاً شـالـت[١] الـخَـدَمُ
بـيـن الأراكِ وبـيـن الـمَـرْجِ تـبْـطـحـهُـم زُرْقُ الأسِـنـة فـي أطـرافـهـا الـسُّـهُـمُ
فـإن سـمـعـتـم بـجـيـشٍ سـالـكٍ سَـرِفـاً[٢] أو بـطْـنَ مَرٍّ[٣] فأخفُوا الجرْس واكتتموا
[البسيط]

وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة، فجعل يحيد عن قوله سخينة، فقال عبد الملك: إنّا قوم لم يزل يُعجبنا السُّخْنُ، فهاتِ، فلما فرغ قال: يا أخا قيس، ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء.

قال: وقدم البراض باللطيمة مكة وكان يأكلها.

وكان عامر بن يزيد بن الملوح بن يعمر الكناني نازلاً في أخواله من بني نمير بن عامر، وكان ناكحاً فيهم، فهمت بنو كلاب بقتله، فمنعته بنو نمير، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه، واستغوت كنانةُ بني أسد وبني نمير، واستغاثوا بهم فلم تغثهم، ولم يشهد الفجار أحدٌ من هذين الحيين.

اليوم الثاني من الفجار الثاني:

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو: يوم شمْطة، فتجمعت كنانة وقريش بأسرها، وبنو عبد منافة والأحابيش، وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحة نامّة، وأداة، وجمعت هوازن، وخرجت، فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب، ولا شهد هذان البطْنان من أيام الفجار إلا يوم نَخْلة مع أبي براء عامر بن مالك، وكان القوم جميعاً متساندين، على كل قبيلةٍ سيدُهم، فكان على بني هاشم وبني المطلب ولِفَّهم الزبيرُ بن عبد الملطلب ومعهم النبي ﷺ، إلا أن بني المطلب وإن كانوا مع بني هاشم كان يرأسهم الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، ورجل منهم وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وأم الزبير الشَّفَّاء بنت هاشم بن عبد مناف، وكان على بني عبد شمس ولِفَّها حربُ بن أمية ومعه أخواه أبو سفيان وسفيان، ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف، يرأسهم بعد حرب مُطعمُ بن عدِيّ بن نوفل، وكان على بني عبد الدار ولفها خُويلد بن أسد، وعثمان بن الحُويرث وكان على بني زُهرة ولِفَّها مَخْرَمةُ بن نوفل بن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأخوه صفوان، وكان على بني تيم بن مرة ولِفَّها عبد اللَّه بن جدعان، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة، وعلى

(١) شالت: خفَّت منازلهم وتفرَّقت كلمتهم.
(٢) سَرِف: موضع قرب مكة. (٣) مَرّ: موضع بينه وبين مكة أميال.

بني سَهم العاصي بن وائل، وعلى بني جُمح ولِفَّها أمية بن خلف، وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نُفيل، والخطاب بن نفيل عمّه، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبدُود أبو سهلِ بن عمرو، وعلى بني الحارث بن فهر عبد اللَّه بن الجرَّاح أبو أبي عبيدة عامرِ بن عبد اللَّه بن الجراح، وعلى بني بَكر بَلْعاءُ بن قيس، ومات في تلك الأيام، وكان جثَّامة بن قيس أخوه مكانه، وعلى الأحابيش الحُليس بن يزيد، وكانت هوازن متساندين كذلك، وكان عطية بن عفيف النصريُّ على بني نصر بن معاوية وقيل بل كان عليهم أبو أسماء بن الضَّريبة، وكان الحنيسق الجشمي على بني جُشَمَ وسعدٍ ابني بكر، وكان وهب بن معَتِّب على ثقيف، ومعه أخوه مسعود، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محاربٍ سلمةُ بن إسماعيل أحد بني البَكَّاء ومعه خالد بن هوذة أحد بني عامر بن ربيعة، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعة بن أبي ظبْيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر.

قال: فسبقت هوازنُ قريشاً فنزلت شمطة من عكاظ، وظنوا أن كنانة لم توافقهم، وأقبلت قريش فنزلت من دون المَسيل، وجعل حربٌ بين كنانة في بطن الوادي، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم ولو أُبيحت قريش، وكانت هوازن من وراء المَسيل.

إنتصار الفئة التي ينضم إليها الرسول:

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بن العلاء قال:

كان ابنُ جدعان في إحدى المجنبتين وفي الأخرى هشام بن المغيرة، وحربٌ في القلب، وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة، فلما كان آخر النهار تداعت هوازنُ وصبروا، واستحرّ القتلُ في قريش، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة، وهم في بطن الوادي، مالوا إلى قريش وتركوا مكانهم، فلما استحرّ القتلُ بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه: الحقوا بِرَخَم، وهو جبل، ففعلوا، وانهزم الناس، وكان رسول اللَّه ﷺ لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاربها، فقال حربُ بن أمية وعبد اللَّه بن جدعان: ألا ترون إلى هذا الغلام، ما يحمِل على فئةٍ إلا انهزمت؟ وفي ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة له:

فأبلغ إن عرضت به هِشاماً ... وعبدَ اللَّه أبلغ والوليدا

أولئك إن يكنْ في الناس خيرٌ ... فإن لديهمُ حسبا وجُودا

هـمُ خـيـر الـمـعـاشـرِ مـن قـريـشٍ وأَوراهـــا إذا قـــدحـــت زُنُـــودا
بـأنَّـا يـوم شَـمـطـة قـد أَقـمـنـا عَـمـودَ الـمـجـد إنَّ لـه عـمـودا
جـلـبـنـا الـخـيـل سـاهـمـةً إلـيـهـم عـوابِـسَ يـدّرِعْـن الـنَّـقـعَ قـودَا
فـبِـتـنـا نـعـقـد الـسِّـيـمـا وبـاتـوا وقُـلـنـا أَصـبـحُـوا الأنَسَ الـحـديـدا
فـجـاؤوا عـارِضـاً بَـرِداً وجِـئـنـا كـمـا أضـرَمْـت فـي الـغـابِ الـوَقـودا
ونـادَوْا يـا لـعَـمـروٍ لا تَـفِـرّوا فـقـلـنـا لا فِـرارَ ولا صُـدودَا

[الوافر]

قوله نعقد السِّيما: أي العلامات.

فـعـارَكـنـا الـكُـمـاةَ وعـاركـونـا عِـراك الـنُّـمْـر عـاركـت الأسـودا
فـولَّـوا نـضـرب الـهـاماتِ مـنـهـم بـمـا انـتـهـكـوا الـمـحـارمَ والـحُـدودا
تـركـنـا بَـطـن شَـمـطـة مـن عـلاءٍ كـأن خِـلالـهـا مِـعـزى شـريـدا
ولـم أرَ مـثـلـهـم هُـزمـوا وفُـلُّـوا ولا كَـذِيـادنـا[1] عـنَـقـاً مـذودا

[الوافر]

قوله: يا لعمرو، يعني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

اليوم الثالث من الفجار الثاني:

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار وهو: يوم العَبْلاء، فجمع القوم بعضهم لبعض، والتقوا على قَرنِ الحَوْل بالعبلاء، وهو موضع قريب من عكاظ، ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليه يوم شمطة، وكذلك من كان على المجنبتين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت كنانة، فقال خِداش بن زهير في ذلك:

ألـم يـبـلـغْـك بـالـعـبـلاء أنَّـا ضـربـنـا خِـنْـدِفـاً حـتـى اسـتـقـادوا؟
نُـبَـنِّـي بـالـمـنـازلِ عـزَّ قَـيْـسٍ ووُدُّوا لـو تَـسِـيـخُ[2] بـنـا الـبـلادُ

[الوافر]

وقال أيضاً:

ألـم يـبـلـغْـك مـا لاقـت قـريـش وحـيّ بـنـي كـنـانـة إذ أُثِـيـروا
دهـمـنـاهـم بـأرعَـنَ مُـكـفـهِـرٍّ فـظـلَّ لـنـا بِـعَـقـوتِـهـم[3] زئـيـرُ

(١) الذِّياد: الدفع والطرد.
(٢) تسيخ: تنخسف.
(٣) العَقوة: الساحة.

نُـقَـوِّم مـارِنَ الـخَـطِّـي فـيـهـم يـجـيء عـلـى أَسِـنَّـتـنـا الـجـزيـرُ[1]
[الوافر]

اليوم الرابع من الفجار الثاني:

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم يوم عكاظ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول، وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا، والرؤساء بحالهم، وحمل عبدُ اللَّه بن جدعان يومئذٍ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير، وخشيت قريش أن يجريَ عليها مثل ما جرى يوم العَبْلاء، فقيَّدَ حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم، وقالوا: لا نبرح حتى نموت مكاننا. وكان على أبي سفيان يومئذٍ دِرعانِ قد ظاهر بينهما، وزعم أبو عمرو بن العلاء أن أبا سفيان بن أمية خاصة قيَّد نفسه، فسُمِّي هؤلاء الثلاثة يومئذٍ: العَنابسِ، وهي الأسْدُ، واحدها عَنبسة، فاقتتل الناس يومئذٍ قتالاً شديداً، وثبت الفريقان، حتى همَّت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب، وكانت بنو مخزوم تلي بني كنانة، فحافظت حِفظاً شديداً، وكان أشدهم يومئذٍ بنو المغيرة، فإنهم صبروا وأبلوا بلاء حسناً، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تَذَامروا فرجعوا، وحمل بلعاء بن قيس يومئذٍ وهو يقول:

إن عـكـاظَ مـأوانـا فَـخَـلُّـوهُ وذا الـمـجـاز بـعـد أن تَـحُـلُّـوهُ
[الرجز]

وخرج الحُليس بن يزيد أحد بني الحارث بن عبد منافة بن كنانة، وهو رئيس الأحابيش يومئذٍ، فدعا إلى المبارزة، فبرز إليه الحدثان بن سعيد النصري، فطعنه الحدثان فدقَّ عَضُدَه، وتحاجزا، واقتتل القوم قتالاً شديداً، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه، فانهزمت قيس كلها إلا بني نصر، فإنهم صبروا، ثم هربت بنو نصر، وثبت بنو دُهمان فلم يغنوا شيئاً فانهزموا، وكان عليهم سُبيع بن أبي ربيعة أحد بني دُهمان، فعَقَل نفسه ونادى: يا آل هوازن يا آل هوازن يا آل نصر، فلم يُعَرج عليه أحدٌ منهم، وأجفلوا منهزمين، فكرّ بنو أمية خاصة من بني دهمان، ومعهم الخنيسقُ وقشعة الجشميان فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً، فانهزموا.

سبيعة تؤمّن الناس:

وكان مسعود بن مُعَتِّب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتَ عبد شمس بن عبد مناف خباءً، وقال لها: من دخله من قريش فهو آمن، فجعلت تُوصل في خبائها

(١) الجزير: الناجِر.

ليتّسع، فقال لها: لا تتجاوزي خباءك، فإني لا أمضي إلا من أحاط به الخباء، فأحفظها، فقالت: أما واللَّه إني لأظن أنك ستودُّ أن لو زِدتُ في توسعته، فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها، فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، وقال لها: يا عمة من تمسّك بأطناب خبائك، أو دار حوله فهو آمن، فنادت بذلك، فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جداً، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها، فقيل لذلك الموضع: مدار قيس، وكان يُضرب به المثل، فتغضب قيس منه، وكان زوجها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس وهو من ثقيف قد أخرج معه يومئذٍ بنيه من سبيعة، وهم: عروة ولوحة ونويرة والأسود، فكانوا يدورون، وهم غلمان، في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليجيروهم، فيسودوا، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا.

فأخبرني الحرمي والطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الحسن عن المحرز بن جعفر وغيره:

أن كنانة وقيساً لما تَوافوْا من العام المقبل، من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب، ضرب مسعود بن معتب الثقفيُّ على امرأته سُبيعة بنت عبد شمس أم بنيه خِباء، فرآها تبكي حين تداعى الناس، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: لما يُصاب غداً من قومي، فقال لها: من دخل خباءك فهو آمن، فجعلت توصل فيه القطعة بعد القطعة والخرقة والشيء ليتسع، فخرج وهب بن مُعتب حتى وقف عليها وقال لها: لا يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلا ربطتُ به رجلاً من بني كنانة [فلما صف القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة] فنادت بأعلى صوتها: إن وهباً يأتلي ويحلف ألَّا يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلاً من كنانة، فالجِدَّ الجِدَّ، فلما هُزمت قيسٌ لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس، فأجارهم حرب بن أمية.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

لما هزمت قيس لجأت إلى خباء سبيعة حتى أخرجوها منه، فنادت: من تعلَّق بطُنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمتي، فداروا بخبائها حتى صاروا حلقة، فأمضى ذلك كلَّه حربُ بنُ أمية لعمته، فكان يُضرب في الجاهلية بمدار قيس المثل، ويُعيَّرون به لمدارهم يومئذٍ بخباء سبيعة بنت عبد شمس، قال: وقال ضرار بن الخطاب الفهري:

ألـم تـسـأل الـنـاسَ عـن شـانـنـا ولـم يُـثـبِـتِ الأمـرَ كـالـخـابـرِ[1]

(١) الخابر: العالِم المختبِر.

غداةَ عكاظَ إذ استكملتْ ... هوازن في كفّها الحاضرِ
وجاءت سليم تهزُّ القنَا ... على كلِّ سلهَبةٍ[1] ضامرِ[2]
وجئنا إليهم على المُضمرات ... فأرعَنَ ذي لجَبٍ[3] زاخرِ
فلما التقينا أذقناهمُ ... طِعاناً بسُمر القنا العائرِ
ففرَّت سُليم ولم يَصبروا ... وطارت شَعَاعاً بنو عامرِ
وفرَّت ثقيفٌ إلى لاتِها[4] ... بمُنْقَلَب الخائبِ الخاسرِ
وقاتلت العنسُ شَطرَ النهار ... ثم تولَّت مع الصادرِ
على أنَّ دُهمانَها حافظتْ ... أخيراً لدى دارةِ الدائرِ

[المتقارب]

وقال خِداش بن زهير:

أتتنا قريشٌ حافلين بجَمعهم ... عليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ
فلما دنونا للقِباب وأهلِها ... أُتيح لنا رَيبٌ مع الليل ناجِرُ
أَتيحت لنا بَكرٌ وحول لِوائها ... كتائبُ يخشاها العزيز المكاثرُ
جَثَت دونهم بكرٌ فلم نستطعْهُمُ ... كأنهم بالمَشرفيَّةِ سامرُ
وما برحت خيلٌ تثورُ وتُدَّعَى ... ويَلحقُ منهم أوّلون وآخِرُ
لدُنْ غدوةً حتى أتى الليل وانجلت ... عَمايةُ يومٍ شرُّه متظاهرُ
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت ... هوازنُ وأرفضَّت سُلَيم وعامرُ
وكانت قريشٌ يفلِق الصَّخرَ حَدُّها ... إذا أوهنَ الناسَ الجدودُ العواثِرُ

[الطويل]

اليوم الخامس:

ثم كان اليوم الخامس وهو: يوم الحُريرة [فإنهم التقوا عند رأس الحول بالحريرة] وهي حَرَّة إلى جانب عكاظ، والرؤساء بحالهم، إلا بلعاء بن قيس فإنه كان قد مات، فصار أخوه مكانه على عشيرته، فاقتتلوا، فانهزمت كنانة، وقتل يومئذٍ أبو سفيان بن أمية، وثمانية رهطٍ من بني كنانة، قتلهم عثمان بن أسد، من بني عمرو بن عامر وخمسة نفر وقال خداش بن زهير في ذلك:

لقد بَلوْكم فأبلوكم بلاءهمُ ... يوم الحُريرة ضرْباً غير تكذيبِ

(١) السلهبة: الفرس الطويلة.
(٢) السلهبة الضامر: الفرس الهزيلة.
(٣) اللَّجب: الجلبة والصِّياح.
(٤) اللّات: صنم كانت تُعبد في الجاهلية.

إن تـوعـدونـي فـإنـي لَابـنُ عـمـكُـمُ وقـد أصـابـوكـم مـنـهـم بـشُـؤبـوبِ[١]
وإن ورقـــاء قـــد أَردى أبـــا كـــنـــف وابـنـي إيـاسٍ وعـمـراً وابـن أيُّـوبِ
وإن عـشـمـانَ قـد أردى ثـمـانـيـةَ مـنـكـم وأنـتـم عـلـى خُـبْـرٍ وتـجـريـبِ
[البسيط]

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلَ، والرجلانِ يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضاً، فلقي ابن مَحْمِيَةَ بن عبد اللَّه الدّيلي زهيرَ بن ربيعة أبا خداش بن زهير، فقال زهيرٌ: إني حَرامٌ جئت معتمراً، فقال له: ما تُلْقى طِوال الدهر إلا قلت أنا معتمر، ثم قتله، فقال الشويعر الليثي واسمه ربيعة بن عبس:

تـركـنـا ثـاويـاً يَـزقـو[٢] صَـداهُ زهـيـراً بـالـعـوالـي والـصِّـفـاحِ
أتـيـح لـه ابـن مَـحْـمِـيـة بـن عـبـدٍ فـأعـجـلـه الـتـسـوُّمَ بـالـبـطـاحِ
[الوافر]

الدعوة إلى الصلح:

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يَدِي من عليه فضل في القتل الفَضْل إلى أهله فأبى ذلك وهب بن معتب، وخالف قومه، واندسّ إلى هوازن حتى أغارت على بني كنانة، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة، عليهم سلمة بن سعد البكائي، وبنو هلال عليهم ربيعة بين أبي ظبيان الهلالي، وبنو نصر بن معاوية عليهم مالك بن عوف، وهو يومئذٍ أمرد[٣]، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغمَيم فكانت لبني ليث أول النهار، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي، قتله بنو مدلج، وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر، ثم كانت على بني ليث آخر النهار، فانهزموا، واستحرَّ القتل في بني المُلَوِّح بن يعمر بن ليث، وأصابوا نعَماً ونساء حينئذٍ.

فكان من قُتل في حروب الفجار من قريش: العوَّام بن خويلد، قتله مرّة بن معتب، وقُتل حِزام بن خويلد، وأحيحة بن أبي أُحيحة، ومعمر بن حبيب الجمحي، وجُرح حرب بن أمية، وقتل من قيس: الصمَّة أبو دريد بن الصمة، قتله جعفر بن الأحنف. ثم تراضَوْا بأن يَعُدُّوا القتلى، فيَدوا من فَضَل، فكان الفَضْل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ألَّا يعرض بعضُهم لبعض، فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان بن حرب، ورهن الحارث بن كَلدة العبدريُّ ابنَه

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر. (٢) يزقو: يصيح.
(٣) أمرد: الشاب الحدث الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

النضر، ورهن سفيان بن عوف أحد بني الحارث بن عبد مناف ابنَه الحارث، حتى وديت[١] الفُضول، ويقال: إن عتبة بن ربيعة تقدّم يومئذٍ فقال: يا معشر قريش، هلمُّوا إلى صِلة الأرحام والصلح، قالوا: وما صلحكم هنا فإنَّا موتورون[٢]؟ فقال: على أن نَدِي قتلاكم، ونتصدّق عليكم بقتلانا، فرضوا بذلك، وساد عتبة مذ يومئذٍ قال: فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم.

الرسول يطعن ملاعب الأسنة:

قال أبو عبيدة: ولم يشهد الفِجار من بني هاشم غير الزبير بن عبد المطلب، وشهد النبيُّ ﷺ سائرَ الأيام إلا يوم نخلة، وكان يناول عمه وأهله النبل، قال: وشهدها النبي ﷺ وهو ابن عشرين سنة، وطعنَ النبيُّ ﷺ أبا براء ملاعب الأسنة، وسُئل النبي ﷺ عن مشهده يومئذٍ فقال: ما سرَّني أني لم أشهده لأنهم تعدَّوا على قومي عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم فَأبوا ذلك.

قال: وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن، فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش، وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم وأنهم هم وَدَوهم، وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمزة والعباس بن عبد المطلب عليهما السلام، شهدوا هذه الحروب ولم يرْوِ ذلك أهل العلم بأخبار العرب.

سبيعة تُؤمِّن زوجها:

قال أبو عبيدة: ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرِّج على شيء، حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجته، فجعل أنفه بين ثدييها وقال: أنا باللَّه وبك، فقالت: كلا، زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي، اجلس فأنت آمن.

أميمة ترثي القتلى:

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها، والأبيات التي فيها الغناء منها:

أبى ليلُك لا يَذهَبْ ... ونِيط الطَّرف بالكوكبْ
ونجم دونه الأهوا ... ل بين الدَّلو والعقربْ
وهذا الصبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقْربْ

(١) وُديت الفضول: دُفعت ديتهم.
(٢) مَوْتورون: الموتور هو من قُتِل له قتيل فلم يُدرِك بدمه.

بـــعَـــقـــرِ عـــشـــيـــرةٍ مـــنَّـــا كـــرام الـــخِـــيـــم والـــمـــنَـــصِـــبْ
أحـــال عـــلـــيـــهـــمُ دهـــرٌ حـــديـــد[١] الـــنـــابِ والـــمـــخْـــلـــبْ
فـــحـــلّ بـــهـــم وقـــد أمـــنـــوا ولـــم يُـــقْـــصِـــرْ[٢] ولـــم يَـــشْـــطُـــبْ[٣]
ومـــا عـــنـــه إذا مـــا حـــلَّ مـــن مَـــنْـــجـــىً ولا مَـــهـــرَبْ
ألا يـــا عـــيـــن فـــابـــكـــهـــمُ بـــدمـــعٍ مـــنـــك مـــســـتـــغـــرِبْ[٤]
فـــإن أبـــك فـــهـــم عـــزِّي وهـــم رُكـــنـــي وهـــم مَـــنْـــكِـــبْ
وهـــم أصـــلـــي وهـــم فَـــرْعـــي وهـــم نَـــسَـــبـــي إذا أُنـــسَـــبْ
وهـــم مَـــجـــدي وهـــم شـــرفـــي وهـــم حِـــصـــنـــي إذا أَرهَـــبْ
وهـــم رمـــحـــي وهـــم تُـــرْسـي وهـــم ســـيـــفـــي إذا أَغـــضـــبْ
فـــكـــم مـــن قـــائـــلٍ مـــنـــهـــم إذا مـــا قـــال لـــم يَـــكـــذِبْ
وكـــم مـــن نـــاطـــقٍ فـــيـــهـــم خـــطـــيـــبٍ مِـــصْـــقَـــعٍ مُـــعْـــرِبْ
وكـــم مـــن فـــارسٍ مـــنـــهـــم كـــمِـــيٍّ مُـــعْـــلَـــمٍ مِـــحْـــرَبْ[٥]
وكـــم مـــن مِـــدْرَةٍ[٦] فـــيـــهـــم أريـــبٍ[٧] حُـــوَّلٍ قُـــلَّـــبْ
وكـــم مـــن جَـــحـــفـــلٍ[٨] فـــيـــهـــم عـــظـــيـــمِ الـــنـــار والـــمَـــوْكِـــبْ
وكـــم مـــن خِـــضْـــرِمٍ[٩] فـــيـــهـــم نـــجـــيـــبٍ مـــاجـــد مُـــنْـــجِـــبْ

[الهزج]

صـــوت

أحـــبُّ هـــبـــوط الـــوادِيـــيـــن وإنـــنـــي لـــمـــشـــتـــهِـــرٌ بـــالـــواديـــيـــن غَـــريـــبُ

(١) حديد الناب: شديد الحِرَّة.
(٢) يُقصِر: ينتهي عن الأمر مع قدرته على إنفاده.
(٣) يشطُب: يبعد.
(٤) مستغرِب: منحدِر.
(٥) مِحرَب: المتمرّس في الحروب.
(٦) المِدرة: السيد القائم على قومه.
(٧) أريب: الحاذق الماهر.
(٨) جحفل: الرجل العظيم والسيد الكريم.
(٩) خِضرِم: الجواد المعطاء والسيّد الحمول.

أحـقّـاً عِـبَـادَ الـلَّـه أن لـسـت خـارجـاً ولا والِـجـاً إلا عـلـيَّ رقـيـبُ؟
ولا زائـراً فـرداً ولا فـي جـمـاعـة مـن الـنـاس إلا قـيـل: أنـت مـريـبُ؟
وهـل ريـبـةٌ فـي أن تَـحِـنَّ نَـجـيـبـةٌ[1] إلـى إلـفـهـا أو أن يَـحِـنَّ نـجـيـبُ؟

[الطويل]

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني: في أشعار بني جَعدة، وذكره أبو الحسن المدائني في أخبارٍ رواها لمالك بن الصمصامة الجعدي، ومن الناس من يرويه لابن الدُّمينة، ويُدخله في قصيدته التي على هذه القافية والرَّوي، والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

(١) النجيبة: الناقة الحسيبة، جمعها النجائب.

أخبار مالك ونسبه

اسمه ونسبه:

هو مالك بن الصمصامة بن سعد بن مالك أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي مُقلّ.

حبه لجنوب:

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن خلف بن المزبان قالا: أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني. ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيباني قالوا:

كان مالك بن الصمصامة الجعديُّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه وكان يهوى جنوب بنت محصن الجعدية، وكان أخوها الأصبغ بن محصن من فرسان العرب وشجعانهم، وأهل النجدة والبأس منهم، فنمى إليه نبذ من خبر مالك، فآلى يميناً عزماً لئن بلغه أنه عَرض لها أو زارها ليقتلنه، ولئن بلغه أنه ذكرها. في شعر أو عرض لها ليأسرنه، ولا يطلقه إلا أن يجزّ ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالك بن الصمصامة فقال:

إذا شئتَ فاقْرنيّ إلى جَنْب غيْهَبٍ[1] أجبّ ونِضْوي[2] للقلوص نجيبُ
فما الخَلقُ بعد الأسرِ شرٌ بقيَّةً من الصدِّ والهجرانِ وهي قريبُ
ألا أيها الساقي الذي بَلَّ دَلوه بقُريان يَسقي هل عليك رقيبُ؟
إذا أنت لم تَشرب بقُريان شَربةً وحانيةِ الجدران ظَلْتَ تَلُوبُ[3]
أحبُّ هوبطَ الواديين وإنني لمشتهر بالواديين غَريبُ
أحقًّا عِبَادَ اللَّه أن لستُ خارجاً ولا والجاً إلا عليَّ رقيبُ؟
ولا زائراً وحدي ولا في جماعة من الناس إلا قيل: أنت مُريبُ؟

(١) الغيهب: الخيل الشديد السواد.
(٢) النِّضو: المهزول من الإبل وغيرها.
(٣) تلوب: حام حول الماء وهو لا يصل إليه مع شدَّة عطشه.

وهـل ريـبـةٌ فـي أن تـحـنَّ نـجـيـبـةٌ إلـى إلـفـهـا أو أن يـحـن نـجـيـبُ
[الطويل]

يراها فيغمى عليه:

وقال أبو عمرو خاصة: حدثنا فتيانٌ من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم وهو جالس في مجلس فيه أخوها، فلما رآها عرفها ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها، فأغمي عليه، وفَطن أخوها لما به فتغافل عنه، وأسنده بعض فتيان العشيرة إلى صدره، فما تحرك ولا أحار جواباً ساعةً من نهاره، وانصرف أَخوها كالخَجِلِ، فلما أفاق قال:

ألـمَّـت فـمـا حـيَّـت وعـاجـتْ فـأسـرعـتْ إلـى جـرعـة بـيـن الـمـخـارم فـالـنَّـحْـرِ
خـلـيـلـيَّ قـد حـانـت وفـاتـيَ فـاحـفـرا بـرابـيـةٍ بـيـن الـمـحـافـر والـبُـتْـرِ
لـكـيـمـا تـقـول الـعَـبْـدِلـيَّـةُ كـلـمـا رأت جَـدَثـي: سُـقـيـت يـا قـبـرُ مـن قـبَـرِ
[الطويل]

عوائق الورود:

وقال المدائني في خبره: انتجعَ أهل جنوب ناحية حسْي والحِمى، وقد أصابها الغيث فأمْرَعَت، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصِّمصامة، حتى إذا بلغته جنوب أخذ بخطام بعيرها، ثم أنشأ يقول:

أَريـتُـكِ إن أزمـعـتـمُ الـيـوم نـيَّـةً وغَـالـك مـصـطـافُ الـحِـمـى ومـرابـعُـهْ
أتـرعَـيْـن مـا اسـتُـودْعـت أم أنـتِ كـالـذي إذا مـا نـأى هـانـت عـلـيـه ودائـعُـهْ
[الطويل]

فبكت وقالت: بل أرى واللَّه ما استُودعت، ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه، فأرسل بَعيرَها وبكى حتى سقط مغشيّاً عليه وهي واقفة. ثم أفاق وقام فانصرف وهو يقول:

ألا إن حـسْـيـاً دونـه قـلّـة الـحِـمـى مُـنـى الـنـفـس لـو كـانـت تُـنـال شـرائِـعُـهْ
وكـيـف ومـن دون الـوُرودِ عـوائـقٌ وأَصـبـغُ حـامِـي مـا أُحـبُّ ومـانِـعُـهْ؟
فـلا أنـا فـيـمـا صَـدَّنـي عـنـه طـامـعٌ ولا أَرتـجـي وصْـلَ الـذي هـو قـاطِـعُـهْ
[الطويل]

صـوت

لـمـنِ الـديـارُ كـأنـهـا لـم تُـحـلَـلِ بـجـنـوب أَسْـنُـمَـةٍ فـقُـفِّ الـعُـنْـصُـلِ

درسْـت مـعـالـمُـهـا فـبـاقـي رسـمِـهـا خَـلَـقٌ كـعـنـوان الـكـتـابِ الـمـحـولِ
دارٌ لـــسـعـــدى إذ ســـعـــادُ كـــأنـــهـــا رشأ غـضـيـضُ الـطـرفِ رخـصُ الـمـفْـصِـلِ
[الكامل]

عروضه من الكامل، جنوب أسنمة: أودية معروفة، والقُفُّ: الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد، والعنصل: بصل معروف.

الشعر لربيعة بن مقرومٍ الضبيِّ، والغناء فيه لسياط هزج بالنصر عن الهشامي.

أخبار ربيعة ونسبه

اسمه ونسبه:

هو ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد اللَّه بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبَّة بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار.

شاعر إسلامي مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن أَصفَق عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زماناً.

ابن مقروم يعرّض بضابئ:

قال أبو عمرو الشيباني:

كان ربيعة بن مقروم باعَ عجْردَ بن عبد بن شمرة بن جابر بن قطن بن نهشل من دارم لقْحَة[1] إلى أجلٍ، فلما بايعه وجد ابن مقروم ضابئَ بن الحارث عند عجرد، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن، فقال ابن مقروم يُعَرِّض بضابئ أنه أعان عليه، وكان ضِلعه معه:

أعجْرُ ابن المليحة إن همي ... إذا ما لجّ عذالي[2] لعَاني

[الوافر]

قوله لعان: أي عانٍ من العناء، عناني الشيء يعنيني، وهو لي عان:

يرى ما لا أرى ويقول قولاً ... وليس على الأمور بمستعانِ

ويحلف عند صاحبه لشاةٌ ... أحبُّ إليّ من تلك الثَّمَانِ

وحامل عبْء ضِغْنٍ لم يضرْني ... بعيد قلبُه حُلو اللسان

ولو أني أشاء نقمت منه ... بشَغْبٍ[3] من لسان تيِّحَانِ[4]

ولكني وصلت الحبل منه ... مواصلة بحبْلِ أبي بيَانِ

(١) اللقحة: الناقة الحلوب.
(٢) العذال مفردها عاذل وهو: اللائم.
(٣) الشَّغْب: تهييج الشرّ.
(٤) التَّيحان: يقال: لسان تَيَّحان، أي يدخل في ما لا يعنيه.

تـرفَّـع فـي بـنـي قـطَـنٍ وحـلَّـت بـيـوتَ الـمـجـد يـبـنـيـهـنّ بـانـي
[الوافر]

يعني حلت بنو قطن بيوت المجد.

وضـمـرة إنّ ضـمـرةَ خـيـرُ جـارٍ إلـى طَـنٍ بـأسـبـابٍ مِـتـانِ
هـجـانُ[1] الـحـيِّ كـالـذهـب الـمُـصـفَّـى صَـبـيـحـةَ ديـمـةٍ يَـجـنـيـه جـانـي
[الوافر]

قال أبو عمرو: الذهب في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غدٍ عند طلوع الشمس، فيتَّبع ويؤخذ.

مسعود بن سالم يخلص ربيعة من الأسر:

قال أبو عمرو: وأسر ربيعة بن مقروم واستيق ماله، فتخلصه مسعود بن سالم بن أبي سُلْمِيّ بن ربيعة بن ديان بن عامر بن ثعلبة بن دؤب بن السيد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله:

كـفـانـي أبـو الأشـوسِ الـمـنـكـراتِ كـفـاء الإلٰـه الـذي يَـحْـذَرُ
أغـرُّ مـن الـسِّـيـد فـي مـنـصـب إلـيـه الـعَـزازة والـمَـفـخـرُ
[المتقارب]

وقال يمدحه أيضاً:

بان الخليطُ فأمسى القلبُ معمودَا[2] وأخلفتْك ابنةُ الحرِّ المواعيدا
كأنها ظبيةٌ بكْر أطاع لها من حَوْمَلٍ تَلعاتُ الحيّ أو أُودا
قامت تريك غداة البين مُنسدلاً تخاله فوق مَتْنَيها العَناقيدا
وبارداً طيِّباً عذباً مَذاقتُه شربتُه مَزجاً بالظَّلم[3] مَشْهُودَا
وجَسرةٍ أُجُدٍ تَدْمى مَناسِمُها أعملْتُها بيَ حتى تقطعَ البيدا
كلَّفتُها فرأتْ حتماً تكلُّفَها ظهيرةً كأجيج النارِ صَيْخُودا[4]
في مهمهٍ قُذُفٍ يُخشى الهلاكُ به أَصداؤه لا تني بالليل تغريدا
لما تشكَّت إليَّ الأينَ[5] قلتُ لها لا تستريحينَ ما لم ألقَ مسعودا

(١) الهجان: الخالص من الذهب وغيره.
(٢) مغمود: هدَّه العشق.
(٣) الظَّلْم: الثلج.
(٤) الصيخود: الشديدة الحرّ.
(٥) الأَين: التعب والإعياء.

ما لم أُلاقِ امرأً جزلاً مواهبُه ... رحْبَ الفِناء كريمَ الفعلِ محمودا
وقد سمعتُ بقومٍ يُحمدَون فلم ... أسمَعْ بمثلك لا حِلماً ولا جُودا
ولا عفافاً ولا صَبْراً لنائبةٍ ... ولا أُخبِّر عنك الباطلَ السِّيدا
[البسيط]

السّيد: قوم الممدوح من آل ضبَّة.

لا حلمك الحلم مَوْجودٌ عليه ولا ... يُلفى عطاؤك في الأقوام منكودا[1]
وقد سبقْتَ بغاياتِ الجياد وقد ... أشبهتَ آباءك الشُّمِّ الصناديدا[2]
هذا ثنائي بما أَوليت من حسَنٍ ... لا زِلتَ عَوْض قريرَ العين محسودا
[البسيط]

عجرد يعطي ربيعة ماله:

قال أبو عمرو: كان لضابئ بن الحارث البرجمي على عجرد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نعَماً واستخار اللَّه في ذلك، وبايعه ربيعة بن مقروم ولم يستخر اللَّه تعالى، ثم خافه ضابئ، فاستجار بربيعة بن مقروم في مطالبته إياه، فضمن له جوازه، فوفى عجردٌ لضابئ، ولم يفِ لربيعة، فقال ربيعة:

أعجردُ إني من أمانيَّ باطلٌ ... وقولٌ غداً شيخ لذاك سؤُومُ
وإن اختلافي نصفَ حولٍ محرَّم ... إليكم بني هند عليَّ عظيمُ
فلا أعرفنِّي بعد حولٍ مُحرّم ... وقولٍ خلا يشكونني فألومُ
ويلتمسوا وصلي وعطفيَ بعدما ... تناشدَ قولي وائلٌ وتميمُ
وإن لم يكن إلا اختلافي إليكمُ ... فإني امرؤ عِرضي عليَّ كريمُ
فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكمْ ... بني قطَنٍ إن المُمليمَ مُليمُ
[الطويل]

فاجتمعت عشيرة عجرد عليه، وأخذوه بإعطاء ربيعة ماله، فأعطاه إياه.

حماد ينشد قصيدة لربيعة فيأخذ ألف دينار:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي.

---

(١) منكود: نَزْرٌ قليل.
(٢) الصناديد: الدّواهي.

عن حماد الراوية قال: دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح[١]، وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل وحكم الوادي وعمر الوادي يغنونه، وعلى رأسه وصيفة تَسقيه لم أر مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً، فقال لي: يا حماد، أَمرتُ هؤلاء أن يغَنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتها لمن وافق صفتها نِحْلةً، فما أتى أحدٌ منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها وهي لك، فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضّبي:

شمَّاءُ واضحة العوارضِ طَفلَةٌ ... كالبدرِ من خَلَلِ السحاب المُنجلي
وكأنما ريحُ القَرنفُلِ نشْرُها ... أو حَنوَة[٢] خلِطتْ خُزامى حوملِ
وكأن فاها بعدما طَرَقَ الكرى ... كأسٌ تصفَّق بالرحيقِ السلْسلِ
لو أنّها عرضَتْ لأشمطَ راهبٍ ... في رأسِ مُشرفة الذُّرى متبتِّلِ
جأَّارِ ساعاتِ النِّيامِ لِربِّه ... حتى تخدَّد[٣] لحمُه، مستَعْمِلِ
لصَبَا لبهجتِها وحسْنِ حديثها ... ولهَمَّ من ناموسه بتنزُّلِ

[الكامل]

فقال الوليد: أصبت وصفَها فاخترْها أو ألفَ دينار، فاخترت الألف الدينار، فأمرها فدخلتْ إلى حرمه، وأخذت المال.

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّده وحسنه، فمن مختارها ونادرها قوله:

صوت

بل إن ترى شَمطاً تفرَّعَ لمَّتي ... وحَنَا قناتي وارتقى في مِسْحَلي[٤]
ودلفتُ من كِبَرٍ كأني خاتلٌ ... قَنَصاً ومن يدْببْ لصيدٍ يختِلِ
فلقد أُرى حسن القناةِ قويمَها ... كالنَّصْل أَخلصَه جلاءُ الصيقلِ
أَزْمانَ إذ أنا والجديدُ إلى بلىً ... تُصْبي الغوانيَ مَيْعَتي[٥] وتنقُّلي

[الكامل]

---

(١) مصطبح: قد شرب شراب الصباح.
(٢) الحنوة: ضرب من النبات السهلي الطيّب الرائحة.
(٣) تخدَّد: تشقَّق.
(٤) المِسْحَل: جانب اللِّحية.
(٥) الميعة: ميعة الشيء: أوّله وأصله، والمراد هنا ميعة الشباب.

غنى بذلك معبد ثقيلاً أول.

ولقد شهدتُ الخيل يوم طرادها ... بسليم أوظفة القوائم هَيكلِ
متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عبْل الشوى ... سبَّاقِ أندية الجياد عَميثَلِ[١]
لولا أكفكفه لكاد إذا جرى ... منه العزيم[٢] يدقُّ فأس المِسْحلِ[٣]
وإذا جرى منه الحَميم[٤] رأيته ... يهوي بفارسه هُويّ الأجدلِ[٥]
وإذا تعلل بالسياط جيادُها ... أعطاك نائيه ولم يتعَلَّلِ
ودعوا نزال فكنتُ أَول نازلٍ ... وعلام أركبُه إذا لم أنزلِ؟
ولقد جمعتُ المال من جمع امرئٍ ... ورفعتُ نفسي عن لئيم المأكلِ
ودخلت أبنية الملوك عليهمُ ... ولشرُّ قول المرءِ ما لم يفعلِ
ولربَّ ذي حنَق عليّ كأنما ... تغلي عداوةُ صَدره كالمِرْجلِ[٦]
أوجيته[٧] عني فأبصر قَصْده ... وكويتُه فوق النواظر من عَلي
وأخي مُحافظةٍ عصى عذَّاله ... وأطاع لذّته مُعِمٍّ مُخْولِ
هشٍّ يراحُ إلى الندى نبَّهْتُه ... والصبحُ ساطعُ لونه لم يَنجلِ
فأتيت حانوتاً به فصَبحْتُه ... من عاتق بمزاجها لم تقْتلِ
صهباء صافية القذا أَغلى بها ... يَسَرٌ كريم الخِيم غير مُبخَّلِ
ومعرّس عُرْض الرداءِ عَرَسْته ... من بعدِ آخر مثلِه في المنزلِ
ولقد أصبتُ من المعيشةِ لِينها ... وأصابني منه الزمانُ بكلكلِ[٨]
يا ذا وذاك كأنه ما لم يكن ... إلا تذكُّره لمن لم يجهلِ
ولقد أتتْ مائةٌ عليَّ أعدُّها ... حوْلاً فحوْلاً لا بَلاها مُبتلي
فإذا الشبابُ كمِبْذَلٍ أنضيته ... والدهر يُبلي كلَّ جدّةِ مِبذلِ
هلا سألت وخُبْرُ قومٍ عندهم ... وشفاء عِيِّك حائراً إن تسْألِ
هل نُكرمُ الأضياف إن نزلوا بنا ... ونسود بالمعروف غير تَبخُّلِ

(١) عميثل: العميثل من كل شيء: البطيء لعظمه وترهله والجلد النشيط، ضدّ.
(٢) العزيم: العزيمة في الجري.
(٣) المِسْحَل: هنا يعني اللِّجام.
(٤) الحميم: العَرَق.
(٥) الأجدل: الصَّقْر.
(٦) المِرجَل: القِدْر.
(٧) أوجيته: دفعته عني بشدَّة.
(٨) الكلكل: الصدر.

ونـحـلُّ بـالـثـغـر الـمـخـوفِ عـدُوُّه ونـردُّ حـال الـعـارض الـمُـتـهـلّـلِ[1]
ونـعـيـن غـارِمـنـا ونـمـنـع جـارَنـا ونَـزيـن مـولـى ذِكـرنـا فـي الـمـحـفِـلِ
وإذا امـرؤٌ مـنـا حَـبَـا فـكـأنَّـه مـمـا يُـخـافُ عـلـى مـنـاكـب يـذْبُـلِ
ومـتـى يَـقُـمْ عـنـد اجـتـمـاع عـشـيـرةٍ خـطـبـاؤنـا بـيـن الـعـشـيـرةِ يُـفْـصَـلِ
ويـرى الـعـدُوُّ لـنـا دُرُوءًا صـعـبـةً عـنـد الـنـجـوم مـنـيـعـة الـمُـتـأوّلِ
وإذا الـحـمـالـةُ أثـقـلـتْ حُـمَّـالـهـا فـعـلـى سـوائـمـنـا ثـقـيـلُ الـمـحـمِـلِ
ونـحُـقُّ فـي أمـوالـنـا لـحـلـيـفـنـا حـقًّـا نـبـوء بـه وإن لـم يـسـألِ

[الكامل]

وهذه جملةٌ جمعت فيها أغاني من أشعار اليهود، إذ كان نسبهم وأخبارهم مختلطة، فمن ذلك:

صـوت

أنّـى تـذكّـر زيـنـب الـقـلـبُ وطِـلابُ وصْـلِ عـزيـزةٍ صـعْـبُ
مـا روضـةٌ جـاد الـربـيـع لـهـا مَـوْلـيَّـة مـا حـولـهـا جـدْبُ
بـألـذَّ مـنـهـا إذ تـقـولُ لـنـا سـيـراً قـلـيـلاً يـلْـحـقِ الـركـبُ

[الكامل]

الشعر لأوس بن ذبّى القرظي، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وزعم عمرو أن فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى لمالك، وأن فيه صنعة لابن محرز، ولم يجنسها.

(١) المتهلل: الضامر المتقوّس.

أخبار أوس
ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم

الكاهنان:

أوس بن ذبَّى اليهودي رجل من بني قريظة، وبنو قريظة وبنو النَّضير يقال لهم: الكاهنان، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران، صلَّى اللَّه على محمد وآله وعليهما، وكانوا نزولاً بنواحي يثرب بعد وفاة موسى بن عمران عليه السلام، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم، ونزول الأوس والخزرج بيثرب.

العماليق:

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش، عن جعفر بن محمد بن عاصم عن أبي المنهال عيينة بن المنهال المهلبي، عن أبي سليمان جعفر بن سعد، عن العماري قال:

كان ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية يقال لهم: العماليق، وكانوا قد تفرقوا في البلاد، وكانوا أهل عزّ وبغي شديد، فكان سكن المدينة منهم بنو هفّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له: الأرقم، ينزل ما بين تَيماء إلى فَدَك، وكانوا قد مَلَؤوا المدينة، ولهم بها نخل كثير وزروع، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القُرى يغزونهم، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم، ولا يستبقوا منهم أحداً، فقدم الجيشُ الحجازَ، فأظهرهم اللَّه عز وجل على العماليق فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم، فإنه كان وضيئاً جميلاً، فضنّوا به على القتل، وقالوا: نذهب به إلى موسى بن عمران عليه السلام فيرى فيه رأيه، فرجعوا إلى الشام، فوجدوا موسى عليه السلام قد توفي، فقالت لهم بنو إسرائيل: ما صنعتم؟ فقالوا: أظهرنا اللَّه جلّ وعزّ عليهم فقتلناهم، فلم يبق منهم أحد غير غلام كان شابّاً جميلاً، فنَفِسْنا[1] به على

(١) نَفِسنا: رغبنا فيه.

القتل، وقلنا: نأتي به موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه، فقالوا لهم: هذه معصية، قد أمرتم ألا تَستبقوا منهم أحداً، واللَّه لا تدخلون علينا الشام أبداً، فلما مُنعوا ذلك قالوا: ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز، نرجع إليها فنقيم بها، فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة، فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية، فاتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً.

الهجرة من الشام إلى الحجاز بعد انتصار الروم:

ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام، فوطئوهم وقتلوهم، ونكحوا نساءهم، فخرج بنو النَّضير وبنو قُريظة وبنو هدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني إسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام، فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردهم، فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز، فلما بلغ طلبُ الروم الثمَدَ انقطعت أعناقهم عطشاً فماتوا، وسمي الموضع ثَمد الروم، فهو اسمه إلى اليوم، فلما قدم بنو النضير وقريظةُ وهدل المدينة، نزلوا الغابة فوجدوها وبيَّة، فكرهوها، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً سواها، فخرج حتى أتى العالية، وهي بُطحانُ ومَهْزُورٌ واديانِ من حَرَّةٍ على تلاع الأرض عذبة، بها مياه عذبة، تنبت حُرَّ الشجر، فرجع إليهم فقال: قد وجدت لكم بلداً طيباً نَزِهاً على حَرَّة، يصبّ منها واديان، على تلاع عذبة وَمَدَرةٍ طيّبة في مُتأخَّر الحرَّة ومدافع الشَّرْج، قال: فتحول القوم إليها من منزلهم ذلك، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ، وكانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالاً، ونزلت قريظة وهدل ومن معهم على مهزور، فكانت لهم تلاعُه وما سقى من بُعاث وسموات، فكان ممن يسكن المدينة ـ حين نزلها الأوس والخزرج ـ من قبائل بني إسرائيل: بنو عكوة وبنو ثعلبة وبنو محمم وبنو زعورا وبنو قَينُقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو هدل وبنو عوف وبنو الفصيص، وكان يسكن يثرب جُمَّاع من أمناء اليهود، وكان بنو مروان فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة، ولهم كان الأطم الذي يقال له: الخال، وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب، منهم بنو الحرمان حي من اليمن، وبنو مرثد حي من بلِيَّ، وبنو أُنيف من بَلِيّ أيضاً، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهيثة، وبنو الشطبة حيّ من غسان، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير ـ خاصة من اليهود ـ الكاهنان نسبوا بذلك إلى جدهم الذي يقال له الكاهن، كما يقال العُمَران والحَسنان والقمران، قال كعب بن سعد القُرَظي:

بـالـكـاهِـنَـيْـنِ قَـرزْتـمْ فـي ديـارِكُـمُ جَـمّـاً ثـواكـم ومـن أجـلاكـمُ جَـدُبـا
[البسيط]

وقال العباس بن مرداس السُّلمي يرد على خَوَّات بن جُبير لما هجاهم:

هـجـوتَ صـريـحَ الـكـاهِـنَـيْـن وفـيـكـمُ لـهـم نِـعَـمٌ كـانـت مـدى الـدهـرِ تُـرتُـبـا
[الطويل]

أهل مأرب وسيل العرم:

فلما أرسل اللَّه سيلَ العرم على أهل مأرب، وهم الأزد، قام رائدهم فقال: من كان ذا جَمَل مِفنّ[١]، وَوْطب[٢] مدنّ[٣]، وقربة وشَنّ[٤]، فلينقلب عن بقرات النعم، فهذا اليوم يوم همّ، وليلحق بالثِّنْي[٥] من شنّ، قال وهو السَّراة ـ فكان الذين نزلوه أزد شنوءه، ثم قال لهم: ومن كان ذا فاقة وفقر، وصبر على أرمات الدهر، فليلحق ببطن مُرّ، فكان الذين سكنوه خزاعة، ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والأمر والتأمير، والديباج والحرير، فليلحق ببصرى والحفِير، وهي من أرض الشام، فكان الذي سكنوه غسان، ثم قال لهم: ومن كان منكم ذا هم بعيد، وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان الحديد، فكان الذين نزلوه أزد عمان، ثم قال: ومن كان يريد الراسخات في الوَحْل، المطعمات في المَحْل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكان الذين نزلوها الأوس والخزرج، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صِرار[٦]، ثم تفرقوا، وكان منهم من لجأ إلى عَفاء[٧] من الأرض لا ساكن فيه، فنزلوا به، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها، فكانوا مع أهلها، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا بأصحاب إبل ولا شاء، لأن المدينة ليست بلاد نعم، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع، وليس للرجل منهم إلا الأعذاق[٨] اليسيرة، والمزرعة يستخرجها من أرض موات، والأموال لليهود، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حيناً.

أبو جبيلة الغساني يقتَل يهود المدينة:

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جبيلة الغساني، وهو يومئذٍ ملك غسان،

(١) المِفَنّ: الذي يأتي بالعجائب والخوارق.
(٢) الوطب: سقاء اللبن.
(٣) المُدَنّ: العظيم.
(٤) الشَّنّ: القربة والسِّقاء.
(٥) الثِّنيّ: منعطف الوادي.
(٦) الصِرار: موضع قرب المدينة.
(٧) العفاء: التراب.
(٨) الأعذاق: مفردها العَذَق وهو النخلة.

فسأله عن قومه وعن منزلهم، فأخبره بحالهم وضيق معاشهم، فقال له أبو جبيلة: واللَّه ما نزل قوم منا بلداً قطّ إلا غلبوا أهله عليه، فما بالكم؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه وقال له: أعلمهم أني سائر إليهم، فرجع مالك بن العجلان، فأخبرهم بأمر أبي جبيلة، ثم قال لليهود: إن الملك يريد زيارتكم فأعِدُّوا نُزلاً، فأعدُّوه، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف، حتى قدم المدينة، فنزل بذي حُرُض، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج، فذكر لهم الذي قدم له، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وإشرافهم، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصَّنوا في آطامهم فيمتنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم، فأمر ببناء حائرٍ[١] واسع، فبُني، ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه، فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه، وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه[٢]، رجاء أن يَحْبوَهم، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بُني، ثم يقتلوا كل من يدخل عليهم من اليهود، ثم أمر حجابه أن يأذنوا لهم في الحائر، ويدخولهم رجلاً رجلاً، فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك، ويقتلهم الجند الذين في الحائر، حتى أتوا على آخرهم، فقالت سارة القُرَظية ترثي من قتلَ منهم أبو جبيلة تقول:

بنفسي أمَّة لم تُغْن شيئاً ... بِذي حُرُضٍ تُعَفِّيها الرياحُ
كُهولٌ من قريظَةَ أَتْلَفَتْها ... سُيوفُ الخزرجِيَّة والرماحُ
رُزئنا والرزيَّة ذات ثِقْلٍ ... يُمَرُّ لأهلها الماءُ القَراحُ[٣]
ولو أَرِبوا لأمرِهمُ لجالتْ ... هنالك دونهم جَأْواً[٤] رَدَاحُ[٥]

[الوافر]

وقال الرمق، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغساني:

لم يُقْضَ دينك في الحسا ... نِ وقد غَنيت وقد غَنِينا
ألراشقاتِ الممرشقا ... تِ الجازياتِ بما جُزِينا
أمثالُ غزلان الصرا ... ئمِ يأْتزِرن ويَرْتدينا

(١) الحائر: مجتمع الماء، والمكان المطمئن. (٢) الحشم: الخدم والعبيد.
(٣) القَراح: الماء الخالص الذي لا يخالطهُ ثفل من سويق وغيره.
(٤) الجأو: الإصلاح.
(٥) الرَداح: الكتيبة العظيمة الجَرَّارة.

ألـــرَّيـــطَ والـــدِّيـــبـــاج والـــزَّرَد[١] الـــمـــضـــاعـــف والـــبُـــرِيـــنـــا[٢]
وأبـــو جـــبـــيـــلـــة خـــيـــرُ مـــن يَـــمـــشـــي وأَوْفـــاهـــم يَـــمِـــيـــنـــا
وأبـــرّه بِـــرّاً وأعـــلـــمـــه بـــعـــلـــمِ الـــصـــالـــحـــيـــنـــا
أبـــقـــت لـــنـــا الأيـــامُ والـــحـــربُ الـــمـــهـــمَّـــةُ تَـــعـــتـــريـــنـــا
كَـبْـشـاً[٣] لـنـا ذَكـراً يَـفـلُّ حـسـ ـامُـه الـذَّكـرَ الـسَّـنـيـنـا
ومـعـاقـلاً شُـمّـاً وأسـيـافـاً يَـقُـمـن ويَـنـحـنـيـنـا
ومـحـلَّـة زوراء تُـر جِـف بـالـرجـال الـمُـصْـلِـتـيـنـا

[مجزوء الكامل]

فلما أنشدوا ابن جبيلة ما قال الرمق أرسل إليه فجيء به، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء، فلما رآه قال: عسل طيب ووعاء سوء، فذهبت مثلاً، وقال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت لكم من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل فرجع إلى الشام، وقال الصامت بن أصرم النوفلي يذكر قتلَ أبي جبيلة اليهودَ:

سائلْ قريظَة من يُقَسِّمُ سَبيها يوم العُرَيْض ومن أفاء المَغنمَا؟
جاءتهمُ الملحاءُ يَخفق ظلُّها وكتيبةٌ خشناءُ تدعو أسْلمَا
عمي الذي طلب الهمام لقومه حتى أحلَّ على اليهودِ الصَّيْلَمَا[٤]

[الكامل]

يعني بقوله: من يقسم سبيها؛ نسوةً سباهُنَّ أبو جبيلة من بني قُريظة وكان رآهن فأعجبنه، وأعطى مالك بن العجلان منهم امرأة.

مالك بن العجلان يقتل من بقي من اليهود:

قال أبو المنهال: [وحدثني أبو الوليد محمد بن أبي بكر] أحد بني المعلى: إنهم أقاموا زمناً بعدما صنع، ويهود تعترض عليهم وتناويهم، فقال مالك بن العجلان لقومه: واللَّه ما أثخنَّا يهودَ غلبةً كما نريد، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً، ثم أرسل إلى مائة من أشراف من بقي من اليهود، فإذا جاؤوني فاقتلوهم جميعاً؟ فقالوا: نفعل،

(١) الزَّرَد: الدِّرع المزرودة.
(٢) البُرين: مفردها البُرَّة، وهي الحلقة من القرط والسِّوار والخلخال.
(٣) الكبش: سيد القوم.
(٤) الصَيْلم: الداهية والأمر الشديد.

فلما جاءهم رسول مالك قالوا: واللَّه لا نأتيهم أبداً وقد قتل أبو جبيلة منا من قتل، فقال لهم مالك: إن ذلك كان على غير هَوى منا، وإنما أردنا أن نمحوه وتعلموا حالكم عندنا، فأجابوه، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقُتل، حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً، ثم إن رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك، فتسَمَّع فلم يسمع صوتاً، فقال: أرَى أسرعَ وِرْدٍ وأبعد صَدَرٍ، فرجع وحذَّر أصحابه الذين بقوا، فلم يأت منهم أحد، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان:

فَسَقَّهْتَ قَيْلَةَ أحلامها ... ففيمن بقيتَ وفيمن تَسودْ؟

[المتقارب]

فقال مالك:

إني امرؤ من بني سالم ... بن عوفٍ وأنت امرؤ من يَهودْ

[المتقارب]

قال: وصوَّرت اليهودُ مالكاً في بيَعهم وكنائسهم، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها، فقال مالك بن العجلان في ذلك:

تَحَامَى اليهودُ بتلعانها[1] ... تَحامِي الحميرِ بأبوالِها

فماذا عليَّ بأن يلعنوا ... وتأتي المنايا بأذلالِها[2]

[المتقارب]

قال: فلما قتل مالك من يهود من قتل ذَلُّوا وقلَّ امتناعهم، وخافوا خوفاً شديداً، وجعلوا كلما هاجهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم، فكان كل قوم من يهود قد لجؤوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم.

وذكر أبو عمر الشيباني:

أن أوس بن ذبَّى القرظي كانت له امرأة من بني قريظة، فأسلمت وفارقته، ثم نازعتها نفسها إليه، فأتته وجعلت ترغبه في الإسلام، فقال فيها:

دعتني إلى الإسلام يومَ لَقيتها ... فقلت لها: لا بلْ تَعَاليْ تَهوَّدِي

فنحن على توراة موسى ودِينهِ ... ونِعم لعمري الدينُ دينُ محمَّدِ

(١) التلعان: ما ارتفع من الأرض، ومسيل الماء مفردها التلعة.

(٢) تأتي بأذلالها: أي تأتي على مجاريها أو على حالها.

كـــلانـــا يـــرى أن الـــرشـــادةَ دِيـــنُـــه ومـــن يُـــهْـــدَ أبـــوابَ الـــمـــراشـــد يـــرشُـــدِ

[الطويل]

ومن الأغاني في أشعار اليهود:

أعـــاذلـــتـــي ألا لا تَـــعْـــذِلـــيـــنـــي فـــكـــم مـــن أمـــرِ عـــاذلـــةٍ عَـــصَـــيْـــتُ

دعـــيـــنـــي وارشُـــدي إن كـــنـــت أغـــوى ولا تـــغْـــوَي زعـــمـــتِ كـــمـــا غـــوَيْـــتُ

أعـــاذلَ قـــد أطـــلـــت الـــلـــوم حـــتـــى لـــوَ انِّـــي مـــنـــتـــهٍ لـــقـــد انـــتـــهـــيـــتُ

وحـــتـــى لـــو يـــكـــون فَـــتَـــى أُنـــاسٍ بـــكـــى مـــن عـــذل عـــاذلـــةٍ بَـــكـــيْـــتُ

وصـــفـــراءَ الـــمـــعـــاصِـــم قـــد دعـــتـــنـــي إلـــى وصـــلٍ فـــقـــلـــت لـــهـــا: أَبَـــيْـــتُ

وزقٍّ قـــد جـــررت إلـــى الـــنـــدامـــى وزقّ قـــد شـــربـــت وقـــد سَـــقـــيْـــتُ

[الوافر]

الشعر للسموأل بن عَادِيا فيما رواه السكري عن الطوسي، ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والثاني والرابع والخامس من الأبيات، وزعم ابن المكي أنه لمعبد، وزعم عمرو بن بانة أنه لمالك، ولدحمان في الثالث وما بعده ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ولدحمان أيضاً في الأول والرابع والخامس والسادس رمل بالوسطى عن عمرو، وزعم ابن المكي أن هذا الرمل لابن سريج، وفي الأول والثاني والسادس رمل بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، ثاني ثقيل عن يحيى بن المكي، وزعم الهشامي أن الرمل لعبد العزيز الدفاف.

أخبار السموأل ونسبه

اسمه ونسبه:

هو السموأل بن عُرَيض بن عَادِيَا بن جيا، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب، وذكر أن الناس يُدْرِجون غُريضاً في النسب وينسبونه إلى عاديا جده.

وقال عمر بن شبّة: هو السموأل بن عاديا ولم يذكر عُريضاً.

وذكر عبد اللَّه بن أبي سعد عن دارم بن عقال ـ وهو من ولد السموأل ـ أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وهذا عندي محال، لأن الأعشى أدرك شُريح بن السموأل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء، ولا عشرة إلا أكثر، واللَّه أعلم.

الأبلق:

وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجدّه عاديا واحتفر فيه بئراً رَوِيَّة عذبة، وقد ذكرتْه الشعراء في أشعارها، قال السموأل:

فبالأبلق الفَرْدِ بيتي به وبيت المصير سوى الأبلقِ

[الكامل]

وقال السموأل يذكر بناء جدّه الحِصْنَ:

بَنَى لي عاديَا حِصْناً حصيناً وماءً كلما شئت استقيتُ

[الوافر]

وكانت العرب تنزل به فيضيفها، وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقاً، وبه يضرب المثل في الوفاء لإسلامِه ابنَه حتى قُتِل ولم يخن أمانته في أدراع أُودِعَها.

وفاء السموأل:

وكان السبب في ذلك فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبي:

أن امرأ القيس بن حُجر لما سار إلى الشام يريد قيصر، نزل على السموأل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد وكراهة أصحابه لفعله، وتفرقهم عنه حتى بقي وحده واحتاج إلى الهرب، فطلبه المنذر بن ماء السماء، ووجه في طلبه جيوشاً من إياد وبَهراء وتنوخ، وجيشاً من الأساورة، أمدّه بهم أنو شروان، وخذلتْه حِمْير، وتفرقوا عنه لجأ إلى السموأل بن عاديا ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة: الفضفاضة والضافية والمحصِنة والخريق وأم الذيول، كانت الملوك من بني آكل المُرار يتوارثونها ملكاً عن ملك، ومعه بنته هند، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال كان بقي معه، ورجل من بني فزارة يقال له: الربيع بن ضَبُع شاعر، فقال له الفزاري: قل في السموأل شعراً تمدحه به، فإن الشعر يعجبه، وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله:

ولقد أتيت بني المُصاصِ مفاخراً ... وإلى السموأل زرتُه بالأبلق

فأتيت أفضلَ من تحمَّلَ حاجة ... إن جئته في غارم أو مُرهقِ

عرفتْ له الأقوام كل فضيلة ... وحوى المكارم سابقاً لم يُسْبَقِ

[الكامل]

قال: فقال امرؤ القيس فيه قصيدته:

طرقتك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ ... وَهْناً ولم تك قبل ذلك تطرقُ

[الكامل]

قال: وقال له الفزاري: إن السموأل يمنع منك حتى يرى ذات عينك، وهو في حصن حصين، ومال كثير، فقدم به على السموأل، وعرفه إياه وأنشداه الشعر، فعرف لهما حقهما، وضرب على هند قبة من أَدم، وأنزل القوم في مجلس له براح، فكانت عنده ما شاء اللَّه، ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني أن يوصله إلى قيصر، ففعل، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ورحل إلى الشام، وخلّف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند، قال: ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق، ويقال: بل الحارث بن أبي شمر الغساني، ويقال: بل كان المنذر وجَّه بالحارث بن ظالم في خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل، فلما نزل به تحصن منه، وكان له ابنٌ قد يَفَع، وخرج إلى قنص له، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم، ثم قال للسموأل: أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا ابني، قال: أفتسلم ما قِبَلك أم أقتله؟ قال: شأنك به، فلست أخفر ذمتي، ولا أُسلم مال جاري، فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين، وانصرف عنه، فقال السموأل في ذلك:

وَفَـيـتُ بـأدرُعِ الـكِـنـديِّ إنِّـي إذا مـا ذُمَّ أقـوامٌ وَفَـيْـتُ
وأوصـى عـادِيـا يـومـاً بـألا تُـهَـدِّم يـا سـمـوألُ مـا بَـنَـيْـتُ
بَـنَـى لـي عـادِيـا حِـصـنـاً حـصـيـنـاً وماءً كـلَّـمـا شـئـتُ اسـتـقَـيْـتُ

[الوافر]

الأعشى يستجير بابن السموأل:

وقال الأعشى يمدح السموأل، واستجار بابنه شُريح بن السموأل، من رجل كلبي كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه، فنزل بشريح بن السموأل، فأحسن ضيافته، ومر بالأسرى، فناداه الأعشى:

شُـريـحُ لا تُـسـلِـمَـنّـي الـيَـوم إذ عَـلِـقَـتْ حـبـالَـك الـيـومَ بـعـد الـقِـدّ أظـفـاري
قـد سـرتُ مـا بـيـن بـانِـقْـيـا إلـى عَـدَنٍ وطـال فـي الـعُـجْـمِ تـكـراري وتـسـيـاري
فـكـان أكـرَمـهـم عـهـداً وأوثـقـهَـم عَـقْـداً أبـوك بُـعـرف غـيـر إنـكـار
كـالـغـيـث مـا اسـتـمـطـروه جـاد وابـلُـه وفـي الـشـدائـد كـالـمـسـتـأسِـدِ الـضـاري
كُـنْ كـالـسـمـوألِ إذ طـاف الـهـمـام بـه فـي جَـحْـفَـلٍ[1] كـسـواد الـلـيـل جـرّارِ
إذ سـامـه خُـطَّـتـيْ خَـسْـفٍ فـقـال لـه قـلْ مـا تـشـاء فـإنـي سـامـعٌ حـارِ
فـقـال غَـدرٌ وُثـكْـل أنـت بـيـنـهـمـا فـاخـتـر ومـا فـيـهـمـا حـظٌّ لـمـخـتـارِ
فَـشـكَّ غـيـر طـويـلٍ ثـم قـال لـه أقْـتُـلْ أسـيـرك إنـي مـانـعٌ جـاري
وسـوف يُـعْـقِـبُـنـيـه إن ظـفـرتَ بـه ربٌّ كـريـمٌ وبـيـضٌ ذات أطـهـارِ
لا سِـرُّهُـنَّ لـديـنـا ذاهـبٌ هَـدَراً وحـافـظـاتٌ إذا اسـتُـودِعْـنَ أسـراري
فـاخـتـارَ أدراعَـه كـيـلا يُـسَـبَّ بـهـا ولـم يـكـن عـنـده فـيـهـا بِـخَـتَّـارِ[2]

[البسيط]

فجاء شُريحٌ إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسيرَ المضرور، فقال له: هو لك، فأطلقه، وقال له: أقِمْ عندي حتى أُكرمك وأحْبُوَك، فقال له الأعشى: إن تمام إحسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجِيَةً وتُخليني الساعة، فأعطاه ناقة ناجية، فركبها ومضى من ساعته، وبلغ الكلبيّ أن الذي وهب لشريح الأعشى، فأرسل إلى شريح ابعثْ إليَّ الأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعطِيَه، فقالَ: قد مضى، فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يلحقه.

(١) الجحفَل: الجيش العظيم.
(٢) الختَّار: الغدَّار أشدّ الغدر والمخادع.

سَعية بن عُريض

وسَعْيَةُ بن عُريض بن عاديا أخو السموأل شاعر، فمن شعره الذي يُغنّى فيه قوله:

صوت

يا دارَ سُعدى بمفضَى تلْعَةِ النَّعمِ ... حُيِّيتِ داراً على الإقواءِ والقِدَمِ
عُجْنا[1] فما كلّمتنا الدارُ إذ سُئلتْ ... وما بها عن جوابٍ خِلْتُ من صمَمِ
وما بجِزْعك إلا الوحشُ ساكنة ... وهامدٌ من رَمادِ القِدْر والحُمَمِ

[البسيط]

الشعر لسعْيةَ بن عُرَيْض، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي، ويقال: إنه لمالك، وفيه لابن جوذرة رمل عن الهشامي.

وسعية بن عُريض القائل وفيه غناء:

صوت

لُبابُ هل عندكِ من نائلِ ... لعاشقٍ ذي حاجةٍ سائلِ؟
علَّلْتِه منك بما لم يَنلْ ... يا رُبَّما علَّلتِ بالباطلِ

[السريع]

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه لمتيم رمل آخر من جامعها، وفيه لحن ليونس غير مجنس، وأول هذه القصيدة:

لبابُ يا أختَ بني مالكٍ ... لا تشتري العاجلَ بالآجلِ
لبابُ داويني ولا تقْتُلي ... قد فُضِّلَ الشافي على القاتلِ

(١) عُجنا: من عاج على المكان أي مال وعطف.

إن تـسـألـي بـي فـاسـألـي خـابـراً فـالـعـلـمُ قـد يـكـفـي لـدى الـسـائـلِ
يُـنـبـيـك مـن كـان بـنـا عـالـمـاً عـنـا ومـا الـعـالـم كـالـجـاهـلِ
أنَّـا إذا حـارت دواعـي الـهـوى وأنـصـتَ الـسـامـعُ لـلـقـائـلِ
واعـتـلـجَ الـقـومُ بـألـبـابـهـم فـي الـمـنـطـق الـقـائـل والـفـاصـلِ
لا نـجـعـل الـبـاطـل حـقّـاً ولا نَـلُـظُّ[1] دون الـحـقِّ بـالـبـاطـلِ
نـخـاف أن تَـسْـفَـه أَحـلامُـنـا فـنـخـمـلَ الـدهـرَ مـع الـخـامـلِ[2]
[السريع]

معاوية يتمثل بهذا الشعر:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وكيع قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال: حدثني العمري عن العتبي قال:

كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر:

أنَّـا إذا مـالـت دواعـي الـهـوى وأنـصـت الـسـامـع لـلـقـائـل
لا نـجـعـل الـبـاطـل حـقّـاً ولا نَـلُـظُّ دون الـحـقّ بـالـبـاطـلِ
نـخـاف أن تَـسـفـه أحـلامُـنـا فـنـخـمـل الـدهـرَ مـع الـخـامـلِ
[السريع]

عبد الملك يسمع شعره قبل القضاء:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني خالي يوسف بن الماجشون قال:

كان عبد الملك بن مروان، إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً[3] على رأسه ينشده:

أنَّـا إذا مـالـت دواعـي الـهـوى وأنـصـت الـسـامـع لـلـقـائـلِ
واصـطـرع الـقـومُ بـألـبـابـهـم نـقـضـي بـحـكـم عـادلٍ فـاصـلِ
لا نـجـعـل الـبـاطـل حـقّـاً ولا نـلـظُّ دون الـحـقِّ بـالـبـاطـلِ
نـخـاف أن تـسـفـه أحـلامـنـا فـنـخـمـل الـدهـر مـع الـخـامـلِ
[السريع]

---

(١) نلُظّ: نلزم ونقيم.
(٢) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.
(٣) الوصيف: الخادم.

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين.

حلَّان المال:

أخبرني وكيع والحسن بن عليّ قالا: حدثنا أبو قلابة قال: حدثنا الأصمعي، عن ابن أبي الزناد عن أبيه، عن رجال من الأنصار:

أن سعية بن عُريض أخا السموأل بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج، ويأتونه فيقيمون عنده، ويزورونه في أوقات قد ألف زيارتهم فيها، وأغار عليه بعضُ ملوك اليمن، فانتسف[١] من ماله حتى افتقر، ولم يبق له شيء، فانقطع عنه إخوانه، وجفوه، فلما أخصب[٢] وعادت حاله وتراجعت راجعوه، فقال في ذلك:

أرى الخُلان لما قلَّ مالي ... وأَجحفتِ النوائبُ ودَّعُوني
فلما أن غَنِيتُ وعاد مالي ... أراهم لا أَبالك راجعوني
وكان القوم خُلاناً لمالي ... وإخواناً لما خُوِّلتُ دوني
فلما شذَّ مالي باعَدوني ... ولما عاد مالي عاودوني

[الوافر]

[ومن أشعار اليهود ويغنّى به]:

صوت

هل تعرف الدار خفَّ ساكنها ... بالحِجْر فالمستوى إلى السَّنَدِ؟
دار لبهنانةٍ[٣] خَدلَّجةٍ[٤] ... تضحك عن مثل جامِد البَرَدِ
نِعْمَ ضجيعُ الفتى إذا برد اللّيل وغارت كواكبُ الأسدِ
يا من لقلبٍ مُتيَّمٍ سَدِمٍ[٥] ... عانٍ رهينٍ أُحيط بالعُقَدِ
أزجرهُ وهو غير منزجرٍ ... عنها وطرفي مقارِنُ السُّهُدِ[٦]
تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلاً ... مَشْيَ النَّزيفِ[٧] المبهور في صَعدِ

(١) انتسف: قلع.
(٢) أخصب: رَغُد عيشه.
(٣) البهنانة: الضحاكة الخفيفة النفس والروح واللّيّنة في عملها.
(٤) الخدلَّجة: الممتلئة الذراعين والساقين.
(٥) السَّدِم: الهائج.
(٦) السُّهد: الأرق.
(٧) النزيف: السكران.

تـظـلُّ مـن زَوْر بـيـت جـارتـهـا واضـعـةً كـفَّـهـا عـلـى الـكَـبِـدِ

[المنسرح]

الشعر لأبي الذيال اليهودي القرظي، والغناء لابن مسجح، ثقيل أول بالوسطي في الثلاثة الأبيات الأول عن الهشامي ويحيى المكي، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي، وقال: أظنهُ من منحول يحيى بن المكي، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح، ولابن محرز في:

يـا مـن لـقـلـب مـتـيـم سـدم

وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيها لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى، وذكر إسحاق أن فيها لحناً لمعبد لم يذكر طريقته، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنس، وهذا الشعر يقوله أبو الذيَّال في أهل تيماء يرثيهم، ذكر ذلك عمر بن شبّة:

صـوت

دُورٌ عَـفَـتْ بـقـرى الـخـابـور غـيّـرَهـا بـعـد الأنـيـس سـوافـي الـريـح والـمَـطـرُ

إن تُـمْـسِ دارُك مـمَّـن كـان يـسـكـنـهـا وَحْـشـاً[1] فـذلـك صـرفُ الـدهـرِ والـغِـيـرُ

حـلَّـتْ بـهـا كـلُّ مـبـيـضٍّ تـرائـبـهـا كـأنـهـا بـيـن كُـثـبـان الـنَّـقـا الـبَـقَـرُ

[البسيط]

الشعر للربيع بن أبي الحقيق. روى ذلك السكري عن الطوسي وعن محمد بن حبيب.

والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد.

(١) الوَحْش: حيوان البرّ.

أخبار الربيع بن أبي الحقيق

رئيس بني قريظة:

كان الربيع من مشهوري اليهود من بني قريظة، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران، يقال لهما: الكاهنان، وكان الربيع أحد الرؤساء في يوم حرب بعاث، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه، فكانت رياسة بني قريظة للربيع، ورياسة الخزرج لعمرو بن النعمان البياضي، وكان رئيس بني النضير يومئذٍ سلام بن مشكم.

النابغة يشهد له بالشعر:

أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن الأنصاري قال: حدثني الحسن بن موسى مولى بني مازن بن النجار، عن أبي غَزِيَّة قال:

أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أطمة، فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة وكانت سوقاً عظيمة فحاصت[١] بالنابغة ناقته فأنشأ يقول:

كادت تهال من الأصوات راحلتي.

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أجز يا ربيع فقال:

والنفر منها إذا ما أوجست خلقُ.

فقال النابغة: ما رأيت كاليوم شعراً قطّ. ثم قال:

لولا أنهنهها[٢] بالسوط لاجتذبت.

أجِزْ يا ربيع. فقال:

مني الزّمام وإني راكب لبِقُ

فقال النابغة:

---

(١) حاصت: عدلت وحادت.

(٢) أنهنهها: أكُفُّها.

قد ملّت الحبس في الأطام واشتعفت

أجزْ يا ربيع. فقال:

إلى مناهلها لو أنها طُلقُ

فقال النابغة:

أنت يا ربيع أشعر الناس.

أبان بن عثمان يتمثل بأبياته:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن العباس اليزيدي قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني الحزامي قال: حدثني سعيد بن محمد الزبيري قال: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

قلّ ما جلست إلى إبان بن عثمان إلا سمعته يتمثل بأبيات ابن أبي الحقيق:

سئمت وأمسيت رهن الفرا ش من جرْم قومي ومن مغرمي
ومن سفه الرأي بعد النُّهَى وعيب الرشاد ولم يفهمِ
فلو أن قومي أطاعوا الحليم لم يتعدَّوا ولم نُظلَمِ
ولكن قومي أطاعوا الغوا ة فانتشر الأمر لم يُبْرَمِ
فأودي السفيه برأي الحليم حتى تحكّم أهل الدمِ

[المتقارب]

الربيع يعاتب قوماً من الأنصار:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه:

رأيتُ بني العنقاء زالوا وملكُهم وآبوا بأنف في العشيرة مُرغمِ
فإن يُقتلوا نندم لذاك وإن يفوا فلا بد يوماً من عقوق ومأثمِ
وأنا فويق الرأس شؤبوبُ[1] مُزنةٍ[2] لها برد ما يَغشَ في الأرضِ يَحطمِ

[الطويل]

[وفي الغناء من أشعار اليهود].

---

(١) شؤبوب: الدفعة من المطر.

(٢) المُزنة: السحابة ذات الماء، جمعها المُزْن.

صـــوت

ولـــــنـــــا بـــــئـــــرٌ رَوَاءٌ جَـــمَّـــةٌ مـــن يَـــرِدْهـــا بـــإنـــاء يَـــغْـــتَـــرِفْ
تـــدلـــج الـــجُـــونُ عـــلـــى أكـــنـــافِـــهـــا بـــــــدلاء ذات أمـــــــراسٍ صُـــــــدُفْ
كـــلُّ حـــاجـــاتـــيَ قـــد قَـــضَّـــيْـــتُـــهـــا غـــيـــر حـــاجـــاتـــيَ مـــن بَـــطْـــن الـــجُـــرُفْ

[الرمل]

[الجرف موضع لهم بالجيم معجمة].

الشعر لكعب بن الأشرف اليهودي، والغناء لمالك ثقيل أول عن يحيى بن المكي قال: وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل، ولمعبد ثاني ثقيل؛ قال يحيى في كتابه: وقد خلط الرواة في ألحانهم، ونسبوا لحن كل واحد منهم إلى صاحبه، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر، وفيه لجعدب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

أخبار كعب ونسبه ومقتله

اسمه ونسبه:

كعب بن الأشرف مختلف في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيء وأمه من بني النَّضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم وساد، وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النَّضير.

وكان شاعراً فارساً، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج تذكر في مواضعها إن شاء اللَّه تعالى، وهو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح، وكان عدوّاً للنبي ﷺ، يهجوه ويهجو أصحابه، ويُخَذِّل عنه العربَ، فبعث النبي ﷺ نفراً من أصحابه فقتلوه في داره.

ذكر خبره في ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان النبي ﷺ قدم المدينة، وهي أخلاط[1]، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة النبي ﷺ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود وهم أهل الحلقة والحصون وهم خلفاء الحيين الأوس والخزرج، فأراد النبي ﷺ إذ قدم ـ استصلاحَهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبي ﷺ يؤذونه وأصحابه [أشد] الأذى، فأمر اللَّه نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم، وأنزل في شأنهم ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية. وأنزل فيهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] إلى قوله: «واصفحوا» فلما أبى كعبُ بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ وأصحابه، أمر النبيُّ ﷺ سعدَ بن مُعاذ أن يبعث إليه رهطاً فيقتلوه، فبعث إليه محمدَ بن مَسلمة، وأبا عبس بن جُبير، والحارث ابن أخي سعد. في خمسة رهط، فأتوه عشية وهو في مجلس قومه بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم، وكان يذعر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: جئنا لنبيعك

(١) أخلاط: مزيج من الكفار والمسلمين.

أدراعاً نستنفق أثمانها، فقال: واللَّه لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدْتم مُذْ نزل بكم هذا الرجل، ثم واعدهم أن يأتوه عِشاء حين تهدأ أعين الناس، فجاؤوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج، فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتَهم بشيء مما تحب، فقال: بلى أنهم قد حدثوني حديثهم، وخرج إليهم فاعتنقه أبو عبس، وضربه محمد بن مسلمة بالسيف في خاصرته، وانحنوا عليه حتى قتلوه، فرعبت اليهود ومن كان معهم من المشركين، وغدوا على النبي ﷺ فقالوا: قد طُرِق صاحبُنا الليلةَ، وهو سيد من ساداتنا، فقُتل، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤذَى به في أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً، فكُتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، وكانت بعد النبي ﷺ عند علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

صـــوت

هـل بـالـديـار الـتـي بـالـقـاع مـن أحـدِ ... بـاقٍ فـيـسـمـع صـوت الـمُـدلـج الـسـاري؟
تـلـك الـمـنـازلُ مـن صـفـراءَ لـيـس بـهـا ... ذرٌّ تـــضـــيء ولا أصـــواتُ سُـــمَّـــارِ[1]

[البسيط]

ويروى: ليس بها حيٌّ يجيب.

الشعر لبيهس الجرمي، والغناء لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وقال عمرو بن بانة: فيه ثاني ثقيل بالبنصر يقال إنه لابن محرز، وقال الهشامي: فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء.

إرفـعْ ضَـعِـيـفَـك لا يـحُـرْ[2] بـكَ ضَـعْـفُـه

(١) سُمَّار: ساهرون يتحدثون ليلاً.
(٢) يَحُر: يرجع.

أخبار بيهس ونسبه

اسمه ونسبه:

هو بَيْهس بن صُهيب بن عامر بن عبد اللَّه بن نائل بن مالك بن عُبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن عدي بن شمس بن طرود بن قدامة بن جرم بن الديان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

ويكنى أبا المقدام، شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة، ويحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن، وبعض أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر:

من صفراء؟

وقد اختلف في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا، فذكر القحذمي أنها كانت زوجته وولدت له ابناً، ثم طلقها فتزوجت رجلاً من بني أسد، وماتت عنده، فرثاها، وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت ابنة عمّه دِنْيَةً، وأنه كان يهواها فلم يُزَوِّجْهَا، وخطبها الأسديُّ وكان موسراً، فزُوِّجها.

قال أبو عمرو: وكان بيهس يهوى امرأة من قومه يقال لها صفراء بنت عبد اللَّه بن عامر بن عبد اللَّه بن نائل، وهي بنت عمه دِنيَةً، وكان يتحدث إليها، ويجلس في بيتها، ويكتم وجده بها، ولا يظهره لأحد، ولا يخطبها لأبيها، لأنه كان صعلوكاً لا مال له، فكان ينتظر أن يُثريَ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشعراً، فكان نساء الحي يتعرضن له، ويجلسن إليه، ويتحدثن معه، فمرّت به صفراء، فرأته جالساً مع فتاة منهن، فهجرته زماناً، لا تجيبه إذا دعاها، ولا تخرج إليه إذا زارها. وعرض له سفر، فخرج إليه ثم عاد، وقد زوجها أبوها رجلاً من بني أسد، فأخرجها، وانتقل عن دارهم بها، فقال بيهس بن صهيب:

سقى دمنةً صفراءُ كانت تَحلُّها ... بِنَوْء الثُّريَّا طَلُّها وذِهابُها
وصاب عليها كلُّ أسحمَ[1] هاطلٍ ... ولا زال مخضرّاً مَريعاً جنابُها
أحبُّ ثَرى أرضٍ إليَّ وإن نأتْ ... محلّك منها نبتُها وتُرابُها
على أنها غضبى عليَّ وحبَّذا ... رِضاها إذا ما أُرْضِيَتْ وعِتابُها
وقد هاج لي حيْناً فراقُك غُدوةَ ... وسعيُك في فيفاء[2] تَعْوي ذِئابُها
نظرتُ وقد زال الحُمولُ ووازنوا ... بركوة والوادي وخفَّت رِكابُها
فقلتُ لأصحابي أبِالقُرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى بِبَيْنٍ غُرابُها؟
[الطويل]

بيهس يرثي صفراء:

قال أبو عمرو: ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها، فقال بيهس يرثيها:

هل بالديار التي بالقاعِ من أحدٍ ... باقٍ فيسمع صوت المُدلج الساري؟
تلك المنازلُ من صفراءَ ليس بها ... نارٌ تضيء ولا أصواتُ سُمَّارِ
[البسيط]

[السمار القوم يجتمعون للحديث].

عفَّتْ معارِفَها هَوْجاءُ مُغْبِرةٌ ... تَسفي عليها تُرابَ الأبطحِ الهارِي
حتى تنكَّرتُ منها كلَّ مَعرفةٍ ... إلا الرمادَ نَخِيلاً[3] بين أحجارِ
طال الوقوفُ بها والعينُ تَسبقني ... فوق الرداءِ بَوَادي دمعِها الجاري
إن أصبحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... ألهو لديهمْ ولا صفراءُ في الدارِ
أَرعى بعيني نجومَ الليل مُرتقباً ... يا طول ذلك من هَمّ وإسهارِ
فقد يكون ليَ الأهلُ الكرام وقد ... ألهو بصفراء ذاتِ المنظرِ الوارِي
من المَواجِدِ أعراقاً إذا نُسبتْ ... لا تَحْرِمِ المالَ عن ضيفٍ وعن جارِ
لم تَلقَ بؤساً ولم يَضْررْ بها عَوَزٌ ... ولم ترجّفْ مع الصالي إلى النارِ
كذلك الدهر إن الدهر ذُو غِيَرٍ ... على الأنام وذو نقْضٍ وإمرارِ

(١) أسحم: أسود.
(٢) الفيفاء: المفازة لا ماء فيها.
(٣) النخيل: المنخول.

قـد كـان يـعـتـادنـي مـن ذِكـرهـا جَـزَعٌ لـولا الـحـيـاءُ ولـولا رَهْـبَـةُ الـعـارِ
سـقـى الإلٰـه قـبـوراً فـي بـنـي أسـدٍ حـول الـربـيـعـة غـيـثـاً صـوب مِـدرارِ
مَـن الـذي بـعـدكـمْ أرضـى بـه بـدَلاً أو مَـنْ أحـدِّث حـاجـاتـي وأسـراري؟
[البسيط]

بيهس على قبر صفراء:

قال أبو عمرو:

واجتاز بيهس في بلاد بني أسد، فمر بقبر صفراء، وهو في موضع يقال له الأحصّ، ومعه ركب من قومه، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد، فأوسعوا لهم، وكان بينهم صهر وحِلْف، فنزل بيهس على القبر فقال له أصحابه: ألا ترحل؟ فقال: أما واللَّه حتى أظلَّ نهاري كلَّه عنده واقضيَ وطَراً فنزلوا فأنشأ يقول وهو يبكي:

ألـمَّـا عـلـى قـبـر لـصـفـراء فـاقـرآ الـسـلام وقـولا حَـيِّـنـا أيـهـا الـقـبْـرُ
ومـا كـان شـيـئـاً غـيـر أن لـسـتُ صـابـراً دُعـاءك قـبـراً دونـه حِـجَـجٌ عَـشْـرُ
بـرابـيَـةٍ فـيـهـا كـرامٌ أَحـبَّـةٌ عـلـى أنـهـا إلا مـضـاجِـعَـهـم قَـفْـرُ
عـشـيَّـة قـال الـركـبُ مـن غَـرَضٍ[1] بـنـا تـرَوَّحْ أبـا الـمـقـدام قـد جَـنـح الـعَـصْـرُ
فـقـلـت لـهـم يـومٌ قـلـيـل ولـيـلـةٌ لـصـفـراءَ قـد طـال الـتـجـنُّـبُ والـهَـجْـرُ
وبـتُّ وبـات الـنـاسُ حـولـيَ هُـجَّـداً كـأنّ عـلـيَّ الـلـيـلَ مـن طـولـه شـهْـرُ
إذا قـلـت هـذا حـيـن أهـجـعُ سـاعـةً تـطَـاول بـي لـيـلٌ كـواكـبـه زُهْـرُ
أقـول إذا مـا الـجـنْـبُ مَـلَّ مـكـانَـه أشـوكٌ يُـجـافي الـجـنبَ أم تـحـتـه جَـمْـرُ؟
فـلـو أنَّ صـخـراً مـن عَـمَـايـة راسِـيـاً يـقـاسـي الـذي ألـقـى لـقـد مَـلَّـه الـصَّـخْـرُ
[الطويل]

وأما القحذمي فإنه ذكر ما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي، عن عيسى بن إسماعيلُ تينة عنه.

أنه كان تزوجها ثم طلقها بعد أن ولدت منه ابناً، فتزوجها رجل من بني أسد، فماتت عنده، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً مما تقدم ذكره.

(١) الغرض: الضجر والملل.

وذكر ابن بيهس بن صهيب كان من فرسان العرب، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة.

محمد بن مروان يجيره:

وقال أبو عمرو: لما هدأت الفتنة بعد مَرْج راهط، وسكن الناس، مرَّ غلام من قيس بطوائف من جَرْم وعذرة وكلب متجاورين على ماء لهم، فيقال: إن بعض أحداثهم نخس به ناقته فألقته فاندقت عنقه فمات، واستعدى قوُمه عليهم عبدَ الملك، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فحبسهم، وهرب بيهس بن صهيب الجرمي، فنزل على محمد بن مروان، فعاذ به، واستجاره فأجاره إلا من حدّ توجبه عليه شهادة، فرضي بذلك، وقال وهو متوارٍ عند محمد:

لقد كانتْ حوادثُ معضلاتٌ ... وأيامٌ أغصَّتْ بالشرابِ
وما ذنبُ المعاشرِ في غلام ... تقطَّر بين أحواض الجِبابِ؟
على قوْدَاء[1] أفرطَها جِلالٌ ... وعضٌّ فهي باقية الهَبابِ
ترامَتْ باليَدين فأزهقته ... كما زلَّ النطيحُ[2] مِن الحِقابِ[3]
فإني والعقابَ وما أُرجّي ... لكالساعي إلى وَضَح السرابِ
فلما أن دنا فَرَجٌ بِرَبِّي ... يُكشِّف عن مُخفَّقة يَبابِ[4]
من البلدان ليس بها غريبٌ ... تخبُّ بأرضها زُلُّ الذئابِ
وظني بالخليفة أن فيه ... أماناً للبريء وللمصابِ
وإن محمداً سيعود يوماً ... ويرجع عن مراجعة العِتابِ
فيجبر صِبيتي ويَحوط جاري ... ويُؤمن بعدها أبداً صِحابي
وهو الفرع الذي بُنِيتْ عليه ... بيوتُ الأطيبين ذوي الحِجابِ

[الوافر]

قال: فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه، حتى آمن بيهس بن صهيب وعشيرته، واحتمل دية المقتول لقيس وأرضاهم.

(١) قوداء: كناية عن الناقة.
(٢) النطيح: الذي مات من النّطح.
(٣) الحِقاب: الحزام الذي يلي حقْو البعير.
(٤) يباب: خراب.

صـــوت

نـزل الـمـشـيـبُ فـمـا لـه تَـحْـويـلُ ومـضـى الـشـبـابُ فـمـا إلـيـه سـبـيـلُ
ولـقـد أرانـي والـشـبـابُ يـقـودنـي ورداؤهُ حـسـنٌ عـلـيَّ جـمـيـلُ

[الكامل]

الشعر للكميت بن معروف الأسدي، والغناء لمعبد خفيف ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار الكميت بن معروف ونسبه

اسمه ونسبه:

هو الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

شاعر من شعراء الإسلام بدوي، أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة.

كلهم شعراء:

والكميت أحد المُعْرِقين في الشعر، أبوه معروف شاعر، وأمه سعدة شاعرة، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر، وابنه معروف بن الكيمت شاعر.

فأما أبوه فهو القائل لعبد اللَّه بن المساور بن هند:

إن مناخي أمسِ يا ابن مُساوِرٍ ... إليك لمن شُرْبِ النقاخ[1] المُصَرَّدِ
تباعدت فوق الحقِّ من آل فقعس ... ولم ترج فيهم ردَّة اليومِ أو غدِ
وقلت غِنىً لا فقْرَ في العيش بعدَه ... وكلُّ فتى للنائبات بمَرْصَدِ
كأنك لم تعلم محلَّ بيوتكم ... مع الحيّ بين الغور والمُتَنَجّدِ
فلولا رجالٌ من جذيمة قُصْرَة[2] ... عددت بلائي ثم قلت له اعْدُدِ

[الطويل]

وأمه سعدة القائلة له، وقد تزوج بنت أبي مهوش على مراغمة لها، وكراهة لذلك، فغضبت سعدة وقالت فيه:

عليك بأنقاض العراق فقد علتْ ... عليك بتخدين[3] النساء الكرائمِ
لعمري لقد راش ابن سعدة نفسه ... بريش الذنابى لا بريش القوادمِ

(١) النقاخ: الماء الخالص البارد العذب الصافي.
(٢) قُصَرة: داني النسب. (٣) التخدين: المصاحبة.

بـنَـى لـك مـعـروفٌ بـنـاء هـدَمْـتَـه ولـلـشـرف الـعـادِيّ بـان وهـادمُ
[الطويل]

وهي القائلة ترثي ابنها الكميت:

لأمّ الـبـلاد الـويـلُ مـاذا تـضـمَّـنـت بـأكـنـافِ طـورى مـن عـفـافٍ ونـائـلِ
ومـن وقـعـاتٍ بـالـرجـال كـأنـهـا إذا عَـنَّـت الأحـداثُ وقـع الـمـنـاصـلِ
يُـعـزِّي الـمُـعـزِّي عـن كـمـيـتٍ فـتـنـتـهـي مـقـالـتُـه والـصـدر جـمُّ الـبـلابـلِ

وأعشى بني أسد أخو الكميت، واسمه خيثمة، الذي يقول يرثي الكميت وغيره من أهل بيته:

هـوِّنْ عـلـيـك فـإن الـدهـرَ مُـنـجـدبُ كـلُّ امـرىءٍ عـن أخـيـه سـوف يَـنْـشَـعِـبُ
فـلا يـغـرَّنْـكَ مـن دهـرٍ تَـقَـلُّـبُـه إن الـلـيـالـيَ بـالـفـتـيـان تـنـقـلِـبُ
نـام الـخـلـيُّ وبـتُّ الـلـيـل مُـرْتَـفِـقـاً كـمـا تـزاورَ[1] يـخـشـى دفَّـه[2] الـنَّـكِـبُ[3]
إذا رجـعـت إلـى نـفـسـي أُحـدثـهـا عـمَّـن تـضـمـن مـن أصـحـابـي الـقُـلُـبُ[4]
مـن أخـوة وبـنـي عـمٍّ رُزئـتـهـمُ والـدهـرُ فـيـه عـلـى مُـسـتـعـتِـبٍ عَـتَـبُ
عـاودْتُ وجـداً عـلـى وجـدٍ أكـابـده حـتـى تـكـاد بـنـاتُ الـصـدرِ تـلـتـهـبُ
هـل بـعـد صـخـرٍ وهـل بـعـد الـكُـمـيـت أخٌ أم هـل يـعـود لـنـا دهـرٌ فـنـصـطـحِـبُ؟
لـقـد عـلـمـتُ ولـو مُـلِّـيـتُ بـعـدَهـمُ أنـي سـأنـهـلُ بـالـشـرْب الـذي شَـرِبـوا
[البسيط]

ومعروف بن الكميت القائل:

قـد كـنـتُ أحـسـبـنـي جَـلـداً فـهـيَّـجـنـي بـالـشـيـب مـنـزِلـةٌ مـن أُمِّ عـمَّـارِ
كـانـت مـنـازل لا ورهـاء جـافـيـةً عـلـى الـحـدوج[5] ولا عُـطـلاً بـمـقـفـارِ
ومـا تـجـاورنـا إذ نـحـن نـسـكـنـهـا ولا تـفـرّقـنـا إلا بـمـقـدارِ
[البسيط]

---

(١) تزاور: انحرف وعدل.
(٢) الدفَّة: الجانب.
(٣) النكب: الذي أصابت الحجارة رجله وجرحتها.
(٤) القُلُب: الكثيرو التقلُّب.
(٥) الحدوج: مفردها الحدج وهو الحمل.

صـــوت

أرقـــت لـــبـــرق دونـــه شـــدَوانِ يـمـانٍ وأهـوى الـبـرق كـلّ يـمـانـي
فـلـيـت الـقِـلاصَ الأُدْمَ قـد وَخـدَتْ بـنـا بـــوادٍ يـــمـــانٍ ذي رُبـــاً ومَـــجـــانـــي

[الطويل]

الشعر ليعلى الأحول الأزدي، وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد، وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: هي ليعلى الأحول، كما روى غيره، قال: ويقال إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خنيس، ويقال إنها لجواس بن حيان من أزد عمان.

وأول هذه القصيدة، في رواية أبي عمرو، أبيات فيها غناء أيضاً وهي:

صـــوت

أويـحـكـمـا يـا واشِـيَـيْ أمّ مـعـمـر بـمـن وإلـى مـن جـئـتـمـا تـشـيـانِ[1]؟
بـمـن لـو أراه عـانـيـاً لـفـديـتـه ومـن لـو رآنـي عـانـيـاً لـفـدانـي

[الطويل]

لعريب في هذين البيتين ثقيل أول، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته، وقال ابن المكي: لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلها.

(١) تشيان (وشى): تكذبان، تُنمَّان.

أخبار يعلى ونسبه

اسمه ونسبه:

يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو بن والان ـ والان هو يشكر، ويشكر لَقَبٌ لُقّبَ به ـ بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ـ هكذا وجدته بخط المبرد ـ بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

شاعر لصّ:

شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني في خلافة مروان، قال أبو عمرو: وكان يعلى الأحول الأزدي لصّاً فاتكاً خارباً، وكان خليعاً، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيغير بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السابلة، فشُكي إلى نافع بن علقمة بن الحارث الكناني ثم الفقيمي، وهو خال مروان بن الحكم، وكان والي مكة، فأخذ به عشيرتَه الأدنين، فلم ينفعه ذلك، واجتمع إليه شيوخ الحي فعرّفوه أنه خليع قد تبرؤُوا منه ومن جرائره إلى العرب، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم، فلم يقبل ذلك منهم، وألزمهم إحضاره، وضم إليهم شُرطاً يطلبونه إذا طرق الحي حتى يجيئوه به، فلما اشتد عليهم في أمره طلبوه حتى وجدوه، فأتوا به، فقيده وأودعه الحبس، فقال في محبسه:

أرقـــت لـــبـــرقٍ دونـــه شَـــدَوَانِ ... يـمـانٍ وأهـوى الـبـرق كـلّ يـمـانِ
فـبـت لـدى الـبـيـت الـحـرام أُخـيـلـه ... ومِـــطْـــوَاي مـــن شـــوق لـــه أرِقـــانِ

[الطويل]

[المطو: الصاحب].

إذا قـلـت شِـيـمـاه يـقـولان والـهـوى ... يـصـادف مـنـهـا بـعـض مـا تـريـانِ
جرى منـه أطـراف الـشـرى[1] فـمـشـيَّع ... فـأبـيـان فـالـحـيَّـان مـن دمـرانِ
فـمـرَّان فـالأقـبـاص أقـبـاص أمـلـج ... فـمـاوان مـن واديـهـمـا شَـطـنـانِ

(١) الشرى: الطريق أو الناحية، ويقال «دخلوا أشراء الحَرَم» أي نواحيه.

هنالك لو طوَّفتما لوجدتما صديقاً من ٱخوان بها وغوانِ
وعزف الحمام الورق في ظل أيكة وبالحي ذو الرودين عزف قيانِ
ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَني لدى نافعٍ قُضِّينَ منذ زمانِ
وما بيَ بُغْضٌ للبلاد ولا قِلاً ولكنَّ شوقاً في سواه دَعاني
فليت القلاص الأُدْم قد وَخدتْ[1] بنا بوادٍ يمانٍ ذي رُباً ومَجاني
بوادٍ يمان يُنبت السِّدرَ صدرُه وأسفله بالمرْخ والشَّبَهَانِ
يدافعنا من جانبيه كليهما عزيفان من طرفائه هَذِيانِ
وليت لنا بالجوز واللوز غيلة جَناها لنا من بطن حلْية جاني

[الطويل]

الغيلة شجرة الأراك إذا كانت رُطبة، ويروى في موضع: من بطن حلية: من حب جيحة.

وليست لنا بالدِّيك مُكَّاء روضة على فنن من بطن حلية داني
وليت لنا من ماء حزنة شربة مبردة باتت على طهمان

[الطويل]

ويروى: من ماء حمياء.

صوت

إن السلام وحُسْنَ كلِّ تحيَّةٍ تغدُو على ابنِ مُجزِّز وتروحُ
هلّا فدَى ابنَ مُجَزِّز متفحِّش شنج اليدين على العطاء شحيحُ

[الكامل]

الشعر لجواس العذري، والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي من رواية حماد عن أبيه، في أخبار سائب خاثر وأغانيه.

(١) وخَدَت: أسرعت.

نسب جواس وخبره في هذا الشعر

اسمه ونسبه:

هو جواس بن قُطْبة العذري، أحد بني الأحب رهط بُثينة، وجواس وأخوه عبد اللَّه الذي كان يهاجي جميلاً ابنا عمها دِنْية، وهما ابنا قطبة بن ثعلبة بن الهون بن عمرو بن الأحب بن حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة.

جواس وجميل يتهاجيان:

وكان جواس شريفاً في قومه شاعراً، فذكر أبو عمرو الشيباني:

أن جميل بن عبد اللَّه بن معمر لما هاجى جوّاساً تنافرا إلى يهود تيماء فقالوا لجميل: يا جميل قل في نفسك ما شئت، فأنت واللَّه الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرَنّ أنت يا جميل أباك في فخر، فإنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء، عليه شَمْلة لا تواري استه. ونفَّروا عليه جوّاساً، قال: ونشب الشرُّ بين جميل وجواس، وكانت تحته أم الجُسَيْر أخت بثينة التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول:

يا خليليَّ إن أُمَّ جُسَيْرٍ ... حين يدنو الضجيعُ من عَلِلِهْ
روضةٌ ذات حَنوة وخُزامى[1] ... جاد فيها الربيع من سَبَلِهْ

[الخفيف]

فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاؤوا إلى جواس ليلاً وهو في بيته، فضربوه وعرَّوا امرأته أم الجسير في تلك الليلة، فقال جميل:

ما عرَّ جواس استها إذ يسبُّهم ... بصقرَيْ بني سفيان قيسٍ وعاصمِ
هما جرَّدا أم الجسير وأوقعا ... أمرَّ وأدهَى من وقيعةِ سالمِ

[الطويل]

يعني سالم بن دارة، فقال جواس:

ما ضُرِبَ الجَوَّاس إلا فجاءةً ... على غفلةٍ من عينه وهو نائمُ

(١) الحنوة والخُزامى: ضربان من النبات.

فإلَّا تعجِّلْني المنيَّةُ يصطبحْ بكأسك حِصْنَاكم حصينٌ وعاصمُ
ويعطى بنو سفيان ما شئت عنوةً كما كنت تعطيني وأنفك راغمُ[1]
[الطويل]

بين يدي مروان بن الحكم:

وقال أبو عمرو الشيباني:

حج مروان بن الحكم، فسار بين يديه جميل بن عبد اللَّه بن مَعْمَر، وجواس بن قطبة، وجواس بن القعطل الكلبي، فقال لجميل: انزل فَسُقْ بنا، فنزل جميلٌ فقال:

يا بَثْنُ حيِّي ودّعينا أو صِلي وهَوِّني الأمر فزُوري واعْجَلِي
ثُمَّت أيّاً ما أردْتِ فافعلي إني لآتي ما أتيت مُؤتلي[2]
[الرجز]

فقال له مروان: عَدِّ عن هذا، فقال:

أنا جميلٌ والحجاز وطني فيه هوى نفسي وفيه شَجَني
هذا إذا كان السّياق دَدَني[3]
[الرجز]

فقال لجواس بن قطبة: انزل أنت يا جواس فَسُقْ بنا، فنزل فقال ـ وقد كان بلغه عن مروان إنه توعده إن هاجى جميلاً ـ:

ولست بعبْد للمطايا أَسُوقها ولكنني أرمي بهنَّ الفيافيا[4]
أتانيَ عن مروانَ بالغيب أنه مُبيحٌ دمي أو قاطعٌ من لسانيا
وفي الأرض منجاةٌ وفسحة مذهبٍ إذا نحن رقَّقنا لهنَّ المثانيا
[الطويل]

فقال له مروان: أما إن ذلك لا ينفعك إذا وجب عليك حق، فاركبْ لا ركبت، ثم قال لجواس بن القعطل، ـ ويقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة ـ: انزل فارجزْ بنا، فنزل فقال:

---

(١) راغِمُ: مذلول عن كره.
(٢) المؤتلي: المقارب الخُطى.
(٣) الدَدن: اللعب واللهو.
(٤) الفيافي: مفردها الفيفاء، وهي الأرض التي لا ماء فيها.

يـقـول أمـيـري هـل تـسـوق ركـابـنـا ... فـقـلـت لـه: حـادٍ لـهـن سَـوَائـيـا
تـكـرَّمـتُ عـن سَـوْقِ الـمَـطِـيِّ ولـم يـكـن ... سِـيـاقُ الـمَـطِـيِّ هِـمَّـتـي ورجـائـيـا
جـعـلـت أبـي رَهـنـاً وعـرضـيَ سـادراً ... إلـى أهـل بـيـت لـم يـكـونـوا كِـفـائـيـا
إلـى شـرِّ بـيـتٍ مـن قـضـاعَـة مـنـصِـبـاً ... وفـي شـرِّ قـومٍ مـنـهـمُ قـد بـدا لـيـا

[الطويل]

فقال له: اركب لا ركبت.

جواس يرثي علقمة بن مجزز وصحبه:

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جواسُ بن قطبة العذريُّ علقمةَ بن مُجزّز الكناني، قال عمرو: وكان عمر بن الخطاب رضوان اللَّه عليه بعث علقمة بن مُجزز الكناني ثم المدلجي في جيش إلى الحبشة، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك، وإلا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سمّاً، فوردوه مُغترّين فشربوا منه فماتوا عن آخرهم، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً، فنبت ذلك النوى الذي ألقوه نخلاً في بلاد الحبشة، وكان يقال له: نخل ابن مجزّز، فأراد عمر أن يجهز إليهم جيشاً عظيماً فشُهد عنده أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم**»، وقال: «**وددت أن بيني وبينهم بحراً من نار**»، فقال جواس العذري يرثي علقمة بن مُجزّز:

إن الـسـلام وحـسـن كـلّ تـحـيـة ... تـغـدو عـلـى ابـن مُـجَـزّز وتـروحُ
فـإذا تـجـرد حـافـراك وأصـبـحـتْ ... فـي الـفـجـر نـائـحـةٌ عـلـيـك تـنـوحُ
وتـخـيَّـروا لـك مـن جـيـاد ثـيـابـهـمْ ... كـفَـنـا عـلـيـك مـن الـبـيـاض يـلـوحُ
فـهـنـاك لا تُـغـنـي مـودَّةُ نـاصـح ... حـذراً عـلـيـك إذا يُـسَـدُّ ضَـريـحُ
هـلا فـدَى ابـنَ مـجـزّز مـتـفـحِّـشٌ ... شَنِجُ اليدين[1] على العطاء شحيحُ[2]
مُـتـمـرِّغٌ[3] وَرِعٌ ولـيـس بـمـاجـدٍ[4] ... مـتـمـلّـح وحـديـثُـه مـقـبـوحُ

[الكامل]

وفيمن هلك مع ابن مجزز يقول جواس:

أَلَـهْـفِـي لـفـتـيـانٍ كـأن وجـوهـهـم ... دنـانـيـرُ وافـتْ مـهـلـكَ ابـنِ مُـجَـزِّز

(١) شنج اليدين: مقبوض اليدين كناية عن شدَّة البخل.
(٢) شحيح: بخيل.
(٣) المتمرِّغ: الطالب للخصب.
(٤) الماجد: الحَسَن الخُلُق، السَّمْح.

صـــوت

أحـــبَّـــتـــنـــا بـــأبـــي أنـــتـــمُ وسـقـيـاً لـكـم حـيـثـمـا كـنـتـمُ
أطـلـتُـم عـذابـي بـمـيـعـادكـمْ وقـلـتـم نـزور فـمـا زرتـمُ
فـأمـسـك قـلـبـي عـلـى لـوعـتـي ونـمَّـت دمـوعـي بـمـا أكـتـمُ
فـفـيـم أسـأتـم وأخـلـفـتـمُ وقِـدْمـاً وفَـيْـتُـمْ وأحـسـنـتـمُ

[المتقارب]

الشعر لإبراهيم بن المدبر، والغناء لعريب خفيف ثقيل.

أخبار إبراهيم بن المدبر

أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر، شاعر كاتب متقدم، عن وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم، وذوي الجاه والمتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله، وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة، كان يهواها وتهواه، ولهما في ذلك أخبار كثيرة، قد ذكرت بعضها في أخبار عريب، وأذكر باقيها هاهنا.

إبراهيم عند المتوكل:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال:

حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكل مرضةً خيف عليه منها، ثم عُوفي، وأذن للناس في الوصول إليه، فدخلوا على طبقاتهم كافَّة، ودخلت معهم، فلما رآني استدناني حتى قمت وراء الفَتْح، ونظر إليَّ مستنطقاً فأنشدته:

يـــوْمٌ أتـــانـــا بـــالـــســـرورِ ... فـــالـــحـــمـــدُ لـــلَّـــه الـــكـــبـــيـــرِ
أخـــلـــصـــتُ فـــيـــه شُـــكـــرَه ... ووفـــيـــت فـــيـــه بـــالـــنُّـــذورِ
لـــمـــا اعـــتـــلَـــلْـــتَ تـــصـــدَّعـــتْ ... شُـــعَـــبُ الـــقـــلـــوب مـــع الـــصـــدورِ
مـــن بـــيـــن مـــلـــتـــهـــبِ الـــفـــؤا ... دِ وبـــيـــن مـــكـــتـــئـــبِ الـــضـــمـــيـــرِ
يـــا عُـــدتـــي لـــلـــدِّيـــن والـــد ... نـــيـــا ولـــلـــخـــطـــب الـــخـــطـــيـــرِ
كـــانـــت جُـــفـــونـــي ثَـــرَّةَ[1] الْـــ ... ـآمـــاق بـــالـــدمـــعِ الـــغـــزيـــرِ
لـــو لـــم أمـــت جـــزعـــاً لَـــعـــمـــ ... ـرُك إنـــنـــي عـــيـــنُ الـــصـــبـــورِ
يـــومـــي هـــنـــالـــك كـــالـــسِّـــنـــي ... ـنَ وســـاعـــتـــي مـــثـــل الـــشـــهـــورِ
يـــا جـــعـــفـــر الـــمـــتـــوكـــل الـــ ... ـعـــالـــي عـــلـــى الـــبـــدر الـــمـــنـــيـــرِ
ألـــيـــوم عـــاد الـــديـــن غـــضّ[2] ... الـــعـــود ذا وَرَق نـــضـــيـــرِ

(١) الثرَّة: الندى.
(٢) الغضَّ: الطري الأخضر.

والـيـوم أصـبـحـت الـخـلا فـة وهـي أرسـى مـن ثَـبـيـرِ[1]
قـد حـالـفَـتْـكَ وعـاقَـدَتْـك عـلـى مُـطـاولـةِ الـدهـورِ
يـا رحـمـةً لـلـعـالـمـيـن ويـا ضـيـاءَ الـمـسـتـنـيـرِ
يـا حُـجَّـةَ الـلَّـهِ الـتـي ظـهـرتْ لـه بـهُـدًى ونـورِ
لـلَّـه أنـتَ فـمـا نُـشـا هِـدُ مـنـك مـن كـرمٍ وخـيـرِ
حـتـى نـقـولَ ومَـنْ بِـقُـرْ بِـك مـن ولـيٍّ أو نـصـيـرِ
ألـبـدرُ يَـنـطـقُ بـيـنـنـا أمْ جـعـفـرٌ فـوق الـسـريـرِ؟
فـإذا تـواتـرت الـعـظـا ئـمُ كـنـتَ مـنـقـطِـعَ الـنَّـظـيـرِ
وإذا تـعـذَّرت الـعَـطـا يـا كـنـتَ فـيَّـاض الـبـحُـورِ
تُـمْـضـي الـصـوابَ بـلا وَزيـ ـرٍ أَو ظـهـيـرٍ أو مُـشـيـرِ

[مجزوء الكامل]

فقال المتوكل للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نيَّة خالصة ووُدٍّ محض، وما قضينا حقّه، فتقدّمْ بأن يحمل إليه الساعةَ، خمسون ألف درهم، وتقدَّمْ إلى عبد اللَّه بن يحيى بأن يُولِّيه عملاً سَرِيّاً ينتفع به.

إبراهيم في الحبس:

حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح قال:

كان أحمد بن المدبر وَلِيَ لعبيد اللَّه بن يحيى بن خاقان عملاً، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن يَنكبه، وبلغ أحمدَ ذلك، فهرب، وكان عبيد اللَّه منحرفاً عن إبراهيم، شديد النفاسة عليه، لرأى المتوكل فيه، فأغراه به، وعرفه خبر أخيه، وادّعى عليه مالاً جليلاً، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدره عليه، حتى أذن له في حبسه، فقال وهو محبوس:

تـسَـلَّ فـلـيـس طـولَ الـحـبـس عـارُ وفـيـه لـنـا مـن الـلَّـه اخـتـبـارُ
فـلـولا الـحـبـسُ مـا بُـلـيَ اصـطـبـارٌ ولـولا الـلـيـلُ مـا عُـرف الـنـهـارُ
ومـا الأيـامُ إلا مُـعـقِـبـات ولا الـسـلـطـانُ إلا مُـسـتـعـارُ
[وعـن قـدَرٍ حُـبـسْـتُ فـلا تَـضِـلِّـي وفـيـمـا قَـدَّر الـلَّـه الـخـيـارُ]

(١) ثبير: جبل.

سـيُـفْـرِج مـا تـريـن إلـى قـلـيـل مُـقـدِّرُهُ وإن طـال الإسـارُ[١]
[الوافر]

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسان مختارة، منها قوله في قصيدة أولها:

أدمـوعـهـا أم لـؤلـؤ مـتـنـاثـرُ يـنْـدى بـه ورْدٌ جَـنِـيٌّ نـاضـرُ؟

يقول فيها:

لا تـؤْيِـسَـنّـك مـن كـريـم نَـبْـوةٌ[٢] فـالـسـيـف يـنـبـو وهـو عـضْـب بـاتـرُ
هـذا الـزمـانُ تـسـومـنـي أيـامُـه خَـسْـفـاً وهـا أنـا ذا عـلـيـه صـابـرُ
إنْ طـال لـيـلـي فـي الإسـار فـطـالـمـا أفـنـيـتُ دهـراً لـيـلُـه مـتـقـاصِـرُ
والـحـبـس يَـحـجـبـنـي وفـي أكـنـافـه مِـنِّـي عـلـى الـضَّـرَّاء لـيـثٌ خـادرُ[٣]
عـجـبـاً لـه كـيـف الـتـقـتْ أبـوابُـه والـجـودُ فـيـه والـغَـمـامُ الـبـاكـرُ
هـلا تـقـطَّـع أو تـصـدَّع أوْ وَهَـى فـعَـذرتـه لـكـنَّـه بـيَ فـاخـرُ
[الكامل]

ومنها قوله في قصيدة أولها:

ألا طرقْت سَلمى لدى وقعةِ الساري فـريـداً وحـيـداً مـوثـقـاً نـازح الـدارِ
هـو الـحـبـس مـا فـيـه عـلـيّ غـضـاضـةٌ وهل كان في حبس الخليفةِ من عارِ؟
[الطويل]

يقول فيها:

ألـسـتِ تـرَيـن الـخـمـرَ يـظـهـرُ حُـسـنـهـا وبَـهـجـتُـها بـالـحـبـس فـي الطِّـينِ والـقـارِ[٤]
ومـا أنـا إلا كـالـجـوادِ يَـصـونـه مُـقَـوِّمـه لـلـسَّـبْـق فـي طـيِّ مِـضـمـارِ
أو الـدُّرَّةِ الـزهـراءِ فـي قـعْـرِ لُـجَّـةٍ فـلا تُـجْـتـلـى إلا بَـهـولٍ وأخـطـارِ
وهـل هـو إلا مـنـزلٌ مـثـل مـنـزلـي وبـيـتٌ ودارٌ مـثـل بـيـتـيَ أو داري؟
فـلا تُـنـكـري طـولَ الـمَـدى وأذى الـعِـدَا فـإن نـهـايـاتِ الأمـورِ لإقـصـارِ
لـعـلَّ وراءَ الـغـيـبِ امـراً يَـسـرُّنـا يُـقـدِّره فـي عِـلْـمـه الـخـالـقُ الـبـاري

(١) الإسار: ما يُشدَّ به جمعها أُسُر والمراد هنا الأسر.
(٢) النَّبوة: نبا نبوَة تعني كلَّ.
(٣) الخادر: القابع في مكانه لا يبرحه.
(٤) القار: الزِّفت.

وإنـي لأرجـو أن أصـولَ بـجـعـفـر فـأهـضِـم أعـدائـي وأُدرِك بـالـثـارِ
[الطويل]

محمد بن عبد اللَّه بن طاهر يخلصه:

فأخبرني عمي، عن محمد بن داود: أن حبسه طال، فلم يكن لأحد في خلاصه من حيلة مع عَضْل عبيد اللَّه وقصدِه إياه، حتى تخلَّصه محمدُ بنُ عبد اللَّه بن طاهر، وجَوَّد المسألة في أمره، ولم يلتفت إلى عبيد اللَّه، وبذل أن يحتمل في ماله كلَّ ما يُطالب به، فأعفاه المتوكل من ذلك، ووهبه له، وكان إبراهيم استغاث به ومدحه فقال:

دعـوتُـك مـن كَـرْبٍ فـلـبَّـيْـتَ دعـوتـي ولـم تـعـتـرِضـنـي إذ دعـوتُ الـمـعـاذِرُ
إلـيـك وقـد جـلَّـيْـت أوردْتُ هِـمَّـتـي وقـد أعـجـزْتـنـي عـن هُـمـومـي الـمـصـادِرُ
نـمَـى بـك عـبـدُ الـلَّـه فـي الـعِـزِّ والـعـلا وحـاز لـك الـمـجـدَ الـمُـؤثَّـلَ[1] طـاهـرُ
فـأنـتـم بـنـو الـدنـيـا وأمـلاكُ جَـوّهـا وسـاسـتـهـا والأعـظـمـون الأكـابـرُ
مـآثـر كـانـت لـلـحُـسـيـنِ ومـصـعـبٍ وطـلـحـةَ لا تَـحْـوي مـداهـا الـمَـفـاخـرُ
إذا بَـذَلـوا قـيـل الـغـيـوثُ الـبـواكـرُ وإن غـضـبـوا قـيـل الـلـيـوث الـهـواصـرُ[2]
تـطـيـعُـكُـم يـوم الـلـقـاءِ الـبـواتـرُ وتـزهـو بـكـم يـوم الـمـقـامِ الـمـنـابـرُ
ومـا لـكـمُ غـيـرَ الأسـرَّة مـجـلـسٌ ولا لـكـمُ غـيـر الـسـيـوف مـخـاصِـرُ
ولـي حـاجـة إن شـئـتَ أحـرزْتَ مـجـدَهـا وسـرّكَ مـنـهـا أولٌ ثـمَّ آخـرُ
كـلامُ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـن وعـطْـفُـه فـمـالـيَ بـعـدَ الـلَّـه غـيـرَك نـاصـرُ
وإن سـاعـد الـمـقـدورُ فـالـنُّـجْـع واقـعٌ وإلا فـإنـي مُـخْـلِـصُ الـوُدّ شـاكِـرُ
[الطويل]

كتاب عريب أحسن من صوت معبد:

حدثني جعفر بن قدامة قال:

كتبت عريب من سُرِّ مَنْ رأى إلى إبراهيم بن المدبر كتاباً تتشوَّقه فيه، وتخبره باستيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفة في أمره، فوعدها بما تُحبّ، فأجابها عن كتابها، وكتب في آخر الكتاب:

(١) المؤثَّل: المزكَّى والمؤصَّل.
(٢) الهواصر: الدَّوافع.

لـعـمـرُك مـا صـوتٌ بـديـع لـمَـعْـبـدٍ بـأحـسـنَ عـنـدي مـن كـتـابِ عـريـبِ
تـأمـلـت فـي أثـنـائـه خَـطَّ كـاتـبٍ ورِقَّـةَ مـشـتـاقٍ ولـفـظَ خـطـيـبِ
وراجـعـنـي مـن وَصْـلِـهـا مـا اسـتـرَّقـنـي وزهَّـدنـي فـي وصـلِ كـلِّ حـبـيـبِ
فـصـرْتُ لـهـا عـبـداً مُـقـرّاً بـمِـلْـكـهـا ومُـسـتـمـسـكـاً مـن وُدِّهـا بـنـصـيـبِ
[الطويل]

يقبل على نبت وتدبر عنه :

أخبرني جعفر بن قدامة قال :

كان علي بن يحيى المنجم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسرّ من رأى، على حال أنس، وكانت تغنيهم جارية يقال لها نبْت، جارية البكرية المغنية، من جواري القِيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبر بنظره ومَزْحه وتجميشه، وهي مقبلة على فتى كان هناك أمرد من أولاد الموالي يقال لها مظفر، كانت تهواه، وكان أحسن الناس وجهاً، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن افترقوا، فكتب إليه علي بن يحيى يقول :

لـقـد فـتـنـتْ نـبـتٌ فـتـى الـظـرْف والـنَّـدى بـمُـقـلـةِ ريـمٍ فـاتـرِ الـطَّـرْف أحـورِ
وشَـدْوٍ يـروُقُ الـسـامـعـيـن ويـمـلأ الـ ـقـلـوبَ سـروراً مُـونـقٍ مُـتَـخَـيَّـرِ
فـأصـبـح فـي فـخِّ الـهـوى مُـتـقَـنَّـصـاً عـزيـز عـلـى إخـوانـه ابـنُ الـمـدبِّـرِ
ولـم تـدرِ مـا يـلـقـى بـهـا ولـو أنـهـا دَرَتْ رَوَّحَـتْ مـن حَـرِّه الـمـتـسـعِّـرِ
وذاك بـهـا صـبٌّ ونـبـتٌ خَـلِـيَّـةٌ ومـشـغـولـة عـنـه بـوجـهِ مُـظَـفَّـرِ
ولـو أنـصـفـتْ نـبـتٌ لـمـا عَـدَلـتْ بـه سِـواه وحـازت حُـسْـنَ مـرأى ومَـخـبَـرِ
[الطويل]

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر :

طَـربْـت إلـى قُـطْـرَبّـل وبـلَـشْـكـرِ وراجـعـتُ غـيّـاً لـيـس عـنِّـي بـمُـقـصـرِ
وذكَّـرنـي شـعـر أتـانـيَ مُـونـقٌ حـبـائـبَ قـلـبـي فـي أوائـل أعْـصُـرِ
فـنـهـنـهـتُ نـفـسـي عـن تـذكُّـر مـا مـضـى وقـلـتُ أفـيـقـي لاتَ حـيـنَ تـذكُّـرِ
أَبَـا حـسـنٍ مـا كـنـتَ تُـعـرَف بـالـخَـنـا ولا بـعـلُـوٍّ فـي الـمـكـان الـمـؤخَّـرِ
ومـا زلـتَ مـحـمـود الـشـمـائـلِ مُـرتـضـى الـ ـخـلائـق مـعـروفـاً بـعُـرْف ومُـنـكـرِ
أتـرمـي بـنَـبْـتٍ مـن جـفـاهـا تَـخَـيُّـراً وبـاعَـدهـا عـنـه بـرأيٍ مُـوفَّـرِ؟

ودافَعها عن سرِّها وهي تشتكي ... إليه تباريح الهَوَى المتسعّرِ
ولو كان تبَّاعاً دواعيَ نفسِه ... إذاً لقضى أوطارَه ابنُ المدبّر
على أنه لو حَصحصَ الحقُّ باعها ... ولو كان مشغوفاً بها بمُظَفّرِ
بلؤلؤةٍ زهراءَ يُشرق ضَوْؤُها ... وغُرَّة وجهٍ كالصباح المُشَهَّرِ
إلى اللَّه أَشكُو إنَّ هذا وهذه ... غزَالا كثيبٍ ذي أقاحٍ مُنَوَّرِ
وأنت فقد طالبتَها فوجدْتَها ... لها خُلُقٌ لا يرْعَوي ذو تَوَعُّرِ
وحاولت منها سَلْوةً عن مُظفّرٍ ... فما لان منها العِطْفُ عند التحيُّرِ
نصحتُك عن وُدٍّ ولم أكُ جاهداً ... فإن شئت فاقبل قول ذي النصح أو ذَرِ
[الطويل]

فكتب إليه علي بن يحيى المنجم:

لعمري لقد أحسنتَ يا ابنَ المدبّر ... وما زلت في الإحسان عَيْن المُشَهَّرِ
ظَرْفتَ ومن يجمعْ من العلم مثل ما ... جمعتَ أبا إسحاقَ يَظرفْ ويُشْهَرِ
[الطويل]

ولإبراهيم في نبت هذه أشعار كثيرة، منها قوله:

نبتٌ إذا سكتَتْ كان السكوت لها ... زَيناً وإن نطقتْ فالدُرُّ ينتثِرُ
وإنما أقصدتْ قلبي بمقلتها ... ما كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَترُ
[البسيط]

وقوله أيضاً:

يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤاد بكمْ ... وأنتِ واللَّه أحلى الخلقِ إنسانا
ألا صِلِيني فإني قد شُغِفت بكمْ ... إن شئتِ سرّاً وإن أحببْتِ إعلانا
[البسيط]

خاتما عريب:

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

كان في أصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له عريب، وكانا مشهورين لها، فاجتمع مع أبي العبيس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب، فلما سكرا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العبيس، ويقيم عنده من غد إن لم يُرَ الهلال، وأخذ الخاتمين منه رهناً. ورُئي الهلال في تلك الليلة، وأصبح الناس

صياماً، فكتب إبراهيم إلى أبي العبيس يطالبه بالخاتمين، فدافعه وعبث به، فكتب إليه من غد.

كـيـف أصـبـحـتَ يـا جُـعـلـتُ فِـدَاكـا إنـنـي أشـتـكـي إلـيـك جَـفَـاكـا
قـد تـمـادى بـك الـجـفـاء ومـا كـ ـنـت حـقـيـقـاً ولا حَـرِيّـاً بـذاكـا
كُـنْ شـبـيـهـاً بـمـن مـضـى جـعـل الـلَّـهُ لـك الـعـمـرَ دائـمـاً ورعـاكـا
إن شـهـر الـصـيـام شـهـرُ فـكـاكٍ أنـت فـيـه ونـحـن نـرجـو الـفَـكـاكـا
فـاردُدِ الـخـاتَـمـيـنِ ردّاً جـمـيـلاً قـد تَـوَلَّـعْـت فـيـهـمـا مـا كَـفـاكـا
يـا أبـا عَـبْـدِ الـلَّـهِ دَعـوة داعٍ يَـرتـجـي نُـجْـحَ أمـرِه إذ دعـاكـا

[الخفيف]

يعني أبا عبد اللَّه بن حمدون والد أبي العُبيس المخاطب بهذا الشعر.

خـاتـمـايَ الـلّـذان عـنـد أبـي الـعـبـا س قـد شَـارفـا لـديـه الـهـلاكـا
وهْـو حُـرٌّ وقـد حـكـاك كـمـا أنَّـ ـك فـي الـمـكـرمـات تَـحـكـي أبـاكـا

[الخفيف]

فبعث بالخاتمين إليه.

عريب تقترح حضور أبي العبيس:

وأخبرني جعفر قال:

زارت عريب إبراهيم بن المدبر وهو في داره على الشاطئ في المطيرة، واقترحت عليه حضور أبي العبيس، فكتب إليه إبراهيم:

وقـلْ لابـن حـمـدونَ ذاك الأريـبِ[1] وذاك الـظـريـفِ وذاك الـحَـسـيـبِ
كـتـابـي إلـيـك بـشـكـوى عَـرِيـبِ لـوجـدٍ شـديـدٍ وشـوقٍ عـجـيـبِ
وشـوقـي إلـيـكَ كـشـوقِ الـغـريـبِ إلـى أرضـه بـعـد طُـولِ الـمَـغـيـبِ
ويَـومـيَ إن أنـتَ تـمَّـمْـتَـه بـقُـربـك ذُو كُـلِّ حُـسْـنٍ وطِـيـبِ
حـبـانـي الـزمـانُ كـمـا أشـتـهـي بـقُـربِ الـحـبـيـبِ وبُـعْـدِ الـرَّقـيـبِ
فـمـا زلـتُ أشـربُ مـن كَـفِّـه وأسـقـيـه سَـقْـيَ الـلـطـيـفِ الأديـبِ
ويـشـكـو إلـيَّ وأشـكـو إلـيـهِ بـفـعـلِ عـفـيـفٍ وقـولٍ مُـريـبِ

(١) الأريب: العاقل.

إلى أن بَدَا لِيَ وجهُ الصباح ... كوجهك ذاك العجيبِ الغريبِ
فلا تُخْلِنا بانظام السرو ... رِ منك فأنت شفاءُ الكئيبِ
وغَنِّ لنا هَزجاً مُمْسِكاً ... تَخِفُّ له حركاتُ اللبيبِ
فإنك قد حُزْتَ حُسنَ الغِناء ... وقد فُزْتَ منه بأوْفى نصيبِ
وكُن بأبي أنت رَجْعَ الجوابِ ... فِدَاؤك أنفُسنا من مُجيبِ

[المتقارب]

أبو العبيس يبدأ وإبراهيم يكمل:

أخبرني جعفر قال:

غنى أبو العبيس بن حمدون يوماً عند إبراهيم بن المدبر.

صوت

إني سألتك بالذي ... أدنى إليك من الوَريدِ
ألَّا وصلْت حبالنا ... وكفيتنا شرَّ الوعيدِ

[مجزوء الكامل]

فزاد فيه إبراهيم بن المدبر قوله:

ألهجرُ لا مُستحسنٌ ... بعد المواثقِ والعُهودِ
وأراكِ مُغْراةً به ... أفما غَرِضتِ[1] من الصدودِ؟
إني أُجدِّد لذَّتي ... ما دمتُ في يوم جديدِ
شُربي مُعتَّقةُ الكرو ... مِ ونُزهتي وَرْدُ الخدودِ

[مجزوء الكامل]

فغنى أبو العبيس في هذه الأبيات متصلة باللحن الأول في البيتين، وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأولان ليسا له.

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم لأبي العبيس، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق، وفيهما لريّق ثاني ثقيل بالوسطى.

---

(١) غرِضتِ: مَلَلْتِ وضجرتِ.

قال جعفر:

وغنَّته يوماً كراعةُ بسرَّ من رأى ونحن حضور عنده:

يـا مـعـشـرَ الـنـاسِ أمـا مُـسـلِـمٌ يَـشـفـع عـنـد الـمـذنـبِ الـعـاتـبِ؟
ذاك الـذي يَـهـرب مـن وصْـلـنـا تَـعـلَّـقـوا بـالـلَّـه، بـالـهـاربِ
[السريع]

فزاد فيهما قوله:

مـلَـكـتـه حَـبـلـي ولـكـنـه ألـقـاه مـن زُهـدٍ عـلـى غـاربِـي
وقـال إنـي فـي الـهـوى كـاذِبٌ فـانـتـقـم الـلَّـهُ مـن الـكـاذبِ
[السريع]

إبراهيم يستشفع بابن حمدون:

حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود قال:

كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد اللَّه بن حمدون في أيام نكبته يسأله إذكار المتوكل والفتح بأمره:

كـم تُـرى يَـبـقـى عـلـى ذا بـدنـي قـد بَـلِـي مـن طـول هَـمٍّ وضَـنِـي
أنـا فـي أسـرٍ وأسـبـابِ رَدًى وحَـديـد فـادحٍ يَـكْـلِـمُـنـي
يـا ابـن حـمـدونَ فـتـى الـجـودِ الـذي أنـا مـنـه فـي جَـنـى ورْدٍ جَـنِـي
مـا الـذي تـرقـبـه أم مـا تـرى فـي أخ مُـضـطـهـد مُـرتـهَـنِ؟
وأبـو عـمـران مـوسـى حَـنِـق[1] حـاقـدٌ يـطـلـبـنـي بـالإحَـنِ[2]
وعـبـيـد الـلَّـه أيـضـاً مـثـلُـه ونـجـاحٌ بـي مُـجِـدٌّ مـا يَـنـي
لـيـس يـشـفـيـه سـوى سَـفـكِ دمـي أو يـرانـي مُـدْرَجـاً فـي كـفَـنـي
والأمـيـرُ الـفـتـح إن أَذكَـرْتَـه حُـرْمـتـي قـام بـأمـري وعُـنـي
فـأْلُ صِـدْقٍ حـيـن أدعـو بـاسـمـه وسـرور حـيـن يَـعْـرو حـزَنـي
قُـل لـه يـا حُـسْـنَ مـا أوليـتـنـي مـا لِـمـا أوليـتَـنـي مـن ثَـمَـنِ
زاد إحـسـانَـكَ عـنـدي عِـظَـمـاً أنـه بـادٍ لـمـن يَـعـرِفُـنـي

---

(١) الحَنِق: المغتاظ.

(٢) الإحَن: مفردها الإحْنَة وهي الحِقد والغضب.

لست أدري كيف أجزيك به ... غير أني مُثقَل بالمِننِ
ما رأى القوم كذنبي عندهمْ ... عُظْم ذنبي أنني لم أَخُنِ
ذاك فِعلي وتُراثي عن أبي ... واقتدائي بأخي في السَّننِ
سنَّةٌ صالحةٌ معروفة ... هي منا في قديم الزمنِ
ظفر الأعداءُ بي عن حيلةٍ ... ولعلَّ اللَّه أن يُظْفِرني
ليت أني وهُمُ في مجلس ... يَظهَرُ الحَقُّ به للفَطِنِ
فترى لي ولهم ملحمة ... يَهْلِك الخائنُ فيها والدَّني
والذي أسأل أنْ يُنصفني ... حاكمٌ يَقْضي بما يَلْزمني
قُلْ لحمدونٍ خليلي وابنِه ... ولعيسى حَرِّكوه يا بَني

[الرمل]

يعني: يا بني الزانية، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه.

قول خبير مجرب:

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال:

كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسر من رأى، فقال فيها:

غادرْت قلبي في إسار لديكِ ... فالويل لي منك وَوَيلي عليكِ
قد يعلم اللَّه على عرشهِ ... أني أعاني الموتَ شوقاً إليكِ
مُنِّي بفَكِّ الأسر أو فاقتلي ... أيهما أحببتِ من حُسْنَيَيْكِ
قد كنت لا أَعْدو على ظالم ... فصرت لا أُعْدى على مقلتيكِ
ألخمر من فيكِ لمن ذاقَهُ ... والورْدُ للناظرِ من وجنَتيْكِ
يا حسرتا إن متُّ طوْعَ الهوى ... ولم أنل ما أرتجيه لديْكِ

[السريع]

وأنشدها أبو عبد اللَّه بن حمدون هذه الأبيات، وغنت بها، وجعل يكرر قوله:

ألخمر مِنْ فِيْكِ لِمَنْ ذاقَهُ

ويقول: هذا واللَّه قول خبير مجرّب، فاستحيت من ذلك، وسبَّت إبراهيم، فبلغه ذلك، فكتب إلى أبي عبد اللَّه يقول:

ألم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ في السَّحَرِ؟ ... بَلى وهَيَّجَ من وَجْدٍ ومن ذِكَرِ

ما زال دمعي غزيرَ القَطْر منسجماً ... سحّاً[١] بأربعةٍ تَجري من الدُّرَرِ
وقلت للغيث لما جادَ وابلُه ... وما شجاني من الأحزانِ والسهرِ
يا عارِضاً ماطِراً أمطِرْ على كبدي ... فإنها كبِدٌ حَرَّى من الفِكَرِ
لشدَّ ما نال مني الدهْرُ واعتلقت ... يدُ الزمانِ وأوهَتْ من قُوَى مِرَري
يا واحدي من عبادِ اللَّه كُلِّهمُ ... ويا غِناي ويا كهفي ويا وَزَري
أحين أنشدْت شِعري في مُعذِّبتي ... أما رثيتَ لها من شِدَّة الحَصَرِ[٢]؟
وما شفعتَ به شعري وقلت به ... في ريقها البارِد السلسال ذي الخَصَرِ
لبئس مُستنصحاً في مثل ذلك يا ... نفسي فداؤك من مُستنصح غَدِرِ
واليومُ يومٌ كريمٌ ليس يُكْرِمه ... إلا كريمٌ من الفتيان ذُو خَطَرِ
نشدتُك اللَّهَ فاصحَبْه بصُحبته ... مُباكِراً فألذُّ الشُّربِ في البُكَرِ
واجمعْ ندامالك فيه واقترحْ رَمَلاً ... صوتاً تُغنّيه ذات الدّلّ والخَفَرِ
يرتاحُ للدَّجْنِ قلبي وهو مُقْتَسَمٌ ... بين الهموم ارتياحَ الأرضِ للمطرِ
يا غادراً يا أحبَّ الناس كلِّهمُ ... إليَّ واللَّهِ من أُنثى ومن ذَكرِ
ويا رجائي ويا سُؤْلي ويا أملي ... ويا حياتي ويا سمعي ويا بصري
ويا مُنايَ ويا نُوري ويا فرحي ... ويا سروري ويا شمسي ويا قمري
لا تقبلي قولَ حُسَّادي عليَّ ولا ... واللَّهِ ما صدقوا في القول والخَبَرِ
أدالني اللَّهُ من دَهْرٍ يُضعضعني ... فقد حُجِبْتُ عن التّسليم والنّظرِ
إن يحجبوا عنك في تقديرهم بصري ... فكيف لم يحجبوا ذِكري ولا فِكَري؟
يا قومُ قلبي ضعيفٌ من تذكُّرها ... وقلبُها فارغٌ أقسى من الحَجَرِ!!
ألَّلهُ يعلم أني هائمٌ دَنِفٌ[٣] ... بغادَةٍ ليتها حَظِّي من البشَرِ

[البسيط]

مجلس إبراهيم:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني عبد اللَّه بن محمد المروزي قال:

(١) السحّ: الصَّب والسيلان. (٢) الحَصَر: التضييق.
(٣) الدَّنِف: المريض مرضاً ثقيلاً يلازمه.

حدثني الفضل بن العباس بن المأمون، قال: زارتني عريب يوماً، ومعها عدَّة من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحدثت معنا ساعة، وسألتُها أن تقيم عندنا، فأبت وقالت: قد وعدت جماعة من أهل الأدب والظرف أن أصير إليهم، وهم في جزيرة المربد، منهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة، فحلفت عليها فأقامت، ودعت بدواة وقرطاس، وكتبت إليهم سطراً واحداً: بسم اللَّه الرحمن الرحيم أردت، ولولا، ولعلي.

ووجَّهت بالرقعة إليهم، فلما وصلت قرؤوها وعَيُوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبر، فكتب تحت أردت: ليت، وتحت لولا: ماذا، وتحت لعلي: أرجو.

ووجه بالرقعة إليها، فلما قرأتها طربت ونعرت[١] وقالت: أنا أترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ تركني اللَّهُ إذاً من يديه. وقامت فمضت إليهم، وقالت: لكم فيمن أتخلَّفه عندكم من جواريّ كفاية.

مكاتبات عريب لإبراهيم:

أخبرني محمد بن خلف قال:

حدثني عبد اللَّه بن المعتز قال: قرأت في مكاتبات لعريب فَصْلاً أجابت به إبراهيم بن المدبر مكاتبة بديعة بعيادة:

قد استبطأت عيادتك ـ قُدِّمت قبلك ـ أستديم اللَّه نعمه عندك.

قال: وكتبت إليه أيضاً:

استوهب اللَّه حياتك، قرأت رقعتك المسكينة، التي كلفتها بمسألتك عن أحوالنا، ونحن نرجو من اللَّه أحسن عوائده عندنا، وندعوه ببقائك، ونسأله الإجابة، فلا تعوِّد نفسك ـ جعلني اللَّه فداءها ـ هذا الجفاء، والثقة مني بالاحتمال وسرعة الرجوع.

وكتبت إليه وقد بلغها صومه يوم عاشوراء:

قبل اللَّه صومك، وتلقاه بتبليغك ما التمست، كيف ترى نفسك؟ ـ نفسي فداؤك ـ ولم كدَّرت جسمك في آبٍ؟ أخرجه اللَّه عنك في عافية، فإنه فظّ غليظ، وأنت محرور[٢]، وإطعام عشرة مساكينَ أعظم لأجرك، ولو علمت لصمت لصومك

(١) نَعَرت: صاحت.

(٢) المَحْرور: من تداخلته حرارة الغيظ.

مساعدة، وكان الثواب في حسناتك دوني، لأن نيتي في الصوم كاذبة.

غريب بين أهله وجيرته:

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

اتصلت لعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسى وخدمتها فيما هنالك، فلم يرها إبراهيم بن المدبر مدة، فكتب إليها:

صـــوت

إلـى الـلَّـه أشـكـو وحـشـتـي وتـفـجُّـعـي ... وبُـعْـدَ الـمَـدَى بـيـنـي وبـيـن عَـريـبِ
مـضـى دُونـهـا شـهـران لـم أَحْـلُ فـيـهـمـا ... بِـعـيـش ولا مـن قُـرْبـهـا بـنـصـيـبِ
فـكـنـتُ غـريـبـاً بـيـن أهـلـي وجِـيـرتـي ... ولـسـتُ إذا أبـصـرتـهـا بـغَـريـبِ
وإن حـبـيـبـاً لـم يـرَ الـنـاسُ مـثـلـه ... حـقـيـقٌ بـأن يُـفْـدى بـكـل حـبـيـبِ

[الطويل]

لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز، وهو من مشهور غنائها.

عود إلى مكاتبات عريب:

وقال ابنُ المعتز في ذكره مكاتبات عريب إلى إبراهيم بن المدبر.

وقد كتب إليها يشكو علته:

فكيف أصبحْتَ أنعمَ اللَّهُ صباحك ومبيتك؟ وأرجو أن يكون صالحاً، وإنما أردتَ إزعاج قلبي فقط.

وكتبت إليه تدعو له في شهر رمضان:

أفديك بسمعي وبصري، وأهلَّ اللَّه هذا الشهر عليك باليُمن والمغفرة، وأعانك على المُفترَض فيه والمتنفَّل، وبلِّغك مثله أعواماً، وفرَّج عنك وعني فيه.

قال: وكتبت إليه:

فداؤك السمع والبصر، والأم والأب، ومن عرفني وعرفته، كيف نفسك ـ وقيتُها الأذى ـ؟ وأعمى اللَّهُ شانئك ومقَّه اللَّه عند هذه الدعوة، وأرجو أن تكون قد أجيبت إن شاء اللَّه، وكيف ترى الصوم؟ عرفك اللَّه بركته، وأعانك على طاعته، وأرجو أن تكون سالماً من كل مكروه، بحول اللَّه وقوته، وواشوقي إليك، وواوحشتي لك،

ردَّك اللَّه إلى أحسن ما عوّدك، ولا أشمت بي فيك عدوّاً ولا حاسداً، وقد وافاني كتابك لا عدمته إلا بالغنى عنه بك، وذكرت حامله، فوجهت رسولي إليه ليدخله، فأسأله عن خبرك، فوجدته منصرفاً، ولو رأيته لفرشت خدي له، وكان لذلك أهلاً.

وكتبت إليه وقد عتبت عليه في شيء بلغها عنه:

وهب اللَّه لنا بقاءك ممتعاً بالنعم، ما زلت أمسِ في ذكرك، فمرة بمدحك، ومرة بشكرك، ومرة بأكلك، وذكرك بما فيه لوناً لوناً، أجحد ذنبك الآن وهاتِ حُجج الكُتَّاب ونفاقهم، فأما خبرنا أمس فإنَّا شربنا من فضلة نبيذك على تذكارك رطلاً رطلاً، وقد رفعنا حُسباننا إليك، فارفع حُسبانك إلينا، وخبِّرنا من زارك أمسِ وألهاك، وأي شيء كانت القصة على جهتها، ولا تُخطرفْ[1] فتُحوجنا إلى كشفك، والبحث عنك وعن حالك، وقل الحق، فمن صدق نجا، وما أحوجك إلى تأديب، فإنك لا تُحسن أن تؤدّبه، والحقَّ أقول إنه يعتريك كُزازٌ[2] شديد يجوز حدّ البرد، وكفاك بهذا من قولي عقوبة، وإن عدتَ سمعتَ أكثر من هذا، والسلام.

أبو الشَّر:

حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود قال:

كان عيسى بن إبراهيم النصراني ـ المكنى أبا الخير كاتبَ سعيد بن صالح ـ يسعى على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته، فلما زالت ومات سعيد نُكِب عيسى بن إبراهيم وحبس ونُهبت داره، فقال فيه إبراهيم بن المدبر:

قل لأبي الشرِّ إن مررْتَ به ... مقالةً عرِّيَتْ من اللَّبَسِ[3]
أَلبسك اللَّه من قوارعه ... آخذةً بالخناق والنَّفَسِ
لا زلتَ يا ابن البظراء مُرتَهناً ... في شرِّ حال وضيقٍ مُحتَبَسِ
أقول لما رأيتُ منزلهُ ... منتهباً خالياً من الأَنَسِ
يا منزلاً قد عفا من الطَّفَس[4] ... وساحةً أُخليت من الدَّنَسِ
مَن لاقتراف الفحشاء بعد أبي الشرّ ومن للقبيح والنَّجِسِ؟

[المنسرح]

(١) تخطرِف: تسرع في مشيتك وهنا بمعنى تراوغ.
(٢) الكُزاز: داء.
(٣) اللَّبَس: الشبهة.
(٤) الطَّفَس: القذر.

في دير سليمان:

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

وَليَ إبراهيمُ بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغورَ الخَزرية، فكان أكثر مقامه بمنبج، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دُلوك ورَعْبان، وخلف بمنبج جارية كان يتحظَّاها مغنية يقال لها: غادر، فحدثني بعض كتابه أنه كان معه بدُلوك وهو على جبل من جبالها فيه دير يعرف بدير سليمان، من أحسن بلاد اللَّه وأنزهها، فنزل عليه، ودعا بطعام خفيف، فأكل وشرب، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب:

أيا ساقِيَيْنا وسْطَ ديرِ سُليمانِ ... أديرا الكؤوس فانهلاني وعُلَّاني
وخُصَّا بصافيها أبا جعفر أخي ... وذا ثقتي بين الأنام وخُلْصَاني
وميلَا بها نحو ابن سَلَّام الذي ... أوَدُّ وَعَوْداً بعد ذاك لنُعمانِ
وعُمَّا بها الندمانَ والصّحْبَ إنني ... تنكَّرت عيشي بعد صحبي وإخواني
ولا تتركا نفسي تَمُتْ بِسَقامها ... لذِكرى حبيبٍ قد شجاني وعَنَّاني
ترحَّلْت عنه عن صدودٍ وهِجرةٍ ... وأقبلَ نحوي وهو باكٍ فأبكاني
وفارقتُه واللَّهُ يجمع شملَنا ... بلوعة محزون وغُلَّةِ حَرَّانِ
وليلة عين المرج زار خيالُه ... فهيَّج لي شوقاً وجدَّد أشجاني
فأشرفتُ أعلى الدير أنظر طامِحاً ... بألمحِ آماقٍ وأنظرِ إنسانِ
لعلّي أرى أبياتَ مَنبجَ رُؤيةً ... تُسَكِّن من وجدي وتَكشِف أحزاني
فقصَّر طرفي واستهلَّ بعَبرة ... وفدَّيت من لو كان يدري لفَدَّاني
ومَثَّلَه شَوْقي إليه مُقابِلي ... وناجاه قلبي بالضمير وناجاني

[الطويل]

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعاً إلى أخيه أحمد، فلما وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه:

أبا إسحاق إن تكن الليالي ... عَطفْنَ عليك بالخَطب الجسيمِ
فلم أرَ صَرْف هذا الدهرِ يَجري ... بمكروهٍ على غيرِ الكريم

[الوافر]

عريب تذكره فيثني عليها:

أخبرني جعفر بن قدامة قال:

حدثني ميمون بن هارون قال: اجتمعت مع عريب في مجلس أنس بسرّ من رأى عند أبي عيسى بن المتوكل، وإبراهيم بن المدبر يومئذٍ ببغداد، فمر لنا أحسن يوم، وذكرته عريب فتشوّقته، وأحسنت الثناء عليه والذكر له، فكتبتُ إليه بذلك من غد، وشرحته له، فأجابني عن كتابي، وكتب في آخره:

أتعلم يا ميمونُ ماذا تُهيجُه ... بذكرِك أحبابي وحفظِهمُ العَهْدَا
ووصفِ عريبٍ في كريمِ وفائها ... وإجمالِها ذِكري وإخلاصِها الوُدَّا
عليها سلامي إن تكن دارها نأتْ ... فقد قرَّب اللَّه الذي بيننا جِدَّا
سقى اللَّه داراً بعدَنَا جَمَعتكُمُ ... وسكَّن ربُّ العرشِ ساكنَها الخُلْدَا
وخصَّ أبا عيسى الأميرَ بنعمةٍ ... وأسعدَ فيما أَرتجيه له الجَدَّا
فما ثَمَّ من مَجْدٍ وطَوْلٍ وسُؤدَدٍ ... ورأيٍ أَصيل يَصدَع الحَجَر الصَّلْدَا[1]

[الطويل]

يتلقاها حافياً:

حدثني جحظة قال:

حدثني أبو عبد اللَّه بن حمدون قال: إجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن منارة والقاسم وابن زرزور، في بستان بالمَطِيرة، وفي يوم غيم يهريق ورذاذ يقطر أحسن قطر، ونحن في أطيب عيش، وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافياً حتى تلقاها، وأخذ بركابها حتى نزلت، وقبّل الأرض بين يديها، وكانت قد هجرته مدة لشيء أنكرته عليه فجاءت وجلست، وأقبلت عليه متبسمة، وقالت: إنما جئت إلى من هاهنا لا إليك، فاعتذر، وشيَّعْنا قوله وشفعنا له، فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ، وباتت، واصطبحنا من غد، وأقامت عندنا، فقال إبراهيم:

صوت

بأبي من حَقَّق الظنّ به ... فأتانا زائراً مُبْتَدِيَا
كان كالغيث تَراخى مُدَّةً ... وأتى بعد قُنوطٍ مُرْوِيَا
طاب يومان لنا في قُربِه ... بعد شهرَين لهجرٍ مَضَيَا

(١) الصَّلد: الصُّلب الأمْلَس.

فـأقـرّ الـلَّـه عـيـنـي وشَـفَـى سَـقَـمـاً كـان لـجـسـمـي مُـبْـلِـيَـا

[الرمل]

لعريب في هذا الشعر لحنان: رمل وهزج بالوسطى.

لإبراهيم في عريب:

أنشدني الصولي رحمه اللَّه لإبراهيم بن المدبر في عريب:

زعـمـوا أنـي أُحِـبُّ عـريـبَـا صـدقـوا والـلَّـه حُـبّـاً عَـجـيـبَـا

حـلَّ مـن قـلـبـي هـواهـا مـحـلّاً لـم يـدعْ فـيـه لـخـلـقٍ نـصـيـبَـا

لِـيـقُـلْ مـن قـد رأى الـنـاسَ قِـدْمـاً هـل رأى مـثـل عَـريـبٍ عَـريـبَـا؟

هـي شـمـسٌ والـنـسـاء نـجـومٌ فـإذا لاحـت أَفَـلـن غُـيُـوبَـا

[المديد]

وأنشدني الصولي له أيضاً فيها:

ألا يـا عـريـبُ وُقـيـتِ الـرَّدَى وجـنَّـبـكِ الـلَّـهُ صَـرفَ الـزّمَـنْ

فـإنـك أصـبـحـتِ زيـنَ الـنـسـاءِ وواحـدةَ الـنـاس فـي كـلِّ فـنْ

فـقُـرْبـك يُـدنـي لـذيـذَ الـحـيـاةِ وبُـعْـدك يـنـفـي لـذيـذَ الـوَسَـنْ[1]

فـنـعـم الـجـلـيـسُ ونـعـم الأنـيـسُ ونـعـم الـسـمـيـرُ ونـعـم الـسَّـكَـنْ

[المتقارب]

وأنشدني أيضاً له:

إن عـريـبـاً خُـلِـقَـتْ وحـدَهـا فـي كـلِّ مـا يَـحْـسُـن مـن أمـرِهـا

ونِـعـمـةُ الـلَّـه فـي خَـلْـقـه يـقـصِّـرُ الـعـالـم فـي شُـكـرِهـا

أشـهـدُ فـي جـارِيـتَـيْـهـا عـلـى أنـهـمـا مُـحْـسِـنَـتـا دهـرِهـا

فـبـدعـةٌ تُـبْـدع فـي شَـدوِهـا وتُـحـفـةٌ تُـتـحـف فـي زَمْـرِهـا

يـا ربِّ أَمـتـعْـهـا بـمـا خُـوِّلـتْ وامـددْ لـنـا يـا ربّ فـي عُـمـرِهـا

[السريع]

أهل البصرة يودعونه:

أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة القيسي البصري قال:

(١) الوَسَن: شدَّة النوم.

كان إبراهيم بن المدبر يتولى البصرة، وكان محسناً إلى أهل البلد إحساناً يعمهم ويشمل جماعتهم نفعه، ويخصنا من ذلك بأوفر حظ وأجزل نصيب، فلما صُرف عن البصرة شيّعه أهلها، وتفجعوا لفراقه، وساءهم صَرْفُه، فجعل يرد الناس من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به، حتى لم يبق معه إلا أبي، فقال له: يا أبا شراعة، أن المشيع مودع لا محالة، وقد بلغت أقصى الغايات، فبحقي عليك إلا انصرفتَ، ثم قال: يا غلام، احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به، فاحضر ثياباً وطيباً ومالاً، فودعه أبي ثم أنشأ يقول:

يا أبا إسحاق سر في دَعَةٍ ... وامضِ مصحوباً فما منك خَلَفْ
ليت شعري أيّ أرض أجدبت ... فأُغيثت بك من جَهْدِ العَجَفْ[1]؟
نزل الرُّحْمُ من اللَّه بِهم ... وحُرمناك لذنبٍ قد سَلَفْ
إنما أنت ربيع باكرٌ ... حيثما صرَّفه اللَّه انصرَفْ

[الرمل]

أمر بيِّن:

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال:

قرأت جواباً بخط إبراهيم بن المدبر في أضعاف رقعة كتبتها إليه عريب، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره:

وسألتُموه بعدكم: كيف حالُه؟ ... وذلك أمرٌ بيِّنٌ ليس يُشكِلُ
فلا تسألوا عن قلبه فهو عندكمْ ... ولكن عن الجسم المخلَّف فاسألُوا

[الطويل]

بدعة وتحفة لا تقومان مقام عريب:

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبي قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر، فزارته بدعة وتحفة، وأخرَجتَا إليه رقعة من عريب، فقرأناها، فإذا فيها:

بنفسي أنت وسمعي وبصري وقلّ ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيباً، طيب اللَّه عيشك، قد احتجبت سماؤه، ورقّ هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رقة شمائلك، وطيب محضرك ومَخبرِك، لا فقدت ذلك أبداً منك، ولم يصادف حسنه

(١) العَجَف: ذهاب السِّمْنِ.

وطيبه مني نشاطاً ولا طرباً، لأمور صدَّتني عن ذلك، أكره تنغيصَ ما أشتهيه لك من السرور بنشرها، وقد بعثت إليك ببدعة وتحفة، ليؤنساك وتسرّ بهما، سرّك اللَّه وسرني بك.

فكتب إليها يقول:

كـيـف الـسـرور وأنـتِ نـازحـةٌ عـنـي وكـيـف يـسـوغ لـي الـطَّـرَبُ؟
إن غـبـتِ غـاب الـعـيـش وانـقـطـعـتْ أسـبـابُـه وأَلَـحَّـتِ الـكُـرَبُ

[الكامل]

وأنفذ الجواب إليها، فلم تلبث إن جاءت، فبادر إليها، وتلقاها حافياً، حتى جاء بها على حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمار على بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها وأنزلها في مجلسه، وجلس بين يديها ثم قال:

ألا رُبَّ يـوم قـصَّـرَ الـلَّـه طـوَلـه بـقُـربِ عـريـبٍ حـبّـذا هـو مـن قُـرْبِ
بـهـا تَـحـسـن الـدُّنـيـا ويـنـعـم عَـيـشُـهـا وتـجـتـمـع الـسـرَّاءُ لـلـعـيـن والـقـلْـبِ

[الطويل]

إبراهيم يكتب إلى بدعة وتحفة:

وحدثني علي قال: أنشدني أبي قال: أنشدني إبراهيم بن المدبر وقد كتب إلى بدعة وتحفة يستدعيهما فتأخرتا عنه فكتب إليهما:

قـل يـا رسـول لـهـذه ولـهـذه بـأبـي هُـمـا
قـد كـان وصـلـكـمـا لـنـا حـسـنـاً فـفـيـم قـطـعـتـمـا؟
أعـريـبُ سـيِّـدةُ الـنـسـا ء بـهـجْـرِنَـا أمـرَتْـكُـمـا؟
كـلَّا وبـيـتِ الـلَّـه بـل هـذا جـفـاءٌ مـنـكـمـا

[مجزوء الكامل]

وكنا حيثما كنتم:

وأنشدني علي بن العباس لإبراهيم بن المدبر، وفيه لعريب هزج قال:

ألا يـا بـأبـي أَنـتـمْ نـأتْ دارٌ بـنـا عـنـكـمْ
فـإن كـنـتـم تـبـدَّلـتـمْ فـمـا مـن بَـدَلٍ مـنـكـمْ
وإن كـنـتـم عـلـى الـعـهـدِ فـأحـسـنـتـم وأجـمـلـتـمْ
ويـا لـيـت الـمـنـى حـقَّـت فـنـبـديـهـا ولا نـكـتـمْ

فكنتم حيثما كنا وكنا حيثما كنتمْ

[الهزج]

برق يهيجه:

وحدثني علي قال: حدثني أبي قال:

دخلت ليلة على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ببغداد، في ليلة غيم، فلاح برق من قطب الشمال، ونحن نتحدث، فقطع الحديث، وأمسك ساعة مفكراً، ثم أقبل عليَّ فقال:

بارقٌ شَرَّد الكَرَى لاح من نحوِ ما تَرَى
هاج للقلب شَجْوَه فاعترى منه ما اعترَى
أيها الشادِنُ الذي صاد قلبي وما دَرَى
كُنْ عليماً بشقوتي فيك من بين ذا الوَرَى

[مجزوء الخفيف]

شمس ونجوم:

وحدثني عن أبيه قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر، فزارته بدعة وتحفة، وأقامتا عنده، فأنشدنا يومئذٍ:

أيُّها الزائران حيّا كما اللَّهُ ومن أنتما له بالسلامِ
ما رأينا في الدهر بدْراً وشمساً طرقا ثم راجعا في الكلامِ
كيف خلفتما عريباً سقاها اللَّه رب العباد صَوْبَ الغمامِ
هي كالشمس والحسانُ نجومٌ ليس ضوءُ النهار مثلَ الظلامِ
جمعتْ كلَّ ما تفرَّق في النّا س وصارت فريدةً في الأنامِ

[الخفيف]

وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس:

وإني لأستثني الشَّمَال إذا جرتْ حنيناً إلى أُلَّاف قلبي وأحبابي
وأُهدي مع الريح الجنوب إليهمُ سلامي وشكوَى طولِ حزني وأوصابي
فيا ليت شعري هل عريبٌ عليمةٌ بذلك أم نام الأحبَّة عمَّا بي؟

[الطويل]

إبراهيم يعاتب صديقاً له:

حدثني عمي عن محمد بن داود قال:

كان إبراهيم بن المدبر صديق أبي الصقر إسماعيل بن بلبل، فلم يرض فعله لما نكب، ولا نيابته عنه، فقال فيه:

لا تـطـل عَـذْلـيَ غـيّـاً ... إن فـي الـعـذل عَـنـاءَ
لـسـتُ أبـكـي بـطـنَ مـرٍّ ... فـكَـديَّـا فـكـداءَ
إنـمـا أبـكـي خـلـيـلاً ... خـان فـي الـودِّ الـصـفـاءَ
يـا أبـا الـصـقـر سـقـاك الـلَّـه تَـهـتـانـاً[1] رَوَاءَ
وأدام الـلَّـه نـعـمـا ... ك ومـلَّاك الـبـقـاءَ
لِـمْ تـجـاهـلـت ودادي ... وتـنـاسـيـت الإخـاءَ؟
كـنـت بَـرّاً فـعـلـى رأ ... سـي تـعـلَّـمـت الـجـفـاءَ
لا تـمـيـلـنَّ مـع الـرِّيـ ... ـحِ إذا هـبَّـتْ رُخَـاءَ
ربـمـا هـبَّـتْ عَـقـيـمـاً ... تـتـرك الـدُّنـيـا هـبـاءَ

[الوافر]

رؤيا تحققت:

أخبرني علي بن العباس قال: حدثني أبي قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عريب، فقال لها: رأيت البارحة في النوم أبا العبيس وقد غنى في هذا الشعر، وأنت تراسلينه فيه:

يـا خـلـيـلـيَّ أرِقْـنـا حـزَنَـا ... لِـسَـنـا بـرْقٍ تـبـدَّى مَـوْهِـنَـا

[الرمل]

وكأني أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول:

وجـلا عـن وَجْـهِ دَعْـدٍ مـوْهـنَـا ... عـجـبـاً مـنـه سـنـاً أبـدى سَـنَـا

[الرمل]

فقالت: ما أملح واللَّهِ الابتداءَ والإجازَة، فاجعل ذلك في اليقظة، واكتب إلى أبي العبيس، وسله عني وعنك الحضور، فكتب إليه إبراهيم:

(١) التهتان: المُنْصَبّ.

يـا أبـا الـعـبـاس يـا أفـتـى الـوَرَى زارَنـا طـيـفُـك فـي سُـكـرِ الـكـرى
وتـغـنَّـى لـيَ صـوتـاً حـسـنـاً فـي سـنـا بـرقٍ عـلـى الأُفْـقِ سـرَى
وعـريـبٌ عـنـدنـا حـاصـلـةٌ زَيْـن مـن يَـمـشـي عـلـى وجْـه الـثـرَى
نـحـن أضـيـافُـك فـي مـنـزلـنـا نـتـمـنَّـاك فـكـن أنـت الـقِـرى

[الرمل]

قال: فصار إليهما أبو العبيس، وحدثه إبراهيم برؤياه، فحفظا الشعر وغنيا فيه بقية يومهما.

صـوت

ألا حَـيِّ قـبـل الـبـيـنِ مـن أنـت عـاشِـقـهْ ومـن أنـت مـشـتـاقٌ إلـيـه وشـائِـقُـهْ
ومـن لا تُـواتـي داره غـيـر فَـيْـنَـةٍ ومـن أنـت تـبـكـي كـل يـوم تُـفـارِقُـهْ

[الطويل]

الشعر لقيس بن جَرْوة الطائي الأجثي، قاله في غارة أغارها عمرو بن هند على إبل لطيء، فحرَّض زرارة بنُ عُدسٍ، عمرو بنَ هند على طيء، وقال له: إنهم يتوعدونك، فغزاهم، واتصلت الأحوال إلى أن أَوقع عمرو ببني تميم في يوم أُوارة، وخبر ذلك يذكر هاهنا لتعلق بعض أخباره ببعض.

والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، ومن مجموع غناء إبراهيم.

ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

يوم أوارة:

نسخت ذلك من كتاب عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه، وذكر أن أحمد بن الهيثم بن الفراس أخبره به عن العمري، عن هشام بن الكلبي، عن أبيه وغيره من أشياخ طيء قال: وحدثني محمد بن أبي السري، عن هشام بن الكلبي قالوا:

كان من حديث يوم أوارة أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء ـ وهو عمرو بن هند كان يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المنصور بن حجر آكل المرار الكندي، وهو الذي يقال له مضرط الحجارة ـ أنه كان عاقد هذا الحي من طيء على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا، وأن عمرو بن هند غزا اليمامة، فرجع مُنْفضاً[١]، فمر بطيء، فقال له زرارة بن عدس بن زيد بن عبد اللَّه بن دارم الحنظلي: أبيت اللعن، أصِب من هذا الحي شيئاً، قال له: ويلك إن لهم عقداً، قال: وإن كان، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً.

قيس بن جروة يتوعد عمرو بن هند:

فقال في ذلك الطائي، وهو قيس بن جروة أحد الأجثيين:

ألا حيِّ قبل البينِ من أنت عاشقُهْ ... ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومن لا تُواتي دارَه غير فَيْنَةٍ ... ومن أنت تبكي كلّ يوم تفارِقُهْ
وتعدو بصحراء الثَّوِيَّةِ ناقتي ... كعدْوِ النَّحوص قد أمخَّت[٢] نواهِقُهْ
إلى الملكِ الخَيْرِ ابنِ هند تزوره ... وليس من الفوت الذي هو سابِقُهْ
وإن نساءً هنَّ ما قال قائل ... غنيمةُ سَوْء بينهنَّ مَهارِقُهْ[٣]
ولو نِيلَ في عهدٍ لنا لحمُ أَرنبٍ ... رَدَدْنا وهذا العهدُ أنت مُعالِقُهْ

(١) منفِض: فاني الزَّاد.
(٢) أمخَّت: نتأت وظهرت.
(٣) المهارق: الصحائف.

فـهـبْـك ابـنَ هـنـدٍ لـم تَـعُـقْـك أمـانـة ... ومـا الـمـرء إلا عَـقْـدُه ومـواثِـقـهْ
وكـنـا أُنـاسـاً خـافِـضِـيـن بـنـعـمـة ... يَـسـيـل بـنـا تَـلْـعُ[١] الـمَـلا وأبـارِقُـهْ[٢]
فـأقـسـمـتُ لا أَحـتـلّ إلا بـصـهـوةٍ[٣] ... حَـرامٌ عـلـيّ رمْـلُـه وشـقـائـقُـهْ[٤]
وأَقـسـمـتُ جَـهْـداً بـالـمـنـازل مـن مِـنىً ... ومـا خَـبَّ فـي بـطـحـائـهـن دَرادِقُـهْ[٥]
لـئـن لـم تـغـيّـر بـعـضَ مـا قـد فـعـلـتـمُ ... لأنـتَـحِـيَـنَّ الـعـظـمَ ذو أنـا عـارِقُـهْ[٦]

[الطويل]

فسمي عارقاً بهذا البيت، فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند، فقال له زرارة بن عُدس: أبيت اللعن أنه يتوعّدك، فقال عمرو بن هند لِتُرمُلَةَ بن شُعاثٍ الطائي ـ وهو ابن عم عارق ـ: أيهجوني ابن عمك ويتوعّدني؟ قال: واللَّه ما هجاك، ولكنه قد قال:

واللَّـهِ لـو كـان ابـنُ جـفـنـةَ جـارَكـم ... مـا إن كـسـاكـمْ غُـصَّـةً وهـوانـا
وسـلاسـلاً يَـبْـرُقـن فـي أعـنـاقـكـم ... وإذاً لـقـطَّـعَ عـنـكـم الأقـرانَـا
ولـكـان عـادَتُـه عـلـى جِـيـرانـه ... ذَهـبـاً ورَيْـطـاً رادِعـاً وجِـفـانـا

[الكامل]

قالوا: الرادع: المصبوغ بالزعفران، وإنما أراد تُرْمُلَةُ أن يُذْهِب سخيمتَه، فقال: واللَّه لأقتلنه، فبلغ ذلك عارقاً، فأنشأ يقول:

مـن مـبـلـغٌ عـمـرَو بـن هـنـدٍ رسـالـةً ... إذا استحْقَبَتْها[٧] العيسُ تُنضى[٨] من البُعْدِ
أيـوعِـدُنـي والـرمـلُ بـيـنـي وبـيـنـه؟ ... تَـبَـيَّـنْ رُوَيـداً مـا أُمـامـةُ مـن هِـنْـدِ
ومِـنْ أَجَـأٍ دونـي رِعـانٌ[٩] كـأنـهـا ... قَـنَـابـلُ[١٠] خـيـلٍ مـن كُـمـيـت ومـن وَرْدِ
غَـدرْت بـأمـرٍ أنـت كـنـت اجْـتـذَبـتَـنـا ... إلـيـه وشـرُّ الـشـيـمـةِ الـغـدرُ بـالـعـهـدِ

---

(١) التلع: مفردها التلعة، وهي ما ارتفع أو انخفض عن الأرض. ضدّ.
(٢) الأبارق: مفردها أبرق، وهي الأرض المختلطة بحجارة ورمل.
(٣) الصهوة: مقعد الفارس من الفرس.
(٤) الشقائق: مفردها الشقيقة وهي القطعة الغليظة بين جبال الرَّمل.
(٥) الدرادق: مفردها الدرداق وهو ولد الوحش.
(٦) العارق: الذي ينتزع اللحم من العظم.
(٧) استحقبتها: حملتها.
(٨) تُنضى: تهزل وتضعف.
(٩) الرعان: مفردها الرعن وهو أنف الجبل.
(١٠) القنابل: مفردها القنبلة وهي الجماعة من الإبل.

فـقـد يـتـركُ الـغـدرُ الـفـتـى وطَـعَـامُـه إذا هـو أمـسـى حَـلْـبـةٌ مـن دَمِ الـفَـصْـدِ
[الطويل]

عمرو يغزو طيئاً:

فبلغ عمرو بن هند شعرُه هذا فغزا طيئاً، فأسر أسرى من بني عدي بن أخزم، وهم رهط حاتم بن عبد اللَّه، فيهم رجل من الأجئيين يقال له: قيس بن جَحْدر، وهو جد الطِّرماح بن حكيم، وهو ابن خالة حاتم، فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند، وكذلك كان يصنع، فسأله إياهم، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر، لأنه كان من الأجَئيين من رهط عارق، فقال حاتم:

فـكـكْـت عَـدِيّـاً كـلَّـهـا مـن إسـارهـا فـأنـعِـمْ وشـفِّـعـنـي بـقـيسِ بـن جَـحْـدرِ
أبـوه أبـي والأمـهـاتُ امَّـهـاتـنـا فـأنـعِـم فـدتْـك الـيـومَ نـفـسـي ومَـعـشـري
[الطويل]

فأطلقه.

مقتل مالك بن المنذر:

قال: وبلغنا أن المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيراً ـ ويقال: بل كان أخاً له صغيراً يقال له مالك ـ عند زُرارة، وأنه خرج ذات يوم يتصيّد، فأخفَقَ ولم يصب شيئاً، فرجع فمر بإبل لرجل من بني عبد اللَّه بن دارم يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبد اللَّه بن دارم، وكانت عند سويد ابنةُ زُرارة بنْ عُدس، فولدت له سبعة غِلْمَة، فأمر مالك بن المنذر بناقةٍ سمينةٍ منها فنحرها، ثم اشتوى. وسُويد نائم، فلما انتبه شدّ على مالك بعصا فضربه بها فأمَّه[1]، ومات الغلام، وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة، وعلم أنه لا يأمن، فحالف بني نوفل بن عبد مناف واختطّ بمكة، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن قيس بن سويد، وكانت طيء تطلب عثرات زرارة وبني أبيه، حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقَط الطائي يقول:

مـن مـبـلـغٌ عـمـراً بـأنّ الـمـرء لـم يُـخْـلَـقْ صُـبـارَهْ[2]
وحـوادثُ الأيـام لا يَـبْـقـى لـهـا إلا الـحِـجـارَهْ

(١) أمَّهُ: شجَّه وأصاب أمّ رأسه.
(٢) الصُّبارة: الحجارة.

إن ابـــــنَ عِـــــجْـــــزةَ أُمُّـــــه بـــالـــســـفـــح أســـفـــلَ مـــن أُوارَهْ
[مجزوء الكامل]

قال هشام: أول ولد المرأة يقال لها: زُكْمَة، والآخِر: عِجْزَة.

تَـــســـفـــي الـــريـــاحُ خِـــلالـــه سَـــحْـــيـــاً[1] وقـــد سَـــلَـــبُـــوا إزارَهْ
فـــاقـــتُـــلْ زُرارةَ لا أَرى فـــي الـــقـــومِ أفـــضـــلَ مـــن زرارَهْ
[مجزوء الكامل]

هرب زرارة وعودته:

فلما بلغ هذا الشعرُ عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه، وبلغ الخبر زرارة، فهرب، وركب عمرو بن هند في طلبه، فلم يقدر عليه، فأخذ امرأَته وهي حُبلى، فقال: أَذكرٌ في بطنك أم أنثى؟ قالت: لا علم لي بذلك، قال: ما فعل زُرارة الغادر الفاجر؟ قالت: إن كان ما علمت لطيِّب العرَق، سمين المَرَق، ويأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد، لا ينام ليلة يُخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف، فبقر بطنها، فقال قومُ زُرارة لزرارة: واللَّه ما قتلتَ أخاه، فأت الملك فاصدُقْه الخبرَ، فأتاه زرارة فأخبره الخبر، فقال: جئني بسويد، فقال: قد لحق بمكة، قال: فعليّ ببنيه، [فأتى ببنيه] السبعة، وأمهم بنت زرارة، وهم غلمة بعضهم فوق بعض، فأمر بقتلهم، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه، وتعلّق بزرارة الآخرون، فتناولوهم، فقال زرارة: يا بعضي دَعْ بعضاً، فذهبت مثلاً، وَقُتِلوا.

عمرو بن هند يحرق مائة من بني حنظلة:

وآلى عمرو بنُ هند بأليَّةٍ ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل، فخرج يريدهم، وبعث على مُقدّمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن غياث بن مِلْقَط، فوجدوا القوم قد نَذِروا، فأخذوا منهم ثمانيةً وتسعين رجلاً بأسفل أُوارة من ناحية البَحرين، فحبسهم، ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى إلى أُوارة، فضُربت فيه قُبّته، فأمر لهم بأُخدود فحُفر لهم، ثم أَضرمه ناراً، فلما احتدمت وتلظَّت قذف بهم فيها، فاحترقوا، وأقبل راكب من البَراجم ـ وهم بطن من بني حنظلة ـ عند المساء، ولا يدري بشيء مما كان، يُوضِعُ[2] به بعيره، فأناخ، فقال له عمرو بن هند: ما جاء بك؟ قال: حبُّ الطعام. قد أَقْوَيتُ[3] ثلاثاً لم أذق طعاماً، فلما سطع الدخان ظننته دُخان طعام، فقال له عمرو بن

(١) السحي: القشر.
(٢) يوضع: يُسرِع بالسير.
(٣) أقويت: فَنِيَ زادي.

هند: ممن أنت؟ قال: من البراجم، قال عمرو: إن الشقِيَّ وافدُ البَراجم. فذهبت مثلاً، ورمى به في النار، فهَجَت العربُ تميماً بذلك، فقال ابن الصَّعِق العامري:

ألا أَبـلـغ لـديـك بـنـي تـمـيـمٍ بـآيـةِ مـا يـحـبُّـون الـطـعـامـا

[الوافر]

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً، فقيل له: أبيت اللعن، لو تحللت بامرأة منهم، فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً؟ فدعا بامرأة من بني حنظلة، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نَهشل بن دارم، فقال: إني لأظنك أعجمية، فقالت: ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم.

إنـي لـبـنـتُ ضـمـرة بـن جـابـرِ سـادَ مَـعَـدّاً كـابـراً عـن كـابـرِ

[الرجز]

إنـي لأخـتُ ضـمْـرَة بـنِ ضـمْـرَهْ إذا الـبـلادُ لـقَّـعَـتْ[1] بِـجَـمْـرَهْ

[الرجز]

قال عمرو: أما واللَّه لولا مخافة أن تَلدي مثلك لصرفتك عن النار، قالت: أما والذي أسأله أن يضع وسادك، ويَخفِض عِمادك، ويسلبك ملكك [ويقرب هلكك] ما قتلتَ إلا نساءً أعاليها ثُدِيٌّ، وأسافِلها دُمَيّ [وما أبالي ما صنعت] قال: اقذفوها في النار، فالتفتت فقالت: ألا فتىً يكون مكان هذه العجوز؟ فلما ابطؤوا عليها قالت: صار الفتيان حُمَماً، فذهبت مثلاً، فأحرقت، وكان زوجها يقال له: هوذة بن جِرول بن نهشل بن دارم.

لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة:

فقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة في أخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه:

أمِـنْ دِمـنـةٍ أقـفـرت بـالـجـنـابِ إلـى الـسَّـفـح بـيـن الـمـلا فـالـهِـضـابِ
بـكـيـتَ لِـعِـرفـان آيـاتـهـا وهـاج لـك الـشـوقَ نـعـبُ الـغـرابِ
فـأبـلِـغ لـديـكَ بـنـي مـالـك مـغـلـغـلـةً وسَـرَاةَ الـرَّبـابِ
فـإن امـرأً انـتـمُ حـولَـه تَـحُـفُّـون قُـبَّـتَـه بـالـقِـبـابِ
يُـهـيـن سُـرَاتـكـمُ عـامـداً ويـقـتـلـكـمْ مـثـل قـتـل الـكـلابِ
فـلـو كـنـتُـمُ إبـلاً أَمْـلَـحَـتْ لـقـد نـزعَـت لـلـمـيـاه الـعـذابِ

(١) لقَّعت: رُمِيَتْ.

ولـكـنـكـمْ غـنـمٌ تُـصـطَـفـى ويُـتـرك سـائِـرهـا لـلـذئـابِ
لـعـمـر أبـيـك أبـي الـخـيـرِ مـا أردتَ بـقـتـلـهـمُ مـن صـوابِ
ولا نـعـمـةً إن خـيـر الـمـلـو ك أفـضـلـهـم نـعـمـةً فـي الـرِّقـابِ
[المتقارب]

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا:

واسـأل زَرارةَ والـمـأمـون مـا فـعـلَـتْ قـتـلـى أُوارةَ مـن رعـلان والـلـددِ
ودَارِمـاً قـد قـتـلـنـا مـنـهـمُ مـائـة فـي جـاحـمِ الـنـار إذ يُـلـقَـوْن بـالـخُـدَدِ
يَـنْـزُون بـالـمُـشـتَـوى مـنـهـا ويُـوقِـدهـا عـمـروٌ ولـولا شُـحـوم الـقـوم لـم تَـقِـدِ
[البسيط]

زرارة يوصي بالثأر:

قال: فحدثني الكلبي عن المفضل الضبي قال:

لما حضر زرارةَ الموتُ جمع بنيه وأهل بيته، ثم قال: إنه لم يبقَ لي عند أحد من العرب وِترٌ إلا قد أدركته، غير تحضيض الطائيِّ ابنِ مِلْقطٍ الملك علينا حتى صنع ما صنع، فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيء؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد: أنا لك بذلك يا عمّ، ومات زرارة، فغزا عمرو بن عمرو جَدِيلةَ من طيء ففاتوه وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثُمامة، وقال في ذلك شعراً.

لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين:

وكان زرارة بن عدس بن زيد رجلاً شريفاً، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ورأى منه خُيلاء ونشاطاً، وجعل يضرب غلمانه، وهو يومئذٍ شاب، فقال له زرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هِجَان المنذر بن ماء السماء، أو نكحت بنت ذي الجَدَّين قيس بن خالد، قال لقيط: للَّه عليَّ ألا يلمس رأسي غُسل ولا آكل لحماً ولا أشرب خمراً حتى أجمعهما جميعاً أو أموت، فخرج لقيط ومعه ابن خال له يقال له: القراد بن إهاب، وكلاهما كان شاعراً شريفاً، فسارا حتى أتيا بني شيبان، فسلّما على ناديهم، ثم قال لقيط: أفيكم قيس بن خالد ذو الجَدَّين؟ وكان سيد ربيعة يومئذٍ، قالوا: نعم، قال: فأيكم هو؟ قال قيس: أنا قيس، فيما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً ابنتك، وكانت على قيس يمينٌ ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلا أصابه بِشَرّ وسمَّع به، فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: أنا لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد، قال

قيس: عجباً منك يا ذا القُصَّة، هلا كان هذا بيني وبينك؟ قال: لِمَ يا عمّ؟ فواللَّه إنك لرغبة وما بي من قَضَاة، أي ما بي عار، ولئن ناجيتك لا أخدعك، ولئن عالنتك لا أفضحك، فأعجب قيساً كلامُه، وقال: كفء كريم، إني قد زوجتك، ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مُصابَرَة[١] ولا ناب[٢] ولا كَزُوم[٣]، ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروماً، ثم أرسل إلى أم الجارية: إني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور، فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق، فإن لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزباً، وجلس لقيط يتحدث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأردؤها للقاح، واهزلها للجمال، وأما المقام فأسمنها للجمال، وأحبها للنساء، فأعجب ذلك قيساً، وأمر لقيطاً فذهب إلى البَلَق[٤] فجلس فيه، وبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور، فقالت: للجارية: اذهبي بها إليه، فواللَّه لئن ردّها ما فيه خير، ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته، ثم ردها عليها، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليق للخير، فلما أمسى لقيط أُهديت الجارية إليه فمازحها بكلام اشمأزت منه، فنام وطرح عليه طرف خَميصةٍ[٥] وباتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلّت فرجعت إلى أمها، فانتبه لقيط فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً، وهو في أسفل الوادي، فقال: ارحل بعيرك، وإياك أن يُسمع رُغاؤها[٦]، فرحلا متوجهين إلى المنذر بن ماء السماء، وأصبح قيس ففقد لقيطاً، فسكت ولم يدْرِ ما الذي ذهب به، ومضى لقيط حتى أتى المنذر، فأخبره بما كان من قول أبيه ومن قوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه، وأعطاه جواهر، ثم انصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه فأخبره خبره، وأقام يَسيراً، ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان، فوجداهم قد انتجعوا، فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل، فقال لقيط:

أنـظـر قـرادُ وهـاتـا نـظـرة جـزعـاً ... عُـرْضَ الـشـقـائـق هـل بَـيَّـنْـتَ أظـعـانَـا؟
فـيـهـن أتـرُجَّـةٌ[٧] نَـضْـحُ الـعـبـيـر بـهـا ... تـكـسـي تـرائـبـهـا شَـذْراً ومَـرْجـانَـا

[البسيط]

(١) المصابرة: الدابة الصابرة على بقائها بلا علف.
(٢) الناب: الناقة أو الدابّة التي أسنّت.
(٣) الكزوم: الناقة التي تساقطت أسنانها من الكبر.
(٤) البلق: الفسطاط.
(٥) الخميصة: ضرب من البرود، أسود مربّع له علمان.
(٦) الرُّغاء: صوت البعير والضبع والنّعام.
(٧) أترجَّة: ضرب من النبات حلو المذاق.

وصية قيس بن خالد لابنته:

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد، فجهزها أبوها، فلما أرادت الرحيل قال لها: يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، وليكن أكثر طيبك الماء، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلاً، واعلمي أن زوجك فارس مضر، وأنه يوشك أن يُقتل أو يموت، فلا تخمشي عليه وجهاً، ولا تحلقي عليه شعراً، قالت له: أما واللَّه لقد ربيتني صغيرة، وأقصيتني كبيرة، وزودتني عند الفراق شرَّ زاد، وارتحل بها لقيط، فجعلت لا تمرّ بحي من العرب إلا قالت: يا لقيط، أهؤلاء قومك؟ فيقول: لا، حتى طلعت على محلة بني عبد اللَّه بن دارم، فرأت القِباب، والخيل العِراب[1]، فقالت: يا لقيط، أهؤلاء قومك؟ قال: نعم، فأقام أياماً يُطعِم وينحر، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قُتل يوم جَبَلة، فبعث إليها أبوها أخاً لها، فحُمِلت، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد اللَّه بن دارم فقالت: يا بني دارم أُوصيكم بالغرائب خيراً، فواللَّه ما رأيت مثل لقيط، لم تخمش عليه امرأةٌ وجهاً، ولم تحلق عليه شَعراً، فلولا أني غريبة لخمشت وحلقت، فحبب اللَّه بين نسائكم، وعادى بين رعائكم، فأثنوا عليها خيراً.

ماء ولا كصدَّاء:

ثم مضت حتى قدمت على أبيها فزوجها من قومه، فجعل زوجها يَسمعها تذكر لقيطاً وتحزن عليه، فقال لها: أي شيء رأيت من لقيط أحسن في عينك؟ قالت: خرج في يوم دَجْنٍ، وقد تطيب وشرب، فطرد البقر فصرع منها، ثم أتاني وبه نضْح دماء، فضمني ضمةً وشمّني شمة، فليتني متّ ثمَّة فلم أَر منظراً كان أحسن من لقيط، فمكث عنها، حتى إذا كان يوم دجن شرب وتطيب، ثم ركب فطرد البقر، ثم أتاها وبه نضح دم والطيب وريح الشراب، فضمها إليه وقبلها ثم قال لها: كيف ترين؟ أأنا أحسن أم لقيط؟ فقالت: ماء ولا كصَدَّاء ومرعىً ولا كالسَّعْدان، فذهبت مثلاً، وصَدَّاء: رَكِيَّةٌ ليس في الأرض ركية أَطيب منها، وقد ذكرها التميمي في شعره:

وإني وتهيامي بزينبَ كالذي ... يُخالِس من أَحواض صَدَّاء مشرَبا
يَرَى دون بَرْدِ الماء هَوْلاً وذَادَةً ... إذا اشتدّ صاحوا قبل أن يتَحبَّبا

[الطويل]

(١) العِراب: الأصيلة.

يقول: قبل أن يروي، يقال تَحَبَّبْتُ من الشراب أي رويت، وَبَضَعْت منه أيضاً أي رويت منه، والتحبب الرّيّ.

صـــوت

وكـاتـبـة فـي الـخـد بـالـمـسـك جـعـفـرا ... بـنـفـسـي مَـخَـطُّ الـمـسـك مـن حـيـث أَثَّـرا
لـئـن كـتـبـتْ فـي الـخـدّ سَـطْـراً بـكـفـهـا ... لـقـد أَودعـت قـلـبـي مـن الـحُـبِّ أسـطُـرا
فـيـا مَـن لـمـمـلـوك لـمِـلْـك يـمـيـنـه ... مُـطـيـعٌ لـهـا فـيـمـا أَسـرَّ وأَظـهـرا
ويـا مـن هـواهـا فـي الـسـريـرةِ جـعـفـرٌ ... سـقـى الـلَّـه مـن سـقـيـا ثـنـايـاك جَـعـفـرا

[الطويل]

[ويروى: ويا من مناها].

الشعر لمحبوبة شاعرة المتوكل، والغناء لعريب خفيف رمل مطلق.

أخبار محبوبة

محبوبة أجمل من فضل وأعف:

كانت محبوبة مولدة من مولدات البصرة، شاعرة سريعة الخاطر مطبوعة، لا تكاد فضلُ الشاعرةُ اليمامية أن تتقدّمها، وكانت محبوبة أجمل من فضل وأعفّ، وملكها المتوكل وهي بِكر، أهداها له عبد اللَّه بن طاهر، وبقيت بعده مدة، فما طمع فيها أحد، وكانت أيضاً تغني غناء ليس بالفاخر البارع.

على البديهة:

أخبرني بذلك جحظة، عن أحمد بن حمدون. وأخبرني جعفر بن قدامة قال:

حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كان علي بن الجهم يقرب من أنس المتوكل جدّاً، ولا يكتمه شيئاً من سره مع حُرمه وأحاديث خلواته، فقال له يوماً: إني دخلت على قبيحة، فوجدتها قد كتبت اسمي على خدها بغالية، فلا واللَّه ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد، فقل في هذا شيئاً، قال: وكانت محبوبة حاضرة الكلام من وراء الستر ـ وكان عبد اللَّه بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكل ـ قال: فدعا علي بن الجهم بدواة، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر قالت محبوبة على البديهة من غير فكر ولا رَوِيَّة:

وكاتبة بالمسك في الخدّ جعفرا ... بنفسي مَخطُّ المسك من حيث أثَّرا
لئن كتبت في الخدِّ سطراً بكفّها ... لقد أودعت قلبي من الحُبِّ أسطُرا
فيا من لمملوك لمِلْك يمينه ... مطيعٌ له فيما أسرّ وأظهرا
ويا من مناها في السريرة جعفرٌ ... سقى اللَّه من سُقْيا ثناياك جعفرا

[الطويل]

قال: وبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف، وأمر المتوكل بالأبيات، فبعث بها إلى عريب، وأمرها أن تغني فيها، قال علي بني يحيى: قال لي علي بن الجهم بعد ذلك: تحيرت واللَّه، وتقلّبت خواطري، فواللَّه ما قدرت على حرف واحد أقوله.

تفاحة تشعل نار الهوى:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ابن خرداذبه قال:

حدثني على بن الجهم قال: كنت يوماً عند المتوكل، وهو يشرب، ونحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تفاحةً مُغلَّفة، فقبَّلتها وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل، فقرأها وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها، وإذا فيها:

يا طيبَ تفاحةٍ خلوتُ بها ... تُشعل نارَ الهوى على كبِدي
أبكي إليها وأشتكي دَنَفي[1] ... وما أُلاقي من شدّة الكمدِ
لو أن تفاحةً بكتْ لبكت ... من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنتِ لا ترحمين ما لَقِيَتْ ... نفسي من الجَهْد فارحمي جسدي

[المنسرح]

قال: فواللَّه ما بقي أحد إلا استظرفها واستملحها، وأمر المتوكل فغني في الشعر صَوْتٌ شرِب عليه بقية يومه.

حزن محبوبة على المتوكل:

حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم:

أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله، فصار إلى وصيف عدة منهن، وأخذ محبوبة فيمن أخذ، فاصطبح يوماً، وأمر بإحضار جواري المتوكل، فأُحضرن، عليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلى، وقد تزينّ وتعطّرن، إلا محبوبة فإنها جاءت مَرْهاء[2] مُتسلِّبة[3]، عليها ثياب بياض غير فاخرة، حزناً على المتوكل، فغنى الجواري جميعاً وشربن وطربن وطرب وصيف وشرب، ثم قال لها: يا محبوبة، غني، فأخذت العود وغنت وهي تبكي وتقول:

أيّ عيش يطيب لي ... لا أرى فيه جَعفرا
مَلِكاً قد رأتْه عيـ ... ـني قتيلاً مُعفَّرا
كل من كان ذا هُيا ... م وحزن فقَدْ بَرا
غير محبوبة التي ... لَو تَرَى الموتَ يُشترى

(١) الدنف: الثقيل من المرض.
(٢) مرهاء: التي ابيضَّت حماليقها وخلت من الكحل حُزناً.
(٣) متسلّبة: التي لَبِسَت السُّلاب وهي الثياب السود حِداداً.

لاشـــتـــرتـــه بـــمِـــلْـــكـــهـــا كـــلّ هـــذا لِـــتُـــقْـــبـــرا
إن مـــوت الـــكـــئـــيـــب أصـــ ـــلَـــحُ مـــن أن يُـــعَـــمَّـــرا

[مجزوء الخفيف]

فاشتد ذلك على وصيف، وهم بقتلها، وكان بُغا حاضراً، فاستوهبها منه، فوهبها له، فأعتقها، وأمر بإخراجها، وأن تكون بحيث تختار من البلاد، فخرجت من سر من رأى إلى بغداد، وأخملت ذكرها طول عمرها.

يتصالحان في المنام:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني مُلاوى الهيثمي قال:

قال لي علي بن الجهم: كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكل، أهداها إليه عبد اللَّه بن طاهر في جملة أربعمائة جارية، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب، مغنية محسنة، فحظيت عند المتوكل حتى أنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيُدخل رأسه إليها ويحدثها ويراها في كل ساعة، فغاضبها يوماً وهجرها، ومنع جواريه جميعاً من كلامها، ثم نازعته نفسه إليها، وأراد ذلك، ثم منعته العزة منها، وامتنعت من ابتدائه، إدلالاً عليه بمحلّها منه، قال علي بن الجهم: فبكرت إليه يوماً، فقال لي: يا علي إني رأيت البارحة محبوبة في نومي، كأني قد صالحتها، فقلت: أقر اللَّه عينك يا أمير المؤمنين، وأنامك على خير، وأيقظك على سرور، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة. فبينا هو يحدثني وأجيبه إذا هو بوصيفة قد جاءته، فأسرَّت إليه شيئاً، فقال لي: أتدري ما أسرت هذه إليَّ؟ قلت: لا، قال: حدثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعة، وهي في حجرتها تغني، أفلا تعجب إلى هذا؟ إني مغاضبها وهي متهاونة بذلك لا تبدؤني بصلح، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها؟ قم بنا يا علي حتى نسمع ما تغني، ثم قام وتبعته، حتى انتهى إلى حجرتها، فإذا هي تغني وتقول:

أدورُ فـــي الـــقـــصـــر لا أرى أحـــداً أشـــكـــو إلـــيـــه ولا يُـــكَـــلِّـــمـــنـــي
حـــتـــى كـــأنـــي ركـــبـــتُ مـــعـــصِـــيـــةً لـــيـــســـت لـــهـــا تـــوبـــةٌ تُـــخـــلِّـــصـــنـــي
فـــهـــل لـــنـــا شـــافـــع إلـــى مـــلـــك قـــد زارنـــي فـــي الـــكـــرَى فـــصـــالـــحـــنـــي
حـــتـــى إذا مـــا الـــصـــبـــاح لاح لـــنـــا عـــاد إلـــى هـــجـــره فـــصـــارَ مـــنـــي[1]

[المنسرح]

(١) صارمني: قاطعني وهجرني.

فطرب المتوكل، وأحسّت بمكانه، فأمرت خدمها فخرجوا إليه وتنحَّينا، وخرجت إليه فحدثته أنها رأته في منامها وقد صالحها، فانتبهت وقالت هذه الأبيات وغنت فيها، فحدثها هو أيضاً برؤياه واصطلحا، وبعث إلى كل واحد منا بجائزة وخلعة.

ولما قتل تسلى عنه جميع جواريه غيرها، فإنها لم تزل حزينة مُتَسلِّبة[1]، هاجرة لكل لذة، حتى ماتت، ولها فيه مراث كثيرة.

صـــوت

يـا ذا الـذي بـعـذابـي ظـلَّ مـفـتـخـرَا هـل أنـت إلا مَـلـيـكٌ جـار إذ قَـدَرَا؟
لـولا الـهَـوى لـتـجـارَيْـنـا عـلـى قَـدَرٍ وإن أُفِـقْ مـنـه يـومـاً مـا فَـسـوفَ تَـرَى

[البسيط]

الشعر يقال: إنه للواثق قاله في خادم له غضب عليه، ويقال: إن أبا حفص الشطرنجي قاله له.

والغناء لعُبيدة الطنبورية رمل مطلق، وفيه لحن للواثق آخر قد ذكر في غنائه.

(١) متسلِّبة: التي لبِسَت السِّلاب وهي الثياب السود حِداداً.

أخبار عبيدة الطنبورية

إسحاق يشهد لها:

كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب، يشهد لها بذلك إسحاق، وحسبها بشهادته، وكان أبو حشيشة يعظمها، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم صوتاً، ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريين والطنبوريات، وقرأت عليه خبرها فيه، فقال: كانت من المحسنات، وكانت لا تخلو من عشق، ولم يعرف في الدنيا امرأة أعظم صنعة منها في الطنبور، وكانت لها صنعة عجيبة، فمنها في الرمل:

كن لي شفيعاً إليكا إن خَفَّ ذاك عَلَيْكا
وأَعفِني من سؤالي سِوَاكَ ما في يَدَيْكا
يا من أعِزُّ وأَهوى ما لي أَهون عليكا؟

[المجتث]

إسحاق يستحسن غناء عبيدة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال:

حدثنا حماد بن إسحاق قال:

قال لي علي بن الهيثم اليزيدي: كان أبو محمد ـ يعني أبي رحمه اللَّه إسحاقَ بنَ إبراهيم الموصلي ـ يألفني ويدعوني ويعاشرني، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق فلم يصادفه، فرجع ومرَّ بي، وأنا مشرف من جَناح لي فوقف وسلّم عليّ، وأخبرني بقصته، وقال لي: هل تنشط اليوم للمصير إليَّ؟ فقلت له: ما على الأرض شيء أحبّ إليّ من ذلك، ولكني أخبرك بقصتي، ولا أكتمك، فقال: هاتها، فقلت: عندي اليوم محمدُ بن عمرو بن مسعدة، وهارون بن أحمد بن هشام، وقد دعونا عبيدة الطنبورية، وهي حاضرة، والساعة يجيء الرجلان، فامض في حفظ اللَّه، فإني أجلس معهم حتى تنتظم أمورهم وأروح إليك، فقال لي: فهلَّا عرضتَ عليَّ المُقامَ عندك؟ فقلت له: لو علمت أن ذلك مما تنشط له واللَّه لرغبت إليك فيه، فإن تفضَّلْت

بذلك كان أعظم لمِنَّتك، فقال: أفعلُ، فإني قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة، ولكن لي عليك شريطة، قلت: هاتها، قال: إنها إن عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها لم يخف عليها أمري، وانقطعت، فلم تصنع شيئاً، فدعوها على جِبِلَّتها، فقلت: أفعل ما أمرتَ به، فنزل، وردّ دابَّته، وعرَّفت صاحبيَّ ما جرى، فكتماها أمرَه، وأكلنا ما حضر، وقُدم النبيذ، فغنت لحناً لها تقول:

قـريـبٌ غـيـرُ مُـقـتـرِبِ ومُـؤتـلِـفٌ كـمُـجـتَـنِـبِ
لـه وُدِّي ولـي مـنـه دواعـي الـهـمِّ والـكُـرَبِ
أُواصـلـه عـلـى سَـبـبٍ ويـهـجـرنـي بـلا سـبَـبِ
ويَـظـلـمـنـي عـلـى ثِـقـةٍ بـأنَّ إلـيـه مُـنـقَـلَـبـي

[مجزوء الوافر]

فطرب إسحاق وشرب نصفاً، ثم غنت وشرب، ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف وشربناها معه، وقام ليصلي، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: ويحك يا عبيدة، ما تبالين واللَّهِ متى متِّ. قالت: ولم؟ قال: أتدرين من المستحسنُ غناءكِ والشاربُ عليه ما شرب؟ قالت: لا واللَّه، قال: إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فلا تُعرِّفيه أنك قد عرفتِه، فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني، فلحقتها هيبة له واختلاط، فنقصت نقصاناً بيِّناً، فقال لنا: أعرفتموها من أنا؟ فقلنا له: نعم عرّفها إياك هارون بن أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذاً فننصرف، إنه لا خير في عشرتكم الليلة، ولا فائدة لي ولا لكم، فقام وانصرف.

حدثني بهذا الخبر جحظة عن جماعة، منهم العباس بن أبي العبيس، فذكر مثله وقال فيه:

إن الصوت الذي غنته:

يـا ذا الـذي بـعـذابـي ظـلَّ مُـفـتـخِـرَا

الأستاذة عبيدة:

حدثني جحظة قال: حدثني محمد بن سعيد الحاجب قال: حدثني ملاحظ غلام أبي العباس بن الرشيد، وكان في خدمة سعيد الحاجب قال:

اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوماً، وفيهم المسدود وعبيدة، فقال للمسدود: غَنِّ، فقال: لا واللَّه لا تقدَّمْتُ عبيدة وهي الأستاذة، فما غنَّى حتى غنت.

وحدثني جحظة قال:

حدثني شرائح الخزاعي، صاحب ساباط شرائح سويقة نصر، وساباط شرائح مشهور قال:

كانت عبيدة تعشقني فتزوجتُ، فمرت بي يوماً، فسألتها الدخول إليَّ فقالت: يا كشخان[1]، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مَسلحة؟ ولم تدخل.

وحدثني جحظة قال: وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب بأبنوس:

كـلّ شـيءٍ سـوى الـخِـيَـا نـةِ فـي الـحـبِّ يُـحْـتَـمَـلْ

[مجزوء الخفيف]

مَن عبيدة؟

وحدثني جحظة وجعفر بن قدامة، وخبر جعفر أتم، إلا أني قرأته على جحظة فعرفه، وذكر لي أنه سمعه، قالا جميعاً: حدثنا أحمد بن أبي الطيب السرخسي قال:

كان علي بن أحمد بن بسطام المروزي ـ وهو ابن بنت شبيب بن واج ـ وشبيب أحد النفر الذين سترهم المنصور خلف قبته يوم قتل أبا مسلم، وقال لهم: إذا صفّقت فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم ففعل وفعلوا ـ فكان عليُّ بن أحمد هذا يتعشّق عبيدة الطنبورية وهو شاب، وأنفق عليها مالاً جليلاً، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها، ومن هي، ومن أين خرجت، فكتب إليَّ: كانت عبيدة بنت رجل يقال له: صباح، مولى أبي السمراء الغساني نديم عبد اللَّه بن طاهر، وأبو السمراء أحد العِدَّة الذين وصلهم عبد اللَّه بن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف درهم، وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء يختلف إلى أبي السمراء، وكان صباح صاحب أبي السمراء، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة، وبات وشرب وغنى وأنس، وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد، فسمعت غناء الزبيدي، فوقع في قلبها واشتهته، وسمع الزبيدي صوتها، وعرف طبعها، فعلمها، وواظب عليها، ومات أبوها، ورقَّت حالها، وقد حذقت الغناء على الطنبور، فخرجت تغني وتقنع باليسير، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح، فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدّمت، وكبر حظها، واشتهاها الناس، وحلَّت تِكَّتها وسمحت، ورغب فيها الفتيان، فكان أول من تعشقها عليّ بن الفرج الرخجي أخو عمر، وكان حسن الوجه

(١) الكشخان: الديوث الذي يرى الخطأ في أهله.

كثير المال، فكنت أراها عنده، وكنَّا نتعاشر على الفُرُوسية، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً، فحجبها لأجل ذلك، فكانت تحتال في الأوقات بِعلَّة الحَمَّام وغيره، فتُلِمُّ بمن كانت تودُّه ويودُّها، فكنت ممن تُلِمُّ به، وأنا حينئذٍ شاب قد ورثت عن أبي مالاً عظيماً، وضياعاً جليلة، ثم ماتت بنتها من عليّ بن الفرج، وصادف ذلك نكبتهم واختلال حال عليّ، فطلقها، فخرجت، فكانت تخرج بدينارين للنهار، ودينارين لليل، واعترت بأبي السمراء، ونزلت في بعض دوره، وتزوجت أمّها بوكيل له، فتعشقت غلاماً من آل حمزة بن مالك يقال له: شرائح، وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد، وكان يغني بالمعزفة غناء مليحاً، وكان حسن الوجه، لا عيب في جماله، إلا أنه كان متغير النّكْهة، وكانت شديدة الغُلمة لا تَحْرم أحداً ولا تكرهه من حدّ الكهول إلى الطفل، حتى تعلقت شاباً يعرف بأبي كرب بن أبي الخطاب مشرك الوجه أفطس قبيحاً شديد الأُدمة، فقيل لها: أي شيء رأيت في أبي كرب؟ فقالت: قد تمتعت بكل جنس من الرجال إلا السودان، فإن نفسي تبشَّعَتْهم، وهذا بين الأسود والأبيض، وبيته فارغ لما أريد، وهو صفعاني إذا أردت، ووكيلي إذا أردت. قال: وكان لها غلام يَضْرب عليها يقال له: عليٌّ، ويلقب ظئر عبيدة، فكانت إذا خلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه وقالت: هو بمنزلة بغل الطحَّان، يصلح للحمل والطحن والركوب، وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنيهم مع جواريه، وإنما عرفها من داري، لأنه بعث يدعوني، فدخل غلامه فرآها عندي، فوصفها له، فكتب إليَّ يسألني أن أجيئه بها معي ففعلت، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة، والحارث بن جمعة، والحسن بن سليمان البرقي، وهارون بن أحمد بن هشام، فعدلوا كلهم إلى استماع غنائها والاقتراح له، والإقبال عليه، ومال إليها جواريه، وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودّة، وكان جواري عمرو بن بانة يشتقن إليها، فيسألنه أن يدعوها، فيقول لهن: ابعثن إلى عليّ حتى يبعث بها إليكن، فإنه يميل إليها، وهو صديقي، وأخشى أن يظن أني قد أفسدتها عليه، ولم يكن به هذا، إنما كان به الدينارات اللّذان يريد أن يحدرها بهما، وكان عمرو من أبخل الناس، وكان صوت إسحاق بن إبراهيم عليها:

يـا ذا الـذي بـعـذابـي ظـلّ مـفـتـخـرَا

وكان صوت علُّويه ومخارق عليها:

قـريـبٌ غـيـر مـقـتـرِب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتها، وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي

أن يسمعها، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبَرْمكته، وتوَقِّيه أن يبلغ المعتصم عنه شيءٌ يَعيبه، وماتت عبيدة من نَزْف أصابها فأفرط حتى أتلفها.

أحذق الناس:

وفي عبيدة يقول بعض الشعراء، ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

أمست عبيدةُ في الإحسان واحدةً فاللَّه جارٌ لها من كلّ محذورِ
من أحسنِ الناس وجهاً حين تُبصرها وأحذقِ الناس إن غنَّتْ بطنبورِ
[البسيط]

هذيان:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخزاعي قال:

سمعت إسحاق يقول: الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان.

صوت

سقمْتُ حتى مَلَّني العائدُ وذُبْتُ حتى شَمِتَ الحاسدُ
وكنت خِلواً من رَسيس[1] الهوى حتى رماني طَرفُك الصائدُ
[السريع]

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد بن يزيد الكاتب، ووجدته في شعر محمد بن أمية له، والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري، رمل طنبوري مطلق، وقد مضت أخبار خالد الكاتب ومحمد بن أمية، ونذكر ها هنا أخبار أحمد بن صدقة.

(١) رسيس الهوى: ابتداء الحبّ.

أخبار أحمد بن صدقة

هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة، وكان أبوه حجازيًّا مغنياً، قدم على الرشيد، وغنى له، وقد ذكرت أخباره في صدر هذا الكتاب، وكان أحمد بن صدقة طنبوريًّا محسناً، مقدماً حاذقاً، حسن الغناء محكم الصنعة، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج، وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين، وكان ينزل الشام، فوُصِف للمتوكل، فأمر بإحضاره، فقدم عليه وغناه، فاستحسن غناءه، وأجزل صلته، واشتهاه الناس، وكثر من يدعوه، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافاً.

صنعة ظريفة كثيرة:

أخبرني بذلك جحظة وقال:

كانت له صنعة ظريفة كثيرة، ذكر منها الصوت المتقدم ذكره، ووصفه وقرّظه، وذكر بعده هذا الصوت:

وشـــادِنٍ[1] يـــنـــطِـــق بـــالـــطَّـــرْفِ حُـسْـنُ حـبـيـبـي مُـنـتـهـى الـوَصْـفِ
هـــام فـــؤادي وجَـــرتْ عَـــبـــرتـــي لا بـــعُـــدَ الإلـــفُ مـــن الإلـــفِ

[السريع]

قال: وهو رمل مطلق، ولو حلَفْت أنهما ليسا عند أحدٌ من مُغنيّ زماننا إلَّا عند واحد ما حنثت. يعني نفسه.

خمسة آلاف درهم:

حدثني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال:

حدثني أحمد بن صدقة قال: اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب، فقلت له: أنشدني بيتين من شعرك حتى أغني فيهما، قال: وأي حظ لي في ذلك؟ تأخذ أنت الجائزة، وأحصل أنا الإثم، فحلفت له أني إن أفدْتُ بشعره فائدة جعلت له منها حظاً أو أذكرت به الخليفة، وسألته فيه، فقال: أما الحظ من جهتك فأنت أنذل من ذلك، ولكن عسى أن تُفلح في مسألة الخليفة، ثم أنشدني:

(١) الشادن: ولد الظبية، وهو هنا كناية عن الحبيب.

تقول سَلا فمَن المُدنَفُ ومن عينُه أبداً تَذْرِفُ؟
ومن قلبُه قَلِقٌ خافق عليك وأحشاؤُه ترْجُفُ؟

[المتقارب]

فلما جلس المأمون للشرب دعاني، وقد كان غضبَ على حَظِيَّة له، فحضرت مع المغنين، فلما طابت نفسه وجَّهت إليه بتفاحة عنبر عليها مكتوب بالذهب: يا سيدي سلوت. وعلم اللَّه أني ما عرفت شيئاً من الخبر.

وانتهى الدور إليَّ فغنيت البيتين، فاحمرَّ وجه المأمون، وانقلبت عيناه، وقال لي: يا ابن الفاعلة، ألك عليَّ وعلى حرمي صاحب خبر؟ فوثبت وقلت: يا سيدي ما السبب؟ فقال لي: من أين عرفت قصتي مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا؟ فحلفت له أني لا أعرف شيئاً من ذلك، وحدثته حديثي مع خالد، فلما انتهيت إلى قوله: أنت أنذل من ذلك ضحك وقال: صدق، وقال: إن هذا لاتفاقٌ ظريفٌ، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها.

في يوم السعانين:

أخبرني محمد قال: حدثنا حماد قال:

حدثني أحمد بن صدقة قال: دخلت على المأمون في يوم السَّعانين[١]، وبين يديه عشرون وصيفةً جَلَباً روميات مُزنَّرات، قد تزينّ بالديباج الروميّ، وعلَّقن في أعناقهن صلبان الذهب، وفي أيديهن الخوص والزيتون، فقال لي المأمون: ويلك يا أحمد، قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنني فيها، ثم أنشدني:

ظباءٌ كالدنانيرِ مِلاحٌ في المقاصيرِ
جلاهُنَّ السعانينُ علينا في الزنانيرِ
وقد زَرْفَنَّ[٢] أصداغاً[٣] كأذنابِ الزَّرازيرِ[٤]
وأقبلن بأوساطٍ كأوساط الزنابيرِ

[الهزج]

فحفظتها وغنيته فيها، فلم يزل يشرب وترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص

(١) السعانين: عيد يحتفل به النصارى قبل الفصح ويلفظ الشعانين أيضاً.
(٢) زَرْفَن: زرفن الشعر، أي جعله كالحَلَق الصغيرة.
(٣) الأصداغ: مفردها الصُّدغ، وهو ما بين العين والأُذن.
(٤) الزرازير: مفردها الزرزور وهو ضرب من الطيور.

من الدستبند إلى الإيلا، حتى سكر، فأمر لي بألف دينار، وأمر بأن ينثر على الجواري ثلاثة آلاف دينار، فقبضت الألف ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهن، فانتهبتُها معهن.

بين أحمد بن صدقة والمسدود:

حدثني جحظة قال:

حدثني جعفر بن المأمون قال: اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون، ومعنا المسدود وأحمد بن صدقة، وكان أحمد قد حلق في ذلك اليوم رأسه، فاستعجلوه بسلافة كانت لهم، فأخذ المسدود سكرَّجة خردل، فصبها على رأس أحمد بن صدقة وقال: كلوا هذه حتى تجيء تلك، فحلف أحمد بالطلاق ألَّا يُقيم، فانصرف، ولما كان من غد جمعهما الفضل بن العباس، فتقدم المسدود، ودخل أحمد وطنبور المسدود موضوع، فجسه ثم قال: من كان يسبح في هذا الماء؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه، على أن الفضل قد خلع عليهما، وحملهما.

قتل أحمد:

ولم يزل أحمد مقيماً حتى بلغه موت بُنيَّة له بالشام، فشخص نحو منزله، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه.

أحمد أبخر:

قال جحظة:

وقال بعض الشعراء يهجو أحمد بن صدقة، وكانت له صديقة فقطعته، فعيَّره بذلك، ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر[1]:

هـربـتْ صـديـقـةُ أحـمـدٍ ... هـربـت مـن الـرِّيـق الـرَّدي
هـربـت فـإن عـادت إلـى ... طُـنـبـورهِ فـاقـطَـع يَـدي

[مجزوء الكامل]

صـوت

أَلَـمْ تـعـلـمـوا أَنـي تُـخـاف عُـرَامـتـي[2] ... وأَن قـنـاتـي لا تـلـيـن عـلـى الـقَـسْـرِ؟
وإنـي وإيـاكـم كـمـن نَـبَّـه الـقـطـا ... ولـو لـم يُـنَـبّـه بـاتـت الـطـيـرُ لا تَـسْـرِي

(١) أبخر: له رائحة فم كريهة.
(٢) العرامة: الحِدَّة والشِدَّة.

أنـاةً وحِـلـمـاً وانـتـظـاراً بـكـم غـداً فـما أنـا بـالـواني ولا الـضَّـرَع[١] الـغُـمـرِ[٢]
أظـنُّ صـروف الـدهـر والـجـهـل مـنـكـمُ سـتـحـمـلـكـم مـنـي عـلـى مَـرْكـب وعْـرِ
[الطويل]

الشعر للحارث بن وَعْلة الجرمي، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسياط لحن آخر ذكره إبراهيم ولم يجنسه، وقيل إن الشعر لوعلة نفسه.

(١) الضّرع: الخاضع المستكين.
(٢) الغمر: الضعيف الذي لم يكتسب التجارب.

أخبار الحارث بن وعلة

اسمه ونسبه:

الحارث بن وَعْلَة بن عبد اللَّه بن الحارث بن بلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جَرْم بن زبَّان ـ، وهو عِلاف، وإليه تُنسب الرِّحال العِلافية وهو أَول من اتخذها ـ بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وقد ذكرت متقدماً الاختلاف في قضاعة، ومَن نسبه معَدِّيّاً، ومن نسبه حِميريّاً. والرّحال العِلافية مشهورة عند الناس قد ذكرتها الشعراء في أشعارها، قال ذو الرمة:

ولـيـلٍ كـجـلـبـاب الـعـروس ادَّرَعْـتُـه بـأربـعـةٍ والـشـخـصُ فـي الـعـيـنِ واحـدُ
أَحَـمُّ عِـلافِـيٌّ وأَبـيـضُ صـارمٌ وأعْـيَـسُ مَـهْـرِيٌّ وأَروعُ مـاجـدُ

[الطويل]

وكان وعلة الجرمي وابنه الحارث من فرسان قضاعة وإنجادها وأعلامها وشعرائها، وشهد وعلة الكُلابَ الثاني، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقري، وطلبه ففاته ركضاً وعَدواً، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء اللَّه تعالى.

يتمثلان بشعر الحارث وأبيه:

فأخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثنا العمري عن العتبي قال:

كتب عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج مبتدئاً:

أما بعد، فإن مثلي ومثلك كما قال القائل:

سـائِـلْ مـجـاورَ جـرْمٍ هـل جـنـيـت لـهـا حَـرْبـاً تُـفـرِّق بـيـن الـجِـيـرة الـخُـلُـطِ؟
أم هـل دَلـفْـتُ بـجـرَّار لـه لَـجَـبٌ يـغـشـى الأمـاعـزَ بـيـن الـسـهـل والـفُـرُطِ؟

[البسيط]

ـ والشعر لوعلة الجرمي ـ هذا مثلي ومثلك، فسأحملك عل أصعبه، وأريحك من مركبه.

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه جوابه:

أما بعد، فإني أَجبتُ عَدُوَّ الرحمن بلا حَوْلَ ولا قوة إلا باللَّه، ولعمرُ اللَّه لقد

صدق، وخلع سلطان اللَّه بيمينه، وطاعته بشماله، وخرج من الدِّين عرياناً كما ولدته أمه.

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال: وعلى أن مثلي ومثله كما قال الشاعر:

أناةً وحِلماً وانتظاراً بكم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَّرَع الغُمْرِ
أظنُّ صروف الدهر والجهل منهمُ ... ستحملهمْ مني على مَركب وَعْرِ

[الطويل]

[إلى قوله: وإني وإياهم] فليت شعري أَسَمَا عدوُّ الرحمن لدعائم دين اللَّه يهدمها؟ أم رام الخلافة أن ينالها؟ وأوشك أن يوهن اللَّه شوكته، فاستعِنْ باللَّه واعلم أن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال مؤلف هذا الكتاب:

الشعر الذي تمثل به عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي، والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة.

وعلة يدرك ثاره:

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثني طلحة بن عبد اللَّه الطلحي، عن أحمد بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال:

قتلت نهدٌ أخا وعلةَ الجرميِّ، فاستعان بقومه فلم يعينوه، فاستعان بحلفاء بني نمير كانوا له حلفاء وإخواناً، فأعانوه حتى أدرك بثأره، فقال في ذلك:

سائل مُجاور جَرْمٍ هل جنيتُ لها ... حرباً تُزَيِّل بين الجِيرة الخُلُطِ؟
أم هل علوت بجرّار له لَجَبٌ ... يغشى الأماعزَ بين السهل والفُرُطِ؟
حتى تركت نساءَ الحيِّ ضاحيةً ... في ساحةِ الدار يَستوقِدْن بالغُبُطِ[1]

[البسيط]

كأنه عقاب:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال:

---

(١) الغُبُط: القبضات المحصودة المصروفة من الزرع، وتعني أيضاً الرحال توضع على ظهر البعير كالهودج.

خرج رجل من بني تميم ـ يقال: إنه قيس بن عاصم، قال الرياشي: وحقق أبو عبيدة أنه قيس ـ يوم الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلاً من ملوك اليمن له فداء، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وعلة الجرمي وعليه مقطعات له، فقال له: على يمينك، قال: على يساري أَقْصَدُ لي، قال: هيهات منك اليمن، قال: العراق مني أبعد، قال: إنك لن ترى أهلك العامَ، قال: ولا أهلك أراهم. وجعل وعلة يركض فرسه، فإذا ظن أنها قد أعيت وثب عنها فعدا معها، وصاح بها فتجري وهو يجاريها، فإذا أعيا وثب فركبها حتى نجا، فسأل عنه قيس فعرف أنه وعلة الجرمي، فانصرف وتركه، فقال وعلة في ذلك:

فِداً لكما رحليَّ أُمّي وخالتي ... غداةَ الكُلاب إذ تُحَفُّ الدوابرُ
نجوت نَجاءً لم يرَ الناسُ مثله ... كأني عُقابٌ عند تَيْمَنَ كاسِرُ
ولما رأيت الخيل تَدعو مُقاعساً ... ينازعني من ثغره النحر حائرُ
فإن أستطع لا تلتَبِسْ بي مُقاعِسٌ ... ولا يرني ميدانهم والمحاضرُ
ولا تك لي حَدَّادةٌ مضرِيَّة ... إذا ما غدت قوتَ العيال تُبادرُ

[الطويل]

أما قوله: تَحفُّ الدوابر، فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه: لا تشتغلوا بأسرهم فيفوتكم أكثرهم، ولكن اتبعوا المنهزمين فجزوا أعصابهم من أعقابهم، ودعوهم في مواضعهم، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم فأخذتموهم، ففعلوا ذلك، وأهل اليمن يومئذٍ ثمانية آلاف، عليهم أربعة أملاك، يقال لهم اليزيدون: وهم يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن المأمون، ويزيد بن المخرم، هؤلاء الأربعة اليزيدون، والخامس عبد يغوث بن وقَّاص، فقُتل اليزيدون أربعتُهم في الوقعة، وأُسر عبد يغوث بن وقاص، فقتلته الرِّباب برجل منها، وقد ذُكر خبر مقتله متقدماً في صوت يغني فيه وهو:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

وأما قوله:

ولما رأيت الخيل تدعو مقاعساً

فإن بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم، تداعت تميم في المعمعة: يا آل كعب، فتنادى أهل اليمن: يا آل كعب، فتنادوا: يا آل الحارث، فتنادى أهل اليمن: يا آل الحارث، فتنادوا: يا آل مقاعس. وتميَّزوا بها من أهل اليمن.

صـــوت

والـلَّـه لا نـظـرَتْ عـيـنـي إلـيـك ولـو ... سـالـت مـسـارِبُـهـا شـوقـاً إلـيـك دَمـا
إن كـنـت خـنـت ولـم أضـمـر خـيـانـتـكـمْ ... فـالـلَّـهُ يـأخـذ مـمـن خـان أو ظـلـمـا
سـمـاجـةٌ لـمـحـبٍّ خـانَ صـاحِـبَـه ... مـا خـان قـطُّ مُـحِـبٌّ يـعـرِف الـكَـرَمـا

[البسيط]

الشعر لعلي بن عبد اللَّه الجعفري، والغناء للقاسم بن زرزور، ولحنه ثقيل أول مطلق ابتداؤه نشيد، وكان إبراهيم بن أبي العبيس يذكر أنه لأبيه.

أخبار علي بن عبد اللَّه بن جعفر ونسبه

اسمه ونسبه:

هو علي بن عبد اللَّه بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب، عليهم السلام، وأمه ولَّادة بنت الحجل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية.

شاعر ظريف حجازي، وكان عمر بن الفرج الرُّخَّجي حمله من الحجاز إلى سرّ من رأى[1] مع من حمل من الطالبيين، فحبسه المتوكل معهم.

حبسه:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: حدثنا عمر بن عثمان الزهري المعروف بابن أبي قباحة قال:

رفع عمرُ بن الفرجِ عليَّ بنَ عبد اللَّه بن جعفر الجعفري إلى المتوكل أيام حج المنتصر، فحبسه المتوكل، لأنه كان شيخ القوم وكبيرهم، وكان أغلظَ لعمر بن الفرج.

تديَّث في شعره:

قال: وكان علي بن عبد اللَّه مكث في الحبس مدة، فدخل عليه رجل من الكتاب يوماً فقال: أريد هذا الجعفريّ الذي تَدَيَّث في شعره، فقلت له: إليَّ فأنا هو، فعدل إليَّ وقال: جُعلت فِداك، أُحب أن تنشدني بيتيك اللّذين تَدَيَّثت فيهما، فأنشدته:

ولـمـا بَـدَا لـي أنـهـا لا تـودُّنـي ... وأن هـواهـا لـيس عـنـي بـمُـنْـجَـلـي

تـمـنَّـيـت أن تـهـوى سِـوايَ لـعـلـهـا ... تـذوق حـرارات الـهـوى فـتـرِقّ لـي

[الطويل]

قال: فكتبهما، ثم قال لي: اسمع ـ جعلت فداك ـ بيتين قلتهما في الغيرة، فقلت: هاتهما، فأنشدني:

---

(١) سُرَّ من رأى: سامرَّاء حالياً.

ربَّـــمـــا ســـرَّنـــي صـــدودُك عـــنـــي فـــي طِـــلابـــيـــك وامـــتـــنـــاعـــك مـــنـــي
حـــذراً أن أكـــون مـــفـــتـــاح غـــيـــري فـــإذا مـــا خـــلـــوتُ كـــنـــت الـــتـــمـــنِّـــي
[الخفيف]

حدثني اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى العقيلي:

أن علي بن عبد اللّه الجعفري أنشده:

والـــلَّـــه والـــلَّـــه ربـــي وتـــلـــك أقـــصـــى يـــمـــيـــنـــي
لـــو شـــئـــتُ ألَّا أُصـــلـــي لـــمـــا وَضـــعْـــتُ جَـــبـــيـــنـــي
[المجتث]

هوى اللذات والدين:

حدثنا اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى قال:

حدثني علي بن عبد اللّه الجعفري قال: مرت بي امرأة في الطواف وأنا جالس أنشد صديقاً لي هذا البيت:

أَهْوى هَوى الدِّينِ واللَّذاتُ تعجبني فكيف لي بِهَوى اللَّذَّات والدِّينِ؟
[البسيط]

فالتفتت المرأة إليَّ وقالت: دع أيهما شئت وخذ الآخر.

حدثنا اليزيدي قال: حدثنا محمد بن الحسن الزرقي قال: حدثنا عبد اللّه بن شبيب قال:

أنشدني علي بن عبد اللّه بن جعفر الجعفري لنفسه:

واللَّـه لا نـظـرتْ عـيـنـي إلـيـك ولـو سـالـت مـسـارِبُـهـا شـوقـاً إلـيـك دَمـا
إلا مـفـاجـأة عـنـد الـلـقـاء ولا نـازَعْـتُـك الـدهـر إلَّا نـاسـيـاً كَـلِـمـا
إن كـنـت خـنـت ولـم أُضـمـر خـيـانـتـكـم فـاللَّـه يـأخـذ مـمـن خـان أو ظـلـمـا
سـمـاجـةٌ لـمـحـبٍّ خـان صـاحـبَـه مـا خـان قـطُّ مـحـبٌّ يـعـرِف الـكَـرَمـا
[البسيط]

قال عبد اللّه بن شبيب:

وأنشدني علي بن عبد اللّه الجعفري لنفسه:

صـــوت

وقف الـهـوى بـي حـيـث أنـتِ فـلـيـس لـي ... مُـــتـــأخِّـــرٌ عـــنـــه ولا مُـــتـــقـــدِّمُ
أجِـــد الـــمـــلامـــةَ فـــي هـــواكِ لـــذيـــذةً ... حُـــبّـــاً لـــذكـــركِ فـــلـــيـــلُـــمْـــنـــي الـــلُّـــوَّمُ
وأَهـــنـــتِـــنـــي فـــأهـــنـــتُ نـــفـــسـي جـــاهـــداً ... مـــا مَـــن يَـــهـــون عـــلـــيـــكِ مـــمـــن يُـــكْـــرَمُ
أشـــبـــهْـــتِ أعـــدائـــي فـــصـــرْتُ أُحـــبُّـــهـــم ... إذ صـــار حـــظِّـــي مـــنـــكِ حـــظِّـــي مـــنـــهـــمُ

[الكامل]

صـــوت

أتـــعـــرِف رســـم الـــدار مـــن أمِّ مـــعْـــبـــدِ ... نـــعـــمْ فـــرمـــاك الـــشـــوقُ قـــبـــل الـــتـــجـــلُّـــدِ
فـــيـــا لـــك مـــن شـــوقٍ ويـــا لـــك عَـــبـــرة ... ســـوابِـــقُـــهـــا مـــثـــلُ الـــجُـــمـــان الـــمُـــبـــدَّدِ

[الطويل]

الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة، والغناء لجميلة خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي، وذكر الهشامي أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول، وأنه يظنه من منحول يحيى إليه.

أخبار عتيبة ونسبه

اسمه ونسبه:

عتيبة بن مرداس أحد بني عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم، لم يقع إليَّ من نسبه غير هذا، وهو شاعرٌ مُقِلّ، غير معدود في الفحول، مخضرم، ممن أدرك الجاهلية والإسلام، هجّاء خبيث اللسان بَذِيء، وابن فسوة لقب لزمه في نفسه، ولم يكن أبوه يلقب بفسوة، إنما لقب هو بهذا.

لماذا لقب بابن فسوة؟

وقد اختلف في سبب تلقيبه بذلك:

فذكر إسحاق الموصلي، عن أبي عمرو الشيباني، نسخت ذلك من كتاب إسحاق بخطه:

أن عتيبة بن مرداس كان فحّاشاً كثير الشّر، قد أدرك الجاهلية، فأقبل ابنُ عمٍّ له من الحج، وكان من أهل بيت منهم يقال لهم: بنو فسوة، فقال له عتيبة: كيف كنت يا ابن فسوة؟ فوثب مغضباً فركب راحلته، وقال: بئس لعمرو اللَّه ما حيَّيْتَ به ابنَ عمك، قدم عليك من سفر، ونزل دارك، فقام إليه عتيبة مستحيياً، وقال له: لا تغضب يا ابن عمّ، فإنما مازحتك، فأبى أن ينزل داره، فقال له: انزل وأنا أشتري منك هذا الاسم فأتسمّى به، وظن أن ذلك لا يضُرُّه، قال: لا أفعل أو تشتريه مني بمحضر من العشيرة، قال: نعم، فجمعهم وأعطاه بُرْداً وجملاً وكَبشين، وقال لهم عتيبة: اشهدوا أني قد قبلت هذا النَّبَز[1] وأخذت الثمن، فأنا ابنُ فسوة، فزالت عن ابن عمّه يومئذٍ وغلبتْ عليه وهُجي بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

أَوْدَى ابــنُ فــســوة إلا نــعــتَــه الإبــلا

وعُمِّر عمراً طويلاً، وإنما قال:

أَوْدَى ابــن فــســوة إلا نــعــتَــه الإبــلا

(١) النَّبَز: اللّقب.

لأنه كان أوصف الناس لها، وأغراهم بوصفها، ليس له كبير شعر إلا وهو مُضمَّن وصفها.

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

إنما سمي عتيبةُ بنُ مرداسٍ ابنَ فَسوةَ لأنه كان له جارٌ من عبد القيس، فكان يتحدث إلى ابنته، وكان لها حظ من الجمال، وكانت تُعجبه ويهيم بها، فكان أحداث بني تميم إذا ذكروا العبقسي قالوا: قال ابن فسوة، وفعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ، فعمل على التحوُّل عنهم، وبلغ ذلك عتيبة، فأتاه فطلب إليه أن يقيم، وأن يحتمل اسمه ويشتريه منه ببعير، فلم يفعل، قال العبقسي: فتحولت عنهم، وشاع في الناس أنه قد ابتاع مني ذلك الاسم، فتحوَّل عني وغلب عليه، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له:

وحـوَّلَ مـولانـا عـلـيـنـا اسـمَ أُمِّـه أَلا رُبَّ مَـولـىً نـاقـصٌ غـيـرُ زائـدِ

[الطويل]

ابن عباس يهدّده ويحبسه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وابن جعدبة قالوا.

أتى عتيبةُ بنُ مرداس ـ وهو ابن فسوة ـ عبدَ اللَّه بن العباس عليهما السلام، وهو عامل لعليّ بن أبي طالب ـ صلوات اللَّه عليه ـ على البصرة، وتحته يومئذٍ شميلة بنت جنادة بن أبي أزيهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي، فاستأذن عليه فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم، فيعطونه ويخافون لسانه، فلما دخل عَلى ابنِ عباس قال له: ما جاء بك إليَّ يا ابن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مَقْصَرٌ أو وراءك مَعْدًى؟ جئتك لتعينني على مروءتي، وتصل قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروءة من يعصي الرحمن، ويقول البهتان، ويقطع ما أمر اللَّه به أن يوصل؟ واللَّه لئن أعطيتُك لأعينَنَّك على الكفر والعصيان، انطلق، فأنا أُقسم باللَّه لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك، فأراد الكلام فمنعه من حضر، وحبسه يومه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة، فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ عليه السلام، فلقي الحسن بن علي عليه السلام وعبد اللَّه بن جعفر عليهما السلام، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام، فأخبرهما، فاشتريا عرضه بما أرضاه، فقال يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام، ويلوم ابن عباس رضي اللَّه عنهما:

أَتيتُ ابنَ عباس فلم يقضِ حاجتي ... ولم يرجُ معروفي ولم يخشَ مُنكري
حبست فلم أَنطقْ بعذرٍ لحاجة ... وسَدَّ خَصاص[١] البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه ... كصوت الحَمام في القَليبِ المُغَوّرِ
وما أنا إذ زاحمت مِصراعَ بابه ... بذي صولة باقٍ ولا بِحَزَوَّرِ[٢]
فلو كنت من زَهرانَ لم يَنْسَ حاجتي ... ولكنني مَوْلى جميلِ بن معمرِ

[الطويل]

وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشي.

وباتت لعبد اللَّه من دون حاجتي ... شُمَيْلة تلهو بالحديث المُفتَرِ
ولم يَقترب من ضوء نارٍ تَحثُّها ... شُمَيْلة إلا أن تَصَلَّى بِمجمرِ
تطالع أهل السوق والبابُ دونها ... بسائلة الذِّفرى[٣] أسيلِ المذَمّرِ[٤]
إذا هي همت بالخروج يَرُدُّها ... عن الباب مصراعَا مُنيفٍ مُحَيَّرِ

[الطويل]

وجدت بخط إسحاق الموصلي: مُجبَّر: [مُحَيَّر. والمحيّر: المصهرج والحيار: الصهروج، وهو الفعلال].

فليت قلوصي عُرِّيَتْ أو رَحَلْتها ... إلى حسن في داره وابن جعفرِ
إلى ابن رسول اللَّه يأمر بالتُّقى ... وللدِّين يدعو والكتابِ المطهَّرِ
إلى معشر لا يخصِفون نِعالهم ... ولا يلبسون السِّبت[٥] ما لم يُخَصَّرِ
فلما عرفت اليأس منه وقد بَدَتْ ... أيادِي سبا الحاجات للمتذكِّرِ
تسنَّمت حُرجوجاً[٦] كأن بُغامها[٧] ... أَحيحُ ابنِ ماءٍ في يَراع مُفَجَّرِ
فما زلت في التسيار حتى أَنَخْتُها ... إلى ابن رسولِ الأُمَّة المُتخَيَّرِ
فلا تَدَعُنِّي إذ رحلت إليكمُ ... بني هاشم أن تُصدِروني لِمَصْدَرِ

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة هذا ذكر في الخبر منها.

(١) خصاص البيت: شقوق وثقوب البيت.
(٢) الحَزَور: الغلام إذا اشتدَّ وقوي وخدم.
(٣) الذِّفرى: من لدن المِقذّ إلى نصف القَذال والمقذّ: ما بين الأذنين من خلف.
(٤) المذمّر: الكاهل والعنق وما حولهما.
(٥) السِّبت: هو كلّ جلد مدبوغ. (٦) الحرجوج: الناقة الطويلة.
(٧) البُغام: صوت الناقة عند انقطاع الحنين وعدم مدّه.

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، عن عمر بن شبّة، عن المدائني مثل ما مضى أو قريباً منه ولم يتجاوز عمر بن شبّة المدائني في إسناده.

خبيث اللسان:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي:

كان عتيبة بن مرداس السلمي شاعراً خبيث اللسان، مخوف المعرة، في جاهليته وإسلامه، وكان يُقدِم على أمراء العراق وأشراف الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على ابن عامر بن كريز، وكان جواداً، فلما استؤذن له عليه أرسل إليه: إنك واللَّه ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً، وأمر به فلُكِز وأُهين، فقال ابن فسوة:

وكـائـنْ تـخـطَّـت نـاقـتـي وزمـيـلُـهـا ... إلـى ابـن كُـريـز مـن نُـحـوس وأَسْـعُـدِ
وأغـبـرَ مـسـحـولِ الـتـراب تَـرى لـه ... حَـيـاً طـرَدتـه الـريـحُ مـن كـلِّ مَـطـرَدِ
لـعـمـرك إنـي عـنـد بـاب ابـن عـامـر ... لـكـالـظَّـبـي بـعـد الـرَّمْـيـة الـمـتـردّدِ
فـلـم أر يـومـاً مـثـلـه أن تَـكـشَّـفَـتْ ... ضَـبـابـتُـه عـنـي ولـمَّـا أُقـيَّـدِ

[الطويل]

تراجع:

فبلغ قولُه ابنَ عامرٍ، فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا، ورجع له، وأحسن القومُ رِفدَه وقالوا: هذا شاعر فارس، وشيخ من شيوخ قومه، واليسير يرضيه، فقال: رُدُّوه، فرُدَّ، فقال له: إيه يا عتيبة، ارْدُدْ عَليَّ ما قلتَ، فقال: ما قلت إلا خيراً، [قال هاته: فقال:] قلت:

أتـعـرف رسـم الـدر مـن أمّ مـعـبـدِ ... نـعـم فـرمـاك الـشـوقُ قـبـل الـتـجـلُّـدِ
فـيـا لـك مـن شـوقٍ ويـا لـك عـبـرةً ... سـوابـقُـهـا مـثـلُ الـجُـمـان الـمـبـدَّدِ
وكـائـنْ تـخـطَّـت نـاقـتـي وزمـيـلُـهـا ... إلـى ابـن كُـريـز مـن نُـحـوس وأسـعُـدِ
فـتـىً يـشـتـري حـسـنَ الـثـنـاء بـمـالـه ... ويـعـلـم أن الـمـرءَ غـيـرُ مـخـلَّـدِ
إذا مـا مُـلـمَّـاتُ الأمـورِ اعـتـلَـيْـنَـه ... تـجـلَّـى الـدُّجـى عـن كـوكـبٍ مُـتَـوقِّـدِ

[الطويل]

فتبسم ابن عامر وقال: لعمري ما هكذا كنت قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضي وانصرف.

هيفاء ناهد:

قال: وأنشدنا ابن الأعرابي له بعقب هذا الخبر، وكان يستحسن هذه الأبيات ويستجيدها:

مُنعَّمةٌ لم يَغْذُها أهلُ ثَلَّةٍ[١] ... ولا أهلُ مِصْرٍ فهي هيفاءُ ناهدُ
فريعت فلم تحيا ولكن تأوّدت ... كما ابيضَّ مكحولُ المدامع فاردُ[٢]
وأهوَتْ لتنتاش[٣] الرُّوَاق[٤] فلم تَقُمْ ... إليه ولكن طأطأتهُ الولائدُ
قليلةُ لحْم الناظِرَينِ يزَينها ... شبابٌ ومَخفوضٌ من العيش بارِدُ
تناهى إلى لهو الحديث كأنها ... أخو سقم قد أسلمته العوائدُ
ترى القرطَ منها في فتاةٍ كأنها ... بمَهْلكةٍ لولا البُرَا[٥] والمعاقِدُ[٦]

[الطويل]

سفار قبر التغلبي:

وقال أبو عمرو الشيباني:

أغار رجل من بني تغلب يقال له: الهذيل ـ بعقب مقتل عثمان رضي اللَّه عنه ـ على بني تميم، فأصاب نَعماً كثيراً، فورد بها ماءً لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، يقال له: سَفَارِ، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نعيم بن قعنب بن الحارث بن عمرو بن همَّام بن رياح، في إبل لهما قد أورداها، فأراد الهذيل أخذها، فتفرقت، فتفرق أصحابه في طلبها، وهو قائم على رأس رَكيَّةٍ[٧] من سَفَارِ، فرماه أحدهما فقتله، فوقع في الرَّكيَّة، فكانت قَبْرَه، ويقال: بل رماه عبد أسود لمالك بن عروة المازني، فقال عتيبة بن مرداس الذي يقال له ابن فسوة في ذلك:

---

(١) الثلَّة: الجماعة الكثيرة من الغنم والضأن.
(٢) الفارد: المُتنحِّي.
(٣) تنتاش: تتناول.
(٤) الرُّواق: كساء مرسل على مقدَّم البيت من أعلاه إلى الأرض.
(٥) البُرا: مفردها البرة وهي الحلقة من القرط والسوار والخلخال.
(٦) المعاقِد: مفردها المعقِد، وهو القريب المنزلة.
(٧) الركيَّة: البئر، جمعها رُكيّ وركايا.

مـن مـبـلـغٌ فـتـيـانَ تـغـلِـبَ أنـه خَـلَا لـلـهُـذَيـلِ مـن سَـفَـارِ قَـلِـيـبُ
إذا صَـوَّت الأصـداءُ صَـوَّتَ وسـطـهـا فـتـىً تـغـلـبـيٌّ فـي الـقَـلـيـب غـريـبُ
فـأعـددتُ يَـرْبـوعـاً لـتـغـلـبَ إنـهـم أنـاسٌ عَـرَتـهُـمْ فـتـنـةٌ وحـروبُ
حَـوَيْـتَ لـقـاحَ ابـنـيْ نُـعـيـمِ بـنِ قَـعْـنـبٍ وإنـك إنْ أحـرزَتـهـا لـكـسـوبُ
[الطويل]

ابن فسوة يهجو بشر بن كهف:

وقال أبو عمرو أيضاً:

كان عبد اللَّه بن عامر بن كريز قد تزوج أختَ بشر بن كهف أحد بني خزاعة بن مازن، فكان أثيراً عنده، واستعمله على الحِمَى، فسأله ابن فسوة أن يُرْعِيَه، فأبى ومنعه، وطرد إبله، فقال في ذلك:

ومـن يـك أرعـاهُ الـحِـمَـى أَخـواتُـه فـمـا لِـيَ مـن أُخْـتٍ عَـوانٍ ولا بِـكْـرِ
ومـا ضَـرَّهـا إن لـم تـكـن رَعَـتِ الـحِـمَـى ولـم يـطـلـب الـخَـيْـر الـمـمَـنَّـعَ مـن بِـشْـرِ
مـتـى مَـا نَـحَـا يـومـاً إلـى الـمـال وارِثـي يَـجِـدْ قَـبْـضَ كَـفٍّ غـيـر مـلأَى ولا صِـفْـرِ
يـجـد مُـهـرةً مِـثْـلَ الـقـنـاةِ طِـمِـرَّةً[1] وعَـضْـبـاً إذا مـا هُـزَّ لـم يَـرْضَ بـالـهَـبْـرِ[2]
فـإن تـمـنـعـوا مـنـهـا حِـمـاكـم فـإنـه مُـبَـاحٌ لـهـا مـا بـيـن إنْـبِـطَ فـالـكُـدْرِ
إذا مـا امـرؤٌ أَثـنـى بـفـضـلِ ابـنِ عـمّـه فـلـعـنـةُ ربّ الـعـالـمـيـن عـلـى بِـشْـرِ
[الطويل]

يمدح قومه ويهجو بني سعد:

وقال أبو عمرو الشيباني، ونسخته أيضاً من خط إسحاق الموصلي، وجمعت الروايتين:

إن ابن فسوة نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة، وبات بهم، ومعه جارية له يقال لها: جوزاء، فسرقوا عَيْبَة له فيها ثيابه وثياب جاريته، فرحل عنهم، فلما عاد إلى قومه أعلمهم ما فعله به بنو سعد بن مالك، فركب معه فرسان منهم، حتى أغاروا على إبل لبني سعد، فأخذوا منها صِرْمَةً[3] واستاقوها، فدفعوها إليه، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد بقوله:

---

(١) الطِّمرة: الطمر الفرس الجواد والطّمرة مؤنثه.
(٢) الهَبْر: القطع الكبيرة من اللّحم. (٣) الصِّرْمَة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين تقريباً.

جزى اللَّه قومي من شفيعٍ وشاهدٍ ... جزاءَ سليمانَ النبيِّ المُكَرّمِ
همُ القومُ لا قومُ ابن دارةَ سالمٍ ... ولا ضَابِىءٍ أَنْ أُسْلِما شر مُسْلَمِ
وما عَيْبَةُ الجوزاءِ إذ غَدرتْ بها ... سَراةُ بني قَيْس بِسِرٍّ مُكَتَّمِ
إذا ما لقيت الحيَّ سعدَ بن مالك ... على زُمَّ فانزِلْ خائفاً أو تَقَدَّمِ
أُناس أجارونا فكان جوارهم ... شَعاعاً كلَحْم الجازرِ المُتقَسَّمِ
لقد دَنِستْ أعراضُ سعدِ بن مالك ... كما دَنِست رجلُ التقيِّ من الدَّمِ
لهم نسوةٌ دُسم الثيابِ مواجنٌ ... يُنادين من يبتاع عُوداً بدرهمِ
إذا أَيِّمٌ قيسيَّة مات بعلُها ... وكان لها جارٌ فليستْ بأَيِّمِ
يُمَشِّي ابنُ بشرٍ بينهن مقابلاً ... بأير كأير الأرجحيّ المُخرَّمِ
إذا راح من أبياتهنّ كأنما ... طَلَيْتَ بِتَنُّومٍ[1] قفاه وخِمْخِمِ[2]

[الطَوِيل]

وفي رواية إسحاق:

تسوق الجواري مفخراه كأنما ... دَلَكْنَ بتَنُّوم قفاه وخِمْخِمِ

[الطويل]

صوت

قد طال شَوْقي وعادني طَرَبي ... من ذكر خَوْدٍ[3] كريمةِ الحسبِ
غرَّاءُ مثلُ الهلال صُورَتُها ... أو مثلُ تمثالِ صُورة الرُّهُبِ

[المنسرح]

ويروى: بيعة الرُّهُب، وصورة الذهب، الشعر لعبد اللَّه بن العجلان النَّهدي، والغناء لمالك، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن مسجح.

(١) التنّوم: ضرب من النبات يشوبه السواد.
(٢) الخِمخِم: نبات تتغذى به الإبل أسود اللون.
(٣) الخَوْد: الحَسَنة الخُلُق، الشابة الناعِمة.

أخبار عبد اللَّه بن العجلان

اسمه ونسبه:

هو عبد اللَّه بن العجلان بن الأحب بن عامر بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

قتله العشق:

شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء، ومن قتله العشق منهم، وكان له زوجة يقال لها: هند، فطلقها، ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجاً غيره، فمات أسفاً عليها.

يرغم على طلاق هند وهو سكران:

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي قال:

كان عبد اللَّه بن العجلان النهدي سيّداً في قومه، وابن سيد من ساداتهم، وكان أبوه أكثر بني نهد مالاً، وكانت هند امرأة عبد اللَّه بن العجلان التي يذكرها في شعره امرأةً من قومه من بني نهد، وكانت أحبّ الناس إليه، وأحظاهم عنده، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد، فقال له أبوه: إنه لا ولد لي غيرك، ولا ولد لك، وهذه المرأة عاقر، فطلقها وتزوج غيرها، فأبى ذلك، فآلى ألَّا يكلمه أبداً حتى يطلقها، فأقام على أمره، ثم عمد إليه يوماً وقد شرب الخمر حتى سكر وهو جالس مع هند، فأرسل إليه: أن صِرْ إليَّ، فقالت له هند: لا تمض إليه، فواللَّه ما يريدك لخير، وإنما يريدك لأنه بلغه إنك سكران، فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقني فنمْ مكانك ولا تمض إليه، فأبى وعصاها، فتعلقت بثوبه، فضربها بمسواك، فأرسلته، وكان في يدها زعفران، فأثَّر في ثوبه مكان يدها، ومضى إلى أبيه، فعاوده في أمرها وأنَّبه وضعَّفه وجمع عليه مشيخة الحي وفتيانهم، فتناولوه بألسنتهم وعيّروه بشغفه بها وضعف حزمه، ولم يزالوا به حتى طلقها، فلما أصبح خُيِّر بذلك، وقد علمت به هند، فاحتجبت عنه، وعادت إلى أبيها، فأسف عليها أسفاً شديداً، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير، فزوجها أبوها منه، فبنى بها عندهم، وأخرجها إلى بلده،

فلم يزل عبد اللَّه بن العجلان دنفاً سقيماً، يقول فيها الشعر ويبكيها، حتى مات أسفاً عليها، وعرضوا عليه فتيات الحي جميعاً فلم يقبل واحدة منهن، وقال في طلاقه إياها:

فارقتُ هنداً طائعاً ... فندمتُ عند فراقِها
فالعين تُذْري دمعةً ... كالدُّرِّ من آماقِها
مُتحلِّباً فوق الردا ... ءِ يجول من رَقراقِها
خَوْدٌ رداحٌ[1] طَفْلَةٌ ... ما الفحشُ من أخلاقِها
ولقد ألذّ حديثَها ... وأُسرُّ عند عناقِها

[مجزوء الكامل]

وفي هذه القصيدة يقول:

إن كنت ساقيةً ببُزْ ... ل الأدم أو بحِقاقِها
فاسقي بني نَهدٍ إذا ... شربوا خيارَ زِقاقِها
فالخيلُ تعلم كيف نَلْـ ... ـحقُها غداة لحاقِها
بأسنَّةٍ زُرق صبحْنا ... القومَ حدَّ رِقاقِها
حتى تَرَىْ قِصَدَ القنا ... والبيض في أعناقِها

[مجزوء الكامل]

بين نهد وبني عامر:

قال أبو عمرو الشيباني:

لما طلق عبد اللَّه بن العجلان هنداً نكحت في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً، فأغاروا على طوائف منهم، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحَرِيش وبنو قُشَير، ونذروا بهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، وغنمت بنو نهد أموالهم، وقتل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب، وسبعة بنين له، وقُرط وجُدعان ابنا سلمة بن قشير، ومرداس بن جعدة بن كعب، وحُسيل بن عمرو بن معاوية، ومسحقة بن المجمع الجعفي، فقال عبد اللَّه بن العجلان في ذلك:

أَلا أبلغْ بني العجلان عني ... فلا يُنبيك بالحَدَثانِ غيري

(١) الرَّداح: الثقيلة الأوراك.

بـأنَّـا قـد قـتـلـنـا الـخـيـر قُـرْطـاً وجُـلـنـا فـي سـراة بـنـي نُـمـيـرِ
وأفـلَـتـنـا بـنـو شَـكَـل رِجـالاً حُـفـاةً يـربـئـون عـلـى سُـمَـيْـرِ
[الوافر]

امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم:

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم:

أصـبـتـمْ يـا بـنـي نـهـدِ بـن زيـدٍ قُـرومـاً[1] عـنـد قـعـقـعـةِ الـسـلاحِ
إذا اشـتـد الـشـتـاء وكـان مَـحْـلٌ وحـارد فـيـه إخـوانُ الـسـمـاحِ
أهـانـوا الـمـال فـي الـلَّـزبـاتِ صَـبْـراً وجـادوا بـالـمـتـالـي والـلّـقـاحِ
[الوافر]

[ناقة متلية: يتلوها ولدها].

فـبَـكِّـي مـالـكـاً وابْـكِـي بُـجـيـراً وشـداداً لـمـشـتـجِـر الـرمـاحِ
وكـعـبـاً فـانـدُبـيـه مـعـاً وقُـرْطـاً أولـئـك مـعـشـر هَـدُّوا جـنَـاحـي
وبـكِّـي إن بـكـيـتِ عـلـى حُـسـيـل ومـرداس قـتـيـلِ بـنـي صُـبَـاحِ
[الوافر]

أسير عبد اللَّه بن العجلان:

قال: وأسر عبد اللَّه بن العجلان رجلاً من بني الوَحيد، فمَنَّ عليه وأطلقه، ووعده الوحيدي الثواب فلم يَفِ، فقال عبد اللَّه:

وقـالـوا لـن تـنـالَ الـدهـرَ فـقـراً إذا شَـكـرتْـك نـعـمـتَـك الـوَحـيـدُ
فـيـا نـدمـاً نـدمـت عـلـى رِزامٍ[2] ومُـخْـلَـفِـه كـمـا خُـلِـع الـعَـتـودُ[3]
[الوافر]

نذير هند:

قال أبو عمرو:

ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد، فقالت هند امرأة عبد اللَّه بن العجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: هل لك في خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر؟ فقال: أفعل، فحملته على ناقة

(١) القروم: سادة القوم.
(٢) الرِّزام: ما شُد من ثوب واحد مفردها الرَّزمة.
(٣) العَتود: السِّدْرة.

لزوجها ناجيةٍ، وزودته تمراً ووَطْباً[١] من لبن، فركب فجدّ في السير، وفني اللبن، فأتاهم والحي خلوف في غزو وميرة، فنزل بهم وقد يبس لسانه، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم، وأومأ لهم إلى لسانه، فأمر خراش بن عبد اللَّه بلبن وسمن فأسخن، وسقاه إياه، فابتلَّ لسانه وتكلم، وقال لهم: أُتيتم، أنا رسول هند إليكم تنذركم، فاجتمعت بنو نهد واستعدّت، ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر، فقال عبد اللَّه بن العجلان في ذلك:

وعاوَدَ عيني نصبُها وغرورُها ... أهمٌّ عراها أم قذاها يَعُورُها؟
أم الدارُ أمست قد تَعفَّت كأنها ... زَبورُ يَمانٍ نقّشته سُطُورُها؟
ذكرت بها هنداً وأَترابها الألى ... بها يكذب الواشي ويُعصى أميرُها
فما مُعْوِلٌ[٢] تبكي لفقدِ أَليفها ... إذا ذكرته لا يَكُفُّ زفيرُها
بأسرع مني عَبْرةً إذ رأيتُها ... يخبُّ[٣] بها قبل الصباح بَعيرُها
ألم يأتِ هنداً كيفما صُنْعُ قومِها ... بني عامرٍ إذ جاء يسعى نَذيرُها
فقالوا لنا إنَّا نحبُّ لقاءكم ... وإنَّا نُحيِّي أرضَكم ونزورُها
فقلنا إذاً لا نَنْكُلُ الدهرَ عنكمُ ... بصُمٍّ القنا اللائي الدماءَ تُميرُها
فلا غرو أن الخيل تنحِط في القنا ... تمطَّرُ من تحت العوالي ذُكورُها
تأوه مما مَسَّها من كريهةٍ ... وتُصِغي الخدودَ والرماحُ تصُورُها
وأصحابها صرْعى ببُرْقةِ أَخْرَبٍ ... تُجرِّرُهم ضبعانُها ونُسورُها
فأبلغْ أبا الحجاج عني رسالة ... مغلغلة لا يُفلتَنْك بُسُورُها
فأنت منعتَ السلم يوم لقيتنا ... بكفّيك تُسْدِي غَيَّةً وتُنِيرُها
فذوقوا على ما كان من فَرْطِ إحْنَةٍ ... حلائبنا إذ غاب عنا نَصيرُها

[الطويل]

نهاية حب:

قال أبو عمرو:

فلما اشتد ما بعبد اللَّه بن العجلان من السقم خرج سِرّاً من أبيه مخاطراً بنفسه، حتى أتى أرض بني عامر، لا يرهب ما بينهم من الشر والتِّرات، حتى نزل ببني نمير،

(١) الوطب: السقاء يجعل للَّبن.
(٢) المُعوِل: الرافع صوته بالبكاء والعويل.
(٣) يخبُّ: يسرعُ.

وقصد خباءَ هند، فلما قارب دارها رآها وهي جالسة على الحوض، وزوجها يسقي ويذود الإبل عن مائِهِ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره، وأقبل يشتدُّ إليها، وأقبلت تشتد إليه، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان وينشجان[١] ويشهقان حتى سقطا على وجوههما، وأقبل زوج هند لينظر ما حالهما، فوجدهما ميتين.

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض بني نهد:

أن عبد اللَّه بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم، فمنعه أبوه وخوفه الثارات، وقال: نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت، فحج وحج أبوه معه، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت، وأثر كفّها في ثوبه بخَلوق، فرجع إلى أبيه في منزله، وأخبره بما رأى، ثم سقط على وجهه فمات.

هذه رواية أبي عمرو.

هند. . . وهند:

وقد حدثنا محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عبد اللَّه بن علي بن الحسن قال: حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن أيوب عن ابن سيرين قال:

خرج عبد اللَّه بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إن هنداً أصبحت منك مَحرَمَا وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا
وأصبحتَ كالمقمورِ[٢] جفنَ سلاحِه يُقلِّب بالكفَّين قوساً وأسهُمَا

[الطويل]

ثم مدَّ بها صوته فمات.

قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا.

وهذا الخبر عندي خطأ، لأن أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، وهل حدث بعده

(١) ينشج: يغصُّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.
(٢) المقمور: الذي خسر بالقِمار.

شيء، فقال لا، إلا أني تزوجت هنداً بنت عتبة، فمات مسافر أسفاً عليها، ويدلُّ على صحة ذلك قوله:

وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا

لأنه ابن عمّ أبي سفيان بن حرب لحّاً، وليس النُّميري المتزوجُ هنداً النهدية من بني عمِّ عبد اللّه بن العجلان فيكون من أحمائها، والقول الأول على هذا أصح.

تباعد يا ابن عمي:

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هنداً سلامي وإن نأتْ ... فقلبي بها مُذْ شطَّتِ الدارُ مُدنَفُ[١]

ولم أر هنداً بعد موقفِ ساعةٍ ... بأنْعمَ في أهل الديار تُطَوِّفُ

أتتْ بين أترابٍ تَمايسُ[٢] إذ مشتْ ... دبيبَ القطا أو هُنَّ منهن أقطَفُ

يُباكِرْن مِرْآةً جَلِيّاً وفارةً ... ذَكِيّاً وبالأيدي مَدَاكٌ[٣] ومِسْوَفُ[٤]

أشارت إلينا في حياء وراعها ... سراةَ الضُّحى مني على الحيِّ موقِفُ

وقالت تباعَدْ يا ابن عمي فإنني ... مُنِيت بذي صَوْلٍ يَغار ويَعْنُفُ

[الطويل]

رجاء:

أخبرني الحسن بن علي قال: أنشدنا فضل اليزيدي عن إسحاق.

لعبد اللّه بن العجلان النهدي، قال إسحاق وفيه غناء:

خليليَّ زورا قبل شحط النوَى هنداً ... ولا تأمنا من دارِ ذي لَطَفٍ بُعْدا

ولا تَعْجلا، لم يَدرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيّاً يلاقي في التعجُّل أم رُشْدا

ومُرَّا عليها بارك اللّه فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجْهَيكما قَصْدا

وقولا لها ليس الضلالُ أجازَنا ... ولكنَّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا

[الطويل]

---

(١) المُدنف: المريض مرضاً ملازماً.

(٢) تمايسُ: تتبختر.

(٣) المداك: الحجر يُسحق عليه الطِّيْب.

(٤) المِسْوَف: مكان الشمّ.

صـــوت

ألا يـــا ظـــبـــيـــةَ الـــبـــلـــدِ بَـــرانـــي طـــولُ ذا الـــكـــمَـــدِ
فَـــرُدِّي يـــا مـــعـــذِّبـــتـــي فـــؤادي أو خُـــذي جَـــســـدي
بُـــلـــيـــت لـــشِـــقـــوتـــي بـــكـــمُ غُـــلامـــاً ظـــاهـــر الـــجَـــلـــدِ
فـــشـــيَّـــبَ حُـــبُّـــكـــم رأســـي وبـــيَّـــض هـــجـــرُكـــم كـــبـــدي

[مجزوء الوافر]

الشعر للمؤمل بن أُميل، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار المؤمّل ونسبه

اسمه ونسبه:

المؤمّل بن أُميل بن أُسيد المحاربي، من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

منزلته:

شاعر كوفي مخضرم من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته في العباسية أكثر، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم، ومن يخصهم ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعد وفاته، وهو صالح المذهب في شعره، ليس من المبرزين الفحول، ولا المرذولين، وفي شعره لين، وله طبع صالح.

يتمنى العمى فيعمى:

وكان يهوى امرأة من أهل الحِيرة، يقال لها هند، وفيها يقول قصيدته المشهورة:

شفَّ المؤمّلَ يوم الحِيرة النظرُ ... ليت المؤمّل لم يُخلق له بَصَرُ

[البسيط]

يقال: إنه رأى في منامه رجلاً أدخل إصبعيه في عينيه وقال: هذا ما تمنّيتَ، فأصبح أعمى.

المهدي يعطيه وأبو جعفر يسترد منه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثنا عبد اللَّه بن الحسن الحراني قال: حدثني أبو قدامة قال:

حدثني المؤمل قال: قدمت على المهدي وهو بالري، وهو إذ ذاك ولي عهد، فامتدحته بأبيات، فأمر لي بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور، وهو بمدينة السلام، يخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم، فكتب إليه يعذله ويلومه ويقول له: إنما كان ينبغي له أن تعطيه بعد أن يقيم ببابك سنة أربعةَ آلاف درهم، وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر، فطُلِب

ولم يُقْدَر عليه، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجه إلى مدينة السلام، فأجلس قائداً من قواده على جسر النَّهرَوان، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً، فجعل لا يمرُّ به قافلة إلا تصفح من فيها، ومرت به القافلة التي فيها المؤمل، فتصفحهم، فلما سأله: من أنت؟ قال: أنا المؤمل بن أُميل المحاربي الشاعر أحد زُوَّار الأمير المهدي، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر المنصور، فقبض علي، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر وقال له: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألفاً، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إليَّ، فأُدخلت إليه، فسلمت تسليم مذعور مُرَوَّع، فرد السلام وقال: ليس لك هاهنا، إلا خيرٌ، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيت غلاماً غِرّاً فخدعته، قلت: نعم أصلح اللَّه أمير المؤمنين، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً فخدعته فانخدع، قال: فكأنَّ ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشدته:

هو المهديُّ إلا أن فيه ... مشابهَ صورةِ القمر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارَا مُشكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلام سراجُ ليل ... وهذا في النهار ضياءُ نورِ
ولكنْ فضَّل الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابر والسريرِ
وبالمُلْكِ العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
وبعضُ الشهر يَنقصُ ذا وهذا ... منير عند نُقصان الشهورِ
فيا ابن خليفة اللَّهِ المُصَفَّى ... به تعلو مفاخرةُ الفَخُورِ
لئن فُتَّ الملوك وقد تَوافَوْا ... إليك من السهولة والوُعُورِ
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى ... بَقُوا من بين كابٍ[1] أو حَسيرِ[2]
وجِئت مُصلِّياً تَجري حثيثاً ... وما بك حين تجري من فُتورِ
فقال الناس ما هذان إلا ... كما بين الخَلِيق إلى الجَدِيرِ
لئن سبق الكبيرُ فأهل سَبْقٍ ... له فضلُ الكبير على الصغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصغيرُ من الكبيرِ

[الوافر]

(١) الكابي: الذي انكبّ على وجهه أو الرجل يُندب للخير فلا يُنتدب.
(٢) الحسير: الكليل أو الضعيف.

فقال: واللَّه لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟ قلت: ها هوذا، قال: يا ربيع، إمضِ معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ منه الباقي. قال المؤمل: فخرج معي الربيع وحط ثقلي، ووزن لي من المال أربعة آلاف درهم، وأخذ الباقي.

المهدي يرد إليه جائزته:

فلما ولي المهديُّ الخلافة ولّى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس الناس بالرصافة، فإذا ملأ كساءه رِقاعاً رفعها إلى المهدي، فرفعت إليه رقعة، فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع، حتى إذا وصل إلى رقعتي ضحك، فقال له ابن ثوبان: أصلح اللَّه أمير المؤمنين، ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة، فقال: هذه رقعة أعرف سببها، رُدُّوا إليه عشرين ألف درهم، فردوها إليَّ وانصرفت.

في البيعة لموسى وهارون:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد اللَّه بن سعد بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى السلولي قال: حدثني سعد بن أخي العوقي قال:

قدم على المهديِّ في بيعةِ ابنيه موسى وهارون، المؤملُ بنُ أميل المحرابي، والحسين بن يزيد بن الحكم السلولي، وقد أوفدهما هاشم بن سعد الحميري من الكوفة، فقدما على المهدي في عسكره، فأنشده المؤمل:

وهاك بِيَاعُنَا يا خيرَ والٍ ... فقد جُدْنا به لك طائعينا
فإن تفعل فأنت لذاك أهلٌ ... بفضلك يا ابن خيرِ الناسِ فينا
وعِدْلُك يا ابن خير الناس فينا ... نبي اللَّه خير المرسلينا
فإن أبا أبيك وأنت منه ... هو العباس وارثه يَقِينا
أبان به الكتابُ وهذا حقٌّ ... ولسنا للكتاب مُكَذِّبينا
بكمْ فُتِحت وأنتم غيرَ شكٍّ ... لها بالعَدْل أكرَمُ خاتمينا
فدونَكَها فأنت لها مَحَلٌّ ... حباك بها إلهُ العالمينا
ولو قِيدَتْ لغيرِكمُ أشمَأزَّتْ ... وأَعْيت أن تُطيع القائدينا

[الوافر]

فأمر لهما بثلاثين ألف درهم، فجيء بالمال فألقي بينهما، فأخذ كل واحد منهما

بَدْرَة[١]، وصَدَعَ الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً.

يتلف في ضحكه كل مال:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد اللَّه بن أمين، عن أبي محمد اليزيدي.

عن المؤمل بن أميل قال: صرت إلى المهديّ بجرجان فمدحته بقولي:

تـعَـدَّ وَدَع عـنـك سـلـمـى وسِـرْ ... حَـثـيـثـاً عـلـى سـائـراتِ الـبـغـالِ
وكـلّ جـواد لـه مَـيْـعَـةٌ[٢] ... يَـخِـبُّ بـسـرحـك بـعـد الـكـلالِ
إلـى الـشـمـس شـمـس بـنـي هـاشـم ... ومـا الـشـمـس كـالـبـدر أو كـالـهـلالِ
ويُـضـحـكـه أن يَـدوم الـسـؤال ... ويُـتـلِـف فـي ضـحـكـه كـلَّ مـالِ

[المتقارب]

فاستحسنها المهدي، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وشاع الشعر، وكان في عسكره رجل يعرف بأبي المهوَّسات يغني، فغنى في الشعر لرفقائه، وبلغ ذلك المهدي، فبعث إليه سرّاً، فدخل عليه فغناه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى، وكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور.

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم قبله وزاد فيه:

إن المنصور قال له: جئت إلى غلام حدث فخدعته حتى أعطاك من مال اللَّه عشرين ألف درهم لشعرٍ قلته غير جيد، وأعطاك من رقيق المسلمين ما لا يملكه، وأعطاك من الكُراع[٣] والأثاث ما أسرف فيه، يا ربيع، خذ منه ثمانية عشر ألف درهم، وأعطه ألفين، ولا تعرض لشيء من الأثاث والدواب والرقيق، ففي ذلك غَنَاؤه. فأخذت واللَّه مني بخواتمها، ووضعت في الخزائن، فلما ولي المهدي دخلت إليه في المتظلمين، فلما رآني ضحك وقال: مظلمة أعرفها، ولا أحتاج إلى بَيّنة عليها وكِفْل. وجعل يضحك، وأمر بالمال فرُدَّ إليَّ بعينه، وزادني فيه عشرة آلاف.

---

(١) البَدْرة: كيس يوضع فيه المال أو ما قيمته عشرة آلاف درهم.
(٢) الميعة: أول الشيء.
(٣) الكُراع: اسم يُطلق على الخيل والبغال والحمير وما شاكلها من الدوابّ.

ما له لحم ولا دم:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال:

حدثني أبي قال: رأيت المؤمل شيخاً كبيراً مصفرّاً نحيفاً أعمى، فقلت له: لقد صدقت في قولك:

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي ومالي بحمد اللَّه لحمٌ ولا دمُ

[الطويل]

فقال: نعم فديتك، وما كنت أقول إلا حقّاً.

قال محمد بن القاسم: وحدثني عبد اللَّه بن طاهر أن أول هذا الشعر:

حلمتُ بكم في نومتي فغضبتمُ ولا ذنبَ لي إن كنت في النوم أحلمُ

سأطرد عني النوم كيلا أراكمُ إذا ما أتاني النوم والناس نُوَّمُ

تُصارمني واللَّه يعلم أنني أبرُّ بها من والديها وأَرْحَمُ

[الطويل]

صوت

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي ومالي بحمد اللَّه لحمٌ ولا دَمُ

بَرَى حُبُّها لحمي ولم يُبْقِ لي دَماً وإن زعموا أني صحيح مُسَلَّمُ

فلم أر مثل الحبّ صحَّ سقيمُهُ ولا مثل من لم يعرف الحب يسقمُ

سَتَقْتُلُ جِلْداً بالِياً فوق أَعْظُمٍ وليس يبالي القتلَ جِلْدٌ وأعظمُ

[الطويل]

في هذه الأبيات التي أولها:

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن أحمد بن علي قال: لما قال المؤمل:

شفَّ المؤملَ يوم الحيرة النظرُ ليت المؤملَ لم يُخْلق له بصرُ

[البسيط]

عمي، وأُرِيَ في منامه: هذا ما تمنيت.

المتألِّي على اللَّه:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسين الشيباني قال:

رأى المؤمل في منامه قائلاً يقول: أنت المُتَألي على اللَّه أنه لا يُعذِّب المحبين حيث تقول:

يكفي المحبين في الدُّنيا عذابُهُمُ والـلَّـهِ لا عـذَّبَـتْـهـم بـعـدهـا سَـقَـرُ

[البسيط]

فقال: نعم، فقال: كذبت يا عدو اللَّه، ثم ادخل أصبعه في عينيه، وقال له: أنت القائل:

شـفّ الـمـؤمـل يـوم الـحـيـرة الـنـظـرُ لـيـت الـمـؤمـل لـم يـخـلـق لـه بـصـرُ

[البسيط]

هذا ما تمنيت، فانتبه فزعاً، فإذا هو قد عمي.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب الزبيري قال:

أُنشِد المهديُّ قولَ المؤمل:

قـتـلـتِ شـاعـرَ هـذا الـحـيِّ مـن مُـضـرٍ والـلَّـه يـعـلـم مـا تـرضـى بـذا مُـضَـرُ

[البسيط]

فضحك وقال: لو علمنا أنها فعلت لما رضينا، ولغضبنا له وأنكرنا.

صـوت

بـكـيـتُ حِـذَارَ الـبَـيْـن عـلـمـاً بـمـا الـذي إلـيـه فـؤادي عـنـد ذلـك صـائـرُ

وقـال أنـاس لـو صـبـرت وإنـنـي عـلـى كـل مـكـروه سـوى الـبـينِ صـابـرُ

[الطويل]

الشعر لأبي مالك الأعرج، والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته من رواية الهشامي، قال الهشامي: وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل، ولسليم ثقيل أول.

أخبار أبي مالك ونسبه

اسمه ومنزلته:

أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي، هذا أكثر ما وجدته من نسبه، وكان مولده، ومنشؤه بالبادية، ثم وفد إلى الرشيد ومدحه وخدمه، فأحمد مذهبه، ولحقته عنايةٌ من الفضل بن يحيى فبلغ ما أحب، وهو صالح الشعر متوسط المذهب، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين، ولا من المرذولين.

أبو مالك يرثي أباه:

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس عن عمّه أبي فراس قال:

كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي مع الرشيد، وكان أبوه مقيماً بالبادية، فأصاب قومٌ من عشيرته الطريقَ وقطعوه على بعض القوافل، فخرج عامل ديار مُضَر ـ وكان يقال له جَيَّال ـ إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم فقصدهم وهم غَارُّون، فأخذ منهم جماعة، فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج، وكان ذا مال، فطالبه فيمن طالب من الجُناة، وطمع في ماله، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه:

فيمَ يَلْحى[1] على بُكائي العَذُولُ ... والذي نابني فظيعٌ جليلُ
عَدِّ هذا الكلامَ عني إلى غيـ ... ـري فقلبي ببثِّه مشغولُ
رَاعني وَالدِي جنت كفُّ جَيَّا ... لٍ عليه فراح وهو قتيلُ
أيها الفاجعي برُكني وعِزِّي ... هَبَلَتْني إن لم أَرُعْك الهبولُ[2]
سُمتني خُطَّةَ الصِّغارِ وأَظلمـ ... ـتَ نهاري عليَّ غالَتْك غُولُ
ما عَدَاني الجفاءُ عنك ولكنْ ... لم يُدِلْني من الزمان مُدِيلُ
زال عنا السرور إذ زِلْتَ عنَّا ... وازْدهانا بكاؤنا والعويلُ

(١) يَلحى: يلوم.
(٢) الهَبول: أبو بطن من كلب.

ورأيـنـا الـقـريـبَ مـنَّـا بـعـيـداً ... وجـفـانـا صـديـقـنـا والـخَـلـيـلُ
ورمـانـا الـعـدوُّ مـن كـلِّ وَجْـهٍ ... وتَـجـنَّـى عـلـى الـعـزيـزِ الـذلـيـلُ
يـا أبـا الـنـضْـر سـوف أبـكـيـك مـا عـشـ ... ـتُ سـويّـاً وذاكَ مـنّـي قـلـيـلُ
حـمَـلَـتْ نـعـشَـك الـمـلائِـكَـةُ الأبـ ... ـرارُ إذ مـا لَـنـا إلـيـه سـبـيـلُ
غـيـر أنـي كَـذَبْـتُـكَ الـودَّ لـم تـقـ ... ـطـر جـفـونـي دَمـاً وأنـت قـتـيـلُ
رَضِـيَـتْ مـقـلـتـي بِـإسـبـالِ دمـعـي ... وعـلـى مـثـلـك الـنـفـوس تَـسـيـلُ
أَسِـواكَ الـذي أَجـود عـلـيـه ... بِـدَمـي إنّـنـي إذاً لـبـخـيـلُ
عـثـر الـدهـرُ فـيـك عـثـرةَ سـوءٍ ... لـم يُـقِـلْ مـثْـلَـهـا الـمُـعِـينُ الـمُـقـيـلُ
ولـئـن ضُـنَّ بـالـحـيـاة فـإنّـي ... بـعـده لـلـحـيـاةِ قَـالٍ مَـلـولُ
إنَّ بـالـسـفـحِ فـي مـنـازلِ قـومـي ... لـيـس مـنـهـم ـ وهـم أَدَانٍ ـ وَصـولُ
لا يـزورون جـارَهـم مـن قـريـبٍ ... وهـمُ فـي الـتـرابِ صـرعـى حُـلـولُ
حُـفـرَةٌ حـشـوُهـا وقـاءٌ وحِـلْـمٌ ... ونـدًى فـاضـلٌ ولُـبٌّ أَصـيـلُ
وعـفـافٌ عـمَّـا يَـشـيـنُ وحِـلْـمٌ ... راجـحُ الـوزنِ بـالـرواسـي يَـمِـيـلُ
ويـمـيـن بَـنَـانُـهـا غـيـرُ جَـعْـدٍ ... وجـبـيـنٌ صَـلْـتٌ[1] وخَـدٌّ أَسـيَـلُ[2]
وامْـرؤٌ أشـرقَـتْ صَـفـيـحـةُ خَـدَّيـ ... ـهِ عـلـيـه بـشَـاشـةٌ وقَـبـولُ

[الخفيف]

صـوت

لـئـن مـصـرُ فـاتـتـنـي بـمـا كـنـتُ أرتـجـي ... وأخـلـفـنـي فـيـهـا الـذي كـنـت آمـلُ
فـمـا كـلُّ مـا يَـخـشـى الـفَـتـى بِـمُـصِـيـبِـهِ ... ولا كـلُّ مـا يـرجـو الـفـتـى هـو نـائـلُ

[الطويل]

الشعر لأبي دُهْمان، والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي.

(١) الصَّلت: الجبين الواضح.
(٢) الأسيل: الناعم الجميل.

أخبار أبي دهمان

يخاف أن يبوح باسم حبيبته:

أبو دُهمان الغِلابي شاعر من شعراء البصرة، ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس، ومدح المهدي، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة، وهو القائل لما ضرب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتْبَة:

لولا الذي أحدث الخليفة في العُشَّاق من ضربهم إذا عَشِقوا
لبُحْتُ باسم الذي أحبُّ ولكنني امرؤ قد ثنانيَ الفَرَقُ
[المنسرح]

ظريفة:

حدثني بذلك الصولي [عن محمد بن موسى] عن محمد بن أبي العتاهية.

وأخبرني جحظة، عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

قال رجل لأبي دهمان: ألا أحدثك بظريفة؟ قال: بلى، قال: كنا عند فلان، فمدَّ رجله هكذا فضرط، ومدَّ المحدث رجلَه يحكيه فضرط، فقال له أبو دهمان: يا هذا، أنت أحذق خلق اللَّه بحكاية.

السبب!!!

نسخت من كتاب بخط ميمون بن هارون:

بلغني أن أبا دهمان مرَّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس، ومعه صديق له يسايره، فقام الناس إليه ودعوا له، إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره: أما ترى ذلك الرجل في النَّظارة، وترى تيهه عليَّ؟ فقال له: وكيف تيهه عليك وأنت الأمير؟ قال: لأنه قد ناكني وأنا غلام.

وصيته:

وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني قال:

مرض أبو دهمان مرضاً أشفى منه على الموت، فأوصى وأملى وصيته على

كاتبه، وأوصى فيها بعتق غلام له كان واقفاً، فلما فرغ غدا الغلام بالرقعة فأتربها[١]، ونظر إليه أبو دهمان فقال له: نعم أتربها يا ابن الزانية، عسى أن يكون أنجح للحاجة، لا شفاني اللَّه إن أنجحت، وأمر به فأُخرج لوقته فبيع.

صـــوت

يَـكـرُّ كـمـا كـرَّ الـكـلـيـبـيُّ مُـهْـرَه ... ومـا كَـرَّ إلَّا خِـيـفـةً أن يُـعَـيَّـرَا
فـلا صـلـحَ حـتـى تـزحـف الـخـيـلُ بـالـقـنـا ... بـنـا وبـكـم أوْ يَـصـدر الأمـرُ مَـصْـدَرَا

[الطويل]

الشعر لأبي حزابة التميمي، والغناء لابن جامع ثان ثقيل بالبنصر.

وهذا الشعر يرثي به أبو حزابة رجلاً من بني كليب بن يربوع يقال له: ناشرة اليربوعي، قتل بسجستان في فتنة ابن الزبير، وكان سيداً شجاعاً.

أنشدنيه جعفر بن قدامة قال: أنشدني أبو هِفَّان وأحمد بن أبي طاهر قالا:

أنشدنا عبد اللَّه بن أحمد العدوي لأبي حُزابة يرثي ناشرة اليربوعي، وقتل بسجستان في فتنة ابن الزبير، قال:

لـعـمـري لـقـد هَـدَّتْ قـريـشٌ عُـروشَـنـا ... بـأبـيـض نـفَّـاحِ الـعَـشِـيَّـات أَزهـرا
وكـان حَـصـاداً لـلـمـنـايـا زَرَعْـنَـهُ ... فـهـلَّا تـركـن الـنَّـبْـتَ مـا كـان أخـضـرا
لـحـى الـلَّـه قـومـاً أسـلـمـوك وجَـرَّدُوا ... عـنـاجـيـجَ[٢] أعْـطَـتـهـا يـمـيـنُـك ضُـمَّـرا
أمـا كـان فـيـهـم مـاجـدٌ ذو حـفـيـظـةٍ ... يـرى الـموتَ فـي بـعـض الـمـواطـن أفـخـرا
يـكـرُّ كـمـا كـرَّ الـكـلـيـبـيّ مُـهْـرَه ... ومـا كـرّ إلَّا خـشـيـةً أنْ يُـعَـيَّـرا

[الطويل]

يريد: أما كان في هؤلاء القوم من يكرّ كما كرَّ ناشرة الكليبي مُهْرَه؟

(١) أتربها: دسَّها في التراب.
(٢) العناجيج: مفردها العنجوج وهو من الخيل الجيّد الأصيل.

أخبار أبي حزابة ونسبه

اسمه ونسبه:

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية [القدماء] بدوي حضري سكن البصرة، ثم أُكتِبَ في الديوان، وضُرب عليه البعث إلى سجستان، فكان بها مدة، وعاد إلى البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، وأظنه قُتل معه، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجّاء.

أبو حزابة يطلب العطاء:

فأخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا محمد بن الهيثم الشامي قال: حدثني عمي أبو فراس، على العذري قال:

دخل أبو حُزابة على طلحة الطلحات الخزاعي، وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان، وكان أبو حزابة قد مدحه، فأبطأت عليه الجائزة من جهته، ورأى ما يُعطَى غيرُه من الجوائز، فأنشد:

وأدليتُ دَلْوي في دلاءٍ كثيرةٍ ... فجئْنَ مِلاءً غير دلوي كما هِيا
وأهلكني ألا تزالَ رغيبةٌ ... تُقصِّر دوني أو تحلُّ ورائيا
أراني إذا استمطرت منك سحابةً ... لِتُمطِرَني عادَتْ عَجاجاً[1] وسافِيا[2]

[الطويل]

قال: فرماه طلحة بحُقٍّ فيه دُرَّة، فأصاب صدره، ووقعت في حِجره، ويقال: بل أعطاه أربعة أحجار، وقال له: لا تخدع عنها، فباعها بأربعين ألفاً. ومات طلحة بسجستان ثم أولى من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له: عبد اللَّه بن علي بن عدي، وكان شحيحاً، فقال له أبو حزابة:

يا ابن عليٍّ بَرح الخَفاءُ ... قد عَلِم الجيرانُ والأكفاءُ

(١) العجاج: الغبار.
(٢) السافي: ما تسفيه الريح من تراب وغبار.

أنــك أنــت الــنَّــذْلُ والــلَّــفَّــاءُ[١] أنــت لِــعَــيْــن طــلــحــة الــفــداءُ
بــنــو عــديٍّ كــلــهــم ســواءُ كــأنــهــم زيــنِــيَّــةٌ[٢] جِــراءُ
[الرجز]

يرثي ويذم:

قال: ثم وليها بعد عبدِ اللَّه بن عليٍّ عبدُ العزيز بن عبد اللَّه بن عامر بن كُريز أيام الفتنة، فاستأذنه أبو حزابة أن يأتي البصرة، فأذن له، فقدمها، وكان الناس يحضرون المِرْبَد، ويتناشدون الأشعار، ويتحادثون ساعة من النهار، فشهدهم أبو حزابة، وأنشدهم مرثية له في طلحة الطلحات، يضمّنها ذمّاً لعبد اللَّه بن علي، وهي قوله:

هــيــهــات هــيــهــات الــجــنــابُ الأخــضَــرُ والــنــائــل الــغَــمْــرُ[٣] الــذي لا يَــنْــزُرُ
واراهُ عــنــا الــجَــدَثُ الــمُــغَــوّرُ قــد عــلــم الــقــوم غــداةَ اســتَــعْــبَــرُوا
والــقــبْــرُ بــيــن الــطَّــلــحــاتِ يُــحْــفَــرُ أن لــن يَــرَوْا مــثــلَــك حــتــى يُــنْــشَــرُوا
إنــا أتــانــا جُــرَدٌ مُــحَــمَّــرُ أنــكــره ســريــرُنــا والــمــنــبــرُ
والــمــسْــجِــدُ الــمُــحــتَــضــر الــمُــطَــهَّــرُ أقــلّ مــن شِــبــريــن حــيــن يُــشْــبَــرُ
بــلــيَّــةٌ يــا ربــنــا لا نــســخــرُ وخَــلَــفٌ يــا طــلــحُ مــنــك أَعــورُ
[الرجز]

مــثــل أبــي الــقَــعْــواء لا بــل أصــغــرُ

قال: وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيراً، فقال عون بن عبد الرحمٰن بن سلامة ـ وسلامة أمه، وهو رجل من بني تميم بن مُرَّةٍ ـ: بئسما قلت، أتشاهر الناس بشتم قريش؟ فقال له: إني لم أُعِمَّ إنما سمِّيت رجلاً واحداً، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع، ثم أمر عونٌ ابنَ أخٍ له، فدعا أبا حزابة، فأطعمه وسقاه وخلط في شرابه شُبْرُماً[٤] فسلَّحَه، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنُه، فسلح على بابهم وفي طريقه حتى بلغ أهله، ومرض أشهراً، ثم عوفي، فركب فرساً له، ثم إلى المِرْبد، فإذا عون بن سلامة واقف، فصاح به، فوقف ولو لم يقف كان أخف لهجائه، فقال أبو حزابة.

(١) اللفَّاء: النذل الحقير. (٢) الزينيَّة: الكلاب الصينيَّة.
(٣) الغَمْر: الذي لم يجرب الأمور.
(٤) الشُبرُم: ضرب من النبات، مسهِّل لخروج الفضلات من الجسم.

يا عون قِفْ واستمعِ الملامَهْ لا سلَّمَ اللَّه على سَلَامَهْ
زنجية تحسبها نَعامَهْ سَكَّاء[١] شان جسمَها دمامَهْ[٢]
ذاتِ حِرٍ كريشتيْ حمامَهْ بينهما بَظْرٌ كرأس الهامَهْ
أعلمها وعالِم العلامَهْ لو أن تحت بظرها صِمامهْ[٣]
لدفعتْ قُدَّامَها أمامَهْ

[الرجز]

فكان الناس يصيحون به:

أعلمها وعالم العلامة.

أبو حزابة ينشد طلحة:

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني عمي أبو فراس، عن الهيثم بن عدي قال:

كان عبد اللَّه بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة رضي اللَّه عنها يوم الجمل، وقتل معها يومئذٍ. وعلى بني خلفٍ نزلت عائشةُ بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني خلف، وكان هوى طلحة الطلحات أمويّاً، وكان بنو أمية يكرمونه، فأنشد أبو حزابة ذات يومٍ طلحة:

يا طلحُ يأبى مَجدُك الإخلافا والبخل لا يعترف اعترافا
إن لنا أَحمِرَةً عِجافا يأكلن كل ليلة أُكافا[٤]

[الرجز]

فأمر له طلحة بإبل ودراهم، وقال له: هذه مكان أحمرتك.

أبو حزابة ويزيد بن معاوية:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال:

قيل لأبي حزابة: لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك وشرّفك، وألحقك بِعِلْية أصحابه، فلستَ دونهم، وكان أبو حزابة يومئذٍ غلاماً حدثاً، وكان معاوية حيّاً، ويزيد

(١) السكَّاء: الصغيرة الأذن قصيرتها.
(٢) الدّمامة: القباحة.
(٣) الصِمامَة: الصخرة.
(٤) الأكاف: البرذعة.

أميراً يومئذٍ، فلما أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم إنك ستشرف بمصيرك إليه قال:

يُشرّفني سيفي وقلبٌ مجانِبٌ ... لكلّ لئيمٍ باخلٍ ومُعَلْهَجِ[1]
وَكرِّي على الأبطال طِرْفاً كأنَّه ... ظَلِيمٌ وضربي فوق رأس المُدَجَّجِ
وقولي إذا ما النفس جاشت وأجهشت ... مخافة يومٍ شرُّه متأجِّجِ[2]
عليكِ غمارَ الموت يا نفسُ إنني ... جَرِيءٌ على دَرْءِ الشجاع المُهَجهِجِ[3]

[الطويل]

فلما أكثر عليه قومه وعنفوه في تأخره إلى يزيد بن معاوية، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه، فرجع وقال: واللَّه لا يراني ما حملت عيني الماء إلا أسيراً أو قتيلاً، وأنشأ يقول:

فوالـلَّـهِ لا آتـي يـزيـد ولَـوْ حَـوَت ... أنـامـلُـه مـا بـيـن شـرقٍ إلـى غَـرْبِ
لأن يـزيـداً غَـيَّـرَ الـلَّـهُ مـا بـه ... جنوحٌ إلى السُّوءَى مُصِرٌّ على الذّنبِ
فـقـلْ لـبـني حـربٍ تَـقُـوا الـلَّـه وحـدَه ... ولا تُـسْـعِـدوهُ فـي الـبـطـالـةِ والـلِّـعْـبِ
ولا تـأمـنـوا الـتـغـيـيـر إن دام فـعـلُـه ... ولـم يَـنْـهـه عـن ذاك شـيـخُ بـنـي حَـرْبِ
أَيَـشـربـهـا صِـرْفـاً إذا الـلـيـلُ جَـنَّـه ... مُـعـتَّـقـة كـالـمـسـك تـخـتـال فـي الـقَـلْـبِ
ويَـلْـحَـى عـلـيـهـا شـاربـيـهـا وقـلـبُـه ... يَـهـيـم بـهـا إن غـاب يـومـاً عـن الـشـرْبِ؟

[الطويل]

يرهن سرجه ليبيت:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن المدائني قال:

لما خرج عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث على الحجاج، وكان معه أبو حزابة، فمروا بِدَسْتَبَى[4]، وبها مُستزاد الصَّناجة[5]، وكانت لا يبيت بها أحد إلا بمائة درهم، فبات بها أبو حزابة، ورهن عندها سرجه، فلما أصبح وقف لعبد الرحمٰن، فلما أقبل صاح به وقال:

أمـرٌ عُـضـالٌ نـابـنـي فـي الـفَـجِّ ... كـأنـنـي مُـطـالـبٌ بـخَـرْجِ

(١) المُعَلْهج: الأحمق اللئيم.
(٢) مخافة يوم شرُّه متأجج: أي مخافة يومٍ متأججٍ شرّه، ومتأجج (بالكسر) صِفة ليومٍ.
(٣) المهَجْهج: الشديد الضخم.
(٤) دستبى: موضع قرب الأهواز.
(٥) الصنَّاجة: الضاربون بالصَّنج، والصَّنج آلة بأوتار يضرب بها.

ومُستزادٌ ذهبتْ بالسَّرْجِ في فتنة الناس وهذا الهَرْجِ
[الرجز]

فعرف ابن الأشعث القصة وضحك، وأمر بأن يُفتَكَّ له سرجه، ويعطى معه ألف درهم، وبلغت القصة الحجاج فقال: أَيُجاهَر في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكر؟ ظفرتُ به إن شاء اللَّه.

يمدح العبشمي ثم يهجوه:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني العمري، عن العُتبي قال:

مدح أبو حزابة عبد اللَّه بن علي العبشمي، وهو على سجستان، فلم يُثبه، فقال يهجوه:

هبَّتْ تُعاتبني أُما مةُ في السماحةِ والفِضالِ
وأَبَيْتُ عند عِتابها إلا خلائقَ ذي النوالِ
أعطي أخي وأَحوطه جهدي وأَبذل جُلَّ مالي
وأَقيهِ عند تشاجُرِ الأبطال بالأسل[1] النِّهالِ
حفظاً له ورعايةً للخاليات من الليالي
إذ نحن نشرب قهوة دِرْياقةً[2] كدم الغزالِ
حمراءَ يُذهِب ريحها ما في الرُّؤوس من الخيالِ
وإذا تشعشَعُ في الإنا ءِ رمت أَخاها باغتيالِ
وعَلا الحَبابُ فخلته عِقْداً يُنَظَّم من لآلي
تشفي السقيمَ بريحها وتُميته قبل الإجالِ
تلك التي تركت فؤا دَ أبي حزابة في ضلالِ
لا يستفيق ولا يُفي ـق نزيفُها[3] في كلّ حال
وإذا الكُماة تنازلوا ومشى الرجال إلى الرجالِ
وبدت كتائبُ تَمتري مُهجَ الكتائب بالعوالي

(١) الأسل: الرماح والنَّبل.
(٢) الدرياقة: الخمر.
(٣) النزيف: السكران.

فـــأبـــو حـــزابـــة عـــنـــد ذا ... ك أخـــو الـــكـــريـــهـــة والـــنـــزالِ
يـمـشـي الـعِـرَضْـنَـةَ[1] مُـعْـلـمـاً ... بـالـسـيـف مَـشـيـاً غـيـر آلـي
كـالـلـيـث يـتـرك قِـرْنـه ... مُـتـجـدِّلاً بـيـن الـمَـجـالِ
إنـي نـذيـرُ بـنـي تـمـيـ ... ـم مـن أَخـي قـيـلٍ وقـالِ
مـن لا يـجـود ولا يـسـو ... د ولا يـجـيـر عـلـى الـهُـزالِ
وتـراه حـيـن يـجـيـئـه الـسُّـؤَّال يُـولـع بـالـسُّـعـالِ
مـتـشـاغـلاً مـتـنـحـنـحـاً ... كـالـكـلـب جـمَّـح لـلـعِـظـالِ[2]
فـارفـضْ قـريـشـاً كـلَّـهـا ... مـن أجـل ذي الـداءِ الـعُـضـالِ

[مجزوء الكامل]

يعني عبد اللَّه بن علي العبشمي.

أبو حزابة يمدح قومه:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني محمد بن الهيثم الهشامي قال: حدثني عمّي أبو فراس عن العذري قال:

دخل أبو حُزَابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج، وقد قدما سجستان لحرب عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث، وكان عبد الرحمٰن لما قدماها هرب، ولم يبق بسجستان من أصحابه إلا نحو سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها، فقال لهما أبو حزابة: إن الرجل قد هرب منكما، ولم يبق من أصحابه أحد، وإنما بسجستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه، فقالا له: ما لهم عندنا أمان، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث، وخلعوا الطاعة، فقال: ما خلعوها ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعِه طاقة، فلم يجيباه إلى ما أراد، وعاد إلى قومه. وحاصرهم أهلُ الشام، فاستقتلت بنو تميم، فكانوا يخرجون في كل يوم إليهم، فيواقعونهم ويكبسونهم بالليل وينتهبون أطرافهم، حتى ضجروا بذلك، فلما رأى عُمارة فعلهم صالحهم وخرجوا إليه، فلما رأى قلَّتهم قال: أما كنتم إلَّا ما أرى؟ قالوا: لا، فإن شئت أن نقيلك الصُّلح أقلناك وعُدْنا للحرب، فقال: أنا غنيّ عن ذلك وآمنهم، فقال أبو حزابة في ذلك:

(١) العِرَضْنَةَ: مشية فيها تبختر ونشاط.
(٢) العِظَال: الملازمة في السفاد من الكلاب والسِّباع والجراد وغيرها.

فـلـلَّـه عَـيْـنَـا مـن رأى مـن فـوارسٍ أكـرَّ عـلـى الـمـكـروه مـنـهـم وأصـبـرَا
وأكـرم لـو لاقَـوْا سـواداً مُـقـاربـاً ولـكـنْ لـقـوا طَـمّـاً[1] من البحر أَخضرَا
فـمـا بـرحـوا حـتـى أعـضُّـوا سـيـوفَـهـم ذُرَى الـهـامِ مـنـهـم والـحـديـدَ الـمُـسـمَّـرَا
وحـتـى حـسـبـنـاهـمْ فـوارسَ كَـهْـمَـسٍ[2] حَـيُـوا بـعـدمـا مـاتـوا مـن الـدهـر أَعْـصُـرَا

[الطويل]

صـوت

إذا الـلَّـهُ لـم يـسـقِ إلا الـكـرامَ فـسَـقَّـى وُجـوه بـنـي حَـنْـبَـلِ
وسـقَّـى ديـارهـمُ بـاكـراً مـن الـغـيـث فـي الـزمـن الـمُـمْـحِـلِ
تُـكـفـكـفـه بـالـعـشـيِّ الـجـنـوبُ وتُـفْـرِغُـه هَـزَّةُ الـشَّـمْـأَلِ
كـأنَّ الـرَّبـابَ دُوَيـنَ الـسـحـابِ نـعـامٌ تـعـلَّـق بـالأرجُـلِ

[المتقارب]

الشعر لزُهير السَّكْب التميمي المازني، والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش.

(١) الطمّ: البحر العالي الأمواج.

(٢) كَهمَس: رجل من الخوارج مع بلال بن مرداس، وكانت الخوارج قد وقعت برجل من بني كلاب وهو في ألفي رجل فقتلت ثلة من أصحابه، وتراجع هو إلى البصرة، فقيل هذا الشعر بتميم تشبيهاً لهم بالخوارج قوم كهمس.

نسب زهير السكب وأخباره

اسمه ونسبه:

هو زهير بن عُروة بن جُلْهمة بن حجر بن خُزاعي، شاعر جاهلي، وإنما لقب السكب ببيت قاله، وقال فيه:

بَـرْقٌ يُـضِـيء خِـلالَ الـبـيـت أُسْـكُـوبُ

السكب يغاضب قومه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثنا أبو هِفان، عن سعيد بن هزيم عن أبيه قال:

كان زهير بن عروة المازني الملقب بالسَّكْب جاهليّاً، وكان من أشراف بني مازن وأشدّائهم وفرسانهم وشعرائهم، فغاضبَ قومَه في شيء ذَمَّه منهم، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلحقه فيهم ضيم، وأراد الرجوع إلى عشيرته، فأبت نفسه ذلك عليه، فقال يتشوَّق ناساً منهم كانوا بني عمّه دِنْيَةً يقال لهم بنو حنبل:

إذا الـلَّـه لـم يَـسـق إلا الـكـرامَ ... فـسَـقَّـى وجـوه بـنـي حَـنْـبـلِ
مُـلِـثّـاً[1] أحـمَّ دَوَانـي الـسـحـابِ ... هـزيـمَ الـصـلاصـلِ[2] والأزْمَـلِ[3]
تُـكـركـره خَـضْـخـضـاتُ الـجـنـوبِ ... وتُـفـرِغُـه هـزَّة الـشَّـمـألِ
كـأنَّ الـرَّبـاب دُوَيْـنَ الـسـحـابِ ... نـعـامٌ تـعـلّـق بـالأرجُـلِ
فـنـعـم بـنـو الـعـمِّ والأقـربـون ... لـدى حَـطْـمـة الـزمـن الـمُـمـحِـلِ
ونـعـم الـمـواسـون فـي الـنـائـبـا ... ت لـلـجـار والـمُـعْـتـفِـي الـمـرْمـلِ
ونـعـم الـحـمـاةُ الـكـفـاةُ الـعـظـيـمُ ... إذا غـائِـطُ الأمـرِ لـم يُـحْـلـلِ
مـيـامـيـنُ صُـبْـرٌ لـدى الـمـعـضـلاتِ ... عـلـى مُـوجـع الـحَـدَثِ الـمُـعـضِـلِ

(١) المُلِثُّ: الدائم.
(٢) الصلاصل: الأصوات الممتدَّة.
(٣) الأزمل: الصوت المختلط.

مباذيلُ عَفّوا جَزيلَ العطاءِ إذا فضْلَةُ الزاد لم تُبذَلِ
همُ سبقوا يوم جَرْي الكرامِ ذوي السَّبقِ في الزمن الأوَّلِ
وسامَوْا إلى المجد أهل الفَعَال فَطَالُوا بفعلِهمُ الأطولِ
[المتقارب]

الرّباب:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال:

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّباب فقال: أما تراه معلَّقاً بالسحاب كالذَّيل له؟ أما سمعت قول صاحبنا السَّكْب:

كأنَّ الرباب دُوَين السحابِ نعامٌ تعلَّق بالأرجُلِ
[المتقارب]

صوت

سلا عن تَذكُّرِهِ تُكْتَمَا وكان رَهيناً بها مُغرَمَا
وأَقصرَ عنها وآثارُها تُذَكِّرُه دَاءَها الأقْدَمَا
[المتقارب]

الشعر للنمِر بن تَوْلب، والغناء لخزرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي.

أخبار النمر بن تولب ونسبه

اسمه ونسبه:

هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد بن كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل ـ واسم عكل عوف ـ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار.

شاعر مُقلّ مخضرم، أدرك الجاهلية، وأسلم فحسن إسلامه، ووفد إلى النبي ﷺ، وكتب له كتاباً، فكان في أيدي أهله، وروى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه. وكان النمر أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم.

الكيس:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعي:

كان أبو عمرو بن العلاء يسمِّي النمر بن تولب: الكَيِّس، لجودة شعره وحسنه.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا عبد اللَّه بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجمحي. وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليَّ عن محمد بن سلام قال:

كان النمر بن تولب جواداً لا يُلِيق[1] شيئاً، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يُسمِّيه: الكَيِّس؛ لحسن شعره.

النبي يكتب له كتاباً:

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: أخبرنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثنا قرة بن خالد، عن يزيد بن عبد اللَّه بن الشخّير أخي مطرف. وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ قال: حدثنا محمد بن سلام قال:

وفد النمر بن تولب على النبي ﷺ، وكتب له كتاباً أخبرناه قرة بن خالد

(١) لا يليق شيئاً: لا يبقي شيئاً ولا يمسكه لشدَّة كرمه وجوده.

السدوسي وسعيد بن إياس الجريري، عن أبي العلاء يزيد بن عبد اللَّه بن الشخير أخي مطرف.

كتاب النبي وحديثه له:

وأخبرني عمّي، عن القاسم بن محمد الأنباري، عن أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، عن قرة بن خالد.

عن يزيد بن عبد اللَّه أخي مطرف ـ واللفظ قريب بعضه من بعض ـ قال: بينما نحن بهذا المِرْبَد جلوس يعني مِرْبَد البصرة، إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس، فوقف علينا، فقلنا: واللَّه لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد، قال: أجل، وإذا معه قطعة من جراب أو أَديم، فقال: هذا كتابٌ كتبه لي رسول اللَّه ﷺ، فقرأناه فإذا فيه:

بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول اللَّه ﷺ لبني زهير ـ هكذا قال أحمد بن عبيد، وقال الباقون لبني زهير ـ بن أقيش حي من عكل، إنكم إن شهدتم أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأني محمد رسول اللَّه، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخُمس من الغنائم وسهم النبي، والصَّفِيّ[1]، فأنتم آمنون بأمان اللَّه وأمان رسوله ـ وقال أحمد بن عبيد في خبره خاصة ـ لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم، ـ وقالوا جميعاً في الخبر ـ فقال له القوم: حدثنا، رحمك اللَّه تعالى، ما سمعتَ من رسول اللَّه ﷺ، فقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**صوم شهر الصَّبْر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن كثيراً من وَحَر[2] الصَّدْرِ**»، فقال له القوم: أأنت سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: أُراكم تخافون أن أكذب على رسول اللَّه ﷺ، لا حدَّثْتُكُم حديثاً، ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع مُدبراً. قال يزيد بن عبد اللَّه: فقيل لي بعد ما مضى: هذا النمر بن تولب العكلي الشاعر.

يعطي فحل إبله:

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن خلف قال: أخبرنا محمد بن سلام قال:

خرج النمر بن تولب ـ بعدما كبر ـ في إبله، فسأله سائل فأعطاه فَحْلَ إبله، فلما

(١) الصَفيّ: هو ما اصطفاه الرئيس لنفسه من المغنم قبل القِسمة.

(٢) وَحَر الصَّدر: غيظه وحقده ووساوسه.

رجعت الإبلُ إذا فحلُها ليس فيها، فهتفت به امرأته وعذلته وقالت: فهلَّا غير فحل إبلك؟ فقال لها:

دَعـيـنِـي وأَمْـري سـأكـفـيـكِـه ... وكـونـي قَـعـيـدةَ بـيـتِ ضُـبـاعَـا
فـإنـك لـن تُـرشِـدي غَـاوِيـاً ... ولـن تُـدْركـي لـكَ حَـظّـاً مُـضـاعـا

[المتقارب]

وقال أيضاً في عذلها إياه:

بَـكَّـرَتْ بـالـلَّـوم تَـلْـحـانـا[1] ... فـي بَـعـيـرٍ ضَـلَّ أوْ حـانَـا
عَـلِـقـتْ لَـوّاً تـكـرِّرهـا ... إن لَـوّاً ذاك أَعـيـانـا

[المديد]

قال: وأَدرك الإسلام فأسلم.

النمر وحمزة بنت نوفل:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلام قال:

كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب، وكان سيداً معظماً، فأغار الحارث على بني أسد، فسبى امرأَةً منهم يقال لها حمزة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر، فَفَرِكتْه[2] فحبسها حتى استقرَّت، وولدت له أَولاداً، ثم قالت له في بعض أَيامها: أَزِرني أَهلي، فإني قد اشتقت إليهم، فقال لها: إني أخاف إن صرت إلى أَهلك أن تغلبيني على نفسك، فواثَقَتْه لترْجِعَنَّ إليه، فخرج بها في الشهر الحرام، حتى أَقدمها بلاد بني أسد، فلما أَطلَّ على الحي تركته واقفاً وانصرفت إلى منزل بعلها الأول، فمكثت طويلاً فلم ترجع إليه، فعرف ما صنعت، وأنها اختدعته، فانصرف وقال:

جـزى الـلَّـه عـنـا حـمـزة ابـنـة نـوفـل ... جـزاءَ مُـغِـلٍّ بـالأمـانـةِ كـاذبِ
لـهـانَ عـلـيـهـا أَمـسِ مـوقـفُ راكـبٍ ... إلـى جـانـب الـسَّـرْحـاتِ أَخـيـبِ خـائـبِ
وقـد سـألـتْ عـنـي الـوُشـاةَ لـيـكـذبـوا ... عَـلـيَّ وقـد أَبـلـيـتـهـا فـي الـنـوائـبِ
وصـدَّت كـأن الـشـمـسَ تـحـت قِـنـاعـهـا ... بـدا حـاجـب مـنـهـا وَضَـنَّـت بـحـاجـبِ

[الطويل]

(١) تلحانا: تلومنا.
(٢) فرِكَته: كَرِهَته.

وقال فيها أيضاً:

كـلُّ خـلـيـلٍ عـلـيـه الـرِّعـا ثُ والـحُـبَـلات كـذوبٌ مَـلِـقْ

[المتقارب]

الحُبَلات: واحدتها حُبْلَة، وهي جنس من الحلى قدر ثمر الطَّلْح.

وقـامـت إلـيَّ فـأحـلـفـتـهـا بِـهَـدْيٍ قـلائـده تَـخْـتـفـقْ(١)

بـألا أخـونـك فـيـمـا عـلـمـت فـإن الـخـيـانـة شـرّ الـخُـلُـقْ

[المتقارب]

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطول ذكرها.

أخبرني اليزيدي عن محمد بن حبيب عن الأصمعي قال:

كان أبو عمرو يشبه شعر النمر بشعر حاتم الطائي.

النمر أفتى الشعراء:

أَخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصْعب بن عبد اللَّه الزبيري قال:

بلغني أن صالح بن حسان قال يوماً لجلسائه: أي الشعراء أفتى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، واكثروا القول، فقال: أَفتاهم النمر بن تولب حين يقول:

أَهـيـم بـدعـد مـا حـيـيـت وإن أَمُـتْ فـواحَـزَنـا مـن ذا يـهـيـم بـهـا بَـعـدي؟

[الطويل]

النمر وحمزة في منى:

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، عن محمد بن سلام قال:

حج النمر بن تولب بعد هرب حمزة منه، فنزل بمنىً، ونزلت حمزة مع زوجها قريباً منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره، ووصَّته خيراً بولده منها فقال:

فـحـيّـيـتِ مـن شـحْـطٍ بـخـيـر حـديـثـنـا ولا يـأمـن الأيـامَ إلا الـمـضـلّـلُ

يـود الـفـتـى طـولَ الـسـلامـة والـغـنـى فـكـيـف يـرى طـول الـسـلامـة يَـفـعَـلُ؟

[الطويل]

(١) تَختَفق: تتحرك وتضطرب وتهتز.

النمر ينشد الرسول:

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثنا أبو محمد اليزيدي، عن الأصمعي، وأخبرنا اليزيدي عن ابن حبيب عن الأصمعي قال:

لما وفد النمرُ بن تولب على النبي ﷺ أنشده:

يـا قـوم إنـي رجـل عـنـدي خـبـرْ ... ألـلَّـهُ مـن آيـاتـه هـذا الـقـمـرْ
والـشـمـس والـشِّـعْـرَى وآيـاتٌ أُخَـرْ ... مـن يـتـسـامَ بـالـهُـدى فـالـخـبْـث شَـرّ
إنـا أتـيـنـاك وقـد طـال الـسـفَـرْ ... أقـود خـيـلاً رُجُـعـا فـيـهـا ضَـرَرْ
أُطـعِـمـهـا الـلـحـمَ إذا عـز الـشـجَـرْ

[الرجز]

قال اليزيدي عن ابن حبيب خاصة: قال الأصمعي: أطعمها اللحم: أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحمين.

وقال ابن حبيب: قال ابن الأعرابي:

كانت العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فأطعمته الخيل.

دعد تشغله عن حمزة:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، وأخبرنا ابن المرزبان قال: أخبرني عيسى بن يونس النحوي قال: حدثني محمد بن الفضل قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال:

لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها حتى خيف على عقله، ومكث أياماً لا يطعم ولا ينام، فلما رأت عشيرته ذلك منه أقبلوا عليه يلومونه ويصبّرونه، وقالوا: إن في نساء العرب مندوحة ومُتَّسعاً، وذكروا له امرأة من فخذه الأدْنَين يقال لها: دعد، ووصفوها له بالجمال والصلاح، فتزوجها، ووقعت من قلبه، وشغلته عن ذكر حمزة، وفيها يقول:

أهـيـم بـدعـدٍ مـا حـيـيـت فـإن أمُـتْ ... أُوَكِّـلْ بـدعـدٍ مَـنْ يَـهـيـم بـهـا بـعـدي

[الطويل]

والناس يروون هذا البيت لنصيب وهو خطأ.

أظرف الناس:

أخبرني اليزيدي، عن عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي عن عمّه. وأخبرني

إبراهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمٰن عن عمّه.

عن حماد بن ربيعة أنه قال: أظرف الناس النمر بن تولب حيث يقول:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمُتْ أُوَكِّلْ بدعدٍ من يهيم بها بعدي

[الطويل]

نعي حمزة له:

أخبرني ابن المرزبان قال: أخبرني عبد اللَّه بن محمد قال: أخبرني محمد بن سلام قال:

لما بلغ النمر بن تولب أن امرأته حمزة توفيت نعاها له رجل من قومه يقال له: حزام أو حرام فقال في ذلك:

ألم تر أن حمزة جاء منها بيانُ الحق إن صدقَ الكلامُ

نعاها بالنداء لنا حرامٌ حديثاً ما تُحَدِّث يا حرامُ

فلا تَبعَدْ وقد بَعِدَتْ وأَجرَى على جَدَثٍ تضمَّنها الغمامُ

[الوافر]

قال الأصمعي: يقال: بَعِدَ وأبعد.

عمر يترحم عليه:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي، عن أبي عمرو. وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو قال:

أدرك النمر بن تولب النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، وعُمِّر فطال عمره، وكان جواداً واسع القِرَى، كثير الأضياف، وهَّاباً لماله، فلما كبر خرف وأَهترَ، فكان هِجِّيْرَاه: اصْبَحُوا الراكب، اغْبُقوا الراكب، اقروا، انحروا للضيف، أعطوا السائل، تحمَّلوا لهذا في حَمالته كذا وكذا ـ لعادته بذلك ـ فلم يزل يهذي بهذا وشبْهِه مدَّة خرفه حتى مات. قال: وخَرِفَت امرأةٌ من حيٍّ كرام عظيم خطرهم وخطرها فيهم، فكان هِجِّيْرَاهَا: زوِّجوني، قولوا لزوجي يدخل، مَهِّدُوا لي إلى جانب زوجي. فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه ـ وقد بلغه خبرُها ـ وما لهج به أخو عُكْل النمرُ بن تولب في خرفه أفخر وأسرى وأجمل مما لهجت به صاحبتُكم. ثم ترحم عليه رضي اللَّه عنه.

النمر يرثي أخاه الحارث:

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري قال: حدثني علي بن المغيرة الأثرم، عن أبي عبيدة قال:

مات الحارث بن تولب فرثاه النمر فقال:

فـلا زال صَـوْبٌ مـن ربـيـعٍ وَصـيِّـفٍ ... يـجـود عـلـى حَبْسي الـغَـمِـيـم فـيَـثـرِبِ
فـوالـلَّـهِ مـا أُسـقِـي الـبـلادَ لـحـبّـهـا ... ولـكـنـمـا أُسـقِـيـك حـارِ بـنَ تَـوْلَـبِ
تـضـمَّـنْـتَ أدواءَ الـعـشـيـرةِ بـيـنـهـا ... وأنـت عـلـى أعـوادِ نـعـشٍ مُـقـلَّـبِ
كـأنَّ امـرَأً فـي الـنـاس كـنـتَ ابـنَ أُمِّـه ... عـلـى فَـلَـجٍ[1] مـن بـطـنِ دجْـلـةَ مُـطـنِـبِ

[الطويل]

قال حماد الراوية: كان النمر بن تولب كثير البيت السائر والبيت المُتَمَثَّل به، فمن ذلك قوله:

لا تـغـضَـبَـنَّ عـلـى امـرئ فـي مـالِـه ... وعـلـى كـرائـم صُـلـب مـالـك فـاغـضَـبِ
وإذا تُـصِـبْـك خَـصـاصـةٌ[2] فـارْجُ الـغِـنـى ... وإلـى الـذي يُـعـطِـي الـرَّغـائـبَ فـارْغـبِ

[الكامل]

وقوله:

تَـلَـبَّـسْ لـدهـرِك أثـوابَـه ... فـلـن يـبـتـنـي الـنـاسُ مـا هَـدَّمـا
وأحْـبِـبْ حـبـيـبَـك حُـبّـاً رُويـداً ... فـلـيـس يـهـولـك أن تُـصْـرَمـا
وأبـغِـضْ بـغـيـضـك بُـغـضـاً رويـداً ... إذا أنـت حـاولـت أن تـحـكـمـا

[المتقارب]

وقوله:

أعـاذل إن يُـصـبـحْ صـدايَ بـقـفـرة ... بـعـيـدٍ فـأَنَّـى نـاصـري وقـريـبـي؟
تَـريْ أن مـا أبـقـيـتُ لـم أك رَبَّـه ... وأن الـذي أَفـنـيـتُ كـان نـصـيـبـي

[الطويل]

النمر يحتمل الدية كلها:

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سعيد: قال محمد بن حبيب:

---

(١) الفَلَج: الماء الجاري.
(٢) الخصاصة: الفقر والحاجة.

كان للنمر بن تولب صديق، فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها، فلما رآهم وسألوه تبسم، فقال النمر:

تبسم ضاحكاً لما رآني وأصحابي لديَّ عن التمام
[الوافر]

فقال لهم الرجل: إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ونفساً تأمرني ألا أَفعل، فقال النمر بن تولب:

أمَّا خليلي فإني غيرُ مُعجِلِ حتى يؤامر نَفْسَيْه كما زَعما
نفسٌ له من نفوس الناس صالحةٌ تُعطِي الجزيلَ ونفس ترضع الغَنَما
[البسيط]

ثم قال النمر لأصحابه: لا تسألوا أحداً، فالدِّية كلُّها عَلَيَّ.

سيف كريم:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثنا أبي قال:

حدثنا الحسن بن محمد بن عبد اللَّه بن حسن بن حسن بن عليّ قال: جاء أعرابي إلى أبي، وهو مستتر بسُوَيقة، قبل مخرجه، ومعه سيف قد علاه الصدأ، فقال: يا ابن رسول اللَّه، إني كنت ببطن قُدَيد أرعى إبلي، وفيها فَحْلٌ قَطِمٌ[1]، قد كنت ضربته، فحقد عَليَّ وأنا لا أدري، فخلا بي فشدَّ عليَّ يريدني، وأنا أُحْضِر، ودنا مني حتى إن لعابه ليسقط على رأسي، لقربه مني، فأنا أشتدُّ وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أَذُبُّه عني به، إذ وقعت عيني على هذا السيف، قد فَحص عنه السيلُ، فظننته عوداً بالياً، فضربت بيدي إليه فأخذته، فإذا سيف، فذَبَبْتُ به البعيرَ عني ذبّاً، واللَّه ما أردت به الذي بلغته منه، فأصبت خَيشومه، فرميت بفُقْمِه[2]، فعلمت أنه سيف جيد، وظننته من سيوف القوم الذين كانوا قُتلوا في وقعة قُديد، وها هوذا قد أهديته لك يا ابن رسول اللَّه. قال: فأخذه منه أَبي وسُرَّ به، وجلس الأعرابي يحادثه، فبينا هو كذلك إذ أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رِعاؤها، فقال له: يا أعرابي، هذه الغنم والرُّعاةُ لك مكافأة لك عن هذا السيف، قال: ثم أرسل به إلى المدينة، أو أرسل إلى قَيْنٍ، فأتى به من المدينة، فأمر به فحُلِّيَ، فخرج أكرم سيوف الناس، فأمر

(١) القَطِم: الصؤول أو الشديد الهيجان.
(٢) الفُقم: اللّحى وطرف الخطم.

فاتُّخذ له جفْنٌ، ودفعه إلى أُختي فاطمة بنت محمد، فلما كان اليوم الذي قُتل فيه قاتل بغير ذلك السيف، قال: وبقي السيف عند أُختي فاطمة بنت محمد، فزرتها يوماً وهي بينبع، في جماعة من أهل بيتي، وكانت عند ابن عمّها الحسن بن إبراهيم بن عبد اللَّه بن الحسن، عليهم أجمعين السلام، فخرجت إلينا، وكانت بَرْزَةً[1]، تجلس لأهلها كما يجلس الرجال، وتحدثهم، فجلستْ تحدثنا، وأمرت مولىً لها فنحر لنا جَزوراً ليهيئ لنا منها طعاماً، فنظرتُ إليها والجزورُ في النخل باركة، وقد بردت وهي تُسلخ، فقالت: إني لا أرى في هذه الجزور مَضرباً حسناً، ثم دعت بالسيف وقالت: يا حسنُ، فَدَتك أختُك، هذا سيف أبيك فخذه، واجمع يديك في قائِمِهِ، ثم اضربْ به أثناءَها من خلفها ـ تريد عراقيبها ـ وقد أثبتُّها للبروك، وهي أربعة أعظم. قال: فأخذت السيف، ثم مضيت نحوها، فضربت عراقيبها، فقطعتُها واللَّهِ أربعَتَها، وسبقني السيف فدخل في الأرض، فأشفقت عليه أن ينكسر إن اجتذبته، فحفرت عنه حتى استخرجته، قال: فذكرت حينئذٍ قول النمر بن تولب رحمه اللَّه تعالى:

أبقى الحوادِثُ والأيامُ من نَمِرٍ ... أسناد سَيْفٍ كريمٍ أَثْرُه بادِي
تظلُّ تحفر عنه الأرضَ مُندفعاً ... بعد الذراعين والقَيْدَين والهادي

[البسيط]

ويروى:

تظلّ تحفر عنه إن ضربت به

كيف أصبح؟

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: أخبرني أحمد بن معاوية الباهلي، عن أبي عبيدة قال:

قيل للنمر بن تولب: كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فأنشأ يقول:

أصبحتُ لا يحمِل بعضي بَعْضَا ... أشكو العروقَ الآبِضاتِ أبْضَا[2]
كما تَشَكَّى الأزَجِيُّ[3] العَرْضا[4] ... [كأنما كان شبابي قَرْضَا]

[الرجز]

(١) البَرْزَة: المرأة التي تبرز للرجال وتخالطهم مع عدم خدش عفتها وشرفها.
(٢) الأبض: شد الرسغ إلى العضد.
(٣) الأزجي: نسبة إلى الأزج وهو بيت يبنى طولاً.
(٤) العَرْض: خلاف الطول.

أفتى خلق اللَّه:

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال:

أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجده:

أعِذْني ربِّ من حَصَرٍ وعيٍّ ... ومن نفسٍ أُعالجها علاجا
ومن حاجاتِ نَفْسي فاعْصِمَنِّي ... فإن لمضمرات النفسِ حاجَا
فأنت وليُّها وبرئْتُ منها ... إليك فما قَضَيْت فلا خِلاجا[1]

[الوافر]

ثم قال: كان النمر أفتى خلق اللَّه، فقلت: وما كانت فُتُوَّتُهُ؟ قال: أوليس فتى من يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي؟

[الطويل]

صوت

أيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزلا ... برابيةٍ إني مُقيمٌ لياليا
وخُطَّا بأطراف الأسنَّةِ مَضجعي ... ورُدَّا عَلى عَينيَّ فَضْلَ ردائيا
ولا تحسداني بارك اللَّه فيكما ... من الأرض ذات العَرْض أن تُوسعا ليا
لعمري لئن غالَتْ[2] خراسانُ هامتي ... لقد كنتُ عن بابَيْ خراسانَ نائيا
فيا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بجنب الغضا أزجي القِلاصَ النواجيا؟

[الطويل]

الشعر لمالك بن الريب، والغناء لمعبد مما لا يشك فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة، من رواية علي بن يحيى، وفيه لابن سريج هزج بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكي، وفيه لإبراهيم رمل بالوسطى عن عبد اللَّه بن موسى في الأول والثالث من الأبيات، ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشامي، وقيل: إن الرمل المنسوب إليه لنبيه.

---

(١) الخِلاج: المنازعة والخصومة.
(٢) غَالَت: لفّت بالشجر الكثير الملتف، أو أظلّت.

أخبار مالك بن الريب ونسبه

اسمه ونسبه:

هو مالك بن الريب بن حوط بن فرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان شاعراً فاتكاً لصّاً، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة، من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية.

مالك يقطع الطريق ثم يتوب:

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، وعن هشام بن الكلبي، وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصاص وحماد الراوية، وكلهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا:

استعمل معاويةُ بن أبي سفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ على خراسان، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيه بها مالك بن الرَّيب المازني، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم ثياباً، فلما رآه سعيد أَعجبه، وقال له: ما لك ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق؟ وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل؟ قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك واستصحبتك أتكفُّ عَمَّا كنت تفعل؟ قال: إي واللَّه أيها الأمير، أكفُّ كفّاً لم يكفَّ أحدٌ أحسن منه، قال: فاستصحبه، وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر.

مروان بن الحكم يطلبه فيهرب:

قالوا:

وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحابٌ له، منهم شِظاظ، وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم، وأبو حردبة أحد بني أثالة بن مازن، وغويث، أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة، وفيهم يقول الراجز:

أللَّه نجاك من القَضيمِ وبطْن فَلْجٍ وبني تميمِ
ومن بني حَرْدبةَ الأثيمِ ومالكٍ وسيفِه المسمومِ
ومن شِظاظَ الأحمرِ الزنيمِ ومن غُوَيْثٍ فاتحِ العُكومِ
[الرجز]

فساموا الناس شَرّاً، وطلبهم مروان بن الحكم، وهو عامل معاوية على المدينة، فهربوا، فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة، فطلبهم، فهربوا منه، وبلغ مالكَ بنَ الريب أن الحارث بن حاطب يتوعَّده فقال:

تَألَّى حِلْفةً في غير جُرْمٍ أَميري حارث شِبْهُ الصِّرارِ[١]
عَلَيَّ لأُجلَدَنْ في غير جُرمٍ ولا أُدْنَى فينفعني اعتذاري
وقلت وقد ضممتُ إليَّ جاشي تَحَلَّلْ لا تألَّ عليَّ حَارِ
فإني سوفَ يكفينيك عَزْمي ونَصِّي العيسَ بالبلدِ القفارِ
وعنْسٌ[٢] ذاتُ مَعْجَمة أمونٌ[٣] عَلَنْدَاةٌ[٤] مُوثَّقة الفَقَارِ
تَزِيف[٥] إذا تَواهقت[٦] المطايا كما زافَ المُشرِّف للخِطارِ
وإن ضربت بِلَحْييها وعامَتْ تفصَّمَ عنهما حَلَق السِّفارِ
مراحاً غير ما ضغْنٍ ولكن لجاجاً حين تشتبه الصحارِي
إذا ما استقبلت جَوْناً[٧] بَهيماً تفرّجَ عن مُخَيَّسِه[٨] حِصَارِي
إذا ما حال رَوْضُ ربابِ دُرْنَا وتثليثٍ فشأنك بالبَكَاري
وأنيابٍ سيُخْلِفُهنَّ سيفي وشدَّاتُ الكَمِيِّ على التِّجارِ
فإنْ أسْطِعْ أُرِحْ منه أناسي بضربةِ فاتكٍ غير اعتذارِ
وإن يُفْلت فإني سوف ألقى بنيه بالمدينة أو صِرارِ
ألا من مبلِغٌ مروانَ عني فإني ليس دهري بالفرارِ

(١) الصِّرار: هو ما يشدّ على الناقة من خيط وحبل.
(٢) العَنسّ: الناقة الجلدة القويَّة.
(٣) الأمون: الوثيقة الخُلُق.
(٤) العلنداة: الناقة الشديدة الغليظة.
(٥) تزيف: تسرع في تمايلها.
(٦) تواهقت: مدت أعناقها وبارت أقرانها.
(٧) الجَوْن: النبات يضرب إلى السواد من خضرته.
(٨) المُخَيَّس: السِّجن.

ولا جـزِع مـن الـحَـدَثـانِ يـومـاً ولـكـنـي أَرُود لـكـم وَبـارِ
[الوافر]

وبار: أرض لم يطأ أحدٌ ثراها.

بـهـزمـار[١] تـراد الـعـيـس فـيـهـا إذا أشـفـقـن مـن قـلـق الـصّـفـارِ
وهـنّ يُـخَـشْـنَ[٢] بـالأعـنـاق خـوشـاً كـأن عـظـامـهـن قِـداحُ بـارِي
كـأن الـرَّحْـل أَسـأر مـن قَـرَاهـا هـلَال عـشـيـة بـعـد الـسِّـرارِ
رأيـت وقـد أتـى بُـحـرانُ دونـي لـلـيـلـي بـالـغُـمَـيِّـم ضـوء نـار
إذا مـا قـلـت قـد خـمـدت زهـاهـا عـصِـيّ الـزنـد والـعُـصْـفُ الـشـواري
يـشـبُّ وقـودُهـا ويـلـوح وَهْـنـاً كـمـا لاح الـشَّـبُـوب[٣] مـن الـصـواري
كـأن الـنـار إذ شُـبَّـت لـلـيـلـي أضـاءت جـيـد مُـغْـزِلـة نَـوَارِ
وتـصـطـاد الـقـلـوب عـلـى مَـطَـاهـا بـلا جَـعْـد الـقـرون ولا قِـصَـارِ
وتـبـسـم عـن نـقـيِّ الـلـونِ عـذبٍ كـمـا شِـيـف[٤] الأقـاحـي بـالـقُـطـار
أتـجـزع أن عـرفـت بـبـطْـن قـوٍّ وصـحـراء الأديـم ورسـم دارِ
وأن حـلّ الـخـلـيـط ولـسـت فـيـهـم مـرابـع بـيـن ذَحْـلَ إلـى سِـرارِ
إذا حـلـوا بـعـائـجـة خـلاءٍ تُـقَـطِّـف نـوْرَ حَـنْـوَتـهـا[٥] الـعـذارِي
[الوافر]

فبعث إليه الحارث بن حاطب رجلاً من الأنصار فأخذه وأخذ أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة وتحلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكاً، فتغفل مالكٌ غلام الأنصاري وعليه السيف فانتزعه منه وقتله به، وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً، ثم لحق بأبي حردبة فتخلصه، وركبا إبل الأنصاري، وخرجا هاربين حتى أتيا البحرين، واجتمع إليهما أصحابهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان فاستصحبه، فقال مالك في مهربه ذلك:

أحـقـاً عـلـى الـسـلـطـان أمَّـا الـذي لـه فَـيُـعـطـى وأمّـا مـا يـراد فـيـمـنـعُ

(١) الهرمار: الحركة الشديدة.
(٢) يَخُشن: يأخذن.
(٣) الشَّبوب: ما يوقد به.
(٤) شيف: زين.
(٥) الحنوة: ضرب من النبات طيِّب الرائحة.

إذا ما جعلت الرمل بيني وبينه ... وأعرض سَهْب بينَ يَبرينَ بلقعُ
من الآدمِيِّ يستجمّ بها القطا ... تظل الرياح دونه تتقطَّعُ
فشأنكم يا آل مروان فاطلبوا ... سِقاطي فما فيه لباغيه مَطمعُ
وما أنا كالعَيْرِ المقيم لأهله ... على القَيْد في بحبوحة الضيم يَرتعُ
ولولا رسول اللَّه أن كان منكم ... تَبيَّن مَنْ بالنّصف يرضى ويقنعُ

[الطويل]

وقال أيضاً:

لو كنتمُ تنكرون الغدر قلت لكمْ ... يا آل مروان جاري منكم الحَكَمُ
وأتقيكم يمين اللَّه ضاحيةً ... عند الشهود وقد توفي به الذِّممُ
لا كنت أُحدث سوءاً في إمارتكم ... ولا الذي فات مني قبل ينتقمُ
نحن الذين إذا خفتم مجلِّلة ... قلتم لنا إننا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دُجُنّتها ... صرتم كَجُرمٍ فلا آلٌ ولا رَحِمُ

[البسيط]

وقد قال مالك حين قتل غلام الأنصاري الذي كان يقوده:

غُلامٌ يقول السيف يثقل عاتقي ... إذا قادني وسط الرجال المُجَحْدَلُ[١]
فلولا ذباب السيف ظلّ يقودني ... بنِسعته[٢] شثن[٣] البنان حَزَنبلُ[٤]

[الطويل]

مالك والرجل الأسود:

قالوا: وبينا مالك بن الريب ذات ليلة في بعض هناته وهو نائم، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف، إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدري ما هو، فانتفض به مالك فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقدَّه[٥] نصفين، ثم نظر إليه مالك فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك:

أدلجتُ في مهمهٍ ما إن أرى أحداً ... حتى إذا حان تعريسٌ لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت اللَّه يكلؤني ... مهما تنم عنك من عين فما غفلا

(١) المُجَحْدَل: البارع في صرع غيره.
(٢) النِّسْعَة: القطعة العريضة على هيئة أعنّة النِّعال تُشَدّ بها الرحال جمعها النِّسْع.
(٣) شثن البنان: عظيم البنان. (٤) الحَزَنْبَل: القصير وغليظ الشفاه.
(٥) قَدَّه: قطعه.

والسيف بيني وبين الثوب مُشْعِرُهُ ... أخشى الحوادث إني لَمْ أكن وَكِلا
ما نمت إلا قليلاً نِمته شَئِزاً[١] ... حتى وجدت على جثماني الثقلا
داهية من دواهي الليل بيتني ... مُجاهِداً يبتغي نفسي وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره ... إلا توخيته والجَرْس فانخزلا
لما ثنى اللَّه عني شرَّ عدوته ... رقدت لا مُثبَتاً ذُعْراً ولا بَعِلا[٢]
أما ترى الدار قفراً لا أنيس بها ... إلا الوحوش وأمسى أهلها احتملا؟
بين المُنِيفة حيث استنَّ مَدفعُها ... وبين فَرْدَةَ من وَحْشِيِّها قُبُلا
وقد تقول وما تخفي لجارتها ... إني أرى مالك بن الرَّيب قد نَحَلا
من يشهدِ الحرب يصلاها ويُسعِرُها ... تراه مما كَسَتْه شاحباً وَجِلا
خذها فإني لضرَّاب إذا اختلفت ... أيدي الرجال بضرب يَخْتِل البطلا

[البسيط]

قالوا: وقال مالك في ذلك أيضاً:

يا غاسلاً تحت الظلام مَطِيَّةً ... متخايلاً لإبِلٍ وغير مخايلِ
أَنَّى أُنخت لشائِك أنيابه ... مستأنس بدجى الظلام منازلِ
لا يَستريع[٣] عظيمةً يُرْمَى بها ... حَصَّاءَ[٤] تَحسِرُ عن عظام الكاهلِ
حَرِباً تنصُّبُه بنبْت هواجرٍ ... عاري الأشاجع[٥] كالحسام الناصلِ
لم يدرِ ما غُرف القصور وفيْؤُها ... طاوٍ بنخْلِ سوادها المتمايلِ
يقظ الفؤاد إذا القلوب تآنست ... جزعاً ونُبِّه كلُّ أَروعَ باسلِ
حيث الدجى متطلعاً لغفوله ... كالذئب في غلس الظلام الخاتلِ
فوجدته ثَبْتَ الجنانِ مشيعاً ... ركّاب مَنسج كلِّ أمرٍ هائلِ
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ... ذا رونق يغْشى الضريبة فاصلِ
فركبْتَ رَدْعَك بين ثُنْيا فائزٍ ... يعلو به أثر الدماء وشائِلِ[٦]

[الكامل]

(١) الشَّئِز: القَلِق.
(٢) البَعِل: المتحير.
(٣) يستريع: يتحيّر.
(٤) الحَصَّاء: المشؤومة.
(٥) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتَّصل بعصب ظاهر الكفّ.
(٦) الشائل: الميّت.

صاحب حرب لا إبل:

قال: وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خراسان، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن، فطلبوا صاحب إبلهم فلم يجدوه، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد: أَدْنِ مني فلانة، لناقة كانت لسعيد غزيرة، فأدناها منه، فمسحها وأَبَسَّ[1] بها حتى درَّت ثم حلبها، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأَغزره درة، فانطلق الغلام إلى سعيد فأخبره، فقال سعيد لمالك: هل لك أن تقوم بأمر إبلي فتكون فيها وأُجزل لك الرزق إلى ما أرزقك وأضع عنك الغزو؟ فقال مالك في ذلك:

وإني لأستحيي الفوارس أن أُرى ... بأرض العدا بَوَّ[2] المخاضِ الروائمِ
وإني لأستحيي إذا الحرب شمّرت ... أن ٱرخِيَ وقت الحرب ثوبَ المسالمِ
وما أنا بالثاني الحفيظة في الوغى ... ولا المتقي في السِّلْم جرَّ الجرائمِ
ولا المتأني في العواقب للذي ... أهمّ به من فاتكات العزائمِ
ولكنني مستوحد العزم مقدم ... على غمرات الحادث المتفاقمِ
قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل ... جميع الفؤاد عند حلّ العظائمِ

[الطويل]

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

مالك والذئب:

قالوا: وبينما مالك بن الريب ليلة نائم في بعض مفازاته، إذ بيّته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد فلم يبرح، فوثب إليه بالسيف فضربه فقتله، وقال مالك في ذلك:

أذئب الغَضا قد صرت للناس ضحكة ... تقاوَى بك الركبان شرقاً إلى غَربِ
فأنت وإن كنت الجريء جنانه ... مُنيت بضرغام[3] من الأُسُدِ الغُلْبِ
بمن لا ينام الليل إلا وسيفُه ... رهينة أقوام سراع إلى الشَّغْبِ
ألم ترني يا ذئب إذ جئت طارقاً ... تُخاتلني أني امرؤ وافرُ اللّبِّ؟
زجرتك مرات فلمَّا غلبتني ... ولم تنزجر نهنهت[4] غَرْبَك بالضّرْبِ

(١) أَبَسَّ: دعا الناقة للحلب بلطف ورَوِيَّة.
(٢) بوّ المخاض: ولد الناقة.
(٣) الضرغام: الأسد القوي.
(٤) نهنهت: كففت، منعت.

فـصـرت لـقـىً لـمَّـا عـلاك ابـنُ حـرة ... بـأبـيـض قـطَّـاعٍ يُـنـجِّـي مـن الـكَـرْبِ
ألا رُبَّ يـوم رِيـبَ لـو كـنـت شـاهـداً ... لـهـالـك ذكـري عـنـد مـعـمـعـة الـحَـرْبِ
ولـسـت تـرى إلا كـمِـيّـاً مـجـدلاً ... يـداه جـمـيـعـاً تَـنْـبُـثـان مـن الـتّـرْبِ
وآخـر يـهـوي طـائـر الـقـلـب هـارباً ... وكـنـتُ امرأ في الـهـيج مـجـتـمـع الـقَـلْـبِ
أصول بذي الزِّرَّين[١] أمشي عِرَضْنةً[٢] ... إلـى الـمـوت والأقـرانُ كـالإبـل الـجُـرْبِ
أرى الـمـوت لا أنـحـاش عـنـه تـكـرمـاً ... ولو شئت لم أركب على المركب الصّعْبِ
ولـكـن أبـت نـفـسـي وكـانـت أبـيَّـة ... تَقاعَسُ[٣] أو تنصاع[٤] يوماً من الرُّعْبِ

[الطويل]

ابنته تخشى فراقه:

قال أبو عبيدة: لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان تعلقت ابنته بثوبه وبكت، وقالت له: أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي، فبكى وأنشأ يقول:

ولـقـد قـلـت لابـنـتـي وهـي تـبـكـي ... بِـدَخـيـل الـهـمـوم قـلـبـاً كـئـيـبـا
وهـي تُـذْرِي مـن الـدمـوع عـلـى الـخـدَّيـن مـن لـوعـة الـفـراق غُـروبـا
عـبـرات يـكـدْن يـجـرحـن مـاجُـزْ ... نَ بِـه أوْ يَـدعْـنَ فـيـه نُـدوبـا[٥]
حَـذَر الـحـتـفِ أن يـصـيـب أبـاهـا ... ويـلاقـي فـي غـيـر أهـل شَـعُـوبـا
أسـكـتـي قـد حَـزَزْتِ[٦] بـالـدمـع قـلـبـي ... طـالـمـا حـزَّ دمـعـكُـنَّ الـقـلـوبـا
فـعـسـى الـلّـه أن يـدافـع عـنـي ... رَيْـب مـا تـحَـذريـن حـتـى أَؤُوبـا
لـيـس شـيـئـاً يـشـاؤُه ذو الـمـعـالـي ... بـعـزيـزٍ عـلـيـه فـادْعِـي الـمُـجـيـبـا
ودَعِـي أن تُـقَـطِّـعـي الآن قـلـبـي ... أو تُـريـنـي فـي رحـلـتـي تـعـذيـبـا
أنـا فـي قـبـضـة الإلٰـه إذا كـنـ ... ـت بـعـيـداً أو كـنـت مـنـك قـريـبـا
كـم رأيـنـا امْـرَأً أَتـى مـن بـعـيـد ... ومـقـيـمـاً عـلـى الـفـراش أُصـيـبـا
فـدعـيـنـي مـن انـتـحـابـك إنّـي ... لا أبـالـي إذا اعـتـزمـتُ الـنـحـيـبـا

(١) ذو الزرَّين: السيف.
(٢) العِرَضْنَة: مشية فيها تبختر ونشاط.
(٣) تقاعس: تتأخر وتتراجع.
(٤) تنصاع: ترجع بسرعة.
(٥) الندوب: آثار الجروح واحدتها نُدبة.
(٦) حَزَزتِ: شققتِ.

حسبِيَ اللَّهُ ثم قرَّبْتُ للسّير علاة[١] أَنجِبْ بها مركوبا
[الخفيف]

هرباً من ضرطة!!

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ، قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان سبب خروج مالك بن الريب إلى خراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان هرباً من ضرطة، فسألته: كيف كان ذلك؟ فقال: مر مالك بليلى الأخيلية، فجلس إليها يحادثها طويلاً وأنشدها، فأقبلت عليه وأعجبت به، حتى طمع في وصلها، ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها كأنه نصل سيف، فجلس إليها، فأعرضت عن مالك وتهاونت به، حتى كأنه عندها عصفور، وأقبلت على صاحبها مليّاً من نهارها، فغاظه ذلك من فعلها، وأقبل على الرجل فقال: من أنت؟ فقال: توبة بن الحُمَيِّر، فقال: هل لك في المصارعة؟ فقال: وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا؟ قال: لا بد منه، وظن أن ذلك لخوفه منه، فازداد لجاجاً، فقام توبة فصارعه فصرعه، فلما سقط مالك إلى الأرض ضرط ضرطة هائلة، فضحكت ليلى منه، واستحيا مالك، فاكتتب بخراسان وقال: لا أقيم في بلد العرب أبداً، وقد تحدثت عني بهذا الحديث، فلم يزل بخراسان حتى مات، فقبره هناك معروف.

ذكريات لصوص:

وقال المدائني: وحدثني أبو الهيثم قال:

اجتمع مالك بن الريب وأبو حردبة وشظاظ يوماً فقالوا: تعالوا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا.

حديث أبي حردبة:

فقال أبو حردبة: أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت أني صحبت رفقة فيها رجل على رحل، فأعجبني، فقلت لصاحبي: واللَّه لأسرقن رحله، ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة[٢]، فرمقته حتى رأيته قد خفق برأسه، فأخذت بخطام جمله فقدته، وعدلت به عن الطريق، حتى إذا صيَّرته في مكان لا يغاث فيه إن استغاث أنخت البعير فصرعته وأوثقت يديه ورجليه، وقدت الجمل فغيبته، ثم رجعت إلى الرفقة وقد فقدوا

(١) العَلاة: الناقة الجسيمة.
(٢) الجعالة: ما يجعل للمرء من أجر.

صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلت: ما لكم؟ فقالوا: صاحب لنا فقدناه، فقلت: أنا أعلم الناس بأثره، فجعلوا لي جعالة، فخرجت بهم أتبع الأثر، حتى وقفوا عليه، فقالوا: ما لك؟ قال: لا أدري، نعست فانتبهت لخمسين فارساً قد أخذوني، فقاتلتهم، فغلبوني. قال أبو حردبة: فجعلت أضحك من كذبه وأعطوني جعالتي وذهبوا بصاحبهم.

أعجب سرقاته:

وأعجب ما سرقت أنه مر بي رجل معه ناقة وجمل، وهو على الناقة، فقلت: لآخذنَّهما جميعاً، فجعلت أُعارضه وقد رأَيته قد خفق برأسه، فدرت فأخذت الجمل فحللته وسقته، فغيبته في القصيم، وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه، ثم انتبه فالتفت فلم ير جمله، فنزل وعقل راحلته، ومضى في طلب الجمل، ودرت فحللت عقال ناقته وسقتها.

أبو حردبة يموت شهيداً:

فقالوا لأبي حردبة: ويحك فحتام تكون هكذا؟ قال: اسكتوا، فكأنكم بي وقد تُبت، واشتريت فرساً، وخرجت مجاهداً، فبينا أنا واقف إذ جاءني سهم كأنه قطعة رِشاء[1]، فوقع في نحري فمتّ شهيداً. قال: فكان كذلك، تاب وقدم البصرة، فاشترى فرساً، وغزا الروم، فأصابه سهم في نحره فاستشهد.

حديث شظاظ:

ثم قالوا لشظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك، ورأيت فيها. فقال: نعم، كان فلانٌ رجلٌ من أهل البصرة له بنت عمّ، ذات مال كثير، وهو وليها، وكانت له نسوة فخطبها، فأبت أن تتزوجه، فحلف ألا يزوّجها من أحد ضِراراً لها، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة، فحرصت عليه، وأبى الآخر أن يزوجها منه، ثم إن ولي الأمر حج، حتى إذا كان بالدّوّ ـ على مرحلة من البصرة حذاءها قريب منه جبل يقال له: سنام، وهو منزل الرفاق إذا صدرت أو وردت ـ مات الولي، فدفن برابية، وشيد على قبره، فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها. قال شظاظ: وخرجت رفقة من البصرة ومعهم بزّ ومتاع، فتبصرتهم وما معهم، واتبعتهم من البصرة حتى نزلوا، فلما ناموا أتيتهم وأخذت من متاعهم، ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً

(١) الرِّشاء: الحبل.

شديداً وجرّدوني، قال: وذلك في ليلةٍ قَرَّة، وسلبوني كل قليل وكثير كان عليّ فتركوني عرياناً، قال: وتماوت لهم، وارتحل القوم، فقلت: كيف، أصنع؟ ثم ذكرت قبر الرجل فأتيته، فنزعت لوحَه، ثم احتفرت فيه سَرَباً فدخلت فيه، ثم سددت عليّ باللوح وقلت: لعلي الآن أدفأ فأتبعهم. قال: ومر الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة، فمر بالقبر الذي أنا فيه، فوقف عليه وقال لرفيقه: واللَّه لأنزلن إلى قبر فلان حتى أنظر هل يحمي الآن بُضْع فلانة؟ قال شظاظ: فعرفت صوته فقلعت اللوح، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر وقلت: بلى ورب الكعبة لأحمينّها، فوقع واللَّه الرجل على وجهه مغشيّاً عليه لا يتحرك ولا يعقل، فسقط من يده خطام الراحلة، فأخذت وعهدِ اللَّه بخطامها فجلست عليها، وعليها كل أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس، فنجوت بها، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدث الناس بالبصرة، ويحلف لهم أن الميت الذي كان مَنعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره، وسلبه وكتفه، فبقي يومه ثم هرب منه. والناس يعجبون منه، عاقلُهم يكذبه، والأحمق منهم يصدقه. وأنا أعرف القصة فأضحك منهم كالمتعجب.

أعجب وأحمق:

قالوا: فزدنا، قال: أنا أزيدنكم أعجب من هذا وأحمق من هذا. إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسرقه، قال: فلا واللَّه ما وجدت شيئاً. قال: وشجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظل غيرها، فإذا أنا برجل يسير على حمار له، فقلت له: أتسمع؟ قال: نعم، فقلت: إن المقيل الذي تريد أن تَقيله يُخْسَف فيه بالدوابّ فاحذَرْه. فلم يلتفت إلى قولي. قال: ورمقته حتى إذا نام أقبلت على حماره فاستقته، حتى إذا برزت به قطعت طرف ذنبه وأذنيه، وأخذت الحمار فخبأته، وأبصرته حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمار ويقفو أثره، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه، فقال: لعمري لقد حُذِّرت لو نفعني الحذر. واستمر هارباً خوف أن يُخسف به. فأخذت جميع ما بقي من رحله، فحملته على الحمار، وأستمر فألحق بأهلي.

الحجاج يصلب شظاظاً:

قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاج رجلاً من الشُّراة بالبصرة، وراح عشيّاً لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مقبل بوجهه عليه، فدنا منه فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبتَ فأعقِبْ[1]. فقال الحجاج: من هذا؟ فقالوا: هذا شظاظ اللّص، قال: لا جرم

(١) أعْقِب: إركب في الخلف.

واللَّهِ ليُعْقِبنّك، ثم وقف وأمر بالمصلوب فأنزل، وصلب شظاظاً مكانه.

مالك بن الريب يرثي نفسه:

قال ابن الأعرابي: مرض مالك بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان في طريقه، فلما أشرف على الموت تخلف معه مرة الكاتب ورجل آخر من قومه من بني تميم، وهما اللّذان يقول فيهما:

أيا صاحِبَيْ رَحلي دنا الموت فانزلا بـرابـيـةٍ إنـي مـقـيـمٌ لـيـالـيـا

[الطويل]

ومات في منزله ذلك، فدفناه، وقبره هناك معروف إلى الآن، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه.

قال أبو عبيدة:

الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً، والباقي منحول ولّده الناس عليه:

صـوت

فـمـا بـيـضـةٌ بـات الـظَّـلـيـم يـحُـقُّـهـا ويـرفـع عـنـهـا جُـؤْجُـؤاً[1] مـتـجـافـيـا

بـأحـسـن مـنـهـا يـوم قـالـت: أظـاعـن مـع الـركْـب أم ثـاوٍ لـديـنـا لـيـالـيـا؟

وهـبَّـت شَـمـالٌ آخـرَ الـلـيـل قـرَّةٌ ولا ثـوبَ إلا بُـردهـا ورداؤهـا

ومـا زال بُـردي طـيِّـبـاً مـن ثـيـابـهـا إلى الـحـولِ حـتـى أنـهـجَ[2] الـبُـرْد بـالـيـا

[الطويل]

الشعر لعبد بني الحسحاس، والغناء لابن سريج في الأول والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفي الثالث والرابع لمخارق خفيف ثقيل، عمله على صنعة إسحاق في:

أمـاوي إن الـمـال غـادٍ ورائـحٌ

وكاده بذلك ليقال: إن لحنه أخذه منه، وألقاه على عجوز عُمير، فألقته على الناس حتى بلغ الرشيدَ خبرُه، ثم كشفه فعلم حقيقته، ومن لا يعلم ينسبه إلى غيره، وقد ذكر حبش أنه لإبراهيم وذكر غيره أنه لابن المكي.

وقد شرحت هذا الخبر في أخبار إسحاق.

---

(١) الجؤجؤ: الصّدر.

(٢) أنهج الثوب: بَلِيَ.

أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه سُحيم، وكان عبداً أسود نُوبِيًّا أعجميّاً، مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحَسْحَاس، وهم بطن من بني أسد، قال أبو عبيدة: الحسحاس بنُ نُفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة.

أهشنت واللَّه!!

قال أبو عبيدة فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي حاتم عنه:

كان عبد بني الحسحاس عبداً أسود أعجميّاً، فكان إذا أنشد الشعر استحسنه أم استحسنه غيره منه يقول: أهشنت واللَّه: يريد أحسنت واللَّه.

وأدرك النبي ﷺ، ويقال: أنه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا الحسن بن موسى قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد:

عن الحسن أن النبي ﷺ تمثَّل: كفى بالإسلام والشيب ناهياً، فقال أبو بكر رضوان اللَّه تعالى عليه: يا رسول اللَّه إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلامُ للمرء ناهياً

فجعل لا يطيقه، فقال أبو بكر: أشهد أنك لرسول اللَّه. وما عَلَّمناه الشعر وما ينبغي له.

قال محمد بن خلف: وحدثني أحمد بن شداد، عن أبي سلمة التبوذكي، عن حماد بن سلمة، عن زيد، عن الحسن مثله.

وروي عن أبي بكر الهذلي:

إن اسم عبد بني الحسحاس: حَيَّة.

السواد والبياض:

وأخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: كان عبد بني الحسحاس حُلْوَ الشعر رقيق الحواشي، وفي سواده يقول:

ومـا ضـرَّ أثـوابـي سـوادي وإنـنـي لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقُهْ
كُسيتُ قميصاً ذا سوادٍ وتحته قميصٌ من القُوهِيِّ[1] بيضٌ بنائقهْ
[الطويل]

ويروى:

وتحته قميصٌ من الإحسان

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: أنشدني مصعب بن عبد اللَّه الزبيري لعبد بني الحسحاس ـ وكان يستحسن هذا الشعر ويعجب به ـ قال:

أشعارُ عبدِ بني الحسحاس قُمْنَ له عند الفَخارِ مقام الأصْلِ والورِقِ
إن كنتُ عَبْداً فنفسي حُرَّةٌ كرَماً أو أَسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ
[البسيط]

أول ما تكلم به من الشعر:

وقال الأثرم: حدثني السريّ بن صالح بن أبي مسهر قال: أخبرني بعض الأعراب:

أن أول ما تكلم به عبد بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً، فجاء وهو يقول:

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه كالحبشيِّ حولَه بناتُهُ
[الرجز]

فقالوا: شاعر واللَّه، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك.

سحيم ينشد عمر شعره:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: أنشد سحيمٌ عمرَ بن الخطاب رضوان اللَّه تعالى عنه قوله:

عُميرةَ ودِّعْ إن تجهَّزتَ غادِيَا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهِيَا
[الطويل]

فقال عمر رضي اللَّه تعالى عنه: لو قلت شعرَك كلَّه مثل هذا لأعطيتك عليه.

حظ أهل العبد الشاعر:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني

(١) القوهيّ: ضرب من الثياب البيض.

عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني خالي يوسف بن الماجشون قال:

كان عبد اللَّه بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان بن عفان رضي اللَّه تعالى عنه على الجند، فكتب إلى عثمان: إني قد اشتريت غلاماً حبشيّاً يقول الشعر، فكتب إليه عثمان رضي اللَّه تعالى عنه: لا حاجة بي إليه فاردُدْه، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إن شبع أن يتشبب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوهم، فردّه، فاشتراه أحدُ بني الحسحاس.

وروى إبراهيم بن المنذر الحزامي هذا الخبر عن ابن الماجشون قال:

كان عبد اللَّه بن أبي ربيعة ـ مثل ما رواه الزبير ـ إلا أنه قال فيه: إن جاع هَرَّ، وإن شبع فرَّ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري، عن الأثرم، عن أبي عبيدة، وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

أنشد عبدُ بني الحسحاس، عمر، رضي اللَّه تعالى عنه قوله:

تُوسِّدني كفّاً وتَثْني بمعصمٍ عليَّ وتَحْوي رِجْلَها من ورائيا

[الطويل]

فقال عمر: ويلك، إنك مقتول.

أَخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني إسحاق، عن محمد النخعي، عن ابن عائشة قال:

أنشد عبد بني الحسحاس، عمر، رضي اللَّه تعالى عنه قوله:

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر: لو قَدَّمتَ الإسلامَ على الشيب لأجَزْتُك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا معاذ بن معاذ وأبو عاصم، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين:

أن عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا البيت، وذكر الحديث مثل الذي قبله.

قبيح الوجه:

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي، عن عمّه قال:

كان عبد بني الحسحاس قبيحَ الوجه، وفي قبحه يقول:

أَتـيـتُ نـسـاءَ الـحـارثـيِّـيـن غُـدوةً بـوجـهٍ بَـراهُ الـلَّـهُ غـيـرَ جَـمـيـلِ
فـشـبَّـهْـنَـنـي كـلْـبـاً ولـسـت بـفَـوقِـه ولا دونَـه إن كـان غـيـرَ قـلـيـلِ
[الطويل]

سحيم يشبب بنساء مواليه:

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال:

أُتي عثمانُ بنُ عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر، وأرادوا أن يرغبوه فيه، فقال: لا حاجةَ لي به إذاً، الشاعر لا حريمَ له، إن شبع شبّب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيره، فلما رحل به قال في طريقه:

أشـوقـاً ولـمـا تَـمْـضِ لـي غـيـرُ لـيـلـةٍ فـكـيـف إذا سـار الـمَـطِـيُّ بـنـا عَـشْـرَا؟
ومـا كـنـت أخـشـى مـالـكـاً أن يَـبـيـعـنـي بـشـيءٍ ولـو أَمـسـتْ أنـامِـلُـه صِـفْـرَا
أخـوكـم ومـولاكـم وكـاتـم سـرّكـم ومَـن قـد نَـشَـا فـيـكـم وعـاشَـركـم دَهْـرَا
[الطويل]

ويروى: أخوكم ومولى خيركم وحليفكم.

فلما بلغهم شعره هذا رَقُّوا له فاستردُّوه، فكان يُشبّب بنسائهم حتى قال:

ولـقـد تـحـدَّر مـن كـريـمـةِ بـعـضِـكـم عَـرَقٌ عـلـى مَـتْـنِ الـفـراشِ وطـيـبُ
[الكامل]

قال فقتلوه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن خاله يوسف بن الماجشون.

بمثل هذه الرواية، وزاد فيها: فلما استردُّوه نَشِبَ يقول الشعرَ في نسائهم، فأخبرني من رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض هذا الشعر ويشبِّب بأخت مولاه، وكانت عليلة ويقول:

مـاذا يـريـد الـسـقـام مـن قَـمَـرٍ كـلُّ جـمـالٍ لـوجـهـه تَـبـعُ؟
مـا يَـرْتـجِـي خـاب مـن مـحـاسـنـهـا أمَـالـه فـي الـقِـبـاح مُـتَّـسَـعُ؟
غـيَّـر مِـن لـونـهـا وصَـفَّـرهـا فـارتـدّ فـيـه الـجـمـالُ والـبِـدَعُ

لـو كـان يَـبـغـي الـفِـداءَ قـلـتُ لـه هـا أنـا دونَ الـحـبـيـبِ يـا وَجَـعُ
[المنسرح]

حتى كلنا غير لابس:

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أبو بكر العامري، عن علي بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة:

الذي تناهى إلينا من حديث سحيم عبد بني الحسحاس أنه جالس نِسوةً من بني صُبَير بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جَلسوا للتغزُّل أن يتعابثوا بِشَقِّ الثياب وشِدَّة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم:

كـأنَّ الـصُـبَـيـريَّـاتِ يـومَ لـقـيـنَـنَـا ظـبـاءٌ حَـنَـتْ أعـنـاقـهـا فـي الـمـكـانِـسِ
فـكـم قـد شَـقَـقـنـا مـن رداء ومـئـزرٍ ومـن بُـرقـعٍ عـن نـاظـر غـيـرِ نـاعـسِ
إذا شُـقَّ بُـرْدٌ شُـقَّ بـالـبُـرْدِ بـرقـعٌ عـلـى ذاك حـتـى كُـلُّـنـا غـيـرُ لابـسِ
[الطويل]

سيده يكمن له:

فيقال: إنه لما قال هذا الشعر اتهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه، فلما اضطجع تنفس الصُّعَداء، ثم قال:

يـا ذِكْـرَةً مـا لَـكَ فـي الـحـاضـرِ تَـذْكُـرُهـا وأنـت فـي الـصـادرِ
مـن كُـلِّ بـيـضـاءَ لـهـا كـعْـثَـبٌ[1] مـثـلُ سـنـام الـبَـكـرةِ الـمـائـرِ
[السريع]

قال: فظهر سيدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً؛ وقال له: ما لك؟ فلجلج في منطقه فاستراب به، فأجمع على قتله، فلما ورد الماء، خرجت إليه صاحبته فحادثته، وأخبرته بما يُراد به، فقام ينفض ثوبه ويُعَفِّي أثره، ويلقط رَضّاً[2] من مَسَكِها[3] كان كَسَرها في لعبه معها، وأنشأ يقول:

صـوت

أَتُـكـتَـمُ حُـيِّـيـتـم عـلـى الـنـأي تُـكْـتَـمَـا تَـحِـيَّـةَ مـن أمـسـى بـحُـبِّـكَ مُـغـرَمَـا

(١) الكعثب: الفرج.
(٢) الرّضّ: القطع المكسورة الصغيرة.
(٣) المَسَك: الخلاخيل والأسورة من العاج.

ومـا تُـكـتَـمـيـن أن أَتـيـتِ دَنِـيَّـةً ولا أَن رَكِـبْـنـا يـا ابـنـةَ الـقـوم مَـحْـرَمَـا
ومـثـلـك قـد أبـرزتُ مـن خِـدْرِ أمِّـهـا إلـى مـجـلـس تَـجْـتَـرُّبُـرْداً مُـسَـهَّـمَـا(١)
[الطويل]

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى. وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل، قال:

ومـاشـيـةٍ مَـشْـيَ الـقـطـاةِ اتّـبـعْـتُـهـا مـن الـسِّـتْـر تَـخـشـى أهـلَـهـا إن تَـكَـلَّـمَـا
فـقـالـتْ صـهٍ(٢) يـا ويـحَ غـيـرك إنـنـي سـمـعـتُ حـديـثـاً بـيـنـهـم يـقـطُـرُ الـدَّمَـا
فـنـفَّـضْـتُ ثَـوبـيـهـا ونـظَّـرْتُ حـولَـهـا ولـم أخـش هـذا الـلـيـلَ أن يـتـصـرَّمَـا
أُعَـفـيٍّ بـآثـار الـثـيـابِ مَـبِـيـتَـهـا وألـقـطُ رَضّـاً مـن وُقُـوفٍ تَـحَـطَّـمَـا
[الطويل]

[الوقف: السوار من عاج، والجمع وقوف].

يحرق في أخدود:

قال: وغَدوْا به ليقتلوه، فلما رأته امرأةٌ ـ كانت بينها وبينه مودة ثم فسدت ـ ضحكت به شماتةً، فنظر إليها وقال:

فـإن تـضـحـكـي مـنـي فـيـا رُبَّ لـيـلـةٍ تـركـتُـك فـيـهـا كـالـقَـبَـاء الـمُـفَـرَّجِ
[الطويل]

فلما قدِّم ليقتل قال:

شُـدُّوا وَثَـاقَ الـعَـبْـدِ لا يُـفْـلِـتْـكُـمُ إن الـحـيـاةَ مـن الـمـمـاتِ قَـريـبُ
فـلـقـد تـحـدَّر مـن جَـبـيـن فـتـاتِـكـم عَـرَقٌ عـلـى مَـتْـنِ الـفـراشِ وطِـيـبُ
[الكامل]

قال: وقُدِّم فقُتل.

وذكر ابنُ دأب أنه حُفر له أُخدود وأُلقى فيه، وأُلقي عليه الحطب فأحرق.

أصابهنّ كلهنّ إلا واحدة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي قال:

كان عبد بني الحسحاس يُسمَّى حَيَّة، وكانت لسيده بنت بكر، فأعجبها، فأمرته

(١) المُسَهَّم: المُخَطَّط.
(٢) صه: كلمة زجر بمعنى أصمت.

أن يتمارض، ففعل وعصب رأسه، فقالت للشيخ: أسرِحْ أيها الرجل إبلَك ولا تَكِلْها إلى هذا العبد، فكان فيها أياماً، ثم قال له: كيف تجدك؟ قال: صالحاً، قال: فرُحْ في إبلك العشيَّةَ، فراح فيها، فقالت الجارية لأبيها: ما أحسبك إلا قد ضيَّعت إبلك العشيَّة إذ وَكَلتها إلى حيَّة، فخرج في آثار إبله، فوجده مستلقياً في ظلّ شجرة وهو يقول:

يا ربَّ شَجْوٍ لك في الحاضرِ نَذْكُرها وأنت في الصادرِ
من كلِّ حمراءَ جُمَالِيَّةٍ طَيِّبةِ القادمِ والآخِرِ

[السريع]

فقال الشيخ: إن لهذين لشأناً، وانصرف ولم يُرِه وجهَه، وأتى أهلَ الماء وقال لهم: تَعَلَّموا واللَّه أن هذا العبد قد فضحنا، وأخبرهم الخبر، وأنشدهم الشعر، فقالوا: اقتله، فنحن طوعك، فلما جاءهم وثَبوا عليه وقالوا له: قلتَ وفعلتَ، فقال لهم: دعوني إلى غد حتى أَعذِرَها عند أهل الماء، فقالوا: إن هذا صواب، فتركوه، فلما كان الغد اجتمعوا، فنادى: يا أهل الماء، ما فيكم امرأةٌ إلا قد أصبتها إلا فلانة فإني على موعد منها، فأخذوه فقتلوه.

ومما يغني فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس، وقال: إن من الناس من يرويها لغيره:

تجمَّعن من شتَّى ثلاثاً وأربعاً وواحدةً حتى كَمَلْنَ ثَمانِيَا
وأقبلن من أقصى الخيامِ يَعُدْنني بَقِيَّة ما أبقَيْن نَصْلاً يمانيَا
يَعُدْنَ مَريضاً هُنَّ قد هِجْنَ داءَه ألا إنما بعضُ العوائدِ دائِيَا

[الطويل]

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، والذي ابتداؤه:

تجمّعن من شتى ثلاثاً

لبنانٍ، والذي أوله:

وأقبلن من أقسى الخيام يعدنني

ذكر الهشاميُّ أنه لإسحاق، وليس يشبه صنعته ولا أدري لمن هو.

مخارق يكيد إسحاق:

أخبرني جحظة، عن ابن حمدون:

أن مخارقاً عمل لحناً في هذا الشعر:

وهـبَّـتْ شَـمـالاً آخـرَ الـلـيـل قَـرَّةً ولا ثـوبَ إلا بُـرْدُهـا ورِدائـيَـا

[الطويل]

على عملٍ صنعه إسحاق في:

أمـاويَّ إن الـمـال غـادٍ ورائـحٌ

ليكيد به إسحاق، وألقاه على عَجوزِ عُميرٍ الباذ عيسى، وقال لها: إذا سئلت عنه فقولي: أخذتُه من عجوز مَدَنِية، ودار الصوتُ حتى غُنِّيَ به الخليفة، فقال لإسحاق: ويلك أخذتَ لحن هذا الصوت بعينه كله، فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعل، وتضمَّن له كشْفَ القصة، ثم أقبل على من غناهم الصوت، فقال: عمَّن أخذته؟ فقال: عن فلان، فلقيه، فسأله عمن أخذه، فعرفه، ولم يزل يكشف عن القصة حتى انتهت من كل وجه إلى عجوز عميرٍ، فسئلت عن ذلك فقالت: أخذته عن عجوز مدنية، فدخل إسحاق على عُمير، فحلف له بالطلاق والعتاق وكلِّ مُحرج من الأيمان ألا يكلمه أبداً، ولا يدخل داره، ولا يترك كيده وعداوته أو يَصدقه عن حال هذا الصوت وقصته، فصدقه عمير عن القصة، فحدّث بها الواثق بحضرة عمير ومخارق، فلم يمكن مخارقاً دفعُ ذلك، وخجل خجلاً بان فيه، وبطل ما أراده بإسحاق.

صـوت

ثـلاثـة أبـيـاتٍ، فـبـيـتٌ أُحـبُّـه وبـيـتـان لـيـسـا مـن هـوايَ ولا شـكـلـي

أَلا أَيـهـا الـبـيـت الـذي حـيـل دونـه بـنـا أنـت مـن بـيـتٍ وأهـلـك مـن أهـلِ

[الطويل]

الشعر لجميل، والغناء لإسحاق ماخوري بالبنصر، من جامع أغانيه، وفيه رمل مجهول ذكره حبش لعلُّويه، ولم أَجد طريقته.

متمم العبدي والجويرية العجيبة:

أخبرني الحسين بن يحيى المرادي، عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

حدثني متمم العبدي قال، خرجت من مكة زائراً لقبر النبي ﷺ، فإني لبسوق الجُحْفة إذا جُويرية تسوق بَعيراً، وتسترنم بصوت مليح طيِّب حلو في هذا الشعر:

ألا أيُّـهـا الـبـيـتُ الـذي حِـيـلَ دونـه بـنـا أنـت مـن بـيـتٍ وأهـلـك مـن أهـلِ

بـنـا أنـت مـن بـيـتٍ وحـولَـك لـذَّةٌ وظـلُّـك لـو يُـسْـتَـطـاع بـالـبـارد الـسَّـهْـلِ
ثـلاثـة أبـيـاتٍ فـبـيـتٌ أُحـبُّـه وبـيـتـان لـيـسـا مـن هـواي ولا شـكـلـي
[الطويل]

فقلت: لمن هذا الشعر يا جُويرية؟ قالت: أما ترى تلك الكُوَّة المُوقَّاةَ بالكِلَّة الحمراء؟ قلت: أراها، قالت: من هناك نهض هذا الشعر، قلت: أو قائله في الأحياء؟ قالت: هيهات، لو أن لِمَيْتٍ أن يرجع لطُول غَيبته لكان ذلك، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورقَّة ألفاظها، فقلت لها: ألك أبوان؟ فقالت: فقدتُ خيرَهما وأجلَّهما، ولي أُمٌّ، قلت: وأين أُمك؟ قالت: منك بمرأًى ومَسمع، قال: فإذا امرأةٌ تبيع الخرز على ظهر الطريق بالجُحفة، فأتيتها فقلت: يا أمَّتاه، استمعي مني، فقالت لها: يا أمَّه، فاستمعي من عمي ما يُلقيه إليك، فقالت: حيَّاك اللَّه، هيه، هل من خابئةِ خيرٍ؟ قلت: أهذه ابنتك؟ قالت: كذا كان يقول أبوها، قلت: أفتزوّجيننيها؟ قالت: أَلعلَّةٍ رغبتَ فيها؟ فما هي واللَّهِ مَنْ عندها جمالٌ، ولا لها مال، قلت: لحلاوة لسانها وحسن عقلها، فقالت: أَيُّنا أَمْلَكُ بها، أنا أم هي بنفسها؟ قلت: بل هي بنفسها، قالت: فإياها فخاطِبْ، فقلت: لعلها أن تستحيي من الجواب في مثل هذا، فقالت: ما ذاك عندها، أنا أخبرُ بها، فقلت: يا جارية، أما تسمعين ما تقول أُمك؟ قالت: قد سمعت، قلت: فما عندك؟ قالت: أو ليس حسبُك أن قلتَ: إني أستحيي من الجواب في مثل هذا؟ فإن كنت أَستحيي في شيء فَلِمَ أفعلُه؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطك؟ لا واللَّه لا يشدُّ عليَّ رجلٌ حِوَاءَه[1] وأنا أجد مَذْقَة[2] لبنٍ أو بقلة أُلِين بها مِعايَ، قال: فورد واللَّهِ عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض، فقلت: فأتزوجك والإذن فيه إليك، وأُعطي اللَّه عهداً أني لا أقربك أبداً إلا عن إرادتك؟ قالت: إذاً واللَّه لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ولا بعد الأبد، إن كان بَعْدَهُ بَعْدٌ، فقلت: فقد رضيت بذلك، فتزوجتها وحملتها وأُمها معي إلى العراق، وأقامت معي نحواً من ثلاثين سنة ما ضممت عليها حِواي قطّ، وكانت قد عَلِقَت من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة، فكانت ربما ترنَّمت بها فأشتهيها، فقلت: دعيني من أغانيك هذه، فإنها تبعثني على الدنوّ منك، قال: فما سمعتها رافعة صوتها بغناء بعد ذلك حتى فارقت الدنيا، وإن أمها عندي حتى الساعة، فقلت: ما أدري متى دار في سمعي حديثُ امرأَةٍ أعجب من حديث هذه.

(١) الحِواء: الأخبية يداني بعضها بعضاً.
(٢) مذقة لبن: القليل من اللبن الممزوج بالماء.

صـــوت

أيـــهـــا الـــنـــاسُ إن رأيـــي يُـــريـــنـــي ـ وهُـــوَ الـــرأيُ ـ طـــوفـــةً فـــي الـــبـــلادِ
بـــالـــعـــوالـــي وبـــالـــقـــنـــابـــل[1] تَـــرْدي بـــالـــبـــطـــاريـــق مِـــشْـــيَـــةَ الـــعُـــوَّادِ
وبـــجـــيـــشٍ عَـــرمـــرمٍ عـــربـــيٍّ جـحـفـلٍ يَـستـجـيـبُ صـوتَ الـمـنـادي
مـــن تـــمـــيـــمٍ وخِـــنـــدفٍ وإيـــادٍ والـــبـــهـــالـــيـــلِ حِـــمْـــيـــرٍ ومُـــرادِ
فـإذا سـرتُ سـارت الـنـاسُ خـلـفـي ومـعـي كـالـجـبـال فـي كـلِّ وادِي
سَـقِّـنـي ثـم سَـقِّ حـمْـيَـرَ قـومـي كـأسَ خـمـرٍ، أُولِـي الـنُّـهَـى والـعِـمـادِ

[الخفيف]

الشعر لحسان بنُ تُبَّع، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه ليونس لحن من كتابه.

(١) القنابل: مفردها القنبلة وهي الجماعة من الناس والخيل.

خبر حسان بن تبّع

طوفة في البلاد:

أخبرني بخبر حسان الذي من أجله قال هذا الشعر علي بن سليمان الأخفش، عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي، وعن أبي عبيدة وأبي عمرو وابن الكلبي وغيرهم قال:

كان حسان بن تبع أحول أعسر، بعيد الهمة، شديد البطش، فدخل إليه يوماً وُجوه قومه، وهم الأقيال من حمير، فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم:

أيـــهـــا الـــنـــاس إن رأيـــي يُـــريـــنـــي وهُـــوَ الـــرأي طـــوفـــةً فـــي الـــبـــلادِ
بـــالـــعـــوالـــي وبـــالـــقـــنـــابِـــلِ تَـــرْدي بـــالـــبـــطـــاريـــق مِـــشْـــيَـــة الـــعُـــوَّادِ

[الخفيف]

وذكر الأبيات التي وردت آنفاً، ثم قال لهم: استعدوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلما كان بعد ثلاثة خرج، وتبعه الناس، حتى وطِئ أرض العجم وقال: لأبلغن من البلاد حيث لم يبلغ أحد من التبابعة، فجال بهم في أرض خراسان، ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ رومية، وخلف عليها ابن عمّ له.

وجوه حمير يأتمرون بحسان:

وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حمير: ما لنا نفني أعمارنا مع هذا؟ نطوف في الأرض كلها، ونفرق بيننا وبين بلادنا وأولادنا وعيالنا وأموالنا، فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا، فكلموا أخاه عمراً، وقالوا له: كلِّم أخاك في الرجوع إلى بلده وملكه، قال: هو أعسر من ذلك وأنكر، فقالوا: فاقتله ونملكك علينا، فأنت أحق بالملك من أخيك، وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك، فقال: أخاف ألا تفعلوا، وأكون قد قتلت أخي، ويخرج الملك عن يدي، فواثقوه حتى ثَلِج إلى قولهم، وأجمع الرؤساء كلهم على قتل أخيه ألَّا ذا رُعَين فإنه خالفهم وقال: ليس هذا برأي، يذهب الملك من حمير، فشجعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رُعَين: إن قتلته بادَ مُلْكك، فلما رأى ذو رُعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة

مختومة، فقال: يا عمرو، إني مستودعك هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حريز، وكتب فيه:

ألا مَـن يـشـتـري سـهـراً بـنـومٍ سـعـيـدٌ مـن يـبـيـت قـريـرَ عَـيْـنِ
فـإن تـك حِـمْـيَـرٌ غـدَرتْ وخـانـت فـمـعـذرةُ الإلـه لـذي رُعَـيْـنِ
[الوافر]

أخوه يقتله فيُمنع نومه:

ثم إن عمراً أتى أخاه وهو نائم على فراشه فقتله، واستولى على ملكه، فلم يُبَارَك فيه، وسلط اللَّه تعالى عليه السهر، وامتنع منه النوم، فسأل الأطباء والكهان والعُيَّاف، فقال له كاهن منهم: إنه ما قتل أخاه رجلٌ قطّ ألا مُنع نومه، فقال عمرو: رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم، ولم ينظروا لي ولا لأخي، فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله، فقتلهم رجلاً رجلاً، حتى خلص إلى ذي رُعين، وأَيقن بالشر، فقال له ذو رُعين: ألم تعلم أني أعلمتك ما في قتله ونهيتك وبينت هذا؟ قال: وفيم هو؟ قال: في الكتاب الذي استودعتك، فدعا بالكتاب فلم يجده، فقال ذو رُعين: ذهب واللَّه دمي على أَخْذي بالحزم، فصرت كمن أشار بالخطإ، ثم سأل الملك أن يمعن في طلبه ففعل، فأُتِيَ به، فقرأَه، فإذا فيه البيتان، فلما قرأهما قال: لقد أخذت بالحزم، قال: إني خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابي.

ذو شناتر وذو نواس:

قال: وتشتت أمر حمير حين قتل أشرافها واختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لخنيعة تنوف، ولم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله واستولى على ملكه، وكان يقال له: ذو شَناتر الحميري، وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، وكان يبعث إلى أولاد الملوك فيلوط بهم، وكانت حمير إذا ليط بالغلام لم تملكه، ولم ترتفع به، وكانت له مشرفة يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أتى الغلامَ أخرج رأسه إليهم وفي فمه السواك، فيقطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها، فإذا خرج صيح به: أرطب أم يباس؟ فمكث بذلك زماناً، حتى نشأ زرعة ذو نواس، وكانت له ذؤابة، وبه سمي ذو نواس، ـ وهو الذي تهوّد وتسمّى يوسف، وهو صاحب الأخدود بنجران، وكانوا نصارى، فحرقهم وحرق الإنجيل، وهدم الكنائس، ومن أجله غزت الحبشة اليمن، لأنهم نصارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر فاقتحمه على فرسه فغرق ـ فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك وقد فعل بك كذا وكذا. فأخذ سكيناً لطيفاً خفيفاً وسمّه، وجعل

له غلافاً، فلما دعا به لخنيعة جعله بين أخمصه ونعله، وأتاه على ناقة له يقال لها: سراب، فأناخها وصعد إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعل، انحنى زرعة فأخذ السكين فوجأ بها بطنه فقتله، واحتز رأسه؛ فجعل السواك في فيه، وأطلعه من الكوة، فرفع الحرس رؤوسهم فرأوه، ونزل زرعة، فصاحوا: زرعة يا ذا نواس، أرطب أم يباس؟ فقال: ستعلم الأحراس، أإسْتُ ذي نواس رطب أم يباس، وجاء إلى ناقته فركبها، فلما رأى الحرس اطِّلاع الرأس صعدوا إليه، فإذا هو قد قتل، فأتوا زرعة فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق. واجتمعت حمير إليه، ثم كان من قصته ما ذكرناه آنفاً.

صـــوت

يـا ربَّـة الـبـيـتِ قـومـي غـيـر صـاغـرة ضُـمِّـي إلـيـك رِحـالَ الـقـوم والـقُـرُبـا
فـي لـيـلـةٍ مـن جُـمـادى ذاتِ أَنـديـة لا يُـبصـر الـكـلـب من ظـلـمـائـهـا الـطُّـنـبـا
لا يـنـبـح الـكـلـب فـيـهـا غـيـرَ واحـدةٍ حـتـى يَـلُـفَّ عـلـى خـيـشـومـه الـذَّنـبـا

[البسيط]

الشعر لمُرة بن مَحْكان السعدي، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو، وذكر حبش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى واللَّه أعلم.

أخبار مرة بن محكان

اسمه ونسبه:

هو مُرَّة بن مَحِكان، ولم يقع إلينا باقي نسبه [غير هذا] أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر مقلّ إسلاميّ، من شعراء الدولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق، فأخْمَلا ذكره لنباهتهما في الشعر، وكان مُرّة شريفاً جواداً، وهو أحد من حبس في المُناحرة والإطعام.

مرّة ينحو مائة بعير:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني قال:

كان مرة بن محكان سخيّاً، وكان أبو البكراء يوائمه في الشرف، وهما جميعاً من بني الرُّبَيْع، فأنهب مرة بن محكان مالَه الناسَ، فحبسه زياد، فقال في ذلك الأُبيردُ الرِّياحي:

حَبَسْتُمْ كريماً أن يجود بماله ... سعى في ثَأى[1] من قومه مُتفاقمِ
كأن دماء القوم إذ علقوا به ... على مُكفهِرٍّ من ثنايا المَخارمِ
فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى ... فعاقبْ هداكَ اللَّهُ أعظمَ حاتِمِ

[الطويل]

قال: فأطلقه زياد، فذبح أبو البكراء مائة شاة، فنحر مرة بن محكان مائة بعير، فقال بعض شعراء بني تميم يمدح مرة:

شَرى مائةً فأنْهَبها جوادٌ ... وأنت تُناهِبُ الحَدَفَ القِهادا

[الوافر]

الحدف: صغار الغنم. والقهاد: البيض.

أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أبو الحسن قال: حدثنا الرياشي قال:

(١) الثأى: آثار الجرح.

سئل أبو عبيدة عن معنى قول مرة بن محكان:

ضمي إليك رحالَ القوم والقُرُبَا

ما الفائدة في هذا؟ فقال: كان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليه رحله، وبقي سلاحُه معه لا يؤخذ، خوفاً من البيات، فقال مرة يخاطب امرأته:

ضمي إليك رحال القوم والقُربا

أي رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فإنهم عندي في عزّ وأمن من البيات والغارات فليسوا ممن يحتاج أن بيت لابساً سلاحَه.

مصعب يقتله:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس قال:

كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجلٌ من بني تميم يقال له مرة بن محكان رَجُلاً، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرة بن محكان يقول:

أحارِ تثبَّتْ في القضاءِ فإنه ... إذا ما إمام جار في الحكم أَقْصَدَا
وإنك موقوفٌ على الحُكم فاحتفِظ ... ومهما تُصِبْه اليوْمَ تُدرك به غدَا
فإنيَ مما أُدرِك الأمرَ بالأنَى[1] ... وأقطع في رأس الأمير المُهَنَّدَا

[الطويل]

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات فقال: أما واللَّه لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحبس، ثم دس إليه من قتله.

الغريض يغني شعر مرة:

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن أبي جامع، عن يونس قال:

جاء رجل من قريش إلى الغريض فقال له: بأبي أنت وأمي، إني جئتك قاصداً من الطائف، أسألك عن صوت تغنيني إياه، قال: وما هو؟ قال: لحنك في هذا الشعر:

تَشَرَّبَ لونَ الرازقيّ[2] بياضُه ... أَو الزعفران خالط المسكَ رادِعُهْ

[الطويل]

(١) الأنى: الحلم والرفق.
(٢) الرَّازقي: ضرب من العنب والخمر.

فقال: لا سبيل إلى ذلك، هذا الصوت قد نهتني الجن عنه، ولكني أغنيك في شعر لمرة بن محكان وقد طرقه ضيف في ليلة شاتية، فأنزلهم ونحر لهم ناقته، ثم غناه قوله:

يـا ربَّـة الـبـيـت قـومـي غـيـر صـاغـرة ضُـمّـي إلـيـك رحـالَ الـقـوم والـقُـرُبَـا

[البسيط]

فأطربه، ثم قال له الغريض: هذا لحن أخذته من عُبيد بن سُريج، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر ورويّه للحطيئة، ثم غناه:

مـا نـقـمـوا مـن بَـغـيـضٍ لا أبـا لـهُـمُ في بـائـسٍ جاءَ يَـحـدو أيـنـقـاً[1] شُـزُبـا[2]

جـاءت بـه مـن بـلاد الـطـود تـحـمـلـه حَـصَّـاءُ[3] تـتـرك مـا دون الـعـصـا شَـذَبـا[4]

[البسيط]

فقام القرشي فقبَّل رأسه، وقال له: فدتك نفسي وأهلي واللَّه لو لم أقدم مكة لعمرة، ولا لبرّ وتقوى، ثم قدمت إليها لأراك وأسمع منك، لكان ذلك قليلاً. ثم انصرف.

وحدثني بعض مشايخ الكتاب أنه دخل على أبي العبيس بن حمدون يوماً فسأله أن يقيم عنده، فأقام، وأتاهم أبو العبيس بالطعام فأكلوا، ثم قدم الشراب فشربوا، وغناهم أبو العبيس يومئذٍ هذا الصوت:

ألا مُـتَّ لا أُعـطـيـت صـبـراً وعـزمـة غـداة رأيـت الـحَـيَّ لـلـبـيـنِ غـادِيَـا

ولـم تَـعـتـصِـرْ عـيـنـيـك فَـكْـهَـة مـازِحٍ كـأنـك قـد أبـدعْـت إذ ظِـلْـت بـاكـيَـا

[الطويل]

فأحسن ما شاء، ثم ضرب ستارته وقال:

يـا ربـة الـبـيـت غـنـي غـيـر صـاغـرة

فاندفعت عرفانُ فغنت:

يـا ربـة الـبـيـت قـومـي غـيـر صـاغـرة ضـمـي إلـيـك رحـال الـقـوم والـقُـرُبَـا

[البسيط]

---

(١) الأينق: مفردها ناقة، وهي الأنثى من الإبل.
(٢) الشُزب: الضوامر.
(٣) الحصَّاء: المشئومة.
(٤) الشذب: المتفرّقة.

قال: فما سمعت غناء قطّ أحسن مما سمعته من غنائها يومئذٍ.

(نسبة هذا الصوت)

صـــوت

ألا مُـتَّ لا أُعـطـيـت صـبـراً وعـزمـة ... غـداةَ رأيـت الـحـيَّ لـلـبـيـن غـاديـا
ولـم تـعـتـصـرْ عـيـنـيـك فـكـهـة مـازح ... كـأنـك قـد أبـدعـت إذ صـرتَ بـاكـيـا
فـصـيّـرت دمـعـاً أن بـكـيـتَ تَـلـدُّداً[1] ... بـه لـفـراقِ الإلـف كُـفْـواً مُـوازيـا
لـقـد جَـلَّ قـدْرُ الـدمـع عـنـدك أن تـرى ... بـكـاءك لـلـبَـيْـنِ[2] الـمُـشِـتّ[3] مُـسـاويـا

[الطويل]

الشعر لأعرابي، أنشدناه الحرمي بن أبي العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري، عن إسحاق الموصلي لأعرابي.

قال الديناري: وكان إسحاق كثيراً ما ينشد الشعر للأعراب وهو قائله. وأظن هذا الشعر له. والغناء لعمر بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه.

صـــوت

فـإن تـك مـن شـيـبـان أُمـي فـإنـنـي ... لأبـيـضُ عـجـلـيٌّ عـريـضُ الـمـفـارِقِ
وكـيـف بـذكـري أمَّ هـارون بـعـدمـا ... خـبَـطْـنَ بـأيـديـهـنَّ رمـل الـشـقـائـقِ
كـأن نـقـاً[4] مـن عـالـجٍ أُزِّرَتْ بـه ... إذا الـزلُّ[5] أَلـهَـاهُـنَّ شـدُّ الـمـنـاطـقِ
وإنَّـا لـتـغـلـي فـي الـشـتـاء قـدورنـا ... ونـصـبـر تـحـت الـلامـعـاتِ الـخـوافـقِ

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر للعُديل بن الفَرْخ العجلي، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه، عن يونس وإسحاق، وفيه لهشام بن المُرية لحن من كتاب إبراهيم، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامي وحبش، وقال حبش خاصة: فيه للهذلي أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى.

---

(١) التَلدُد: التلفّت يميناً ويساراً.
(٢) البَيْن: البعد.
(٣) المُشِتّ: المفرّق.
(٤) النقا: القطعة من الرمل المحدودبة.
(٥) الزُلّ: مفردها الزلّاء وهي الخفيفة الوركين.

أخبار العديل ونسبه

اسمه ونسبه:

العُديل بن الفَرْخ بن مَعْن بن الأسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن شتى بن الحارث ـ وهو العَبَّاب ـ بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمى بن [جديلة بن] أسد بن ربيعة بن نزار.

وقال أبو عبيدة: كان العَبَّاب اسم كلب للحارث بن ربيعة بن عجل فلقب باسم كلبه وغلب عليه.

قال: وكان عجل من مُحمَّقي العرب، قيل له: إن لكل فرَس جوادٍ اسماً وإن فرسك هذا سابق جواد، فسَمِّه، ففقأ إحدى عينيه وقال: قد سميته الأعور. وفيه يقول الشاعر:

رمتني بنو عجلٍ بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ في الناس أحمقُ من عِجْلِ؟
ألَيس أبوهمْ عارَ عينَ جوادِه ... فصارت به الأمثالُ تُضرب بالجهلِ؟

[الطويل]

العديل ودابغ:

والعُديل شاعر مقلّ، من شعراء الدولة الأموية، وكان له ثمانية إخوة، وأمهم جميعاً امرأة من بني شيبان، منهم من كان شاعراً فارساً: أسود وسوادة وشَملة وقيل سلمة والحارث، وكان يقال لأمهم: درماء؛ وكان للعديل وإخوته ابن عمّ يسمّى عمراً، فتزوج بنت عمّ لهم بغير أمرهم، فغضبوا ورصدوه ليضربوه، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمّى دابغاً، فوثب العُديل وأخوته فأخذوا سيوفهم، فقالت أمهم: إني أعوذ باللَّه من شركم، فقال لها ابنها الأسود: وأي شيء تخافين علينا؟ فواللَّه لو حملنا بأسيافنا على هذا الحِنْوِ[1] حنْو قُراقر[2] لما قاموا لنا، فانطلقوا حتى لقوا عمراً، فلما

(١) الحِنو: كل ما فيه اعوجاج سواء كان في الجسد وغيره كالقفُّ والحِقف.
(٢) القراقِر: الحادي الحَسَن الصّوت.

رآهم ذُعر منهم وناشدهم، فأبوا، فحمل عليه سوادةُ فضرب عمراً ضربة بالسيف، وضربه عمروٌ فقطع رِجْله فقال سوادة:

ألا مـن يـشـتـري رجْـلاً بـرِجْـلٍ تَـأَبَّـى لـلـقـيـام فـلا تـقـومُ؟

[الوافر]

وقال عمرو لدابغ: اضرب وأنت حرٌّ، فحمل دابغ فقتل منهم رجلاً، وحمل عمرو فقتل آخر، وتداولاهم فقتلا منهم أربعة، وضَرب العُديلَ على رأسه، ثم تفرقوا، وهرب دابغٌ حتى أتى الشام، فداوى ربضةُ بنُ النعمانِ الشيبانيُّ للعديلِ ضَرْبتَه، ومكث مدة، ثم خرج العديل بعد ذلك حاجّاً، فقيل له: إن دابغاً قد جاء حاجّاً، وهو يرتحل فيأخذ طريق الشام، وقد اكترى، فجعل العديل عليه الرَّصَد، حتى إذا خرج دابغٌ ركب العديل راحلته وهو متلثم، وانطلق يتبعه، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول:

يـا دارَ سَـلـمـى أقـفـرتْ مـن ذي قـارْ وهـل بـإفـقـار الـديـارِ مـن عـارْ؟

وقـد كُـسِـيـنَ عَـرقـاً مـثـل الـقَـارْ[1] يـخـرجْـنَ مـن تـحـتِ خِـلال الأوبـارْ

[الرجز]

فلحقه العديل فحبس عليه بعيرَه وهو لا يعرفه، ويسير رويداً، ودابغ يمشي رويداً، وتقدمت إبله فذهبت، وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين، ثم قال له العديل: واللَّه لقد استرخى حَقَبُ[2] رَحْلي، أَنزِل فأُغيّر الرحل وتُعينني، فنزل فغيّر الرحل، وجعل دابغ يعينه، حتى إذا شد الرحل أخرج العديلُ السيفَ فضربه حتى برد، ثم ركب راحلته فنجا، وأنشأ يقول:

ألـمْ تـرنـي جـلَّـلْـتُ بـالـسـيـف دابـغـاً وإن كـان ثـأراً لـم يُـصـبـه غَـلـيـلـي

بـوادي حُـنـيـن لـيـلـةَ الـبـدرِ رُعـتـهُ بـأبـيـض مـن مـاء الـحـديـد صـقـيـلِ

وقـلـت لـهـم هـذا الـطـريـق أمـامـكـمْ ولـم آلُ إذ سـاروا لـهـم بـدلـيـلِ

[الطويل]

جرثومة العنزي يعيّر العديل:

وقال أبو اليقظان: كان العديل هجا جرثومة العنزيَّ الجِلَّانيَّ، فقال فيه:

أهـاجـي بـنـي جِـلَّان إذ لـم يـكـن لـهـا حَـديـث ولا فـي الأولـيـن قـديـمُ

[الطويل]

(١) القار: الزّفت.

(٢) الحَقَب: الحزام الذي يلي حقو البعير.

فأجابه جرثومة فقال:

وإن امـرأ يـهـجـو الـكـرام ولـم يـنـلْ مـن الـثـأر إلا دابـغـاً لـلـئـيـم
أتـطـلـب فـي جِـلَّانَ وتـراً تَـرومـه وفـاتَـك بـالأوتـارِ شـرُّ غَـريـم؟[1]

[الطويل]

العديل يهرب من الحجاج:

قالوا: واستعدى مولى دابغ على العُديل الحجاجَ بن يوسف، وطالبه بالقَوَد فيه، فهرب العديلُ من الحجاج إلى بلد الروم، فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر، فآمنه، فقال في الحجاج:

ودونَ يـدِ الـحـجـاج مـن أن تـنَـالـنـي بـسـاطٌ لأيـدي الـنـاعِـجـاتِ[2] عَـرِيـضُ
مَـهـامِـه أشـبـاهٌ كـأن سَـرابـهـا مُـلاءٌ بـأيـدي الـراحِـضـاتِ رَحِـيـضُ[3]

[الطويل]

فبلغ شعرُه الحجاجَ، فكتب إلى قيصر: لتبعثَنَّ به أو لأغزينَّك جيشاً يكون أوله عندك وآخره عندي، فبعث به قيصر إلى الحجاج، فقال له الحجاج لما دخل عليه: أأنت القائل:

ودون يـد الـحـجـاج مـن أن تـنـالـنـي

فكيف رأيت اللَّه أمكن منك؟ قال: بل أنا القائل أيها الأمير:

فـلـو كـنـتُ فـي سَـلْـمـى أَجـاً وشِـعـابِـهـا لـكـان لـحـجَّـاجٍ عـلـيَّ سـبـيـلُ
خَـلـيـلُ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـن وسـيـفُـه لـكُـلِّ إمـامٍ مُـصـطـفـىً وخَـلـيـلُ
بَـنَـى قُـبَّـة الإسـلام حـتـى كـأنـمـا هَـدَى الـنـاسَ مـن بـعـد الـضـلالِ رَسـولُ

[الطويل]

فخلى سبيله، وتحمَّل دِيَة دابغ في ماله.

الحجاج يعفو عن العديل:

أخبرني عمّي وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني منصور بن عطية الغنوي قال: أخبرني جعفر بن عبد اللَّه بن جعفر، عن أبي عثمان البقطري قال:

---

(١) في البيت إقواء.
(٢) الناعِجات: المسرعات.
(٣) الرحيض: المغسول.

خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجب، فوثب عليه العديل وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبرُ مني ولا أَوْلَى بهذا الباب. فنازعه الحاجب الكلام فأحفظه، وانصرف العديل عن باب الحجاج، إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

لئن أرتجَ الحجاجُ بالبخل بابَه ... فباب الفتى الأزديِّ بالعُرْف يُفتَحُ
فتىً لا يبالي الدهرَ ما قلَّ ماله ... إذا جعلت أيدي المكارم تَسْنَحُ
يداه يدٌ بالعُرف تُنهِبُ ما حوتْ ... وأخرى على الأعداء تسطو وتَجرحُ
إذا ما أتاه المُرْمِلُونَ[1] تيقَّنوا ... بأن الغِنى فيهم وَشِيكاً سَيسرَحُ
أقام على العافِين حُرَّاسَ بابه ... ينادونهم والحُرُّ بالحُرِّ يَفرحُ
هَلُمُّوا إلى سَيْب[2] الأمير وعُرْفه ... فإن عطاياه على الناس تَنْفحُ
وليس كعِلْجٍ من ثَمودَ بكفِّه ... من الجود والمعروف جِرْمٌ مُطوِّحُ[3]

[الطويل]

فقال له يزيد: عرَّضت بنا وخاطرت بدمك، وتا للَّه لا يصل إليك وأنت في حَيِّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وأمر له بأفراس، وقال له: الحَقْ بعُلْيا نَجْد، واحذَرْ أن تَعْلقك حبائلُ الحجاج أو تحتجنك مَحاجِنُه[4]، وابعث إليَّ في كل عام، فلك عليَّ مثلُ هذا. فارتحل، وبلغ الحجاجَ خبرُه، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العديل ففاته، وقال لما نجا:

ودون يد الحجاج من أن تنالني ... بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

[الطويل]

قال: ثم ظفر به الحجاج بعد ذلك فقال: إيه، أنشدني قولك:

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت:

إذا ذُكِر الحجاجُ أضمرتُ خِيفةً ... لها بين أحناءِ الضلوع نَفِيضُ[5]

[الطويل]

---

(١) المُرْمِلون: الفقراء.
(٢) السَّيْب: العطاء.
(٣) المُطَوِّح: المُشرف على الهلاك.
(٤) المَحاجِن: مفردها المحجن وهي العصا المنعطفة الرأس.
(٥) النَّفيض: النشيج.

فتبسم الحجاج وقال: أولى لك، وعفا عنه، وفرض له.

وجوه بكر يستوهبونه من الحجاج:

وقال أبو عمرو الشيباني لما لَجَّ الحجاجُ في طلب العديل لفظَتْه الأرض، ونَبا به كلُّ مكان هرب إليه، فأتى بكر بن وائل، وهم يومئذٍ بادُون جمع، منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر، فشكا إليهم أمره، وقال لهم: أنا مقتول، أفتُسلمونني هكذا وأنتم أعز العرب؟ قالوا: لا واللَّه، ولكن الحجاج لا يُراغَم، ونحن نستوهبك منه، فإن أجابنا فقد كُفيت، وإن حادَّنا في أمرك منعناك وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا، فأقام فيهم، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج فقالوا له: أيها الأمير، إنَّا قد جنينا جميعاً عليك جناية لا يُغفر مثلها، وها نحن أولاء قد استسلمنا وألقينا بأيدينا إليك، فإما أن وهبتَ فأهل ذلك أنت، وإما أن تعاقب فكنت المسلط الملك العادل. فتبسم وقال: عفوتُ عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلك أيها الأمير لا يستثني على أهل طاعته وأوليائه في شيء، فإن رأيت ألَّا تكدر باستثناء، وأن تهب لنا العديل في أول ما تهب، قال: قد فعلت، فهاتوه قبّحه اللَّه، فأتوه به، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

فلو كنتُ في سَلْمى أجاً وشعابِها ... لكان لحجَّاجٍ عليَّ دَليلُ
بَنَى قُبَّة الإسلام حتى كأنما ... هَدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ
إذا جار حُكم الناسِ ألجأ حُكمه ... إلى اللَّه قاضٍ بالكتاب عَقولُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفه ... لكل إمام صاحب وخليلُ
به نصر اللَّهُ الخليفة منهمُ ... وثَبَّت مُلْكاً كاد عنه يزولُ

[الطويل]

ويروى: به نصر اللَّه الإمام عليهم:

فأنت كسيفِ اللَّه في الأرض خالدٍ ... تَصول بعون اللَّه حين تصولُ
وجَاريت أصحابَ البلاد بلادَهمْ ... فما منهمُ عمّا تُحِبُّ نَكولُ
وصُلْتَ بمُرَّاقِ العراق فأصبحت ... مناكبُها للوْطءِ وهي ذَلولُ
أذقْتَ الحُمامَ ابني عُبَادٍ فأصبحوا ... بمنزل مَوْهُون الجَناح ثكولُ
ومن قَطَريٍّ نِلتَ ذاك وحوله ... كتائبُ من رَجَّالة وخُيولُ
إذا ما أتتْ بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي ... أتت خيرَ منزول به ونَزِيلُ

وما خِفتُ شيئاً غير ربِّيَ وحدَه إذا ما أنتحيتُ النفسَ كيف أقولُ
ترى الثَّقَلَيْنِ الجِنَّ والإنس أصبحا على طاعة الحجاج حين يَصولُ
[الطويل]

فقال له الحجاج: أولى لك، قد نجوت، وقرض له وأعطاه عطاءه، فقال يمدح قبائل وائل، ويذكر دفعها عنه ويفتخر بها فقال:

صرم الغواني واستراح عواذلي وصحوتُ بعد صبابةٍ وتَمَايُلِ
وذكرت يومَ لِوَى عتيقٍ نسوةً يخطرْنَ بين أَكِلَّةٍ وَمَراحِلِ
لعب النعيم بهن في أظلاله حتى لبسنَ زمانَ عيشٍ غافلِ
[الكامل]

صوت

يأخذن زينتهنَّ أحسن ما ترى وإذا عَطَلن فهنَّ غيرُ عواطلِ
وإذا خَبَأْنَ خُدودهنَّ أرينا حَدَقَ المَها وأخذْن سَهمَ القاتلِ
ورمينني لا يستترْن بجُنَّةٍ إلا الصِّبَا وعلمنَ أين مقاتلي
يلبسن أردية الشبابِ لأهلها ويَجُرُّ باطلُهنَّ حَبْلَ الباطلِ
[الكامل]

الغناء في الأبيات الأربعة لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى من رواية يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سريج.

بَيْضَ الأَنوق[1] كأنهنّ، ومن يُرِدْ بَيْضَ الأنوق فوكْرُها بمَعاقِلِ
زعم الغواني أن جهلك قد صَحَا وسوادُ رأسِكَ فضْلُ شَيْبٍ شامِلِ
ورآك أهلك منهمُ ورأيتهم ولقد تكون مع الشباب الخاذلِ
وإذا تطاولت الجِبالُ رأيتنا بفرُوع أَرْعَنَ فوقها مُتطاوِلِ
وإذا سألتَ ابنَيْ نِزارٍ بيَّنا مجدي ومنزلتي من ابنَيْ وائلِ
حَدِبتْ بنو بكرٍ عَلَيَّ وفيهمُ كلُّ المكارِمِ والعديدِ الكاملِ
خطروا ورائي بالقنا وتجمَّعتْ منهم قبائلُ أُردِفوا بِقبائلِ
إن الفوارس من لُجيم لم تَزلْ فيهم مهابةُ كلِّ أَبيضَ فاعلِ

(١) الأنوق: العقاب.

مُـتَـعَـمِّـم بـالـتـاجِ يـسـجـدُ حـولـهُ ... مـن آلِ هَـوْذة لـلـمـكـارم حـامـلِ
أو رَهْـط حـنـظـلَـةَ الـذيـن رمـاحـهـمْ ... حـقّـاً ولـم يـك سَـلُّـهـا لـلـبـاطـلِ
ولـئـن فـخـرتُ بـهـم لـمـثـلُ قـديـمـهـم ... بَـسـطَ الـمـفـاخِـرَ لـلـسـانِ الـقـائـلِ
أولادُ ثـعـلـبـةَ الـذيـن لـمـثـلـهـمْ ... حِـلْـمُ الـحـلـيـم ورَدُّ جـهـلِ الـجـاهـلِ
ولـمـجـدُ يَـشـكُـرَ سَـوْرَةٌ[1] عـادِيَّـة ... وأبٌ إذا ذكـرُوه لـيـس بـخـامـلِ
وبـنـو الـقُـدار إذا عـددت صـنـيـعـهـم ... وضـحَ الـقـديـمُ لـهـم بـكـلِّ مـحـافـلِ
وإذا فـخـرت بـتـغْـلِـبَ ابـنـةِ وائـلٍ ... فـاذكـرْ مـكـارمَ مـن نَـدًى وشـمـائـلِ
ولـتـغْـلـب الـغَـلْـبـاءِ عِـزٌّ بـيِّـنٌ ... عـادِيَّـةٌ ويـزيـد فـوق الـكـاهـلِ
تـسـطـو عـلـى الـنـعـمـانِ وابـنِ مُـحَـرِّقٍ ... وابـنَـيْ قَـطـام بِـعـزَّةٍ وتـنـاوُلِ
بـالـمـقـربـات يـبـتْـن حـول رحـالـهـمْ ... كـالـقِـدِّ بـعـد أَجِـلَّـةٍ وصـواهـلِ
أَولاد أَعْـوَجَ والـصـريـحِ كـأنـهـا ... عـقـبـانُ يـوم دُجُـنَّـةٍ ومَـخـايـلِ
يَـلْـقـطـن بـعـد أُزومـهـن[2] عـلـى الـشَّـبَـا ... عَـلَـقَ الـشَّـكـيـم بـأَلْـسُـنٍ وجَـحـافِـلِ
قـوم هـم قـتـلـوا ابـنَ هـنـد عَـنْـوَةً ... وَقَـنـا الـرمـاحِ تـذود وِرْدَ الـنـاهـلِ
مـنـهـم أبـو حَـنـشٍ وكـان بِـكَـفِّـه ... رِيُّ الـسِّـنـان ورِيُّ صَـدْرِ الـعـامـلِ
ومُـهـلـهـل الـشـعـراء، أن فـخـروا بـه ... وَنَـدَى كُـلـيـبٍ عـنـد فـضـل الـنـائـلِ
حَـجـبَ الـمـنـيَّـة دون واحـدِ أُمِّـه ... مـن أن تـبـيـتَ وصَـدْرُهـا بـبـلابـلِ[3]
وأبـى مُـجـالـسـة الـشـبـابِ فـلـم يـكـن ... يـسـتـبّ مـجـلـسـه وحـقّ الـنـازِلِ
حَـتَّـى أجـار عـلـى الـمـلـوك فـلـم يـدع ... حَـدَبـاً ولا صَـعَـراً لِـرأسٍ مـائـلِ
فـي كـلّ حـيٍّ لـلـهُـذَيـل ورهـطِـه ... نِـعَـمٌ وأخـذُ كـريـمـةٍ بـتـنـاوُلِ
بِـيـض كـرائـمُ رَدَّهُـنَّ لـعَـنْـوَةٍ ... أَسـلُ الـقـنـا وأُخـذن غـيـرَ أَرامـلِ
أَبـنـاؤُهـن مـن الـهُـذيـل ورهـطِـه ... مـثـلُ الـمـلـوك وعِـشْـنَ غـيـر عَـوامِـلِ

[الكامل]

وقال أبو عمرو أيضاً:

قال العديل لرجل من موالي الحجاج كان وجّهه في جيش إلى بني عجل يطلب

(١) السَّوْرة: الحِدَّة.
(٢) الأزوم: المشتدّ.
(٣) البلابل: شدَّة الهمّ والوساوس.

العُديل حين هرب منه، فلم يقدر عليه، فاستاق إبله، وأحرق بيته، وسلب امرأته وبناته، وأخذ حليهن، فدخل العُديل يوماً على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف، فتعلق بثوبه، وأقبل عليه وأنشأ يقول:

صـــوت

سلَبْتَ بناتي حَلْيهُنَّ فلم تدع سِواراً ولا طَوْقاً على النَّحْرِ مُذْهَبا

[الطويل]

هكذا في الشعر: سلبت بناتي، والغناء فيه: سلبت الجواري حَلْيَهُنَّ:

وما عزَّ في الآذان حتى كأنما تُعَطِّل بالبيض الأوانس رَبْرَبا[١]

عواطل إلا أن ترى بخُدودها قسامةَ عِتْقٍ أو بناناً مُخضَّبا

فكَكْتَ البُرين[٢] عن خدالٍ[٣] كأنها برَادِيُّ غِيلٍ ماؤه قد تَنَضَّبا

من الدُّرِّ والياقوت عن كلّ حرة ترى سِمْطها[٤] بين الجُمان مُثقَّبا

دَعوْنَ أمير المؤمنين فلم يجب دُعاء ولم يُسمِعْن أمّاً ولا أبا

[الطويل]

غنّى في الأول والرابع من هذه الأبيات أحمد النصيبي الهمذاني ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيهما ثقيل أول بالسبابة والوسطى نسبه ابن المكي إلى عبد الرحيم الدفاف، ونسبه الهشامي إلى عبد اللَّه بن العباس.

أنف جبار ويد وكيع:

وقال أبو عمرو الشيباني:

أصاب رجل من رهط العديل من بني العَبَّاب أنف رجل من بني عِجل، يقال له: جَبّار، فقال العديل في ذلك، وكان عدوّاً له:

ألَم ترَ جَبَّاراً ومارِنَ أنفِه لهُ ثُلَمٌ يَهْوَيْنَ أن تَتَخَنَّعا؟

ونحن جدعنا أنفه فكأنما يَرى الناسَ أعداءً إذا هو أَطلعا

(١) الرَبرَب: القطيع من بقر الوحْش.

(٢) البُرَين: مفردها البرّة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال.

(٣) الخَدَال: مفردها الخَدَلة وهي الساق الممتلئة.

(٤) السِّمط: خيط النَّظم.

كُـلُـوا أنـف جـبَّـارٍ بِـكـاراً فـإنـمـا تـركـنـاه عـن فـرْطٍ مـن الـشـرّ أجـدعـا
مَـعـاقـد مـن أيـديـهـمُ وأنـوفـهـمْ بِـكـاراً ونِـيـبـاً تـركـبُ الـحَـزْنَ ظُـلَّـعـا
[الطويل]

قال: وكان رجل من رهط العُديل أيضاً ضرب يد وكيع أحد بني الطاغية، وهما يشربان، فقطعها، وافترقا، ثم هرب العديل وأبوه إلى بنيِ قيس بن سعد لما قال الشعر المقدم يفخر به بقطع أنف جبار ويد وكيع، لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويده دون من فعل ذلك بهم، فلجأ إلى عُفير بن جُبير بن هلال بن مرة بن عبد اللَّه بن معاوية بن عبد بن سعد بن جشم بن قيس بن عجل، فقال العديل في ذلك:

تـركـت وكـيـعـاً بـعـد مـا شـاب رأسُـه أشـلَّ الـيـمـيـن مُـسـتـقـيـمَ الأخـادعِ[1]
فـشـرِّبْ بـهـا دون الإفـال[2] وكُـلْ بـهـا طـعـامَ الـذلـيـل وانْـحـجـرْ فـي الـمـخـادع
[الطويل]

فقالت بنو قيس بن سعد للفرخ أبي العديل: يا فرخ، أنصف قومك وأعطهم حقهم، فركب إليهم الفرخ ومعه حسان بن وقّاف ودينار، رجلان من بني الحارث، فأسرته بنو الطاغية، وانتزعوه من الرجلين، وتوجهوا به نحو البصرة، فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم، فركب النفير في طلب بني الطاغية فأدركوا منهم رجلاً [فأسروه بدل الفرخ، ثم إن عُفيراً لحق بهم] فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيراً وأخذ الفرخ منهم فأطلقه، فقال العديل في ذلك:

مـا زال فـي قـيـس بـن سـعـد لـجـارهـمْ عـلـى عـهـد ذي الـقـرنـيـن مُـعْـطٍ ومـانـعُ
هـم اسـتـنـقـذوا حـسـان قَـسْـراً وأنـتـمُ لـئـامُ الـمُـقـام والـرمـاحُ شَـوارِعُ
غـدرتـم بـديـنـارٍ وحـسـانَ غـدرةً وبـالـفـرْخ لـمـا جـاءكـم وهْـو طـائـعُ
فـلـولا بـنـو قـيـسِ بـن سـعـدٍ لأصـبـحـتْ عَـلَـيَّ شـديـداً قَـبْـضُـهـنَّ الأصـابـعُ
ألا تـسـألـون ابـنَ الـمُـشَـتِّـم عـنـهـم جُـعـامـةَ والـجـيـرانُ وافٍ وظـالِـعُ[3]
[الطويل]

واحدة بواحدة:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي قال:

(١) الأخادع: مفردها الأخدع وهو عرق في صفحة العنق.
(٢) الإفال: مفردها الأفيل وهو صغير الإبل.
(٣) الظالع: المتّهم.

قال أبو النجم للعُديل بن الفرخ: أرأيت قولك:

فإن تك من شيبان أُمّي فإنني ... لأبيضُ عِجْلِيٌّ عريضُ المفارقِ

[الطويل]

أكنت شاكّاً في نسبك حين قلت هذا؟ فقال له العُديل: أفشككت في نفسك أو شعرِك حين قلت:

أنا أبو النجم وشِعري شِعري ... للَّه دَرِّي ما يُجنُّ صَدرِي

[الرجز]

فأمسك أبو النجم واستحيا.

العديل يمدح مالك بن مسمع:

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي، عن العتبي قال:

حمل زياد إلى معاوية مالاً من البصرة، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسْمَع، وكانت ربيعة مجتمعة عليه كاجتماعها على كُليب في حياته، واستغاثوا به وقالوا: يحمل المال ونبقى بلا عطاء. فركب مالك في ربيعة، واجتمع الناس إليه، فلحق بالمال فردَّه، وضرب فُسطاطاً بالمربد، وأنفق المال في الناس حتى وفَّاهم عطاءهم ثم قال: إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا، فما راجعه زياد في ذلك بحرف، فلما ولي حمزة بن عبد اللَّه بن الزبير البصرة جمع مالاً ليحمله إلى أبيه، فاجتمع الناس إلى مالك، واستغاثوا به، ففعل مثل فعله بزياد، فقال العُديل بن الفرخ في ذلك:

إذا ما خشينا من أميرٍ ظُلامة ... دَعَوْنا أبا غَسان يوماً فعسْكَرا

ترى الناسَ أفواجاً إلى باب داره ... إذا شاء جاؤوا دَارِعِيْنَ وحُسَّرا

[الطويل]

وأول هذه القصيدة:

أمِنْ منزلٍ من أم سَكْنٍ عشيَّةً ... ظللتُ بها أبكي حزيناً مُفكِّرا

معي كلُّ مُسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى من جِنِّ غِيلٍ وعَبْقرا

مُنِيخي المطايا لا يُبالي كَلَالَها[1] ... مُقلِّصةً[2] خُوصاً[3] من الأيْنِ[4] ضُمَّرا[5]

[الطويل]

---

(١) الكلال: التعب. (٢) المقلِّصة: المسرعة في سيرها.
(٣) الخوص: مفردها الخوصاء وهي الغائرة العينين.
(٤) الأَيْن: الإعياء والتعب. (٥) الضُمَّر: الهوازل.

شاعر بكر بن وائل:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدثني نجدة بن عصمة بن معد القيسي قال: حدثني جدي أبو أمي فراس بن حندق عن أبيه:

عن جده عن ابن شفيع قال: لقيت الفرزدق مُنصرفاً عن بكر بن وائل، فقلت له: يا أبا فراس، من شاعرُ بكر بن وائل ممن خلَّفته خلفك؟ قال: أُميم بني عِجل، يعني العُديل بن الفرخ، على أنه ضائعُ الشعر سروقٌ للبيوت.

مدح أم تحريض؟

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخزاعي، عن إسحاق، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية قال:

لما قدم الحجاج العراق قال العديل بن الفرخ:

دعوا الجُبْن يا أهل العراقِ فإنما ... يُهان ويُسبَى كل من لا يقاتلُ
لقد جرَّد الحجاج للحقّ سيفه ... ألا فاستقيموا لا يَميلنَّ مائلُ
وخافوه حتَّى القومُ بين ضُلوعِهمْ ... كَنَزْوِ القَطا ضُمَّتْ عليه الحَبائلُ
وأصبح كالبازي يُقلِّب طرفه ... على مَرْقَبٍ والطيرُ منه دَواحِلُ[1]

[الطويل]

قال: فقال الحجاج ـ وقد بلغته ـ لأصحابه، ما تقولون؟ قالوا: نقول: إنه مدحك، فقال: كلا ولكنه حرَّض عليَّ أهلَ العراق، وأمر بطلبه فهرب وقال:

أُخوَّف بالحجاج حتى كأنما ... تحرَّك عَظْمٌ في الفؤاد مَهيضُ[2]
ودون يد الحجاج من أن تنالني ... بِساطٌ لأيدي الناعجاتِ عَريضُ
مهامِهُ أشباهٌ كأن سرابها ... ملاء بأيدي الغاسلات رحيضُ

[الطويل]

فجدّ الحجاج في طلبه حتى ضاقت عليه الأرض، فأتى واسطاً وتنكر، وأخذ رقعة بيده ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول:

ها أنا ذا ضاقت بيَ الأرض كلها ... إليك وقد جَوّلتُ كلّ مكانِ

(١) الدّواحل: الفارّون المستترون.
(٢) المهيض: المعاود الهم والحزن.

فلو كنتُ في ثهلان أو شعبتي أجاً لَخِلتُك إلا أن تَصدّ تراني

[الطويل]

فقال له الحجاج: العديل أنت؟ قال: نعم أيها الأمير، فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه وجعل يقول: إيه.

بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال: لا بساط إلا عفوك، قال: اذهب حيث شئت.

فرس حوشب يغرق في خميرة عكرمة:

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثنا العمري، عن الخيثم بن عدي، عن ابن عياش قال:

كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيباني وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب، وكاد حوشب يغلب عكرمة لسعة يده، قال: وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بختر ـ قال: وهو زوج أم شعبة الفقيه ـ بسفائن دقيق، فأتاه عكرمة فقال له: اللَّهَ اللَّهَ فِيَّ، قد كاد حوشب أن يستعليني ويغلبني بماله، فبعني هذا الدقيق بتأخير، ولك فيه مثل ثمنه ربحاً، فقال: خذه، وأعطاه إياه، فدفعه إلى قومه وفرقه بينهم، وأمرهم بعجنه كله، فعجنوه كله، ثم جاء بالعجين كله فجمعه في هُوَّة عظيمة، وأمر به فغُطِّيَ بالحشيش، وجاء بِرَمَكة فقرَّبوها إلى فرس حوشب حتى طلبها وأُفْلِت، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها، حتى ألقوها في ذلك العجين، وتبعها الفرس حتى تورّطا في العجين، وبقيا فيه جميعاً، وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين، أدركوا فرس حوشب، فقد غرق في خميرة عكرمة، فخرج الناس تعجباً من ذلك أن تكون خميرة يغرق فيها فرس، فلم يبق في المعسكر أحد إلا ركب ينظر، وجاؤوا إلى الفرس وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه، فما أخرج إلا بالعَمَد والحِبال، وغلب عليه عكرمة، وافتضح حوشب، فقال العديل بن الفرخ يمدحَهما، ويفخر بهما:

وعكرمةُ الفيَّاض فينا وحَوْشَبٌ هما فتيا الناسِ اللذا لم يُغَمَّرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما رئيسٌ ولا الأقيالُ[1] من آلِ حِمْيرا

[الطويل]

(١) الأقيال: الذين يأمرون بأمر فينفَّذ.

قال: وفي حوشب يقول الشاعر:

وأجـــود بـــالـــمـــال مـــن حـــاتـــم وأنـــحـــرُ لـــلـــبُـــزْل مـــن حَـــوْشـــبِ

[المتقارب]

شعره بين الفحل والسهل:

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عبيد.

عن الأصمعي قال: دخلت على الرشيد يوماً وهو محموم، فقال: أنشدني يا أصمعي شعراً مليحاً أرتضيه، فقلت: أَرَصِيناً فَحْلاً يريده أمير المؤمنين أم شَجِيّاً سهلاً؟ فقال: بل غزلاً بين الفحل والسهل، فأنشدته للعديل بن الفرخ العجلي:

صَحا عن طِلاب البِيض قبل مشيبه وراجع غَضّ الطرف فهو خَفيضُ
كأنِّيَ لم أرعَ الصِّبا ويروقني من الحَيِّ أَحوى المقلتينِ غَضيضُ
دعاني له يوماً هوىً فأجابه فؤادٌ إذا يلقى المراضَ مريضُ
لمُستأنساتٍ بالحديث كأنه تَهلُّلُ غُرٍّ بَرقُهنَّ وَميضُ

[الطويل]

فقال لي: أعدها، فما زلت أكررها عليه حتى حفظها.

الفرزدق يرثي العديل:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الرياشي، عن محمد بن سلام قال:

قدم العُديل بن الفرخ البصرة، ومدح مالك بن مسمع الجحدري فوصله، فأقام بالبصرة واستطابها، وكان مقيماً عند مالك، فلم يزل بها، إلى أن مات، وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان، فقال الفرزدق يرثيه:

وما ولدت مثل العُديل حليلةٌ قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائلِ
وما زال مذ شَدَّتْ يداه إزاره به تَفتح الأبوابَ بكرُ بنُ وائلِ

[الطويل]

صوت

إني بدهماء عَزَّ ما أجِدُ عاودني من حِبَابها زُؤُدُ
عاودني حُبُّها وقد شَحَطت صَرْفُ نواها فإنني كَمِدُ

[المنسرح]

قوله: عزَّ ما أجد أي شدَّ ما أجد. وحِبَابُها: حبها، وهو واحد ليس يجمع، والزُّؤُدُ: الفزع والذعر، وصَرْفُ نواها: الوجه الذي تصرف إليه قَصْدَها إذا نأت، والكمد: شدة الحزن.

الشعر لصخرِ الغَيِّ الهُذلي، هكذا ذكر الأصمعي وأبو عمرو الشيباني، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هُذيل يختلفون في هذه القصيدة، فيرويها بعضهم لصخر الغيّ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكَلب، وأن الهيثم بن عديّ حدّثه عن حمّاد الرّاوية أنها لعمرو ذي الكلب.

أخبار صخر الغيّ ونسبه

اسمه ونسبه:

هو صخرُ بن عبد اللَّه الخيثمي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، هذا أكثر ما وجدته من نسبه، ولقب بصخر الغيِّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره.

صخر يقتل رجلاً من بني مزينة:

فمن روى هذه القصيدة له ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم، وهو رجل من بني مُزينة، وقيل: إنه كان جاراً لأبي المثلم الشاعر، وهو أخوهم، فقتله صخر الغيِّ، فمشى أبو المثلم إلى قومه وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المُزني والإدراك بثأره، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلم وما فعله، فأولها البيتان اللّذان فيهما الغناء وفيها يقول:

ولستُ عَبْداً للمُوعِدين ولا ... أقبلُ ضيماً أتى به أحَدُ
جاءت كبيرٌ كيما أُخَفِّرها ... والقومُ صِيدٌ[1] كأنهم رَمِدوا
في المزني الذي حَششتُ به ... مالَ ضَرِيكٍ[2] تلاده نَكِدُ
إن أمتسِكْه فبالفداء وإن ... أَقتلْ بسيفي فإنه قَوَدُ

[المنسرح]

[حَششت به: أي قويت. الصَّيَد: داء يأخذ الإبل في رؤوسها فلا يمكنها أن تُطأطئها. والرمد: الهلاك].

ولصخر وأبي المثلم في هذا مناقضات وقصائد قالاها، وأجاب كل واحد منهما صاحبه، يطول ذكرها، وليس من جنس هذا الكتاب.

---

(١) الصَّيَد: داء يصيب الإبل فتسيل أنوفها، فتسمو برأسها.
(٢) الضَّريك: الفقير السيّئ الحال.

الأعلم العداء أخو صخر:

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنه حُدّث عن عبد اللَّه بن إبراهيم الجمحي قال:

كان الأعلم أخو صخر الغيّ أحد صعاليك هذيل، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يُلحق، واسمه حبيب بن عبد اللَّه، فخرج هو وأخواه صخر وصخير، حتى أصبحوا تحت جبل يقال له: السِّطَاع، في يوم من أيام الصيف شديد الحر، وهو متأبّط قربة لهم فيها ماء، فأنشفها السموم، وعطشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا من العطش، فقال الأعلم لصاحبيه: اشربا من القربة لعلي أن أرد الماء وانتظراني مكانكما، وكانت بنو عدي بن الديل على ذلك الماء، وهو ماء الأطواء، يتفيئون بنخل متأخر عن الماء قدر رمية سهم، فأقبل يمشي متلثّماً وقد وضع سيفه وقوسه ونبله فيما بينه وبين صاحبيه، فلما برز للقوم مشى رويداً مشتملاً، فقال بعض القوم: من ترون الرجل؟ فقالوا: نراه بعض بني مُدْلج بن مرَّة، ثم قالوا لبعضهم: القَ الفتى فاعرفه، فقال لهم: ما تريدون بذلك الرجل؟ إنه آتيكم إذا شرب، فدعوه فليس بمُفيتنا، فأقبل يمشي حتى رمى برأسه في الحوض مدبراً عنهم بوجهه. فلما روى أفرغ على رأسه من الماء، ثم أعاد نقابه ورجع في طريقه رويداً، فصاح القوم بعبدٍ لهم كان على الماء: هل عرفت الرجل الذي صدر؟ قال لهم: لا. فقالوا: فهل رأيت وجهه؟ قال: نعم، هو مشقوق الشفة، فقالوا: هذا الأعلم ـ وقد صار بينه وبين الماء مقدار رمية سهم آخر، فعدوا في أثره، وفيهم رجل يقال له جذيمة، ليس في القوم مثله عَدْواً فأغروه به وأطردوه فأعجزهم، ومرَّ على سيفه وقوسه ونبله فأخذه، ثم مرَّ بصاحبيه فصاح بهما فصبرا[1] معه، فأعجزوهم، فقال الأعلم في ذلك:

لما رأيت القومَ بالـ ... ـعلياء دون قِدَى المَنَاصِبْ
وفَرِيت من فزعٍ فلا ... أَرمِي ولا وَدَّعْتُ صاحبْ
يُغرون صاحبهم بنا ... جَهْداً وأُغري غيرَ كاذبْ
أُغرِي أخي صَخْراً ... ليعجزهم ومَدُّوا بالحلائبْ[2]
وخَشيتُ وقع ضريبةٍ ... قد جُرِّبتْ كلّ التجارِبْ
فأكون صَيْدَهمُ بها ... للذِّئب والضبع السواغِبْ[3]

(١) صَبَر: عدا.
(٢) الحلائِب: مفردها الحلبة وهي الجماعة.
(٣) السواغِب: الجائعون.

جَـزَراً ولـلـطـيـر الـمُـرِبَّـة[١] والـذئـابِ ولـلـثـعـالـبْ
[مجزوء الكامل]

وهي قصيدة طويلة.

صخر يرثي أخاه أبا عمرو:

وقالوا جميعاً:

خرج صخر الغيّ وأخوه أبو عمرو في غزاة لهما، فباتا في أرض رملة فنهشت أخاه أبا عمرو حيَّة فمات فقال يرثيه:

لَعَمْرُ أبي عمروٍ لقد ساقه المَنى[٢] إلى جَدثٍ يُوزَى له بالأهاضِبِ
لِحَيَّةِ جُحْر في وِجار مقيمةٍ تَنَمَّى بها سَوْقُ المنى والجوالِبِ
أخي لا أخالي بعدَه سبقتْ به منيّتُهُ جَمْعَ الرُّقَى والطبائبِ
وذلك مما يُحدث الدهرُ إنه له كلُّ مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ
[الطويل]

[يوزى له: يمنى له. والإزاء: مهراق الدلو. والأهاضب: الجبال، والمنى: القدر].

مقتل صخر ورثاء أبي المثلم له:

وقال الأثرم عن أبي عبيدة:

خرج صخر الغي في طائفة من قومه يقدمها خوفاً من أبي المثلم، فأغار على بني المصطلق من خزاعة، فانتظر بقية أصحابه، ونذرت به بنو المصطلق فأحاطوا به، فقال:

لو أنَّ أصحابي بنو مُعاوِيَهْ أهلُ جنوبِ النخلة الشَّآمِيهْ
ورهط دهمان ورهط عادِيَهْ ما تركوني للذئابِ العاوِيَهْ
[الرجز]

وجعل يرميهم ويرتجز يقول:

لو أنَّ أصحابي بنو خُناعَهْ أَهل الندى والمجد والبراعَهْ

(١) المُرِبَّة: اللَّازمة الثابتة.
(٢) المَنَى: الموت أو القَدَر.

تحت جلود البقَر القَرَّاعَهْ[١] لمنعوا من هذه اليَراعهْ[٢]
[الرجز]

وقال أيضاً وهو يقاتلهم:

لو أنَّ حَوْلي من قُرَيم رَجْلا بِيضَ الوجوه يحملون النبْلا
لمنعوني نجدة ورِسْلا سُفع الوجوهِ لم يكونوا عُزْلا
[الرجز]

يقول: منعوني بنجدة وشدّة وعلى رِسْلهم بأهونِ سَعْيٍ قال: فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه وبلغ ذلك أبا المثلم فقال يرثيه:

لو كان للدهر مالٌ عند مُتلِده لكان للدهر صخرٌ مالَ قُنْيانِ
آبِي الهضيمةِ آت بالعظيمة مِتـ ـلافُ الكريمةِ لاسِقْط ولا وانِ
حامي الحقيقةِ نَسَّالُ الوَدِيقة[٣] معْـ ـتاقُ الوَسيقة[٤] جَلْدٌ غير ثِنيانِ
رَبَّاءُ[٥] مَرْقَبَةٍ منَّاع مَغْلَبَةٍ رَكَّاب سَلْهَبَةٍ[٦] قطاعُ أقرانِ
هبَّاط أَوديةٍ شهَّاد أندية حمَّال ألوية سِرْحانُ فِتيانِ
[البسيط]

[السرحان: الأسد في لغة هذيل. وفي كلام غيرهم: الذئب]

يحمي الصحاب إذا جَدَّ الضِّراب ويكـ ـفي القائلين إذا ما كُبِّلَ العاني[٧]
ويترك القِرْن مصفرّاً أَنامُله كأن في رَيْطتيه نَضْخَ[٨] إرقان
[البسيط]

الإرقان: اليرقان، يعني صفرته.

يُعطيك ما لا تكادُ النفس تُسْلِمه من التِّلاد وَهُوبٌ غيرُ مَنَّانِ
[البسيط]

---

(١) القرَّاعة: التّراس الصِّلاب.
(٢) اليراعة: الضعيف.
(٣) الوديقة: شدَّة الحرّ.
(٤) الوسيقة: الطريدة.
(٥) الربَّاء: المرتفعة العالية.
(٦) السَّلْهبة: الفرس الطويلة الجسيمة.
(٧) العاني: الأسير.
(٨) النَّضخ: الأثر الباقي من الطيب في الثوب وغيره.

نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

اسمه ونسبه:

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن بردين منبه أحد بني كامل بن لحيان بن هذيل.

قال السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي.

إنه سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه.

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال:

لم يكن له كلب لا يفارقه، إنما خرج غازياً ومعه كلب يصطاد به، فقال له أصحابه: يا ذا الكلب، فثبتت عليه.

قال: ومن الناس من يقول له: عمرو الكلب، ولا يقول فيه: ذو.

قال: وكان يغزو بني فهم غزواً متصلاً، فنام ليلة في بعض غزواته، فوثب عليه نَمرانِ فأكلاه، فادَّعت فَهْمٌ قَتْلَه، هكذا في هذه الرواية.

أم جليحة:

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وأبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل وغيرهم من الرواة قالوا:

كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذلي، وكان من رجالهم، أنه كان قد علق امرأة من فَهْم يقال لها: أَم جُليحة، فأحبها وأحبته، وكان أهلها قد وَجَدوا عليها وعليه، وطلبوا دمه، إلى أن جاءها عاماً من ذلك، فنذروا به، فخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم، فتبعوه يومهم ذلك وهم على أثره حتى أمسى، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلماء، فبينا هو يسير على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه، فقال: أخطأتُ واللَّهِ الطريق وإن النار لعلى الطريق، فحار وشكّ وقصد النار حتى أتاها، وقد كاد يُصْبِح فإذا رجل قد أوقد النار ليس معه أحد، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنت؟

قال: أنا رجل من عَدْوان، قال: فما اسم هذا المكان؟ قال: السَّدّ، فعلم أنه قد هلك وأخطأ، والسد شيء لا يجاوز، قال: ويلك، فلم أوقدت؟ فواللَّه ما تشتوي ولا تصطلي، وما أوقدت إلا لمنية عمرو الشقي، هل عندك شيء تطعمني؟ قال: نعم، فأخرج له تمرات، فقذفها في يده، فلما رآها قال: تمرات تتبعها عبرات، من نساء خفرات[١]، ثم قال له: اسقني، قال: ماءً أو لبناً؟ قال: لا، ولكن اسقني ماء قراحاً[٢]، فإني مقتول صباحاً، ثم انطلق فأسْنَد في السدّ، ورأى القوم الذين جاؤوا في طلبِه أثرَه حيث أخطأ، فاتبعوه حتى وجدوه، فدخل غاراً في السدّ، فوقفوا على باب الغار، فنادوه فقالوا: يا عمرو، فقال: ما تشاؤون؟ قالوا: اخرج، قال: فلم دخلت إذن؟ قالوا: بلى فاخرجْ، قال: لا أخرج، قالوا: فأنشدنا قولك:

ومقعدِ كُربة قد كنت منها مكان الأصبعين من القِبالِ

[الوافر]

قال: ها هي ذه أنا فيها، قال: وعَنّ له رجل من القوم، فرماه عمرو فقتله، فقالوا: أقتلته يا عدو اللَّه؟ فقال: أجل، ولقد بقيت معي أربعة أسهم، كأنها أنياب أُم حليْحة، لا تصلون إليَّ أو أقتل بكل سهم منها رجلاً منكم، فقالوا لعبدهم: يا أبا نجاد، ادخل عليه وأنت حر، فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه، فقال له عمرو: ويلك يا أبا نجاد، ما ينفعك أن تكون حُرّاً إذا قتلتك، فنكص عنه، فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليه، ثم رموه حتى قتلوه، وأخذوا سلبه، فرجعوا به إلى أم جليحة وهي تتشوَّف، فلما رأوها قالوا لها: يا أم جليحة، ما رأيك في عمرو؟ قالت: رأيي واللَّهِ أنكم طلبتموه سريعاً، ووجدتموه منيعاً، ووضعتموه صريعاً، فقال واحد منهم: قد واللَّه قتلناه، فقالت: واللَّه ما أراكم فعلتم، ولئن كنتم فعلتم لرُبَّ ثدي منكم قد افترشه، وضَبٍّ قد احترشه[٣]، فطرحوا إليها ثيابه، فأخذتها فشمتها فقالت: ريح عِطْر، وثوب عمرو، أما واللَّه ما وجدتموه ذا حُجزة جافية ولا عانة وافية، ولا ضالَّة كافية.

أخته ترثيه:

وقالت ريطة أخت عمرو ذي الكلب ترثيه:

كل امرئ بطوال العَيْش مكذوبُ وكلُّ من غالَبَ الأيامَ مغلوبُ

(١) الخَفِرَات: العفيفات.
(٢) القراح: الخالص.
(٣) احترشه: صاده.

وكـل حـيّ وإن عـزّوا وإن سـلـمـوا ... يـومـاً طـريـقـهـمُ فـي الـشـرّ دُعـبـوبُ[١]
أبـلِـغْ هُـذيـلاً وأبـلِـغ مـن يُـبـلِّـغـهـا ... عـنـي رسـولاً وبـعـض الـقـول تـكـذيـبُ
بـأن ذا الـكـلـب عَـمْـراً خـيـرهـم نـسـبـاً ... بـبـطـن شِـرْيـانَ يـعـوي حـولـه الـذيـبُ
الـطـاعـن الـطـعـنـةَ الـنـجـلاء[٢] يـتـبـعـهـا ... مُـثْـعَـنْـجِـرٌ[٣] منَ نَجيعِ الجوفِ أُسكوبُ[٤]
والـتـارك الـقِـرْن مُـصـفـرّاً أنـامـلُـه ... كـأنـه مـن نـقـيـع الـجـوف مَـخـضـوبُ
تـمـشـي الـنـسـورُ إلـيـه وهـي لاهـيـةٌ ... مَـشْـيَ الـعـذارى عـلـيـهـنّ الـجـلابـيـبُ
والـمُـخـرج الـعـاتـق الـعَـذراء مُـذْعِـنـةً ... في السَّبْي ينفح من أردانها[٥] الطِّيبُ

[البسيط]

صـوت

يـا دارَ عَـمـرةَ مـن مُـحـتـلّـهـا الـجَـرَعـا ... هـاجـت لـيَ الـهَـمَّ والأحـزان والـوَجَـعـا
أرى بـعـيـنـي إذ زالـت حـمـولـهـمُ ... أرض الـسـلـوطـح[٦] لا يـنـظـرن مُـرْتَـبـعـا
[طَـوْراً أراهـم وطـوراً لا أُبِـيِّـنُـهُـمُ ... إذا تَـرفَّـع حِـدْجٌ[٧] سـاعـةً لـمـعـا]

[البسيط]

الشعر للقيط الإيادي يُنذر قومه قَصْدَ كِسرى لهم، والغناء لكردم بن معبد، هزج بالبنصر من روايتي حبش والهشامي.

---

(١) الدعبوب: الطريق الموطوء.
(٢) الطعنة النجلاء: الطعنة النافذة إلى الجوف.
(٣) المثعنجر: السائل المنصَبّ.
(٤) أسكوب: مسكوب.
(٥) الأردان: مفردها الردن وهو أصل الكم.
(٦) السلوطح: موضع بالجزيرة.
(٧) الحِدْج: ضرب من مراكب النساء كالهودج، جمعها الحدوج.

أخبار لقيط الإِيادي ونسبه

والسبب في قوله هذا الشعر

هو لَقيط بن يَعمر [وقيل: مُعَمَّر] شاعر جاهلي قديم مقلّ، ليس يعرف له شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر لطاف متفرقة.

سبب غزو كسرى إياداً:

أخبرني بخبر هذا الشعر عمّي قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أحمد بن عبيد قال: حدثني الكلبي عن الشرقي بن القطامي قال:

كان سبب غزو كسرى إياداً أن بلادهم أجدبت فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد ونواحيها، فأقاموا بها دهراً، حتى أخصبوا وكثروا، وكانوا يعبدون صنماً يقال له: ذو الكعبات، وعبدتْه بكرُ بن وائل من بعدهم، فانتشروا ما بين سنداد إلى كاظمة، وإلى بارق والخورنق[١]، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة، ولم يزالوا يُغيرون على أهاليهم من أَرض السواد، ويغزون ملوك آل نَصْر، حتى أَصابوا امرأةً من أَشراف العجم كانت عروساً قد هُدِيت إلى زوجها فَوَلِيَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثهم، فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إياد إلى العراق، وجعلوا يعبرون إبلَهم في القراقير، ويقطعون بها الفرات، وجعل راجزهم يقول:

بِئس مُناخُ[٢] الخَلفاتِ[٣] الدُّهْمِ في ساحةِ القُرقورِ وسْطَ اليَمِّ

[الرجز]

وعبروا الفرات، وتبعهم الأعاجم، فقالت كاهنةٌ من إياد تسجع لهم:

إن يقتلوا منكم غلاماً سِلْماً أو يأخذوا منكم شيخاً هِمّاً[٤]، تخضبوا نحورهم دماً، وتُرووا منها سيوفاً ظِمَا.

---

(١) الخورنق: نهر بالكوفة وهو أيضاً موضع قصر النعمان اللخمي.

(٢) المُناخ: موضع الجلوس للناقة.

(٣) الخلفات: مفردها الخلفة وهي الناقة الحامل.

(٤) الهِمّ: الفاني.

فخرج غلام منهم يقال له: ثواب بن محجن [بإبل لأبيه] فلقيه الأعاجم فقتلوه، وأخذوا الإبل، ولقيتهم إياد في آخر النهار فهزمت الأعاجم.

دير الجماجم:

قال: وحدثني بعض أهل العلم أن إياداً بيّنت ذلك الجمعَ حين عبروا شطَّ الفرات الغربي، فلم يفلت منهم إلا القليل، وجمعوا به جماجمهم وأجسادهم، فكانت كالتلّ العظيم، وكان إلى جانبهم ديرٌ فسُمِّي: دير الجماجم، وبلغ كسرى الخبرُ، فبعث مالك بن حارثة أحدَ بني كعب بن زهير بن جُشم في آثارهم، ووجه معه أربعة آلاف من الأساورة، فكتب إليهم لقيط:

يا دار عمرة من مُحتلّها الجَرَعا ... هاجت لي الهمَّ والأحزانَ والوَجعا

[البسيط]

وفيها قول: قال الشرقيُّ: أنشدنيها أبو حمزة الثمالي:

يا قوم لا تأمنوا إن كنتمُ غُيُراً ... على نسائكمُ كسرى وما جَمعا
هو الجلاء الذي تبقى مذلَّته ... إن طار طائركم يوماً وإن وَقعا
هو الفناءُ الذي يجتَثُّ أَصلكمُ ... فمن رأَى مثل ذا يوماً ومن سمعا؟
فقلدوا أمركم للَّه دركمُ ... رَحب الذراع بأمر الحرب مُضطلِعا
لا مُترَفاً إن رخاءُ العيش ساعده ... ولا إذا همَّ مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا رَيْثَ يبعثه ... هَمٌّ يكاد حشاه[1] يقطع الضِّلَعا
مُسهَّد النومِ تَعنيه أُمورُكمُ ... يروم منها إلى الأعداء مُطّلعا
ما انفكَّ يحلبُ هذا الدهرَ أَشطرَه ... يكون مُتَّبِعاً طوراً ومُتَّبعا
فليس يَشغله مالٌ يُثمِّره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرِّفَعا
حتى استمرَّتْ على شَزْر[2] مريرتُه[3] ... مُستحكم السنِّ لا قَحْماً[4] ولا ضَرَعا
كمالك بن قنان أو كصاحِبه ... زيد القنا حين لاقى الحارثين معا
إذ عابه عائب يوماً فقال له ... دَمِّثْ[5] لجنبك قبلَ النوم مُضطجعا

(١) الحشى: مرض في الرئة يصعب معه التنفّس.
(٢) الشزر: فتل الحبل يساراً.
(٣) المريرة: العزيمة.
(٤) القَحم: الشيخ المسنّ الفاني.
(٥) دمِّث: ليِّن ومرِّس مضجعك.

فَشَاوروه فألْفَوه أخا عَلَلٍ ... في الحرب لا عاجزاً نِكْساً[1] ولا وَرَعا[2]
عَبْلَ الذراع أَبيّاً ذا مُزابَنَةٍ ... في الحرب يَخْتتل الرِّئبال والسَّبُعا
مستحدماً[3] لطعان الناس كلهم ... لو صارعوه جميعاً في الوغى صرعا
هذا كتابي إليكمْ والنذير لكمْ ... لمن رأى الرأيَ بالإبرام قد نَصعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

[البسيط]

وجعل عنوان الكتاب:

كتابٌ في الصحيفة من لقيطٍ ... إلى من بالجزيرة من إيادِ
بأن الليث كسرى قد أتاكمْ ... فلا يَشْغَلكمُ سَوْقُ النِّقادِ[4]

[الوافر]

موج الأَكم:

قال: وسار مالك بن حارثة التغلبي بالأعاجم حتى لقي إياداً وهم غَارّون، لم يلتفتوا إلى قول لقيط وتحذيره إياهم، ثقة بأن كسرى لا يُقدم عليهم، فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له: مَرْج الأكم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفر بهم وهزمهم، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات، ولحقت إياد بأطراف الشام، ولم تتوسطها خوفاً من غسان يوم الحارثين، ولاجتماع قضاعة وغسان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدة عليهم، فأقاموا حتى أمنوا، ثم إنهم تطَرَّفوهم، إلى أن لحقوا بقومهم بناحية أنقرة من بلاد الروم، ففي ذلك يقول الشاعر:

حَلُّوا بأنْقرةٍ يَسيلُ عليهمُ ... ماءُ الفُراتِ يجِيء مِنْ أطوادِ

[الكامل]

صوت

أَلَلبَيْنِ يا ليلى جِمالُك تُرْحَلُ ... لِيقْطع منا البينُ ما كان يُوصَلُ؟
تُعلِّلُنا بالوَعد ثُمَّةَ تلتوي ... بموعودها حتى يَموتَ المُعَلَّلُ

---

(١) النِّكس: ناقض العهد.
(٢) الوَرَع: الجبان الضعيف.
(٣) مُسْتَحدِم: مشتعِل غيظاً.
(٤) النِّقاد: مفردها النقد، وهو ضرب من الغنم صغار الأرجل.

ألـم تـرَ أنَّ الـحـبـل أصـبـح واهـنـاً وأخـلَـف مـن لـيـلـى الـذي كـنـتُ آمُـلُ
فـلا الـحـبـلُ مـن لـيـلـى يُـواتـيـك وصـلُـه ولا أنـت تَـنـهـى الـقـلـبَ عـنـهـا فـيـذهـلُ

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لنُصيب الأصغر مولى المهدي، والغناء ليحيى المكي خفيف رمل بالبنصر، وكذا نسبته بذل إليه، وذكر عمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرمل لمالك، وأنه بالوسطى، والصحيح أنه لابن المكي.

أخبار نصيب الأصغر

نصيب يمدح هارون الرشيد:

نُصيب مولى المهدي عبد نشأ باليمامة، واشتُرِي للمهدي في حياة المنصور، فلما سمع شعره قال: واللَّه ما هو بدون نُصيبٍ مولى بني مروان، فأعتقه وزوجه أَمةً له يقال لها: جَعفرة، وكناه: أبا الحَجناء، وأقطعه ضَيْعة بالسواد، وعُمِّر بعده.

وهذه القصيدة يمدحُ بها هارون الرشيد، وهي من جيد شعره، وفيها يقول:

خليليَّ إني ما يزال يَشوقني ... قَطِينُ[1] الحِمَى والظاعنُ المُتحمِّلُ
فأقسمت لا أنسى ليالي مَنْعِجٍ ... ولا مأْسلٍ إذ منزل الحَيِّ مَأْسِلُ
أمِنْ أَجلِ آياتٍ ورسمٍ كأنَّه ... بقيَّةُ وحْيٍ أو رِداءٌ مُسَلْسَلُ
جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنه ... تحدُّرُ دُرٍّ أو جُمانٌ مُفصَّلُ؟
فيا أيُّها الزِّنجيُّ ما لك والصِّبا ... أفِقْ عن طِلاب البيض إن كنت تَعقِلُ
فمثلُك من أُحبوشةِ الزنجِ قُطِّعتْ ... وسائلُ أسبابٍ بها يَتوسَّلُ
قصدنا أميرَ المؤمنين ودونه ... مهامِهُ[2] مَوْماةٍ[3] من الأرض مَجْهَلُ
على أَرْحَبيَّاتٍ طوى السيرُ ـ فانطوتْ ـ ... شَمائلها مِمَّا تُحَلُّ وتُرْحَلُ
إلى ملكٍ صَلْتِ الجبين كأنه ... صَفيحةُ مَسنونٍ جلا عنه صيقَلُ
إذا انبلج البابانِ والسترُ دونه ... بدا مثل ما يبدو الأغرُّ المُحجَّلُ
شريكان فينا منه عَينٌ بصيرةٌ ... كَلوةٌ وقلبٌ حافظٌ ليس يَغفُلُ
فما فات عينيه وعاه بقلبه ... فآخِرُ ما يرعى سَواءٌ وأَوَّلُ
وما نازعت فينا أَمورَك هفوةٌ ... ولا خَطْلَةٌ في الرأي والرأيُ يَخْطَلُ[4]

---

(١) القطين: ساكن المكان، وتطلق أيضاً للخدم والعبيد.
(٢) المهامه: مفردها مهمه وهي الصحراء البعيدة.
(٣) المومأة: الفلاة.
(٤) يخطل: يضطرب.

إذا اشـتـبـهـت أعـنـاقـه بَـيَّـنَـتْ لـه ... مَـعـارِفُ فـي أعـجـازه وهـو مُـقْـبِـلُ
لـئـن نـال عـهـدَ الـلَّـه قـبـل خـلافـةٍ ... لأنـتَ مـن الـعـهـد الـذي نِـلـتَ أفـضـلُ
ومـا زادك الـمُـلْـكُ الـذي نـلـتَ بـسـطـةً ... ولـكـن بـتـقـوى الـلَّـهِ أنـت مُـسـرْبَـلُ
ورثـتَ رسـولَ الـلَّـه عُـضْـواً ومَـفْـصِـلاً ... وذا مـن رَسـولِ الـلَّـه عُـضْـوٌ ومـفـصـلُ
إذا مـا دعـتـنـا مـن زمـانٍ مُـلِـمَّـةٌ ... فـلـيـس لـنـا إلا عـلـيـك الـمـعـوَّلُ
عـلـى ثـقـةٍ مـنـا تـحـنُّ قـلـوبُـنـا ... إلـيـك كـمـا كـنـا أبـاك نُـؤَمِّـلُ

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة هذا المختار من جميعها.

المهدي يوجهه لشراء إبل فينفق ثمنها:

فأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال: حدثني أبي قال:

وجّه المهديُّ نُصيباً الشاعرَ مولاه إلى اليمن في شراء إبل مهْرِيَّة، ووجّه معه رجلاً من الشيعة، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار، قال: فمدَّ أبو الحجناء يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب وشراء الجواري والتزويج، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهدي، فكتب المهدي في حمله موثقاً في الحديد، فلما دخل على المهدي، أنشده شعره، وقال:

تـأوَّبـنـي ثِـقْـلٌ مـن الـهـمِّ مُـوجِـعُ ... فـأرَّق عَـيـنـي والـخَـلِـيُّـونَ هُـجَّـعُ
هـمـومٌ تـوالـتْ لـو أطـافَ يَـسـيـرُهـا ... بِسَـلْـمَـى[1] لـظـلَّـتْ شُـمُّـهـا تـتـصـدَّعُ[2]
ولـكـنـهـا نِـيْـطَـتْ فـنَـاءَ بِـحـمـلـهـا ... جـهـيـرُ الـمـنـايـا حـائـنُ الـنـفـس مَـجْـزَعُ
وعـادت بـلادُ الـلَّـه ظـلـمـاءَ حِـنْـدِسـاً[3] ... فـخـلْـتُ دُجَـى ظـلـمـائـهـا لا تَـقَـشَّـعُ

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

إلـيـك أمـيـر الـمـؤمـنـيـن ولـم أَجِـدْ ... سـواك مُـجـيـراً مـنـك يُـدْنـي ويـمـنـعُ

(١) سلمى: جبل.
(٢) تتصدَّع: تتشقق.
(٣) حِندس: مظلمة.

تلمَّستُ هل منْ شافعٍ لي فلم أجدْ ... سوى رحمةٍ أعطاكها اللَّهُ تَشفعُ
لئن جَلَّت الأجرام مني وأفظعتْ ... لَعفْوُك عن جُرمي أجلُّ وأوسعُ
لئن لم تسعني يا ابنَ عمَّ محمدٍ ... فما عجزتْ عني وسائلُ أربعُ
طُبِعْتَ عليها صِبغةً ثم لم تَزَلْ ... على صالحِ الأخلاقِ والدّين تُطْبَعُ
تغابيك عن ذي الذنب تبغي صلاحَه ... وأنت ترى ما كان يأتي ويَصْنَعُ
وعفوُكَ عمّن لو تكون جَزيته ... لطارت به في الجوّ نكباءُ زعزعُ[1]
وأنك لا تنفكُّ تُنعش عاثراً ... ولم تعترِضْهُ حين يَكبو ويَخمَعُ[2]
وحلمك عن ذي الجهل من بعد ما جرى ... به عَنَقٌ من طائشِ الجهل أَشنعُ
ففيهنَّ لي إمَّا شفَعْنَ منافع ... وفي الأربع الأولى إليهنّ أفزعُ
مناصحتي بالفعل إن كنت نائياً ... إذا كان دانٍ منك بالقول يَخْدعُ
وثانية ظَنِّي بك الخير غائباً ... وإن قلتَ عبدٌ ظاهرُ الغِشِّ مُسبعُ
وثالثة أني على ما هَويتَه ... وإن كثر الأعداءُ فِيَّ وشَنَّعُوا
ورابعة أني إليك يَسوقني ... وَلائي فمولاك الذي لا يُضَيَّعُ
وإنِّي لمولاك الذي إن جفوتَه ... أتى مُستكيناً راهباً يتضرَّعُ
وإني لمولاك الضعيفُ فأعفني ... فإني لعفوٍ منك أهلٌ وموضعُ

[الطويل]

فقطع المهدي عليه الإنشاد ثم قال له: ومن أعتقك يا ابن السوداء؟ فأومأ بيده إلى الهادي، وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهدي لموسى: أعتقه يا بني؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فأمضى المهديُّ ذلك، وأمر بحديده ففُكَّ عنه، وخلع عليه عدَّة من الخلع الوَشْي والخَزّ والسَّواد والبياض، ووصله بألفي دينار، وأمر له بجارية يقال لها: جعفرة جميلة فائقة من رُوقة الرّقيق، فقال له سالمٌ قَيِّمُ الرقيقِ: لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف درهم، فقال قصيدته.

آآذنَ الحيُّ فانصاعوا بتَرحالِ ... فهَاج بَيْنَهُم شوقي وبَلْبالي[3]

[البسيط]

(١) الزعزع: الشديدة.
(٢) يخمع: يغمز في مشيته كأن به عرج.
(٣) البلبال: شدَّة الهمّ والوساوس.

وقام بها بين يدي المهدي فلما قال:

ما زلتَ تبذل لي الأموال مجتهداً ... حتى لأصبحتُ ذا أهل وذا مالِ
زوِّجتني يا ابنَ خيرِ الناس جاريةً ... ما كان أمثالُها يُهْدَى لأمثالي
زوجتني بضَّةً[1] بيضاءَ ناعمةً ... كأنها دُرَّةً في كَفِّ لأّالِ
حتى توهمتُ أن اللَّه عَجَّلَها ... يا ابن الخلائف لي من خيرِ أعمالي
فَسَالَني سالمٌ ألفاً فقلت له ... أَنَّى لِيَ الألفُ يا قُبِّحْت من سالِ
هيهات ألفُك إلَّا أن أجيء بها ... من فَضْلِ مولىً لطيفِ المَنِّ مِفْضالِ

[البسيط]

فأمر له المهدي بألف دينار، ولسالم بألف درهم.

قال ابن أبي سعد: وحدثني غير محمد بن عبد اللَّه:

أنه حُبس باليمن مدة طويلة، ثم أُشْخص إلى المهدي، فقال وهو في الحبس ودخلت إليه ابنته حَجناء، فلما رأت قيوده بكت فقال:

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالدٍ ... بِدَرَّةِ عينٍ قلَّ عنه غَناؤُها
أَحجناءُ صبراً كلُّ نفسٍ رهينةٌ ... بموتٍ ومكتوبٌ عليها بلاؤُها
أحجناءُ أسبابُ المنايا بِمَرْصدٍ ... فإلَّا يعاجلْ غَدْوُها فمساؤُها
أحجناءُ إن أُفلِتْ من السجن تلقني ... حتوف منايا لا يردّ قضاؤُها
أَحجناء إن أضحى أبوكِ ودَلْوُه ... تَعَرَّتْ عُراً منها ورَثَّ[2] رِشَاؤُها[3]
لقد كان يُدلي في رجالٍ كثيرة ... فيمتح[4] مَلْأى وهي صِفرٌ[5] دِلاؤُها
أحجناء إن يصبح أبوك ونفسُه ... قصير تمنِّيها طويل عناؤُها
لقد كان في دُنيا تَفَيّأَ ظِلَّها ... عليه ومَجلوب إليه بهاؤُها

[الطويل]

ثمامة بن الوليد يشفع له:

قال ابن أبي سعد: ولما دخل نصيب على المهدي مقيّداً رَفده ثمامة بن الوليد

(١) البضَّة: الرقيقة الجِلد.
(٢) رثَّ: بَلِيَ.
(٣) الرِّشاء: الحبل.
(٤) يمتَح: يستخرج.
(٥) الصِّفر: الخالي.

العَبْسي عنده، واستعطفه له، وسَوغ عذره عنده، ولم يزل يَرْفُق به حتى أمر بإطلاقه، وكان نصيب في متقدم الأيام منقطعاً إلى أخيه شَيبة، فقال فيه:

أُثُـمـامَ إنـك قـد فـكـكـتَ ثُـمـامـا ... حَـلَـقـاً بَـرَيْـنَ مـن الـنُّـصَـيْـبِ عِـظـامـا
حَـلـقـاً تـوسَّـطـهـا الـعـمـودُ فـلَـزَّهـا ... لـولا ثُـمـامـةُ والإلـهِ لـدَامـا
ألـلَّـه أنـقـذنـي بـه مـن هُـوَّةٍ ... تـيـهـاءَ مُـهـلـكـةٍ تـكـون رِجـامـا
فـلأشـكـرنَّـك يـا ثـمـامـة مـا جـرَتْ ... فـوق الـسـحـاب كَـنَـهْـوَراً[1] وَجـهـامـا[2]
ولأشـكـرنَّـك يـا ثـمـامـة مـا دَعَـتْ ... وُرْقُ الـحَـمـامِ عـلـى الـغـصـون حَـمـامـا
وخَـلـفْـتَ شـيـبـةَ فـي الـمـقـامِ ولا أَرى ... كَـمـقـامِ شـيـبـة فـي الـرجـال مَـقـامـا
أغـنـى إذا الـتـمـس الـرجـالُ غَـنـاءَه ... فـي كـلّ نـازلـةٍ تـكـون غَـرامـا
وأَعـمَّ مـنـفـعـةً وأكـرمَ حـائـطـاً ... يُـهـدِي إلـيـه تـحـيَّـةً وسـلامـا
لا يَـبـعـدنَّ ابـنُ الـولـيـد فـإنَّـه ... قـد نـال مـن كـل الأمـورِ جـسـامـا
لـو مِـنْ سِـوى رهـطِ الـنـبـيِّ خـلـيـفـةٌ ... يُـدْعَـى لـكـان خـلـيـفـةً وإمـامـا

[الكامل]

شيبة الخير:

قال ابن أبي سعد:

ودخل نصيب على ثمامة بعد وفاة أخيه شيبة وهو يُفرِّق خيله على الناس، فأمر له بفرس، فأبى أن يقبله وبكى ثم قال:

يـا شـيـبـة الـخـيـر إمَّـا كـنـت لـي شَـجـنـاً ... آلـيـت بـعـدك لا أبـكـي عـلـى شَـجـنِ
أَضـحـت جِـيـادُ أبـي الـقـعـقـاع مُـقْـسَـمـة ... فـي الأقـربـيـن بـلا حَـمْـدٍ ولا ثَـمـنِ
وَرَّثـتَـهُـمْ فـتـعـزَّوْا عـنـك إذ ورثـوا ... ومـا ورثـتُـك غـيـر الـهـمّ والـحَـزنِ

[البسيط]

فجعل ثمامة ومن عنده حاضر من أهله وإخوانه يبكون.

وشيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قُوَّاد المهدي، وفي شيبة يقول أبو محمد اليزيدي يهجوه، وكان عارضه في شيء من النحو بحضرة المهدي:

(١) الكنهور: العظيم من السَّحاب.
(٢) الجَهَام: السحاب لا ماء فيه.

عِـشْ بـجَـدٍّ فـلـن يَـضُـرَّك نَـوْكٌ[1] إنـمـا عـيـش مـن تـرى بـالـجـدُودِ
عِـشْ بِـجَـدٍّ وكُـن هَـبَـنَّـقـةَ الـقـيـ ـسـيَّ جَـهْـلاً أو شـيـبـةَ بـنَ الـولـيـدِ
[الخفيف]

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمّه عن أبيه.

نصيب يهجو عبد اللَّه بن محمد بن الأشعث:

أخبرني عمّي قال: حدثنا القاسم بن محمد الأنباري قال: حدثنا عبد اللَّه بن بشر البجلي، عن النضر بن طاهر قال:

أتى نصيبٌ مولى المهدي عبد اللَّه بن محمد بن الأشعث، وهو يتقلد صنعاء للمهدي، فمدحه فلم يثبه، واستكساه بُرْداً فلم يكسه، فقال يهجوه:

سأكسوك من صَنعاء ما قد كسوتني مُـقـطَّـعـة تـبـقـى عـلـى قِـدَمِ الـدَّهْـرِ
إذا طُـويـت كـانـت فُـضـوحُـكَ طَـيَّـهـا وإن نُـشِـرَت زادتـك خِـزْيـاً عـلـى الـنـشـرِ
أغـرَّك أن بـيَّـضـتَ بـيـت حَـمـامـةٍ وقـلـت: أنـا شـبـعـانُ مُـنـتـفـج الـخَـصْـرِ؟
لـقـد كـنـتَ فـي سَـلْـحٍ سـلَـحـتَ مـخـافـة الـحـروريَّـة الـشَّـارِيـن داعٍ إلـى الـضُّـمْـرِ
ولـكـنـه يـأبـى لـك الـبُـهْـرُ كـلَّـمـا جـريـتَ مـع الـجـاري وضِـيـقٌ مـن الـصَّـدْر
[الطويل]

النصيب هجاء ملعون:

قال النضر:

وكان النصيب ملعوناً هجَّاءً، فأهدى للربيع بن عبد اللَّه بن الربيع الحارثي فرساً فقبله، ثم ندم خوفاً من ثقل الثواب، فجعل يَعيب الفرس ويذكر بُطْأَه وعجزه، فبلغ ذلك النصيبَ، فقال:

أعِـبْـتَ جـوادَنـا ورغـبـتَ عـنـه ومـا فـيـه لـعَـمْـرُك مـن مَـعـابِ؟
ومـا بـجـوادِنـا عَـجـزٌ ولـكـنْ أظـنُّـك قـد عَـجـزتَ عـن الـثـوابِ
[الوافر]

فأجابه الربيع فقال:

رُوَيـدَكَ لا تَـكُـنْ عَـجِـلاً إلـيـنـا أتـاك بـمـا يـسُـوؤُك مـن جَـوابِ

(١) النَّوْك: الحمق.

وجـدْتُ جـوادكـم فَـدْمـاً[١] بَـطـيـئـاً فـمـا لـكـمـا لـديـنـا مـن ثـوابِ
[الوافر]

فلما كان بعد أيام رأى النصيبُ الفرسَ تحت الربيع فقال له:

أخـذْت مُـشَـهَّـراً فـي كـلِّ أرضٍ فـعـجِّـلْ يـا ربـيـعُ مُـشـهَّـراتـي
يـمـانـيـةً تـخـيَّـرهـا يـمـانٍ مُـنَـمـنَـمـة الـبـيـوتِ مُـقـطَّـعـاتِ
وجـاريـةً أَضـلَّـتْ والـديـهـا مُـولَّـدةً وبِـيـضـاً وافِـيـاتِ
فَـعَـجِّـلْـهـا وأَنـقِـذْهـا إلـيـنـا ودَعْـنـا مـن بـنـاتِ الـتُّـرَّهـاتِ
[الوافر]

فأجابه الربيع فقال:

بـعـثـت بـمُـقْـرِفٍ[٢] حُـطَـمٍ[٣] إلـيـنـا بـطـيء الـحُـضْـرِ ثـم تـقـول هـاتِ
[الوافر]

فقال النصيب:

فـي سـبـيـلِ الـلَّـه أَوْدَى[٤] فَـرَسـي ثـم عُـلِّـلْـت بـأبـيـاتٍ هَـزَجْ
كـنـت أرجـو مـن ربـيـعٍ فَـرَجـاً فـإذا مـا عـنـده لـي مـن فَـرَجْ
[الرمل]

قال: ثم خرج الربيع إلى مكة، وقد كان وعد النصيب جارية فلم يعطه، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفي درهم، ففعل، فقال النصيب:

ألا أبـلـغـا عـنـي الـربـيـعَ رسـالـةً ربـيـعَ بـنـي عـبـد الـمَـدانِ الأكـارمِ
أعـزّتْ عـلـيـك الـبـيـضُ لـمـا أرَغْـتُـهـا[٥] فَـرُغْـتَ إلـى إعـدادِ بـيـضِ الـدراهـمِ
ألـم تـرَ أنـي غـيـر مُـسْـتَـطْـرَفِ الـغِـنـى حـديـثٍ وأنـي مـن ذؤابـةِ هـاشـمِ؟
وأنـك لـم تَـهـبـطْ مـن الأرض تَـلْـعـة ولا نـجْـوَةً إلَّا بـعـهـدي وخـاتَـمِـي
[الطويل]

قال: ثم قدم الربيع فأهدى إلى دُفافة بن عبد العزيز العبسي طبق تمر، فقال فيه دُفافة:

---

(١) الفَدم: العيي.
(٢) المُقرِف: الخيل الخسيس.
(٣) الحُطَم: الأكول.
(٤) أودى: هلك.
(٥) أراغ: أراد وطلب.

بـعـثـت بـتـمـرٍ فـي طُـبَـيـقٍ كـأنـمـا بـعـثْـتَ بـيـاقـوتٍ تَـوَقَّـدَ كـالـجَـمْـرِ
فـلـو أن مـا تُـهـدي سَـنِـيٌّ قـبِـلـتـهُ ولـكـنـمـا أَهـديـتَ مـثـلـك فـي الـقَـدْرِ
كـأن الـذي أهـديـتَ مـن بـعـدِ شُـقَّـةٍ إلـيـنـا مـن الـمُـلْـقَـى عـلـى ضِـفَّـةِ الـجِـسـرِ
[الطويل]

فأجابه الربيع فقال:

سـل الـنـاسَ إمَّـا كـنـت لا بـدَّ طـالـبـاً إلـيـهـم بـألَّا يـحـمـلـوك عـلـى الـقَـدْرِ
فـإنـك إن تُـحْـمَـلْ عـلـى الـقَـدْرِ لا تَـنَـلْ يـدَ الـدهـرِ مـن بَـرٍّ فـتـيـلاً ولا بَـحْـرِ
لـقـد كـنـتَ مـنـي فـي غـدِيـرٍ وروضـة وفـي عَـسـلٍ جَـمٍّ ومـا شـئـت مـن تَـمْـرِ
ومـا كـنـتُ مَـنَّـانـاً ولـكـنْ كـفـرتـنـي وأظـهـرت لـي ذَمّـاً فـأظـهـرتُ مـن عـذري
لـعـمـري لـقـد أُعـطـيـت مـا لـسـتَ أَهـلَـه ولا أهـلَ مـا يُـلْـقـى عـلـى ضَـفَّـة الـجِـسْـرِ
[الطويل]

فبلغت أبياتهما نُصيباً، فشمت بالربيع، وقال فيه هذه القصيدة:

رَضِـيـتـكـمـا حِـرْصـاً ومَـنْـعـاً ولـم يـكـن يَـهـيـجُـكـمـا إلا الـحـقـيـرُ مـن الأمـرِ
مـتـى يـجـتـمِـع يـومـاً حـريـصٌ ومـانـع فـلـيـس إلـى حـمـدٍ سـبـيـلٌ ولا أجْـرِ
أَحـارِ بـنَ كَـعـبٍ إن عـبـسـاً تـغـلـغـلـتْ إلـى الـسَّـيـر مـن نَـجـرانَ في طـلـب الـتَّـمـرِ
فـكـيـف تـرى عَـبـسـاً وعَـبـسٌ حـريـصـةٌ إذا طـمـعـتْ في الـتَّـمـر مـن ذلـك الـعُـبـرِ[1]
لـقـد كـنـتـمـا فـي الـتَّـمـر لـلَّـه أنـتـمـا شـبـيـهـيـن بـالـمُـلـقـى عـلـى ضَـفَّـة الـجـسـرِ
[الطويل]

النصيب يمدح الفضل بن يحيى:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: حدثت من غير وجه:

أن النصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلماً، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه، فهم ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز، ولم يكن امتدحه ولا أعد له شيئاً، فلما فرغوا وكان يُرَوِّي قولاً في نفسه استأذن في الإنشاد، ثم أنشد قصيدته التي أولها قوله:

طـرقَـتْـكَ مـيَّـةُ والـمـزارُ شَـطِـيـبُ[2] وتُـثـيـبـك الـهـجـرانَ وهـي قـريـبُ

(١) العُبر: الكثير من كل شيء.
(٢) الشطيب: البعيد، النائي.

لِلَّهِ مَيَّةُ خُلَّةً لو أنها ... تَجزي الوداد بودِّنا وتُثيبُ
وكأنَّ مَيَّةَ حين أتلع[١] جِيدُها ... رَشأٌ أغنُّ من الظباء رَبيبُ
نِصفانِ ما تحت المُؤَزَّرِ عاتِكٌ[٢] ... دِعْصٌ[٣] أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ
ما للمنازلِ لا تكاد تُجيبُ ... أنَّى يُجيبُكَ جَنْدَلٌ[٤] وَجَبُوبُ؟[٥]
جادَتْك من سَبَلِ الثُّريَّا دِيمةٌ[٦] ... ريَّا ومن نوءِ السِّماكِ ذَنوبُ
فلقد عهدتُ بك الحِلالَ بغِبطةٍ ... والدهرُ غضٌّ والجنابُ خَصيبُ
إذ للشباب عليَّ من وَرَق الصِّبا ... ظِلٌّ وإذ غُصْن الشبابِ رَطيبُ
طَرِبَ الفؤادُ ولاتَ حين تَطرُّب ... إن الموكَّل بالصِّبا لطروبُ
وتقول مَيَّةُ ما لمثلك والصِّبا ... واللون أسودُ حالكٌ غِربيبُ؟[٧]
شاب الغرابُ وما أَراك تَشيبُ ... وطِلابُك البيضَ الحسانَ عجيبُ
أعلاقَةٌ أسبابُهُنَّ وإنَّما ... أفنانُ رأسك فُلفُل وزَبيبُ
لا تهزئي مني فَرُبَّةَ عائب ... ما لا يَعيبُ الناسَ وهو مَعِيبُ
ولقد يُصاحبني الكرامُ وطالما ... يسمو إليَّ السيِّد المَحْجُوبُ
وأجرُّ من حُلَل الملوك طرائفاً ... منها عَليَّ عصائِبٌ وسبيبُ[٨]
وأسالب الحسناءَ فضْلَ إزارها ... فأَصورها[٩] وإزارُها مَسلوبُ
وأقول منقوح[١٠] الكلام كأنه ... بُرْد تناهبُهُ التّجارُ قَشيبُ[١١]

[الكامل]

يقول فيها في مدح الفضل:

والبرمكيُّ وإن تقارب سِنُّه ... أو باعدته السِّنُّ فهو نَجيبُ
خِرْق العطاءِ إذا استهلّ عطاؤه ... لا مُتْبِعٌ مَنّاً ولا مَحْسُوبُ

---

(١) أَتْلَع: ارتفع.
(٢) العاتك: الخالص والصافي من كل شيء.
(٣) الدِّعص: كثيب الرَّمل.
(٤) الجندل: الصخر العظيم.
(٥) الجَبوب: الأرض الغليظة.
(٦) الديمة: الغيمة المحمَّلة بالمطر.
(٧) الغِربيب: الحالِك.
(٨) السَّبيب: مفردها سُبيبة، وهي شقة الكتان الرقيقة.
(٩) أصورها: أميلها إلى نفسي.
(١٠) المنقوح: المهذَّب.
(١١) القشيب: هنا يعني الجديد.

يـا آل بـرمـك مـا رأيـنـا مـثـلـكـم ... مـا مـنـكـم إلا أغـرُّ وَهـوبُ
وإذا بَدا الـفـضـلُ بـن يـحـيـى هِـبـتَـه ... لـجـلالـه إن الـجـلـيـلَ مـهِـيـبُ
قـاد الـجـيـاد إلـى الـعِـدا وكـأنـهـا ... رَجْـلُ الـجـرادِ تَـسـوقـهـن جَـنـوبُ
قُـبّـاً تُـبـاري فـي الأعـنَّـة شُـزَّبـاً ... تَـدَعُ الـحُـزون كـأنـهـن سُـهـوبُ[1]
مـن كـلّ مـضـطـرب الـعـنـان كـأنـه ... ذئـب يـبـادره الـفـريـسـة ذيـبُ
تَـهْـوي بـكـلِّ مُـغـاوِرٍ عـاداتُـه ... صِـدْقُ الـلـقـاءِ فـمـا لـه تَـكـذيـبُ
حـتـى صَـبَـحْـنَ الـطـالِـبِـيَّ بـعـارِضٍ ... فـيـه الـمـنـايـا تـفـتـدي وتَـثُـوبُ
خـاف ابـنُ عـبـدِ الـلَّـه مـا خـوَّفـتـه ... فـجـفـاك ثـم أتـاك وهـو مُـنـيـبُ
ولـقـد رآك الـمـوتَ إلا أنـه ... بـالـظـنِّ يُـخـطـىءُ تـارةً ويُـصـيـبُ
فـرمـى إلـيـك بـنـفـسـه فـنـجَـا بـهـا ... أَجَـلٌ إلـيـه يـنـتـهـي مـكـتـوبُ
فـكـسـوتـه ثـوبَ الأمـانِ وإنـه ... لا حـبـلُـهـا واهٍ ولا مـقـضـوبُ[2]
شِـمـنـا إلـيـك مَـخِـيـلـة لا خُـلَّـبـاً ... فـي الـشَّـيْـم إذ بـعـض الـبُـروق خَـلـوبُ[3]
إنـا عـلـى ثـقـةٍ وظـنٍّ صـادقٍ ... مـمـا نُـؤَمِّـلـه فـلـيـس نَـخـيـبُ

[الكامل]

قال: فاستحسنها الفضل، وأمر له بثلاثين ألف درهم، فقبضها ووثب قائماً وهو يقول:

إني سأمتدح الفضلَ الذي حُنِيَتْ ... مِنا عليه قلوبُ البِرِّ والضِّلَعُ
جاد الربيع الذي كنا نُؤَمِّله ... فكلنا بربيع الفضل مُرْتَبِعُ
كانت تطول بنا في الأرض نُجْعَتُنا[4] ... فاليوم عند أبي العباس نَنتَجِعُ
إن ضاق مذهبُنا أو حَلَّ ساحَتنا ... ضَنْكٌ[5] وأَزْمٌ فعند الفضل مُتَّسَعُ
ما سلَّم اللَّهُ نفسَ الفَضلِ من تَلَفٍ ... فما أبالي أقامَ الناسُ أم رَجعوا
إن يَمنعوا ما حوت منا أُكُفَّهُمُ ... فلن يَضُرَّ أبا الحجناء ما مَنعوا

(١) السُهوب: المستوي من الأرض في سهولة.
(٢) مقضوب: مقطوع.
(٣) الخَلوب: المخادع.
(٤) النُّجعة: طلب الكلأ في موضعه، جمعها النُّجَع.
(٥) الضَّنْك: الضيِّق في كل شيء، للذكّر والأنثى.

أو حَلَّؤونا[١] وَذادوا عن حياضهمُ ... يوم الشُّرُوعِ ففي غُدْرانِك الشّرَعُ
يا مُمسكاً بِعُرا الدنيا إذا خُشِيَتْ ... منها الزلازلُ والأمرُ الذي يَقعُ
قد ضَرَّسَتك[٢] الليالي وهي خاليةٌ ... وأَحْكَمَتكَ السُّهى والأزلمُ الجَذَعُ
فغادرا منك حَرْباً عن معاسرةٍ ... سهلَ الجناب يسيراً حين يُتَّبعُ
لم يَفْتَلِتْك نقيراً عن مَخادعة ... دَهْيُ الرجالِ وللسُّؤّالِ تَنخدعُ
فأنت مضطلع بالملك تحمله ... كما أبوك بثقل الملك مضطلعُ

[البسيط]

النصيب يمدح زبيدة:

قال ابن أبي سعد:

لما حجت أم جعفر زبيدة لقيها النصيب فترجل عن فرسه وأنشأ يقول:

سيستبشر البيتُ الحرام وزمزمٌ ... بأُمِّ وليِّ العهد زينِ المواسمِ
ويعلَم من وافى المُحَصّبَ أنها ... ستحمل ثِقلَ الغُرْم عن كل غارمِ
بنو هاشم زينُ البريَّةِ كُلِّها ... وأمُّ وليّ العهدِ زينٌ لهاشمِ
سليلةُ أملاكٍ تفرّعت الذُّرى ... كرام لأبناء الملوك الأكارمِ
فوالَّهِ ما ندري أفضلُ حَدِيثها ... عليهم به تَسمو أم المُتقادمِ
يَظُنُّ الذي أعطَته منها رَغيبةً ... يَقُصُّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

[الطويل]

فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس، فأُعطِيَهُ بلا سرج، فتلقاها لما رحلت وقال:

لقد سادَتْ زبيدةُ كلَّ حَيٍّ ... ومَيْتٍ ما خلا الملكَ الهُماما
تُقىً وسماحةً وخُلُوصَ مَجْدٍ ... إذا الأنساب أَخْلَصتِ الكِراما
إذا نزلت منازِلَها قريشٌ ... نَزَلْتِ الأنفَ منها والسَّناما
بلغتِ من المفاخر كلَّ فخرٍ ... وجاوزتِ الكلامَ فلا كلاما
وأعطيت اللُّها لكنَّ طِرْفِي ... يُريد السَّرْجَ منكم واللجاما

[الوافر]

(١) حلَّؤونا: منعونا/ طردونا.
(٢) ضَرَّسَتْك: جرَّبَتْكَ وأَحْكَمَتْكَ.

فأمرت له بسرج ولجام.

الحجناء تنشد المهدي:

قال ابن أبي سعد:

خرج المهدي يتنزه بعيسى باذ، وقدم النصيب ومعه ابنته حجناء، فدخل على المهدي وهي معه، فأنشدته قولها فيه:

رُبَّ عـيـشٍ ولـذَّة ونـعـيـم ... وبـهـاءٍ بـمـشـرِقِ الـمـيـدانِ
بـسـط الـلَّـه فـيـه أبـهـى بـسـاطٍ ... مـن بَـهـارٍ وزاهـرِ الـحَـوْذانِ
ثـم مـن نـاضـر مـن الـعـشُـب الأخـ ... ـضـر يَـزْهـو شـقـائـقَ الـنُّـعـمـانِ
مـدَّه الـلَّـهُ بـالـتـحـاسـيـن حـتـى ... قَـصـرتْ دون طـولـه الـعـيـنـانِ
حُـفّـفـتْ حـافـتـاه حـيـث تـنـاهـى ... بـخِـيـامٍ فـي الـعـيـن كـالـظِّـلـمـانِ
زَيَّـنـوا وسْـطـهـا بـطـارِمَـةٍ[1] مـثـ ... ـل الـثـريـا يَـحـفُّـهـا الـنَّـسـرانِ
ثـم حـشـوُ الـخـيـامِ بـيـضٌ كـأمـثـا ... لِ الـمـهـا فـي صـرائِـم الـكُـثـبـانِ
يـتـجـاوَبْـن فـي غـنـاءٍ شـجـيٍّ: ... أَسْـعِـدانـي يـا نـخـلـتَـيْ حُـلـوان
وبـقـصـر الـسَّـلام مَـنْ سـلَّـم الـلَّـه وأبـقـى خـلـيـفـةَ الـرحـمـنِ
ولـديـه الـغـزلان بـل هُـنَّ أبـهـى ... عـنـده مـن شـوارِدِ الـغـزلانِ
يـا لـه مـنـظـراً ويـومَ سـرورٍ ... شـهـدت لـذَّتـيْـه كُـلُّ حَـصـانِ

[الخفيف]

فأمر لها المهدي بعشرة آلاف درهم وله بمثلها.

العباسة تعطي الحجناء:

قال: ثم دخلت الحجناء على العباسة، بنت المهدي، فأنشدتها تقول:

أتـيـنـاكِ يـا عـبَّـاسـةَ الـخَـيـر والـحـيـا ... وقـد عَـجِـفَـتْ أُدْمُ الـمـهـاري وكـلَّـتِ[2]
ومـا تـركـت مـنـا الـسـنـونَ بـقـيَّـةً ... سـوى رمَّـة مـنـا مـن الـجـهـد رَمَّـتِ[3]
فـقـال لـنـا مَـن يـنـصـح الـرَّأي نـفـسَـه ... وقـد ولَّـت الأمـوالُ عـنـا فـقَـلَّـتِ:

(١) الطَّارمة: البيت يصنع من خشب.
(٢) كلَّت: تَعِبَت.
(٣) رَمَّت: بَلِيَت.

عليكِ ابنةَ المهديّ عوذي ببابها فإن مَحلَّ الخير في حيثُ حلَّتِ
[الطويل]

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب فقالت:

أغنيتني يا ابنة المهدي أيَّ غِنىً بأعْجَرَيْن كثيرٍ فيهما الوَرِقُ
[البسيط]

أي أغنيتني على عقب ما أغناني أخوك بأعجرين بكيسين قال:

من ضَرْبِ تسْعٍ وتسعين مُحَكَّكة مثل المصابيحِ في الظلماء تأتلِقُ
أما الحسود فقد أمسى تغيُّظهُ غَمّاً وكاد بِرَجع الريق يختنقُ
وذو الصداقة مسرورٌ لنا فَرحٌ بادي البشارة ضاحٍ وجهُه شَرِقُ
[البسيط]

إسحاق بن الصباح الأشعثي يهب له مسرورة:

وقال ابن أبي سعد:

كان إسحاق بن الصباح الأشعثي صديقاً للنصيب، وقدم قدمة من الحجاز، فدخل على إسحاق وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرّاً وتمراً، فيحملونه على إبلهم ويمضون، فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها: مسرورة، فأردفها خلفه ومضى وهو يقول:

إذا احتقبوا بُرّاً فأنتِ حقيبتي من البَشريّات الثقالِ الحقائبِ
ظفرت بها من أشعثيٍّ مُهذَّبٍ أَغرَّ طويلِ الباع جمَّ المواهبِ
فِداً لك يا إسحاق كلُّ مُبخَّلٍ ضَجُورٍ إذا عضَّت شدادُ النوائبِ
إذا ما بخيل القوم غيّب ماله فمالُك عِدٌّ حاضرٌ غير غائبِ
إذا اكتسب القوم الثراء فإنما يرى الحَمدَ غُنماً من كريمِ المكاسبِ
[الطويل]

وقال فيه أيضاً:

فتىً من بني الصبَّاح يهتزُّ للندى كما اهتزَّ مسنونُ الفِرارِ عتيقُ
فتى لا يذمُّ الضيفُ والجارُ رِفدَه ولا يَجتويه صاحبٌ ورفيقُ
أغرُّ لأبناء السبيل مواردٌ إلى بيته تَهديهمُ وطريقُ
وإن عُدّ أنسابُ الملوك وجدْتَه إلى نسب يعلوهمُ ويَفوقُ

فـمـا فـي بـنـي الـصَّـبَّـاح أن بَـعُـدَ الـمـدى ... عـلـى الـنـاس إلَّا سـابـقٌ وعَـريـقُ
وإنـي لِـمَـنْ شـاحـنـتـمُ لـمَـشـاحِـنٌ ... وإنـي لـمَـنْ صـادقـتـمُ لـصـديـقُ
[الطويل]

خزيمة بن خازم يصله:

قال: وكان النصيب إذا قدم على المهدي استهداه القوَّاد منه، وسألوه أن يأمره بزيارتهم، فكان فيمن استزاره خُزيمة بن خازم، فوصله وحمله فقال فيه:

وجـدتُـك يـا خـزيـمـةُ أَرْيـحـيّـاً ... بـمـا تَـحْـوي وذا حَـسَـبٍ صَـمـيـمِ[1]
تـمـيـمٌ كـان خـيـرَ بـنـي مَـعَـدٍّ ... وأنـت الـيـومَ خـيـرُ بـنـي تَـمـيـمِ
سـوى رهْـط الـنـبـيِّ وهـم أديـمٌ ... وأنـت قُـدِدْتَ مـن ذاك الأديـمِ
[الوافر]

وقال فيه أيضاً:

يـا أفـضـلَ الـنـاس عُـوداً عـنـد مَـعْـجَـمِـهِ ... إذا تـفـاضـل يـومـاً مَـعْـجـمُ الـعُـودِ
إنـي لـواحـدُ شِـعْـرٍ قـد شُـهـرتُ بـه ... وذا خـزيـمـةُ أضـحـى واحـدَ الـجُـودِ
إن يُـعـطـك الـيـومَ مـعـروفـاً عـلـى ثِـقـةٍ ... فـأنـت فـي نـائـلٍ مـنـه ومـوعـودِ
وقـد رأيـنـا تَـمـيـمـاً غـيـر مُـكْـرَهـةٍ ... ألـقَـتْ إلـيـك جـمـيـعـاً بـالـمـقـالـيـدِ
فـأنـت أكـرمُـهـا نَـفـسـاً وأفـضـلُـهـا ... إن الـصـنـاديـدَ أبـنـاءُ الـصـنـاديـدِ
[البسيط]

شعره في جعد:

قال: وكان في غزاة سمالو مع المهدي، فوقف به فرسه، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبد اللَّه بن هشام بن عمرو، وبين يديه فرس يُجْنَب، فقال له: قد ترى قيامَ فرسي تحتي، فاردُدْ إليَّ جَنيبَك حتى يتروّح فرسي ساعة، فسكت ولم يجبه، فقال فيه:

أُنـادي بـأعـلـى الـصـوت جَـعْـداً وقـد يـرى ... مـكـانـي ولـكـن لا يُـجـيـبُ ويَـسـمَـعُ
ولـم يـرنـي أهـلاً لـحُـسـن إجـابـةٍ ... ولا سُـوئِـهـا إنـي إلـى الـلَّـه أَرْجـعُ
فـلـو أنـنـي جـازيـتُ جَـعـداً بـفـعـلِـه ... لـقـد لاح لـي فـيـه مـن الـشِّـعـرِ مـوضـعُ
ولـكـنـنـي جـافـيـتُ عـنـه لـغـيـرِه ... بـحُـسـن الـذي يـأتـي إلـيَّ ويَـصـنـعُ

(١) صميم: أصيل.

رأيتك لم تَحفظْ قرابَةَ بيْنِنا وما زالت القُرْبى لدى الناس تَنفَعُ
[الطويل]

مصطل بحريق وهو محترق:

قال: وسأل عبيد اللَّه بن يحيى بن سليمان مركباً، فأعطاه إياه وجعل معه شريكاً له فيه، فقال:

لقد مدحت عُبيداً إذ طمعتُ به وقد تملَّقْتُه[1] لو ينفعُ المَلقُ
فعاد يسأل ما أصبحتُ سائِلَه فكُلُّنا سائلٌ في الحِرْص مُتَّفِقُ
أحين سارَ مديحي فيكم طُرقاً وحيث غنَّتْ به الرُّكبان والرُّفَقُ
قطعتَ حبلَ رجاءٍ كنتُ آملُه فيما لديك فأضحى وهو مُنْحَذِقُ[2]
قد كان أوْرَق عُودي من أبيك فقد لَحَيْتَ[3] عودي فجفَّ العُود والوَرَقُ
من نازعَ الكلْبَ عَرْقاً[4] يرتجي شِبَعاً كَمُصْطَلٍ بحريقٍ وهو يحترِقُ
[البسيط]

ثلاثون ألف درهم لا تكفي:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال:

كتب إليَّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول: أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب:

عند الملوك مضرَّةٌ ومنافِعٌ وأرى البرامكَ لا تَضرُّ وتنفَعُ
إن العروق إذا استسرَّ بها الثَّرى أَشِرَ النباتُ بها وطاب المَزْرَعُ
فإذا نكرتَ من امرئ أعراقَه وقديمَه فانظر إلى ما يصنعُ
[الكامل]

قال: فأعجبه الشعر، فقال: يا أبا محمد، كأني واللَّه لم أسمع هذا القول إلا الساعةَ، وما له عندي إلا أني لم أكافئه عليه، قال: قلت: وكيف ذلك أصلحك اللَّه، وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم؟ فقال: لا واللَّه، ما ثلاثون ألف دينار بمكافأة له، فكيف ثلاثون ألف درهم؟

---

(١) تملَّق: تودَّد إلى أو تلطَّف إلى.
(٢) المُنْحَذِق: المنقطِع.
(٣) لَحَيْت: قَشَرْتَ.
(٤) العَرْق: العظم الذي جرِّد عنه اللَّحم.

أحسن معنى:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: أخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال:

كان أبي يستملح قول نُصيب وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيى، فلما دخل إليه قال له:

ما لقينا من جُود فضلِ بن يحيى ... تـرك الـنـاسَ كُـلَّـهـم شـعـراءَ

[الخفيف]

ويقول: ما في الدنيا أحسن من هذا المعنى، وعلى أنه قد أخذ منهم مالاً جليلاً، ولكن قلما سمعت بطبقته مِثلَه.

صـوت

طاف الخيال ولات حينَ تطرُّبِ ... إن زار طيفٌ مَوْهِناً من زَينبِ

طرقتْ فنفَّرَت الكرى عن نائم ... كانت وسادتُه ذِراعَ الأرْجَبي

فبكى الشبابَ وعهدَه وزمانَه ... بعد المشيب وما بكاءُ الأشيبِ؟

[الكامل]

عروضه من الكامل، الشعر لأبي شُراعة القيسي، والغناء لدعامة البصري، خفيف رمل بالبنصر، من كتاب الهشامي.

أخبار أبي شراعة ونسبه

اسمه ونسبه:

هو ـ فيما كتب به إلينا ابنه أبو الفيَّاض سَوَّارُ بنُ أبي شُرَاعة من أخباره ونسبه ـ أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة بن محمد بن عُمير بن أبي نُعين بن خالد بن عَبْدَة بن مالك بن مُرّة بن عبَّاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

شاعر بصري من شعراء الدولة العباسية، جيد الشعر جزله، ليس برقيق الطبع ولا سهل اللفظ، وهو كالبدويّ في مذهبه، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطب مع شعره، وكانت به لُوثة وهَوَج[1].

وأمه من بني تميم ثم من بني العنبر، وابنه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شراعة أحد الشعراء الرواة، قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة فكتب عنه أصحابنا قطعاً من الأخبار واللغة، وفاتني فلم أَلقه، وكتب إليَّ وإلى أبي رحمه اللَّه بإجازة أخباره على يد بعض إخواننا.

يرمي للسائل بنعله ويمشي حافياً:

فكانت أخبار أبيه من ذلك.

فمنها ما حكاه عنه أنه كان جواداً لا يُلِيق شيئاً، ولا يُسأل ما يَقدِر عليه إلا سمح به، وأنه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وانصرف حافياً، فعثر فدميت أصبعه، فقال في ذلك:

أَلا لا أُبالي في العلا ما أصابني ... وإن نَقِبَتْ[2] نعلاي أَو حَفيتْ رجلي

فلم ترَ عيني قطُّ أحسنَ منظراً ... من النَّكْبِ[3] يَدْمَى في المواساة والبذْلِ

(١) الهَوَج: الحمق.
(٢) نَقِبَت: تخرَّقَت.
(٣) النَّكب: الضَّرب والخَدش.

ولـسـت أبـالـي مَـنْ تـأوَّب مـنـزلـي إذا بـقـيـت عـنـدي الـسـراويـلُ أو نـعـلـي
[الطويل]

قال: وبلغه أن أخاه يقول: إن أخي مجنون قد أفقرنا ونفسه، فقال:

أُنَـبّـزُ مـجـنـونـاً إذا جُـدْتُ بـالـذي مَـلـكـتُ وإن دافـعـتُ عـنـه فـعـاقـلُ
فـداموا عـلـى الـزُّورِ الـذي قَـرَفـوا بـه[1] ودمـت عـلـى الإعـطـاء مـا جـاء سـائـلُ
أَبَـيْـتُ وتـأبـى لـي رجـال أعـزّة عـلـى الـمـجـد تَـنـمـيـهـم تـمـيـمٌ ووائـلُ
[الطويل]

قال: وقال أيضاً في ذلك:

لـئـن كـنـت فـي الـفـتـيـان آلَـوْتَ سَـيِّـداً كثير شحوب اللون مختلف العَصْبِ
فـمـا لـك مـن مـولاك إلا حِـفـاظُـهُ وما الـمـرء إلا بـالـلـسـان وبـالـقـلْـبِ
هـمـا الأصـغـران الـذائـدان عـن الـفـتـى مـكـارهَـهُ والـصّـاحـبـانِ عـلـى الـخَـطْـبِ
فـإلا أُطِـقْ سـعـيَ الـكـرام فـإنـنـي أفـكُّ عـن الـعـانـي وأصـبـر فـي الـحـرْبِ
[الطويل]

أَخْذُ المغنِّي من الشاعر يدل على ضعف الشاعر:

أخبرني عمّي قال: أخبرني ميمون بن هارون قال:

حدثني إبراهيم بن المدبر قال:

كان عندي أبو شراعة بالبصرة وأنا أتولاها، وكان عندي عُمير المغني المدني، وكان عمير من مرّة غطفان، وكان يغني صوتاً يجيده وأختاره عليه وهو:

أتـحـسـب ذات الـخـال راجـيـة ربَّـا وقـد صَـدَعـت[2] قـلـبـاً يُـجَـنُّ بـهـا حُـبَّـا
[الطويل]

فاقترحه أبو شراعة على عمير، فقال: أعطني دراهم حتى أقبل اقتراحك، فقال له أبو شراعة: أخذُ المغني من الشاعر يدل على ضعف الشاعر، ولكني أعرضك لأبي إسحاق، فغناه إياه ثلاث مرات، وقد شرب عليه ثلاثة أرطال وقال:

غـدوت إلـى الـمُـرِّيّ غَـدوةَ فـاتـكٍ مُـغَـنٍّ خـلـيـعٍ لـلـعـواذلِ والـعُـذْرِ
فـقـال: لـشـيءٍ مـا أرى قـلـت: حـاجـة مـغـلـغـلـة بـيـن الـمُـخَـنَّـقِ والـنَّـحْـرِ

(١) قرف: كذب.
(٢) صدعَتْ: شقَّت.

فلما لوَاني يَستثيب زجرتُه ... وقلت اغترِفْ إنَّا كلانا على البحرِ
ألَيس أبو إسحاق فيه غنىً لنا ... فيُجْدِي على قيس ويجدي على بَكْرِ
فغنَّى بذات الخال حتى استخفَّني ... وكاد أَديم الأرض من تحتنا يجري
[الطويل]

ابن المدبر يعطيه عشرة آلاف درهم:

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال:

كان أبو شراعة صديقاً لابن المدبر أيام تقلده البصرة، وكان لا يفارقه في سائر أحواله، ولا يمنعه حاجة يسأله إياها، ولا يشفع لأحد إلا شفعه، فلما عُزل إبراهيم بن المدبر شيَّعه الناس، وشيعه أبو شراعة، فجعل يرد الناس، حتى لم يبق غيره، فقال له: يا أبا شراعة، غاية كل مودع الفراق، فانصرِفْ راشداً مكلوءاً من غير قِلىً واللَّه، ولا ملل، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فعانقه أبو شراعة وبكى فأطال ثم أنشأ يقول:

يا أبا إسحاق سِرْ في دَعةٍ ... وامضِ مصحوباً فما منك خلَفْ
ليت شعري أيّ أرضٍ أجدبت ... فأُغيثت بك من جَهد العَجَفْ؟[1]
نزل الرَّحْمُ من اللَّه بهِم ... وحُرِمناك لذنب قد سَلَفْ
إنما أنت ربيع باكرٌ ... حيثما صرَّفه اللَّهُ انصرفْ
[الرمل]

مواليك أم موالي الهلال؟

وقال أبو الفياض سوار بن أبي شراعة: دخل أبي على إبراهيم بن المدبر وعنده مُنجِّم، فما رآه إبراهيم بن المدبر في رؤية الهلال لشهر رمضان، فحكم المنجم أنه مَرْئيٌّ وحلف إبراهيم بعتق غلمانه أنه لا يُرى، فَرُئي في تلك الليلة، فأعتق غلمانه، فلما أصبح دخل الناس يهنئونه بالشهر، فأنشده أبو شراعة يقول:

أيّها المكثر التَّجنّي على الما ... لِ إذا ما خلا من السُّؤَّالِ
أَفْتِنا في الذين أعتقت بالأمـ ... ـس مواليك أم موالي الهلالِ؟
لم يكن وَكدُك[2] الهلالَ ولكن ... تتألَّى لصالح الأعمالِ
إنما لذَّتاك في المال شَتَّى ... صَوْنُك العرضَ وابتذالُ المالِ

(١) العَجَف: ذهاب السِّمَن.
(٢) الوَكْد: المُرَاد والقصد والهدف.

مـا نُـبـالـي إذا بـقـيـت سـلـيـمـاً مـن تَـوَلَّـت بـه صـروفُ الـلـيـالـي
[الخفيف]

السِّدْري لا يدعوه:

قال أبو الفياض: وكان أبو شراعة صديق السِّدْري، فدعا يوماً إخوانه، وأغفل أبا شراعه، فمر به الرياشي فقال: يا أبا شراعة، ألست عند السِّدْري معنا؟ فقال: لم يَدْعُنا، ومرَّ به جماعة من إخوانه، فسألوه عن مثل ذلك، ومر به عيسى بن أبي حرب الصفار، وكان ممن دُعِيَ، فجلس وحلف ألا يبرح حتى يأتيه السِّدْري فيعتذر إليه ويدعوه، فقال أبو شراعة:

أيـرُ حـمـارٍ فـي حِـرِ أُمِّ شِـعـري وخُـصـيـتـاه فـي حِـرِ أُمِّ قَـدْري
إن أنـا لـم أشْـفـعْـهـمـا بِـوَفـرِ لـو كـنـتُ ذا وَفـرٍ دعـانـي الـسِّـدْري
أو كـان مـن هَـمِّ هـشـامٍ أَمـري أو راح إبـراهـيـمُ يُـطـري ذِكْـري
وابـنُ الـريـاشـيِّ الـضـعـيـفُ الأسْـرِ يـخـاف أن أُردِفَ ألا يـجـري
وأنـتَ يـا عـيـسـى سَـقـاك الـمُـسْـري نِـعْـم صـديـقُ عُـسْـرةٍ ويُـسْـرِ
[الرجز]

سقوط داره بالبصرة:

قال أبو الفياض: سقطت دارنا بالبصرة، فعوتب أبي على بنائها وقيل له: استعنْ بإخوانك إن عجزت، فقال في ذلك:

تـلـوم ابـنـة الـبـكـريِّ حـيـن أَؤُوبُـهـا هـزِيـلاً وبـعـض الآئِـبـيـن سَـمـيـنُ
وقـالـت: لـحـاك الـلَّـه تـسـتـحـسـن الـعَـرَا عـن الـدار إن الـنـائـبـات فـنـونُ
وحـولـك إخـوانٌ كـرام لـهـم غِـنـىً فـقـلـت: لإخـوانـي الـكـرام عـيـونُ
ذَريـنـي أمـتْ قـبـل احـتـلال مَـحـلَّـةٍ لـهـا فـي وُجـوه الـسـائـلـيـن غُـضـونُ
سـأفـدي بـمـالـي مـاءَ وجـهـيَ إنـنـي بـمـا فـيـه مـن مـاء الـحـيـاة ضَـنـيـنُ
[الطويل]

قال سوار بن أبي شراعة: كان إخوان أبي يجتمعون عند الحسين بن أيوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهر رمضان فيهم الرياشي والجمَّاز، فقال أبي في ذلك:

لـو كـنـت مـن شـيـعـة الـجَـمَّـاز أقـعـدنـي مَـقـاعـداً قُـربُـهُـنَّ الـرِّيـفُ والـشَّـرَفُ
لـكـنـنـي كـنـت لـلـعـبـاس مُـتَّـبِـعـاً ولـيـس فـي مَـرْكـب الـعـبـاس مُـرْتـدفُ

قد بقيتْ من ليالي الشهر واحدةٌ فعاوِدُوا مالِحَ البَقال وانصرفوا
[البسيط]

عروس وعزب:

قال: وتزوج نديمٌ لأبي شراعة يقال له: تُبّان امرأةً، فاتفق عرسه في ليلةٍ طلّق فيها أبو شراعة امرأته، فعوتب في ذلك وقيل له: بات تُبَّان عروساً وبِتَّ عزباً؟ فقال في ذلك:

رأتْ عِرس تبَّان فهبَّت تلومني رُويدَكِ لوْماً فالمُطلِّق أَحوطُ
رويدك حتى يرجع البرّ أهله ويُرحَمَ ربُّ العرْس من حيث يُغْبَطُ
إذا قال للطحَّان عند حِسابه أعِدْ نظراً إني أظنك تغلطُ
فما راعه إلَّا دعاءُ وليدةٍ هلمَّ إلى السَّوَّاق إن كنتَ تنشطُ
هنالك يدعو أُمَّه فيسبّها ويلتبِس الأجرَ العُقوقُ فيحبَطُ
فيا ذا العُلا إني لفضلك شاكر أَبيت وحيداً كلما شئت أَضرطُ
[الطويل]

شكراً لربي:

قال: ثم بلغه عن تبان هذا أنه عجز عن امرأته ولم يصل إليها، ولقي منها شرّاً، فقال في ذلك:

رمى الدهر في صحبي وفرَّق جُلَّاسي وباعدهم عني بظَعْنٍ وإعراسِ
فكلُّهمُ يبغي غلافاً لأَيره واقعدني عن ذاك فقري وإفلاسي
فشكراً لربي خان تبَّانَ أيرُه وأسعى بأيري في الظلام على الناسِ
[الطويل]

حبه لسوَّار:

وقال أبو الفياض سوار: نظر إليَّ أبي يوماً وقد سألت عمّي حاجةً فردّني، فبكى ثم قال:

حبّي لإغناء سَوَّارٍ يُجشّمني[1] خَوْضَ الدُّجى واعتسافَ المَهْمَهِ البيدِ
كي لا تهونَ على الأعمام حاجته ولا يُعلَّل عنها بالمواعيدِ

(١) يُجشِّمُني: يُحَمِّلُني ما لا أطيق.

ولا يُـوَلِّـيـهـم إن جـاء يـسـألـهـا أكـتـاف مـعـرضـة فـي الـعـيـش مـردودِ
إذا بـكـي قـال مـنـهـم ذو الـحِـفـاظ لـه لـقـد بُـلـيـت بـخُـلْـق غـيـر مـحـمـودِ
[البسيط]

صنعة النبيذ:

قال: وتمارى أبو شراعة ورجل من أهل بغداد في النبيذ، فجعل البغدادي يذم نبيذ التمر والدِّبس فقال أبو شراعة:

إذا انـتـخـبْـتَ حَـبَّـه ودِبْـسَـهُ ثـم أَجـدْتَ ضـربـه ومـرْسَـهُ
ثـم أطـلـتَ فـي الإنـاء حـبـسَـه شـربـتَ مـنـه الـبـابـلـيَّ نَـفـسَـهُ
[الرجز]

أبو مظلومة يُغنيه:

قال: وأعوزَ أبا شراعة يومئذٍ النبيذُ، فطلب من نديمين كانا له، فاعتلّ أحدهما بحلاوة نبيذه والآخر بحموضته، فاشترى من نبّاذ يقال له: أبو مظلومة دَسْتيجة بدرهمين، وكتب إليهما:

سَـيُـغْـنـي عـن حـلاوَة دبْـس يـحـيـى ويـغـنـي عـن حـمـوض أبـي أُمـيَّـهْ
أبـو مـظـلـومـةَ الـشـيـخُ الـمُـوَلّـى إذا اتَّـزَنـت يـداه درْهَـمَـيَّـهْ
[الوافر]

قبيح الوجه:

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد قال:

كان أبو شراعة قبيح الوجه جداً، فنظر يوماً في المرآة فأطال، ثم قال: الحمد للَّه الذي لا يُحمد على الشر غيره.

يطلق امرأته ليشرب النبيذ:

قال سوار بن أبي شراعة: حلف أبي ألا يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عنده، فهجره حولين، ثم حنث فشرب وطلق امرأته، وأنشأ يقول:

فـمـن يـك لـم يـسـمـع عـجـيـبـاً فـإنـنـي عـجـيـبُ الـحـديـث يـا أُمـيـمُ وصـادِقُـهْ
وقـد كـان لـي أُنـسـانِ يـا أُمَّ مـالـك وكـلٌّ إذا فَـتَّـشـتِـنِـي أنـا عـاشِـقُـهْ
عـزيـزةُ والـكـأسُ الـتـي مـن يُـحِـلُّـهـا تُـخـادعـه عـن عـقـلـه فـتـصـادِقُـهْ

تحاربتا عندي فعطَّلْت دَنَّها[1] وأكوابَها والدهرُ جمٌّ بوائِقهْ
وحرَّمْتُها حَوْلين ثم أزلَّني حديثُ الندامى والنَّشيد أُوافِقُهْ
فلما شربتُ الكأْسَ بانت بأختها فبان الغزالُ المُستحبُّ خلائقهْ
فما أطيبَ الكأسَ التي اعتضتُ منكمُ ولكنها ليست بريمٍ أُعانقهْ
[الطويل]

روحُ الأهواز ابنُ رجاء:

قال أبو الفياض: قال أبي: قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز، فصادفت ببابه دِعبل بن عليّ الخزاعي وجماعة من الشعراء، وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة، فكتب إليه:

ألمال والعقل شيء يستعان به على المُقام بأبواب السلاطينِ
وأنت تعلم أني منهما عُطُلٌ إذا تأمّلْتني يا ابن الدهاقينِ[2]
هل تعلم اليوم بالأهواز من رجلٍ سواك يصلح للدُّنيا وللدِّينِ؟
[البسيط]

قال: فوعدنا وعداً قَرَّبَه، ثم تدافع، فكتب إليه:

آذنت جُبَّتي بأمرٍ قبيحِ من فراقٍ للطَّيلسانِ الفسيحِ
فكأني بمن يزيد على الجبَّة في ظلِّ دارِ سهْل بن نوحِ
أنت روح الأهواز يا ابن رجاءٍ أيَّ شيءٍ يعيش إلا بِروحِ؟
[الخفيف]

فأذن لي وللجماعة وقضى حوائجنا.

ينحر ناقة فيكافأ:

قال أبو الفياض: وحدثني أبي قال: حججت فأتيت دار سعيد بن سلم فنحرت فيها ناقة وقلت:

وردت دار سعيد وهي خالية وكان أبيض مِطْعاماً ذُرا الإبلِ
فارتحتُ فيها أَصيلاً عند ذِكْرته وصُحبتي بمِنىً لاهون في شُغُلِ

(١) الدَنّ: القدح العظيم.
(٢) الدهاقين: مفردها الدهقان، وهو العظيم عند الفُرس.

فـابـتـعـت مـن إبـل الـجَـمَّـال دَوْسَـرةً[١] مـوسـومـة لـم تـكـن بـالـحِـقّـة[٢] الـعُـطُـلِ
نـحـرتـهـا عـن سـعـيـد ثـم قـلـت لـهـم: زوروا الـحَـطـيـم فـإنِّـي غـيـر مُـرتـحـلِ
[البسيط]

قال: وبلغت الأبياتُ وفِعْلي ولدَه، فأحسنوا المكافأة، وأجزلوا الصلة، قال: فقال له صديق له: وأنت أيضاً قد استجدت لهم النحيرة. فضحك ثم قال: أغرَّك وصفي، أُشهد اللَّه أني ما بلغت بها دار سعيد إلا بين عمودين.

أبو شراعة يعبث بأبي أمامة:

وقال أبو الفياض: كان أبو أمامة محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن سعيد بن سلم ـ وأمه سعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ـ صديقاً لأبي شراعة، وكانت أمه سعدى تَعوله، فكان أبو شراعة لا يزال يعبث به، وبلغه أن أبا أُمامة يقول: إنما معاش أبي شراعة من السلطان ورِفْدِه، ولولا ذاك لكان فقيراً، فقال فيه:

عَـيَّـرْتَـنـي نـائـلَ الـسـلـطـان أطـلـبـهُ يـا ضَـلَّ رأيـك بـيـن الـخُـرْق والـنَّـزقِ
لـولا امـتـنـانٌ مـن الـسـلـطـان تـجـهـلـه أصبحتُ بالسَّوْدِ في مُقْعَوعِسٍ[٣] خَلَقِ
[البسيط]

السَّوْد: موضع ينزله بأهله بالبادية:

رثُّ الـرِّدا بـيـن أهـدامٍ مُـرقـعـة يـبـيـت فـيـهـا بـلـيْـلِ الـجـائـع الـفَـرِقِ[٤]
لا شـيءَ أثـبـت بـالإنـسـان مـعـرفـةً مـن الـتـي حـزَمـتْ جـنـبـيـه بـالـخِـرقِ
وأيـن رزقـك إلا مـن يـديْ مـرَةٍ مـا بـتّ مـن مـالـهـا إلا عـلـى سـرَقِ؟
وأيـن دارك مـنـهـا وهـي مـؤمـنـة بـاللَّـه مـعـروفـة الإسـلام والـشّـفَـقِ؟
تـبـيـت والـهـرُّ مـمـدوداً، عُـيـونُـكـمـا إلـى تَـطـعُّـمِـهـا مُـخـضَـرَّة الـحَـدقِ
مـا بـيـن رزقـيـكـمـا إن قـاس ذو نَـظـرٍ فَـرْقٌ سـوى أنـه يـأتـيـك فـي طَـبَـقِ
شـارِكْـه فـي صـيـده لـلـفـأر تـأكـلـه كـمـا تُـشـاركـه فـي الـوَجْـهِ والـخُـلـقِ
[البسيط]

---

(١) الدَّوْسَرة: الشديدة الضخمة.
(٢) الحِقّة: الناقة التي تستحق الحمل عليها.
(٣) المقْعَوعِس: المُهَدَّم.
(٤) الفِرق: الخائف أو الجبان.

بُرمة الطفشيل:

قال أبو الفياض: وزاره أبو أمامة، فوجد عنده طَفشيلاً، فأكله كله، فقال أبو شراعة يمازحه:

عين جودي لبُرْمة الطّفشيلِ[١] واستهلّي فالصبرُ غير جميلِ
فجعتْني بها يدٌ لم تدع للذّرِّ في صَحن قدْرها من مَقيلِ
كان واللَّه لحمُها من فَصيلٍ راتع يرتعي كريمَ البقولِ
فخلطنا بلحْمِه عَدس الشّام إلى حِمّصٍ لنا مبْلولِ
فأتتنا كأنها روضةٌ بالـ ـحَزْن تدعو الجيرانَ للتطفيلِ
ثم أكفأت فوقها جَفنة الحيّ وعلّقت صحفتي في زبيلي[٢]
فمَنى اللَّهُ لي بفظٍّ غليظ ما أراه يُقِرُّ بالتنزيلِ
فانتحى دائباً يُدبِّل منها قلت إن الثريد للتدبيلِ[٣]
فتغنَّى ليوضح العذر عندي حَيِّ أمَّ العلاء قبل الرحيلِ

[الخفيف]

كتابه إلى سعيد بن موسى:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال:

حدثني سوار بن أبي شراعة قال: كتب أبي إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن سلم بن قتيبة يستهديه نبيذاً، فكتب إليه سعيد: إذا سألتني جعلني اللَّه فداءك حاجة فأشْطِطْ[٤]، واحتكم فيها حكم الصبي على أهله، فإن ذلك يسرني وأسارع إلى إجابتك فيه. وأمر له بما التمس من النبيذ، فمزجه صاحبُ شرابه وبعث به إليه، فكتب إليه أبو شراعة: أستنسئ اللَّه أجلك، وأستعيذه من الآفات لك، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك، أنه لذلك ولي، وبه مَليّ. أتاني غلامك المليح قَدُّه، السعيد بملكك جَدُّه، بكتاب قرأته، غير مستكره اللفظ، ولا مُزْوَرٍّ عن القصد، ينطق بحكمتك، ويُبين عن فضلك، فواللَّه ما أوضح لي منك خفيّاً، ولا زادني بك علماً،

(١) الطفشيل: ويقال الطفيْشِل كسُمَيْدِع وهو ضرب من المرق.
(٢) الزبيل: القفَّة.
(٣) التدبيل: التكبير.
(٤) أشطِط: جاوِز الحدَّ والقَدْر.

وإذا أنت تسأل فيه أن تهب وتحب أن تُحمد، ولا غرو أن تفعل ذلك ومن كثب أخذته، لا عن كلالةٍ وغير كلالة ورثته، موسى أبوك، وسعيد جدك، وعمرو عمك، ولك دار الصلة ودار الضيافة، وصاحب البغلة الشهباء، وحصين بن الحمام، وعروة بن الورد، ففي أي غَلوات[١] المجد يطمع قرينك أن يستولي على المدى، والأمدُ دونك، وكتابك إليّ أن أتحكّم عليك تحكُّم الصبي على أهله، فلشدّ ما جررت إلي معروفك، ودللت علي الأنس بك، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب العتيق، والمنظر الأنيق، الذي يسر القلب، ويلائم الروح، ويطرد الهَمّ:

يدبّ خلال شُؤون الفتى ... دَبيب دَبَا النملة المُنتعِشْ
إذا فتحت فغَمتْ ريحُها ... وإن سيلَ خمّارها قال خُشْ

[المتقارب]

ـ خُشْ كلمة فارسية، تفسيرها طيب ـ فإن كنت رعيت لها عهداً، وحفظت لها عندك يداً، فانظر ربّ الحانوت، فامطلْه[٢] دَينه، واقطع بينك وبينه، فقد أساء صحبتها، وأفسد بالماء جُثتها، وسلّط عليها عدوَّها، واعلم بأن أباك المتمثَّل بقوله:

يرى درجات المجد لا يستطيعها ... فيقعد وسط القوم لا يتكلمُ

[الطويل]

وقد بسطت قدرتك لسانك، وأكثرت لك الحمد، فدونك نُهزة[٣] البديهة منه:

وبادِرْ بمعروف إذا كنت قادراً ... زوال افتقار أو غنى عنك يعقبُ

[الطويل]

وقد بعثت إليك مع الرسول بقرّانة[٤] وأنشأت في إثرها أقول:

إليك ابن موسى الجود أعملت ناقتي ... مجللة يضفو عليها جِلالُها
كتومُ الوَجَى لا تشتكي ألم السُّرى ... سواءٌ عليها موتُها واعتلالُنها
إذا شربت أبصرت ما جوْف بطنها ... وإن ظمئت لم يبدُ منها هُزالُها
وإن حملت حملاً تكلّفت حملها ... وإن حُطّ عنها لم أُبَلْ كيف حالُها
بعثنا بها تسمو العيون وراءها ... إليك وما يُخشى عليها كَلالُها

(١) غلوات: مفردها غلوَة، وهي مسافة رمية السَّهم.
(٢) أمطِله: أمهِله في سداد دينه.
(٣) النُّهزة: الفرصة تُنْتَهز.
(٤) القرَّانة: القارورة.

وغنَّى مغنينا بصوتٍ فشاقني ... متى راجعٌ من أم عمروٍ خيالُها
أُحِبّ لكم قيسَ بن عيلان كلّها ... ويعجبني فرسانُها ورجالُها
وما ليَ لا أهوى بقاءَ قبيلةٍ ... أبوك لها بدْرٌ وأنت هلالُها؟

[الطويل]

قال: فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ واستملحه في شعره، وبصاحب شرابه، وكل ما كان في خزانته من الشراب وبثلاثمائة دينار.

مليحة:

أخبرني الأخفش عن المبرد وسوار بن أبي شراعة جميعاً:

أن أبا الفياض سوار بن أبي شراعة كان يهوى قينة بالبصرة يقال لها: مليحة، فدعيت ذات يوم إلى مجلس لم يكن حاضره، وحضر أبو عليّ البصيرُ ذلك المجلس، فجمَّشها بعضُ من حضر، فلم تلتفت إليه، وعرف أبو علي ذلك فكتب إلى أبي الفياض:

لك عندي بشارةٌ فاستمعْها ... وأجبني عنها أبا الفيَّاضِ
كنتُ في مجلسٍ مليحةُ فيه ... وهي سُقم الصِّحاح بُرْءُ المراضِ
وقديماً عهدتُني لستُ في حـ ... ـقّك والذَّبِّ عنك ذا إغماضِ
فتغفَّلتها تغفُّل خصمٍ ... وتأمَّلتها تأمُّل قاضي
ورمتها العيون من كلِّ أُفقٍ ... وتَشاكَوْا بالوَحْي والإيماضِ[1]
من كهول وسادةٍ سُمحاءٍ ... باللُّها[2] باخلين بالأعراضِ
وصِفاتُ القِيانِ أوَّلها الغَـ ... ـرُ عليه في وصْلهنّ التراضي
فتشوَّفْت ذاك منها وأعددْ ... تُ نَكيري وسَوْرتي وامتعاضي[3]
فحمَتْ جانب المزاحِ وعمَّتـ ... ـهم جميعاً بالصدِّ والإعراضِ
وكفاني وفاؤُها لك حتى ... آذنَ الليلُ جمعَهم بارفضاض[4]

[الخفيف]

---

(١) الإيماض: مسارقة النَّظر.
(٢) اللُّها: العطايا والهِبات.
(٣) الامتعاض: الغضب.
(٤) الإرفضاض: التَّفَرُّق.

فأجابه أبو الفياض:

لـيـت شـعـري مـاذا دعـاك إلـى أن ... هِـجْـتَ شـوقـي وزدت فـي إمـراضـي؟
ذكَّـرْتـنـي بـشـراكَ داءً قـديـمـاً ... مـن سـقـامٍ عـلـيَّ لا شـك قـاضـي
إن تـكـن أحـسـنـتْ مـلـيـحـةُ فـي وصـ ... ـلـي وعـاصَـتْ رِيـاضـةَ الـرُّوَّاضِ
وأقـامـت عـلـى الـوفـاء ولـم تـر ... عَ لـوَحْـيٍ مـنـهـم ولا إيـمـاضِ
فـعـلـى صِـحَّـةِ الـوفـاءِ تَـعـاقَـدْ ... نـا وصَـوْنِ الـنـفـوس والأعـراضِ
وعـلـيـنـا مـن الـعـفـاف ثـيـاب ... هـنَّ أبـهـى مـن حـالـيـاتِ الـرِّيـاضِ
لـيس حـظـي مـنـهـا سـوى الـنـظرِ الـخـتْـ ... ـل وإنـي بـه لـجـذلانُ راضـي
لـحـظـاتٌ يـقـعـن فـي سـاحـة الـقـلـ ... ـب وقـوعَ الـسـهـام فـي الأغـراضِ
وابـتـسـام كـالـبـرقِ أو هـو أخـفـى ... بـيـنَ سِـتْـرَيْ تَـحـرُّزٍ وانـقـبـاضِ
لا أخـاف انـتـقـاضـهـا آخـرَ الـدهـ ... ـر بـغـدر ولا تـخـافُ انـتـقـاضـي
فَـأبِـنْ لـي ألـسـتَ تـحـمـد ذا الـودِّ ... وقـاك الـرِّدى أبـو الـفـيَّـاضِ

[الخفيف]

يهجو بني سدوس:

قال أبو الفياض: اتصل بأبي شراعة أن أبا ناظرة السدوسي يغتابه، وكان مع آل سفيان بن ثور، فقال يهجوهم:

لـعـن الإلـهُ بـنـي سـدوس كُـلَّـهـم ... ورمـى بـمَـنـجـوفٍ وربَّـة قَـافِ
قـد سبَّـنـي عُـضْـرُوطُـهـم[1] فـسـبـبـتـهـم ... ذنـبُ الـدّنـيء يُـنـاط بـالأشـرافِ

[الكامل]

لا يخرج من شتيمة إلى وليمة:

قال أبو الفياض: وكان بين بعض بني عمنا وبين أبي شراعة وحشة، ثم صالحوه ودعوه إلى طعامهم، فأبى وقال: أمثلي يخرج من صُرْم إلى طُعم، ومن شتيمة إلى وليمة؟ وما لي ولكم مثل إلا قول المتلمس:

فـإن تُـقـبـلـوا بـالـودّ نـقـبـلْ بـمـثـلـه ... وإلَّا فـإنَّـا نـحـن آبَـى[2] وأشْـمَـسُ[3]

[الطويل]

(١) العضروط: اللئيم.
(٢) الأبي: الرافض.
(٣) الأشمس: الممتنع.

وقال فيهم:

بـنـي سـوَّارَ إن رَثَّـتْ ثـيـابـي ... وكـلَّ عـن الـعـشـيـرة فَـضْـلُ مـالـي
فـمـطَّـرح ومـتـروك كـلامـي ... وتـجـفـونـي الأقـارب والـمـوالـي
ألـم أك مـن سـراة بـنـي نُـعَـيـم ... أَحـلُّ الـبـيـت ذا الـعَـمـد الـطـوالِ
وحـولـي كـلُّ أصـيـدَ تَـغـلـبـيٍّ ... أَبِـيِّ الـضـيـم مُـشـتـرَكِ الـنَّـوالِ
إذا حـضـر الـغـداءُ فـغـيـر مُـغْـنٍ ... ويـغـنـي حـيـن مُـشـتَـجَـرِ الـعـوالـي
وأبـقـونـي فـلـسـتُ بـمُـسـتـكـيـنٍ ... لـصـاحـب ثـروةٍ أخـرى الـلـيـالـي
ولا بـمُـمَـسِّـحِ الـمـثـريـنَ كـيـمـا ... أُمَـسِّـح مـن طـعـامـهـمُ سِـبـالـي[1]
أنـا ابـنُ الـعـنـبـريَّـة أَزَّرتـنـي[2] ... إزار الـمـكـرمـات إزارَ خَـالـي
فـإن يـكـن الـغِـنـى مَـجْـداً فـإنـي ... سـأدعـو الـلَّـه بـالـرزق الـحَـلالِ

[الوافر]

صـوت

إذا أبـصـرتْـكِ الـعـيـنُ مـن بُـعـدِ غـايـةٍ ... وأوقـعـتُ شـكّـاً فـيـك أثْـبَـتـكِ الـقَـلـبُ
ولـو أنَّ ركْـبـاً يَـمَّـمَـوكِ لـقـادَهُـمْ ... نَـسـيـمـكِ حـتـى يـسـتـدِلَّ بـك الـرَّكْـبُ

[الطويل]

الشعر لعبد اللَّه بن محمد بن عتَّاب بن إسحاق البواب، والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري، رمل مطلق في مجرى البنصر من رواية الهشامي.

(١) السِّبال: مفردها السَّبلة وهي الدائرة في وسط الشَّفة العليا.
(٢) أزَّرتني: ألبستني الإزار.

أخبار ابن البواب ونسبه

اسمه ونسبه:

هو عبد اللَّه بن محمد بن عتَّاب بن إسحاق، من أهل بُخَارى، وُجِّه بجَدّه ومعه جماعة رهينةً إلى الحجاج بن يوسف، فنزلوا عنده بواسط، فأقطعهم سِكَّة بها، فاختطّوها ونزلوها طول أيام بني أمية، ثم انقطعوا في الدولة العباسية إلى الربيع فخدموه.

هذا يخفى تحت ذاك:

وكان عبد اللَّه بن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء، وكان أبوه محمد بن عتَّاب يخلف الربيع في أيام أبي جعفر، وكان معه، فرآه أبو جعفر مع أبيه، فسأله عنه، فأخبره، فكساه قَباء خزّ وكساه تحته قباء كتان مرقوع القبّ، وقال له: هذا يخفى تحت ذاك.

ذكر لي ذلك أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد اللَّه بن محمد البواب عن أبيه.

راوية لأخبار الخلفاء:

وكان عبد اللَّه صالح الشعر قليله، وراوية لأخبار الخلفاء، عالماً بأمورهم، روى عنه أبو زيد عمر بن شبّة ونظراؤه، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته.

المأمون وشعر ابن البواب:

قال أحمد بن القاسم اليوسفي:

حدثني عبد اللَّه بن محمد البواب قال: حدثني أبي قال: حجبت موسى وهارون خليفةً للفضل بن الربيع.

وخدم محمداً الأمين فأغناه وأعطاه ومدحه، ونال من المأمون وعرَّض به.

فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال: حدثني عبد اللَّه بن أحمد الباهلي قال: حدثني الحسين بن الضحاك قال: لما أُتي المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه:

صـــوت

أيـبـخـل فَـرْدُ الـحُـسـنِ فـردُ صـفـاتـه ... عَـلـيّ وقـد أَفـردْتُـه بِـهَـوًى فَـرْدِ؟
رأى الـلَّـهُ عـبـدَ الـلَّـه خـيـرَ عِـبـاده ... فـمـلَّـكـه والـلَّـهُ أعـلـم بـالـعَـبْـدِ
إلا إنـمـا الـمـأمـونُ لـلـنـاس عِـصْـمـةٌ ... مُـمـيـزةٌ بـيـن الـضـلالـة والـرُّشـدِ

[الطويل]

لعلُّويه في هذه الأبيات رمل بالوسطى.

قال: فقال المأمون: أليس هو القائل:

أَعـيـنـيّ جُـودا وابـكـيـا لـي مُـحـمّـدَا ... ولا تَـذْخـرا دمـعـاً عـلـيـه وأَسـعِـدا
فـلا فَـرِح الـمـأمـونُ بـالـمُـلْـك بـعـده ... ولا زال فـي الـدنـيـا طـريـداً مُـشـرّدا

[الطويل]

هيهات، وواحدة بواحدة. ولم يصله بشيء.

هكذا روي عن الحُسين بن الضحاك.

وقد رُوي أن هذين الشعرين جميعاً للحسين، وأن قول المأمون هذا بعينه فيه.

يؤلف شعراً رديئاً وينسبه إلى إسحاق:

وقال أحمد بن القاسم: حدثني جزء بن قطن. وأخبرني، بهذا الخبر، الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قالا جميعاً:

وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شيء، فقال ابن البواب شعراً ذميماً رديئاً، ونسبه إلى إسحاق [وأشاعه]، ليعيَّر به وهو:

إنـمـا أنـتِ يـا عـنـان سـراجٌ ... زَيـتُـه الـظَّـرف والـفَـتـيـلـةُ عَـقْـلُ
قـاده لـلـشـقـاء مـنـي فـؤادي ... رِجْـلُ حُـبٍّ لـكـمْ ولـلـحُـبِّ رِجْـلُ
هَـضَـمَ الـيـومَ حُـبُّـكـم كـلَّ حـبّ ... فـي فـؤادي فـصـار حُـبّـك فُـجـلُ
أنـت رَيْـحـانـةٌ وراحٌ ولـكـنْ ... كـلُّ أُنـثـىَ سـواك خَـلٌّ وبـقْـلُ

[الخفيف]

وقال حماد في خبره: وبلغ ذلك أَبي فقال له:

ألـشِّـعـر قـد أعـيـا عـلـيـك فَـخَـلِّـهِ ... وخُـذِ الـعـصـا واقـعُـدْ عـلـى الأبـوابِ

[الكامل]

فجاء ابن البواب إلى إبراهيم جدي فشكا أَبي إليه، فقال له: ما لك وله يا بني؟

فقال له أبي: إنه تعرّض لي فأجبته، وإن كفّ لم أَرجع إلى مساءته، فتتاركا.

في منزل أبي عمير:

قال أَحمد بن القاسم: أَخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال: أَخبرني إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال:

كان بالكرخ نخاس يكنى أبا عُمير، وكان له جَوارٍ قيانٌ، لهن ظرْف وأَدب، وكان عبد اللَّه بن محمد البواب يألف جارية منهن، يقال لها: عَبَّادة، ويكثر غشيان منزل أَبي عُمير من أَجلها، فضاق ضيقة شديدة، فانقطع عن ذلك، وكره أن يُقصِّر عما كان يستعمله من برِّهم فتعلم بضيقته، ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها، وصعب عليه الصبر عنها، فأتاه فأصاب في منزله جماعة ممن كان يألف جواريه، فرحب به أبو عمير والجارية والقوم جميعاً، واستبطؤوا زيارته، وعاتبوه على تأخره عنهم، فجعل يُجمجم في عذره ولا يصرّح، فأقام عندهم، فلما أخذ فيه النبيذ أنشأ يقول:

لـو تـشـكَّـى أَبـو عـمـيـرٍ قـلـيـلاً ... لأتـيـنـاه مـن طـريـق الـعِـيـادَهْ
فـقـضـيـنـا مـن الـعـيـادة حـقّـاً ... ونـظـرنـا فـي مُـقْـلَـتَـيْ عَـبَّـادَهْ

[الخفيف]

فقال له أَبو عمير: ما لي ولك يا أَخي؟ انظر في مقلتي عبادة متى شئت غير ممنوع، ودعني أَنا في عافية، لا تتمنّ لي المرض فتعودني.

ليلة حمراء:

وقال أحمد بن القاسم:

كان عبد اللَّه بن إسماعيل بن علي بن رَيْطة يألف ابن البواب ويعاشره، فشرب عنده يوماً حتى سكر ونام، فلما أَفاق في السحر أَراد الانصراف، فحلف عليه واحتبسه، وكان عبد اللَّه يهوى جارية له من جواري عمرو بن بانة، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه، وسأله إحضار الجارية فأحضرها، وانتبه عبد اللَّه بن إسماعيل من نومه وهو يتململ خُمارا، فلما رآها نشط وجلس فشرب وتمموا يومهم، فقال عبد اللَّه بن محمد بن البواب في ذلك:

وكـريـمِ الـمـجـد مـحْـضٍ أَبـوه ... فـهُـو الـصَّـفـوُ الـلُّـبـابُ الـنُّـضـارُ
هـاشـمـيٌّ لِـقُـرومٍ إذا مـا ... أَظـلـمـتْ أَوْجـهُ قـومٍ أَنـاروا
رَمـت الـقـهـوةُ بـالـنـومِ وهْـنـاً ... عَـيْـنـه فـالـجَـفـنُ فـيـه انـكـسـارُ

فهْو من طرفٍ يُفدِّيك طَوْراً ... ويُعاطيك اللواتي أَداروا
ساعة ثم انثنى حين دَبَّتْ ... ومشت فيه السُّلاف العُقارُ
وأَبت عيني اغتماضاً فلمَّا ... حان من أُخرى النجومِ انحدارُ
قلتُ عبد اللَّه حاذرْتَ أمراً ... ليس يُغني خائفيه الحِذارُ
فاستوى كالهُندوانيّ لما ... أَن رأى أَن ليس يغني الفرارُ
قلت خذها مثل مصباح ليْلٍ ... طُيِّرتْ في حافتيه الشَّرارُ
أَقبلَتْ قَطْراً نِطافاً ولما ... يُتعِب العاصِرَ منها اعتصارُ
هي كالياقوت حمراء شُبّتْ ... وعلى الحمرةِ منها اصفرارُ
كالدنانير جَرى في ذُراها ... فِضةٌ فالحسن منها قُصارُ
تُنطِق الخُرْسَ وبالصمت ترمي ... مَعشراً نُطْقاً إذا ما أَحاروا

[المديد]

يمدح المأمون فيعفو عنه:

قال أحمد: وحدثني يعقوب بن العباس الهاشمي أبو إسماعيل النقيب قال:

لما طال سخط المأمون على ابن البواب قال قصيدة يمدحه بها، ودس من غنى المأمون في بعضها لما وجد منه نشاطاً، فسأل عن قائلها، فأُخبر به، فرضي عنه ورده إلى رسمه من الخدمة.

وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة وهي قوله:

هل للمُحبِّ معينُ ... إذ شطَّ[1] عنه القَرينُ؟
فليس يبكي لشجْوِ الـ ... ـحزين إلا الحزينُ
يا ظاعناً غاب عنا ... غداةَ بان القَطينُ
أَبكي العُيونَ وكانت ... به تَقَرُّ العُيونُ
يا أيها المأمون الـ ... ـمبارك المَيمونُ
لقد صفَتْ بك دُنيا ... للمسلمين ودِينُ
عليك نورُ جلالٍ ... ونورُ مُلكٍ مُبينُ
ألقول منك فِعالٌ ... والظنُّ منك يقينُ

(١) شطّ: بَعُد.

مـــا مـــن يَـــديْـــك شِـــمـــالٌ كـــلـــتـــا يـــديـــك يَـــمـــيـــنُ
كـــأنـــمـــا أنـــت فـــي الـــجُـــو د والـــتُّـــقـــى هـــارون
مَـــنْ نـــال مِـــن كـــلِّ فـــضْـــلٍ مـــا نـــالـــه الـــمـــأمـــونُ
تـــألَّـــف الـــنـــاسَ مـــنـــه فـــضـــلٌ وجـــودٌ ولـــيـــنُ
كـــالـــبَـــدْر يـــبـــدو عـــلـــيـــه سَـــكِـــيـــنـــةٌ وســـكـــونُ
فـــالـــرِّزق مـــن راحـــتـــيـــه مُـــقـــسَّـــم مـــضـــمـــونُ
وكـــلّ خَـــصْـــلـــةِ فـــضْـــلٍ كـــانـــت، فـــمـــنـــه تـــكـــونُ

[المجتث]

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفاً أربعة أبيات، أنشدنيها الأخفش وهي قوله:

أفِقْ أيـها الـقـلـب الـمُـعـذَّبُ كـم تَـصْـبـو فلا النأيُ عن سَلماك يُسْلي ولا القُرْبُ
أقول ـ غداة استخبرتْ: مـمَّ عِـلَّـتي؟ ـ مـن الـحـبّ كَـرْبٌ لـيس يُـشـبـهـه كَـرْبُ
إذا أبـصـرتْـكِ الـعَـيـن مـن بُـعْـدِ غـايـةٍ فـأدخـلـتُ شـكّـاً فـيـك أَثـبـتَـكِ الـقـلـبُ
ولـو أنَّ ركـبـاً يـمَّـمـوكِ لـقـادهـم نـسـيـمُـكِ حـتـى يـسـتـدلَّ بـك الـركـبُ

[الطويل]

قال الأخفش: مثل هذا البيت الأخير قول الشاعر:

واسـتـودَعَـتْ نَـشْـرَهـا الـدِّيـارَ فـمـا تـزداد طِـيـبـاً إلا عـلـى الـقِـدَم

[المنسرح]

يشد في ساقيه خرزاً:

أخبرني الحُسين بن يحيى:

عن حماد بن إسحاق قال: رأيت محمد بن عبد اللَّه البواب وقد جاء إلى أبي مسلماً فاحتبسه، ورأيته وهو شيخ كبير، وكان ضخماً طويلاً، عظيم الساقين كأنهما دَنَّان، وكان يشدّ في ساقيه خرزاً أسود لئلا تصيبهما العين.

أبو دلف يعطيه ثلاثين ألف درهم:

وقال محمد بن القاسم:

أمْلَق عبد اللَّه بن محمد البواب حين جفاه الخليفة، وعَلتْ سنه عن الخدمة، فرحل إلى أبي دلف القاسم بن عيسى، ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألف درهم، وعاد بها إلى بغداد، فما نفدت حتى مات، وهي قوله:

طرقتك صائدةُ القلوبِ ربَابُ ... ونأت فليس لها إليك مآبُ
وتصرَّمت منها العهود وغُلِّقت ... من دون نَيْلِ طِلابها الأبوابُ
فَلأَصْدِفَنَّ عن الهوى وطِلابه ... فالحبُّ فيه بليَّةٌ وعذابُ
وأخصُّ بالمدح المهذّب سَيِّداً ... نفحاتُه للمُجتدين رِغابُ
وإلى أبي دُلَفٍ رَحلْتُ مَطِيَّتي ... قد شَفَّها الإرقالُ[1] والإتعابُ
تَعلو بنا قُلل الجبالِ ودونها ... مما هَوَتْ أَهْوِيَّةٌ وشِعابُ
فإذا حللت لدى الأمير بأرضه ... نِلت المُنى وتقضَّت الآرابُ[2]
مَلِكٌ تأثَّلَ عن أبيه وجَدِّه ... مَجْداً يُقَصِّر دونه الطُّلَّابُ
وإذا وَزْنتَ قديمَ ذي حَسبٍ به ... خَضعَتْ لفضلِ قديمه الأحسابُ
قومٌ عَلَوْا أملاك كُلِّ قَبيلةٍ ... فالناسُ كلُّهمُ له أذنابُ
ضرَبتْ عليه المَكرُماتُ قِبابَها ... فَعلا العَمودُ وطالَت الأطنابُ
عقِمَ النساءُ بمثله وتعطَّلت ... من أنْ تُضَمَّن مثلَه الأصلابُ

[الكامل]

صوت

صغيرُ هواكَ عذَّبني ... فكيف به إذا احْتُنِكا[3]؟
وأنتَ جمعت من قَلْبي ... هَوىً قد كان مُشتركا
وحَبْسُ هواكَ يقتلني ... وقتلي لا يحلّ لكا
أما تَرثي لمكتئبٍ ... إذا ضَحِك الخَلِيُّ بَكى؟

[مجزوء الوافر]

الشعر لمحمد بن عبد الملك الزيات، والغناء لأبي حشيشة رمل بالوسطى عن الهشامي.

(١) الإرقال: الإسراع.
(٢) الآراب: المقاصد والأهداف.
(٣) احتُنك: صار محنّكاً وحكيماً من تقلبات الأمور.

أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة الزيات، وأصله من جَبُّل، ويكنى أبا جعفر، وكان أبوه تاجراً من تجار الكرخ المياسير، فكان يحثه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابة وطلبها، وقصد المعالي حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات، وهو أول من تولّى ذلك وتمّ له.

يمتنع من التجارة ويلزم الأدب:

أخبرني الأخفش علي بن سليمان قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال:

كان جدي موسراً من تجار الكرخ، وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة ويتشاغل بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه، ويخاطب الكُتَّاب، ويلازم الدواوين، فقال له ذات يوم: واللَّه ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك وليضرّنّك، لأنك تَدع عاجل المنفعة، وما أنت فيه مَكفِيّ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه. فقال: واللَّه لتعلمنّ أيّنا ينتفع بما هو فيه أنا أم أنت، ثم شخص إلى الحسن بن سهل بفم الصِّلْح، فامتدحه بقصيدته التي أولها:

كـأنـهـا حـيـن تـنـاءَى خـطْـوُهـا أخنسُ[1] مَوْشِيُّ[2] الشَّوى[3] يَرْعى القُلُلْ[4]

[الرجز]

فأعطاه عشرة آلاف درهم، فعاد بها إلى أبيه، فقال له أبوه: لا ألومك بعد هذا على ما أنت فيه.

لا يقاس به أحد من الكتاب:

أخبرني جحظة والصولي قالا: حدثنا ميمون بن هارون قال:

---

(١) الأخنس: الأسد أو الظّبي لأن أنفه أخنس، وهو المراد هنا.

(٢) الموشي: المخطَّط، المُزيّن. (٣) الشوى: اليدان والرجلان.

(٤) القُلَل: مفردها القُلَّة، السّنام والجبل وأعلى كل شيء.

لما مدح محمدُ بن عبد الملك الحسنَ بن سهل ووصله بعشرة آلاف درهم مثل بين يديه وقال له:

لم أمتدِحْك رجاءَ المالِ أطلبُه ... لكن لِتُلْبِسني التحجيلَ والغُرَرا
وليس ذلك إلا أنني رجل ... لا أطلب الوِرْدَ حتى أَعرف الصَّدَرا

[البسيط]

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً لا يُقاسُ به أحدٌ من الكتاب، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك، فإن إبراهيم مقلّ وصاحب قِصار ومُقطّعات، وكان محمد شاعراً يطيل فيجيد، ويأتي بالقصار فيجيد، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب.

فحدثني عمّي رحمه اللَّه قال:

حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: جلس أبي يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال له: أَلك حاجة؟ قال: نعم، تُدنيني إليك فإني مظلوم، فأدناه فقال: إني مظلوم وقد أَعوزني الإنصاف، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي، قال: ومن يحجبك عني، وقد ترى مجلسي مبذولاً؟ قال: يحجبني عنك هيبتي لك، وطول لسانك وفصاحتك واطِّراد حجتك. قال: ففيم ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أدَّيته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلّتها، وأنا أُؤدي خراجها، وهذا مما لم يسمع بمثله في الظلم، فقال له محمد: هذا قول تحتاج فيه إلى بيّنة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أُجيب؟ قال: قد آمنتك. قال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء، أيش هذه الأشياء إلا العيّ[1] والتغطرس[2]؟ فضحك وقال: صدقت، والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعاً، ثم وقع له بردّ ضيعته وبأن يطلق له كُرّ[3] حنطة، وكرّ شعير، ومائة دينار، يستعين بها على عمارة ضيعته، وصيّره من أصحابه واصطنعه.

يهدد إبراهيم بن المهدي:

أخبرني الصولي قال: حدثني أحمد بن محمد الطالقاني قال: حدثني عبد اللَّه بن محمد بن عبد الملك قال:

(١) العيّ: العجز وعدم الإحكام. (٢) التغطرس: الإعجاب بالنَّفس أو الظّلم.
(٣) الكُرّ: مكيال قيل هو ستون قفيزاً أو أربعون إردباً.

لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالاً، فأخذ من جدي عبد الملك عشرة آلاف دينار، وقال له: أنا أردها إذا جاءني مال: ولم يتم أمره، فاستخفى ثم ظهر، ورضي عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم فقال: إنما أخذتها للمسلمين، وأردت قضاءها من فيئهم، والأمر فيها الآن إلى غيري. فعمل أبي محمدُ بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها ثم قال: واللَّه لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنّ هذه القصيدة إلى المأمون. فخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيُوقع به. فقال له: خذ مني بعض المال ونَجِّمْ[1] عليَّ بعضَه، ففعل أبي ذلك، بعد أن أحلفه إبراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفى له أبي بذلك ووفى إبراهيم بأداء المال كله، والقصيدة قوله:

ألم تر أن الشيء للشيء عِلَّةٌ ... تكون له كالنار تقْدح بالزَّنْدِ؟
كذلك جَرَّبت الأمور وإنما ... يدلُّك ما قد كان قبلُ على البَعْدِ
وظني بإبراهيم أنّ مكانه ... سيبعث يوماً مثل أيامه النُّكْدِ
رأيتُ حسيناً حين صار محمد ... بغير أمانٍ في يديه ولا عَقْدِ
فلو كان أمضى السيف فيه بضربةٍ ... فصيَّره بالقاعِ مُنْعفِر الخَدِّ
إذاً لم تكن للجند فيه بقيَّةٌ ... فقد كان ما خُبّرت من خَبر الجُندِ
همُ قتلوه بعد أن قتلوا له ... ثلاثين ألفاً من كُهول ومن مُرْدِ
وما نصروه عن يَدٍ سلفتْ له ... ولا قتلوه يوم ذلك عن حِقْدِ
ولكنه الغدرُ الصُّراحُ وخِفَّةُ الـ ... ـحلوم وبُعْدُ الرأي عن سَنَن القَصْدِ
فذلك يوم كان للناس عِبرةً ... سيبقى بقاءَ الوَحْي في الحَجر الصَّلدِ
وما يوم إبراهيم إن طال عمرُه ... بأبعدَ في المكروه من يومهِ عندي
تذكَّرْ أميرَ المؤمنين مقامه ... وأيمانه في الهَزْل منه وفي الجِدِّ
أما والذي أمسيتَ عبداً خليفةً ... له شرُّ أيمان الخليفةِ والعَبْدِ
إذا هزّ أعواد المنابر باستِه ... تَغَنَّى بليلى أو بمَيَّة أو هندِ
فواللَّه ما مِن تَوبةٍ نزعتْ به ... إليك ولا مَيْلٍ إليك ولا وُدِّ
ولكنَّ إخلاص الضميرِ مُقرّب ... إلى اللَّه زلفى لا تَخيب ولا تُكدِي[2]

(١) نَجِّم: قسِّط.

(٢) تُكدي: من أكدى إكداء أي لم يظفر بحاجته.

أتاك بها طوعاً إليك بأنفه ... على رَغمه واستأثر اللَّه بالحَمْدِ
فلا تتركنْ للناس موضعَ شُبْهة ... فإنك مجزيٌّ بحسْب الذي تُسدِي
فقد غَلِطوا للناس في نصْب مثلِه ... ومن ليس للمنصور بابنٍ ولا المَهدي
فكيف بمن قد بايع الناس والتقتْ ... ببيعته الرُّكبانُ غَوْراً إلى نَجْدِ
ومن سَكَّ تسليمُ الخلافة سَمْعَه ... يُنادي به بين السِّماطَيْن من بُعْدِ
وأي امرئ سَمَّى بها قطُّ نفسَه ... ففارقها حتى يُغيَّب في اللَّحْدِ
وتزعم هذي النابِتيَّةُ أنه ... إمام لها فيما تُسِرُّ وما تبْدِي
يقولون سُنِّيٌّ وأيّةُ سُنَّةٍ ... تقوم بِجَوْن اللون صَعْل[1] القفا جَعْدِ
وقد جعلوا رُخص الطعام بعهده ... زعيماً له باليُمن والكوكبِ السَّعْدِ
إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتهم ... يَحثُّون تَحنانا إلى ذلك العَهْدِ
وإقباله في العِيد يُوجِف حولَه ... وَجيفَ الجِياد واصطكاك القَنا الجُرْدِ
ورَجَّالةٌ يمشون بالبِيض قَبْلَه ... وقد تبعوه بالقضيب وبالبُرْدِ
فإن قلتَ قد رام الخلافةَ غيرُه ... فلم يُؤتَ فيما كان حاول مِنْ جَدِّ
فلم أجزه إذ خيَّب اللَّهُ سَعْيَه ... على خَطَإٍ إذ كان منه ولا عَمْدِ
ولم أرضَ بعد العَفْوِ حتى رفعته ... ولَلْعَمُّ أَولى بالتعهّد والرِّفْدِ
فليس سواءً خارجيٌّ رَمَى به ... إليك سَفاهُ الرأي والرأيُ قد يُرْدِي
تَعَاوَت له من كلّ أَوْبٍ عِصابةٌ ... متى يُوردوا لا يُصْدِروه عن الوِرْدِ
ومن هو في بيت الخلافة تلتقي ... به وبك الآباءُ في ذِروة المَجدِ
فمولاك مولاه وجندك جنده ... وهل يجمع القَيْنُ[2] الحسامين في غِمدِ؟
وقد رابني من أهل بيتك أنني ... رأيت لهم وَجْداً[3] به أيّما وَجْدِ
يقولون لا تبعُدْ من ابنِ مُلمَّةٍ ... صَبورٍ عليها النفسَ ذي مِرَّةٍ جَلْدِ
فَدَانا وهانَتْ نفسُه دون مُلكنا ... عليه لدى الحال التي قَلَّ مَن يَفْدي
على حين أعطى الناسُ صَفْقَ أَكُفِّهم ... عليَّ بنَ موسى بالولايةِ والعَهْدِ
فما كان فينا من أَبَى الضيمَ غيرُه ... كريماً كفى ما في القَبول وفي الرّدِّ

(١) الصَّعْل: الدقيق الرأس.
(٢) القَيْن: الحدَّاد.
(٣) الوَجْد: الغَضَب.

وجـرَّد إبـراهـيـمُ لـلـمـوتِ نـفـسَـه وأبـدى سِـلاحـاً فـوق ذي مَـيْـعـةٍ[١] نَـهْـدِ
وأَبـلـى ومـن يَـبـلُـغْ مـن الأمـر جُـهـدَه فـلـيـس بـمـذمـوم وإن كـان لـم يُـجْـدِ
فـهـذه أمـورٌ قـد يـخـاف ذَوُو الـنُّـهَـى مَـغـبَّـتـهـا والـلَّـهُ يـهـديـك لـلـرُّشْـدِ

[الطويل]

رأيه في يحيى بن خاقان:

أخبرني الصولي قال: حدثني عبد اللَّه بن الحسين القطربلي.

عن جعفر بن محمد بن خلف قال: قال لي المعلى بن أيوب: كيف كان محل يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقداره؟ فقلت له: سمعت محمداً يذكره فقال: هو مهزول الألفاظ، عليل المعاني، سخيف العقل، ضعيف العُقدة، واهي العزم، مأفون[٢] الرأي.

قال عبد اللَّه:

ولما تولى محمد بن عبد الملك الوزارة اشترط ألا يلبس القَباء وأن يلبس الدُّرَّاعة ويتقلّد عليها سيفاً بحمائل، فأجيب إلى ذلك.

الرحمة خورٌ في الطبيعة:

أخبرني الصولي قال: حدثني أبو ذكوان قال: حدثني طِماس ميمون بن هارون قال:

كان محمد بن عبد الملك يقول: الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة وضعف في المُنَّة[٣]، ما رحمت شيئاً قطّ. فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول، فلما وُضِع في التنُّور والحديد قال: ارحموني، فقالوا له: وهل رحمت شيئاً قط فتُرحم؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها.

الاقتصاص:

أخبرني الصولي قال: حدثني أبو ذكوان قال: حدثني طِماس قال:

جاء ابن دنقش الحاجب إلى محمد بن عبد الملك برسالة [من المعتصم] ليحضر، فدخل ليلبس ثيابه، ورأى ابنُ دنقش الحاجبُ غلماناً له رُوقة، فقال وهو يظن أنه لا يسمع:

---

(١) المَيْعة: أول الشيء وأصله، وذو الميعة يقصد بها الفرس أول جريه.
(٢) مأفون الرأي: ضعيف الرأي والعقل.
(٣) المُنَّة: القوَّة.

وعلى اللواط فلا تَلُومَنْ كاتباً إن اللواط سجيَّةُ الكُتَّابِ
[الكامل]

فقال محمد له:

وكما اللواط سجيةُ الكُتَّابِ فكذا الحُلاقُ سَجيَّة الحُجَّابِ
[الكامل]

فاستحيا ابن دنقش واعتذر إليه، فقال له: إنما يقع العذر لو لم يقع الاقتصاص، فأما وقد كافأتك فلا.

يرثي سكرانة:

أخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن موسى قال:

أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً يرثي بها سكرانة أم ابنه عُمر، وجعل الحسن يتعجب من جودتها:

يقول ليَ الخلَّان لو زُرتَ قبرها فقلت: وهل غيرُ الفؤادِ لها قبرُ؟
على حين لم أَحْدُث فأجهل قَدْرها ولم أبلُغ السِّنّ التي معها الصَّبْرُ
[الطويل]

يعتذر إلى ابن طاهر:

أَخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقي قال:

استبطأ عبدُ اللَّه بنُ طاهر، محمدَ بنَ عبد الملك في بعض أموره، واتهمه بعُدوله عن شيء أراده إلى سواه، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك، وكتب في آخر كتابه يقول:

أتزعم أنني أهوى خليلاً سواك على التداني والبعادِ؟
جحدت إذاً موالاتي عَلِيّاً وقلتُ بأنني مولى زِيادِ
[الوافر]

الأصبهاني ينتصف منه:

كان عبد اللَّه بن الحسن الأصبهاني يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل، فكتب إلى خالد بن يزيد بن مَزيد: إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فحم، ويخاطب أَمْرأً غيرَ ذي فهم، فقال محمد بن عبد الملك: هذا كلام ساقط

سخيف، جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد. وأبطل الكتاب، ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد اللَّه بن طاهر: وأنت تُجري أمرك على الأربح فالأربح، والأرجح فالأرجح، لا تسعى بنقصان، ولا تميل برُجحان. فقال عبد اللَّه الأصبهاني: الحمد للَّه، قد أظهر من سخافة اللفظ ما دلَّ على رُجوعه إلى صناعته من التجارة، بذكره ربح السلع ورجحان الميزان، ونقصان الكيل، والخسران من رأس المال. فضحك المعتصم وقال: ما أسرع ما انتصف الأصبهانيُّ من محمد، وحقدها عليه ابنُ الزيات حتى نكبه.

يَسرق ويُسرق:

أخبرني الأخفش عن المبرد قال:

نظر رجل كان يعادي يونس النحوي إليه يُهادَى بين اثنين من الكِبر، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أَبلغت ما أرى؟ فعلم يونس أنه قال له ذلك شامتاً، فقال: هذا الذي كنتُ أرجو فلا بَلغْتَه. فأخذه محمد بن عبد الملك الزيات فقال:

وعـائـبٍ عـابـنـي بِـشـيـبٍ ... لـم يـعْـدُ لَـمَّـا ألـمَّ وَقْـتَـهْ
فـقـلـت إذ عـابـنـي بـشـيـبـي ... يـا عـائـبَ الـشـيـب لا بـلـغْـتَـهْ

[المنسرح]

وذكر أبو مروان الخرائطي أن أبا دهمان المغني سرق من محمد بن عبد الملك منديلاً دَبيقيّاً، فجعله تحت عمامته، وبلغ محمداً فقال فيه:

ونـديـم سـارقٍ خـاتـلـنـي ... وهـو عـنـدي غـيـر مـذمـوم الـخُـلُـقْ
ضـاعـفَ الـكـوْرَ عـلـى هـامـتـه ... وطـوى مِـنـديـلـنـا طَـيَّ الـخِـرَقْ
يـا أبـا دهـمـان لـو جـامـلـتـنـا ... لـكـفـيـنـاك مـئـونـات الـسَّـرَقْ

[الرمل]

ترجوه فتُحرمه:

أخبرنا أبو سلم محمد بن بحر الأصبهاني قال: كنت عند أبي الحسن بن أبي البغل لما انصرف عن بغداد، بعد إشخاصه إليها للوزارة وبطلان ما قدره من ذلك ورجوعه، فجعل يحدثنا بخبره ثم قال: للَّه در محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول:

مـا أعـجـب الـشـيء تـرجـوه فـتُـحـرمـه ... قـد كـنـتُ أحـسـب أنـي قـد مـلأتُ يَـدي

مـا لـي إذا غـبـت لـم أَذْكُـرْ بـصـالـحـة وإن مـرضـتُ فـطـال الـسُّـقـمُ لـم أُعَـدِ؟
[البسيط]

يتبادلان المدح:

أخبرني الصولي قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: وصفني محمد بن عبد الملك للمعصتم وقال: ما له نظير في ملاحة الشعر والغناء والعلم بأمور الملوك، فلقيته فشكرته وقلت: جعلت فداءك، أتصف شعري وأنت أشعر الناس؟ ألست القائل:

ألـم تـعـجـبْ لـمـكـتـئـبٍ حـزيـنٍ خـديـنِ صـبـابـةٍ وحـلـيـفِ صَـبْـرِ
يـقـول ـ إذا سـألْـت بـه ـ: بـخـيـرٍ وكـيـف يـكـون مـهـجـورٌ بـخَـيْـرِ؟
[الوافر]

قال: وأين هذا من قولك:

يـقـول لـي: كـيـف أَصـبـحْـت كـيـف يُـصْـبـح مِـثـلـي؟
[المجتث]

ماء ولا كَصدَّاء، ومرعى ولا كالسَّعْدان.

كيف ينتصف من ساقط أحمق؟

أخبرني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: لقي الكتنجيُّ، محمدَ بنَ عبد الملك: فسلم عليه فلم يجبه، فقال:

هـذا وأنـت ابـنُ زيـاتٍ تُـصـغِّـرنـا فـكـيـف لـو كـنـت يـا هـذا ابـنَ عَـطَّـارِ؟
[البسيط]

فبلغ ذلك محمداً فقال: كيف يُنتصف من ساقطٍ أحمق، وضْعُه رَفْعُه، وعقابُه ثوابه؟

أضيع ميتة:

أخبرني الصولي قال: أخبرني عبد اللَّه بن محمد الأزدي قال: حدثني يعقوب بن التمار قال:

قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه: ما أَخّرك عنا؟ قال: موت أخي، قال: بأي علة؟ قال: عضت إصبعه فأرة فضربته الحمرة، فقال محمد: ما يَرِدُ القيامةَ

شهيدٌ أخسُّ سبباً، ولا أنزلُ قاتلاً، ولا أَضيعُ ميتةً ولا أظرفُ قتلة من أخيك.

بيت أحسن من خمسين:

أخبرني عمّي عن أبي العيناء قال:

كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمد بن أبي دُوَاد ويهجوه، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرّضهم على هجائه ويصلهم، ثم قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجا به وهما:

أحسن من خمسين بيتاً سُدًى ... جمعُك إياهنّ في بَيتِ
ما أَحوجَ الناس إلى مَطْرَةٍ ... تغسلهم من وَضَرِ[1] الزَّيتِ

[السريع]

قال: وكان ابنُ أبي دُواد يقول: ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر طَبْعاً رُكِّب فيهم، قَلَّ قوله أو كثر.

أبو تمام يمدحه:

أخبرنا الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى، عن الحسن بن وهب قال:

أنشد أبو تمامٍ، محمدَ بنَ عبد الملك قصيدته التي يقول فيها:

لهان علينا أن نقول وتفعلا

فأثابه عليها ووقع:

رأيتك سهْل البيع سَمْحاً وإنما ... يُغَالي إذا ما ضنَّ بالشيء بائعُهْ
فأما الذي هانت بضائعُ بيعه ... فيوشك أن تبقى عليه بضائعُهْ
هو الماء إن أجمَعْتَه طاب وِرْده ... ويفسد منه إن تُباح شرائعُهْ

[الطويل]

فأجابه أبو تمام وقال:

أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعراً ... أسامِحُ في بيعي له من أُبايِعُهْ
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به ... تُساهِل من عادَتْ عليك منافعُهْ
فصِرْت وزيراً والوزارةُ مَكرَعٌ[2] ... يُغضُّ به بعد اللَّذاذة كارِعُهْ

(١) الوَضَر: الوسخ.
(٢) المكرَع: ما غُرِس في الماء من النخيل وغيره وقصد بها أن الوزارة مغرَس.

وكم من وزير قد رأينا مُسلّطاً فعاد وقد سُدَّت عليه مطالعُهْ
ولِلَّهِ قوسٌ لا تَطيش سهامُها ولَلَّه سيفٌ لا تُفَلُّ مقاطعُهْ
[الطويل]

راشد الكاتب يطلب منه هدايا:

حدثني الصولي قال: حدثني محمد بن يحيى بن عباد قال: حدثني أبي قال:

حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم كتب إليه راشد الكاتب:

لا تنسَ عهدي ولا مَوَدَّتِيَهْ واشتَقْ إلى طلعتي ورُؤيتِيَهْ
[إن غِبْتَ عنا لم تغب كثرة الذكـ ـر فلا تُغفلَنْ هَدِيّتِيَهْ
ألتَمْرُ المقل والمساويك والقُسـ ـبِ وخير النِّعال حُسْنَ شِيَهْ]
فإن تجاوزتَ ما أقول إلى العَصْبِ فذاك المأمول منك لِيَهْ
[المنسرح]

فأجابه محمد بن عبد الملك:

إنك مني بحيث يطَّرد النّاظر من تحت ماء دَمْعَتِيَهْ
ولا ومن زادني تَوَدُّدُه على صِحابي بفضل غَيْبتيَهْ
ما أَحسن الترك والخلافَ لما تُريد مني وما تقول لِيَهْ
يا بأبي أنت ما نسيتك في يوم دعائي ولا هَدِيَّتيَهْ
ناجيت بالذكر والدعاء لك اللَّه لدى البيتِ رافعاً يَدِيَهْ
حتى إذا ما ظننت بالمَلِكِ القـ ـادر أَن قد أَجاب دَعْوَتيَهْ
قمت إلى موضع النعال وقد أقمت عشرين صاحباً مَعِيَهْ
وقلت: لي صاحب أريد له نَعْلاً ولو من جُلود راحَتِيَهْ
فانقطع القول عند واحدةٍ قال الذي اختار يا بِشارَتيَهْ
فقلت: عندي لك البشارة والشّكر وقَلَّا في جَنب حاجَتِيَهْ
ثم تَخيَّرت بعد ذاك من العَصْـ ـب اليَمانِي بفضل خِبْرتيَهْ
مَوْشِيَّة لم أزل ببائعها أَرْغب حتى زَها عَلَيَّ بِيَهْ
يَرْفع في سومه وأُرغبه حتى التقى زُهْدُه ورغبتِيَهْ

وقـــد أتـــاك الـــذي أمـــرتَ بـــه فـاعـذِرْ بـكُـثْـرِ الإنـعـامِ قِـلَّـتِـيَـهْ

[المنسرح]

المعتصم يأخذ برذونه فيرثيه :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال:

كان لمحمد بن عبد الملك برذون أشهب، لم يُرَ مثله فراهة[١] وحُسناً، فسعى به محمد بن خالد حيلويه إلى المعتصم، ووصف له فَراهته، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه:

كـيـف الـعَـزاءُ وقـد مـضـى لـسـبـيـلـه عـنَّـا فـودعـنـا الأحـمُّ الأشـهـبُ؟
دبَّ الـوشـاةُ فـأبـعـدوك وربـمـا بـعـد الـفـتـى وهـو الأحـبُّ الأقـربُ
لـلَّـهِ يـومَ نـأيـتَ عـنـي ظـاعـنـاً وسُـلِـبْـتُ قُـربـك أيَّ عِـلْـقٍ[٢] أُسْـلـبُ
نـفـسٌ مـفـرِّقـة أقـام فـريـقُـهـا ومـضـى لـطِـيَّـتِـه[٣] فـريـقٌ يُـجْـنَـبُ
فـالآن إذ كـمـلـتْ أداتُـك كـلُّـهـا ودعـا الـعُـيـونَ إلـيـك لَـونٌ مُـعـجِـبُ
واخْـتِـيـر مـن سِـرِّ الـحـدائـد خَـيـرُهـا لـك خـالـصـاً ومـن الـحُـلِـيّ الأغْـرَبُ
وغـدَوْتَ ظَـنَّـان الـلـجـام كـأنـمـا فـي كـلّ عُـضـو مـنـك صَـنْـج يـضـربُ
وكـأنَّ سـرجـك إذ عـلاك غـمـامـةٌ وكـأنـمـا تـحـت الـغـمـامـة كـوكـبُ
ورأى عَـلـيَّ بـك الـصـديـقُ جَـلالـةً وغـدا الـعـدوُّ وصـدرُه يـتـلَـهَّـبُ
أنـسـاك لا زالـت إذاً مَـنْـسِـيَّـةً نـفـسـي ولا زالـت بـمـثـلـك تُـنـكـبُ
أضـمـرْتُ مـنـك الـيـأسَ حـيـن رأيـتُـنـي وقُـوَى حِـبـالـي مـن قـواك تـقـضَّـبُ
ورجـعـت حـيـن رجـعـت مـنـك بـحـسـرة لـلَّـه مـا فـعـل الأحـمُّ الأشـيـب

[الكامل]

ناظر ليس له ناظر :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان رضوان اللَّه عليه قال: حدثني محمد بن ناصح رحمة اللَّه عليه قال:

لحقَتْ غلاتِ أهل البَتّ آفةٌ في أيام محمد بن عبد الملك من جراد وعطش،

(١) الفراهة: الملاحة والحسن.
(٢) العِلق: النفيس الغالي.
(٣) الطِّيَّة: الجهة التي نوى التوجّه إليها.

فتكلم إليه جماعة منهم، فوجه ببعض أصحابه ناظراً في أمرهم، وكان في بصره ضعف، فكتب إليه محمد بن علي البَتِّي:

أَتَـيْـتَ أَمـراً يـا أبـا جـعـفـرٍ لـم يـأتـه بَـرُّ ولا فـاجـرُ
أعـنْـتَ أهـلَ الـبَـتّ إذ أُهْـلِـكـوا بـنـاظـرِ لـيـس لـه نـاظـرُ
[السريع]

فبلغه، فضحك ورد الناظر، ووقع لهم بما سألوا بغير نظر.

ابن جبلة وابن الزيات يتهاجيان:

أخبرني الصولي رضي اللَّه عنه قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي عياد عن أبيه رضي اللَّه عنهما قال:

قال عليّ بن جبلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات وكان قد قصد أبا دلف القاسم بن عيسى في بعض أمره:

يـا بـائـع الـزيـت عَـرِّجْ غـيـر مـرمـوقِ لا تُـشْـغَـلَـنَّ عـن الأرطـال والـسـوقِ
مـن رام شـتـمـك لـم يـنـزع إلـى كـذب فـي مـنـتـمـاك وأبـداه بـتـحـقـيـقِ
أبـوك عـبـدٌ ولـلأُمِّ الـتـي فـلـقَـتْ عـن أُمِّ رأسـك هَـنٌّ غـيـرُ مَـحـلـوقِ
إن أنـت عَـدَّدت أصـلاً لا تُـسَـبُّ بـه يـومـاً فـأمُّـك مِـنّـي ذاتُ تـطـلـيـقِ
ولـن تُـطـيـق بـحَـوْلٍ أن تُـزيـل شَـجـاً أَثْـبَـتُّـه مـنـك فـي مُـسْـتَـنـزَلِ الـرِّيـقِ
ألـلَّـهُ أنـشـاك مـن نَـوْكٍ ومـن كـذِبٍ لا تَـعـطِـفـنَّ إلَـى لُـؤمٍ لـمـخـلـوقِ
مـاذا يـقـول امـرؤٌ غَـشَّـاك مِـدْحـتـه إلا ابـنُ زانـيـة أو فـرخُ زِنـدنـقِ
[البسيط]

فأجابه محمد:

إشـمَـخْ بـأنـفـك يـا ذا الـسَّـيِّـئ الأدبِ ما شئتَ واضرِبْ قذالَ[1] الأرض بالذَّنبِ
وارفـع بـصـوتـك تـدعـو مَـنْ بـذِي عَـدَنٍ ومـن بـقـا لِـي فَـلا بـالـويـل والـحـرَبِ
مـا أنـت إلا امـرؤٌ أعـطـى بـلاغـتـه فَـضْـل الـعِـذار ولـم يَـرْبَـعْ عـلـى أدَبِ
فـاجـمـحْ لـعـلـك يـومـاً أن تَـعَـضَّ عـلـى لُـجُـمٍ دِلاصِـيَّـةٍ[2] تـثـنـيـك مـن كَـثَـبِ

(١) القذال: معقد العِذار من الفرس خلف الناصية جمعها أقذِلة.
(٢) دِلاصِيَّة: برَّاقَّة.

إني اعتذرْتُ فما أحسنْتَ تسمع من ... عُذْري ومن قبلُ ما أحسنْتَ في الطلبِ
صَيِّرْ أبا دُلفٍ في كُلّ قافية ... كالقِدْر وقفاً على الجارات بالعُقَبِ[1]
يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبٍ ... شرْوى[2] أبي دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ
إنَّ التعصب أبدى منك داهيةً ... كانت تُحَجَّبُ دون الوَهم بالحُجُبِ
[البسيط]

فأجابه علي بن جبلة:

نبِّهت من سِنةٍ عينيك فاصطبرِ ... واسحبْ بذيلك هل تَقْفُو على أَثَري
إن يَرْحَض[3] اللَّهُ عني عارَ مَطْلبتي ... إليك رِفداً أَلا فانجُد به وغُرِ
إني ودعواك أن تأتي بمكرُمة ... كمُنْبِض[4] القوسِ عن سَهْم بلا وَترِ
فاردُدْ جفونك حَسْرى عن أبي دُلفٍ ... ولا ملامةَ أن تَعْشى عن القمرِ
لا يسخَطَنَّ امرؤٌ إنْ ذَلَّ من حسب ... فاللَّه أنزله في مُحكَم السُّوَرِ
لم آت سوءاً ولم أسخط على أحد ... إلا على طلبي في مُجتَدًى عَسرِ
أقصِرْ أبا جعفرٍ عن سطوةٍ جَمحَتْ ... إن لم تُقَصَّرْ بها مالت إلى القِصَرِ
[البسيط]

فأجابه محمد بن عبد الملك:

يا أيها العائبي ولم يَرَ لي ... عيباً أما تَنتَه فتزدَجِرُ؟
هل لك وِتْرٌ لَدَيَّ تطلبه ... أم أَنْت صَلْدٌ ما فيك مُعتَصَرُ؟
فالحمدُ والمجدُ والثناء لنا ... وللحسود الترابُ والحَجَرُ
[المنسرح]

وهي طويلة يقول فيها:

تَعيش فينا ولا تُلائمنا ... كما تَعيشُ الحميرُ والبَقَرُ
تُغلِي علينا الأشعار منك وما ... عندك نَفْعٌ يُرْجى ولا ضَرَرُ
[المنسرح]

---

(١) العُقَب: مفردها العقبة وهي النَّوبة.
(٢) شروى: مثل.
(٣) يرحض: يغسل.
(٤) مُنبِض القوس: أنبض القوس أي جذب وترها لترفع صوتها.

يا ليتني فارس ذا الفارس:

أخبرني عمّي رحمه اللّه قال: حدثني عمر بن نصر الكاتب قال: حدثني عمّي علي بن الحسن بن عبد الأعلى قال:

إجتاز بديعٌ غلام عُمير المأموني بمحمد بن عبد الملك الزيات، وكان أحسن خلق اللّه وجهاً، وكان محمد يجن به جنوناً فقال محمد:

راح عـلـيـنـا راكـبـاً طِـرْفَـه ... أغـيـدُ مـثـلُ الـرَّشَـإِ[1] الآنِـسِ
قـد لـبـس الـقُـرْطَـق[2] واسـتـمـسـكـتْ ... كَـفَّـاه مـن ذي بُـرَقٍ يـابـسِ
وقُـلِّـد الـسـيـفَ عـلـى غُـنـجـه ... كـأنـه فـي وقـعـة الـداحـسِ
أقـول لـمـا أن بـدا مُـقـبـلاً ... يـا لـيـتـنـي فـارسُ ذا الـفـارسِ!!

[السريع]

سماء تعوق عن سماء:

أخبرني الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال:

دامت الأمطار بسرّ من رأى فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يومئذٍ وزير، والحسن يكتب له، فاستبطأه محمد، فكتب إليه الحسن يقول:

أوجـبَ الـعُـذر فـي تـراخـي الـلـقـاءِ ... مـا تـوالـى مـن هـذه الأنـواءِ؟
لـسـتُ أدري مـاذا أقـول وأشـكـو ... مـن سـمـاءٍ تَـعـوقـنـي عـن سـمـاءِ
غـيـر أنـي أدعـو عـلـى تـلـك بـالـشُّـكْـ ... ـل وأدعـو لـهـذه بـالـبـقـاءِ
فـسـلام الإلـه أُهـديـه غَـضّـاً ... لـك مـنـي يـا سـيِّـدَ الـوزراءِ

[الخفيف]

ابن وهب وابن الزيات:

أخبرني الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى قال:

إعتل الحسن بن وهب، فتأخر عنه محمد بن عبد الملك أياماً كثيرة، فلم يأته رسوله ولا تعرّف خبره، فكتب إليه الحسن قوله:

(١) الرَّشأ: الغزال أو الظبي الصغير.
(٢) القُرطق: ضرب من اللباس.

أيـــهـــذا الـــوزيـــر أيـــدك الـــلَّـــه وأبـــقـــاك لـــي بـــقـــاء طـــويـــلا
أجـــمـــيـــلاً تـــراه يـــا أكـــرم الـــنـــا س لـــكـــيـــمـــا أراه أيـــضـــاً جـــمـــيـــلا
إنـــنـــي قـــد أقـــمـــت عَـــشْـــراً عَـــلـــيـــلا مـــا تُـــرى مُـــرسِـــلاً إلـــيّ رســـولا
إن يـــكـــن مُـــوجِـــب الـــتـــعـــمُّـــدِ فـــي الـــصـــحـــةِ مَـــنّـــاً عـــلـــيَّ مـــنـــك طـــويـــلا
فـــهـــو أولَـــى يـــا ســـيـــد الـــنـــاس بِـــرّاً وافـــتـــقـــاداً لـــمـــن يـــكـــون عـــلـــيـــلا
فـــلـــمـــاذا تـــركـــتـــنـــي عـــرضـــة الـــظـــنّ مـــن الـــحـــاســـديـــن جِـــيـــلاً فـــجـــيـــلا
أَلـــذنـــبٍ فـــمـــا عـــلـــمـــت ســـوى الـــشـــكـــرِ قـــريـــنـــاً لِـــنِـــيَّـــتـــي ودَخـــيـــلا
أمْ مـــلالٍ فـــمـــا عـــلـــمـــتـــك لـــلـــصـــا حـــب مـــثـــلـــي عـــلـــى الـــزمـــان مَـــلُـــولا
قـــد أتـــى الـــلَّـــه بـــالـــشـــفـــاء فـــمـــا أعْـــ ـرِفُ مـــمـــا أنـــكَـــرت إلا قـــلـــيـــلا
وأَكَـــلْـــت الـــدُّرَّاج[1] وهـــو غِـــذاء أَفَـــلَـــتْ عِـــلَّـــتـــي عـــلـــيـــه أُفـــولا
بـــعـــد مـــا كـــنـــت قـــد حـــمـــلـــت مـــن الـــعِـــلَّـــةِ عِـــبْـــئـــاً عـــلـــى الـــطـــبـــاع ثـــقـــيـــلا
ولـــعـــلّـــي قُـــدِّمْـــتُ قـــبـــلَـــك آتـــيـــ ـك غَـــداً إن وجـــدت فـــيـــه ســـبـــيـــلا

[الخفيف]

فأجابه محمد بن عبد الملك:

دفـــع الـــلَّـــه عـــنـــك نـــائـــبـــة الـــدهـــ ـرِ وحـــاشـــاك أن تـــكـــون عـــلـــيـــلا
أُشـــهِـــدُ الـــلَّـــهَ مـــا عَـــلِـــمْـــتُ ومـــا ذا ك مـــن الـــعـــذر جـــائـــزاً مـــقـــبـــولا
ولـــعـــمـــري أن لـــو عـــلـــمـــتُ فـــلازمْـــ ـتُـــك حـــولاً لـــكـــان عـــنـــدي قـــلـــيـــلا
إنـــنـــي أرتـــجـــي وإن لـــم يـــكـــن مـــا كـــان مـــمـــا نَـــقـــمـــتَ إلا جـــلـــيـــلا
أن أكـــون الـــذي إذا أضـــمـــر الإخـــ ـلاص لـــم يـــلـــتـــمِـــسْ عـــلـــيـــه كَـــفِـــيـــلا
ثـــم لا يـــبـــذل الـــمـــودّة حـــتـــى يـــجـــعـــل الـــجـــهـــد دونـــهـــا مَـــبـــذولا
فـــإذا قـــال كـــان مـــا قـــال إذْ كـــا نَ بـــعـــيـــداً مـــن طـــبـــعـــه أن يـــقـــولا
فـــاجـــعـــلْ لـــي إلـــى الـــتـــعـــلـــق بـــالـــعُـــذْ رِ ســـبـــيـــلاً إن لـــم أَجـــد لـــي ســـبـــيـــلا
فـــقـــديـــمـــاً مـــا جـــاد بـــالـــصـــفـــح والـــعَـــفْـــ ـو ومـــا ســـامـــح الـــخـــلـــيـــلُ الـــخـــلـــيـــلا

[الخفيف]

قال: وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه:

(١) الدُّرَّاج: نوع من الطيور.

قالوا جفاك فلا عهدٌ ولا خَبَرٌ ... ماذا تُراه دهاه قلتُ: أيلُولُ
شهر تُجَدُّ[1] حِبالُ الوصل فيه فما ... عَقدٌ من الوصل إلا وهو مَحلولُ
[البسيط]

قال: وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمرٍ مُهمّ، فأجابه الحسن فقال:

إني بِحَوْل امرِىءٍ أعليتَ رتبتَه ... فحظّه منك تعظيمٌ وتبجيلُ
وأنت عُدَّتُه في نَيلِ هِمَّته ... وأنت في كلِّ ما يهواه مأمولُ
ما غالني عنك أَيلولٌ بلذَّته ... وطيبِه ولنِعمَ الشهرُ أيلولُ
أللَيلُ لا قِصَرٌ فيه ولا طولُ ... والجوُّ صافٍ وظهر الكاس مرحولُ[2]
والعودُ مُستنطق عن كلِّ معجبة ... يُضْحي بها كلُّ قلب وهو مَتبولُ[3]
لكنْ توقّع وشَكَ البَين عن بلدٍ ... تحُلُّه فَوِكاءُ العين محلولُ
ما لي إذا شمَّرتْ بي عنك مُبتكِراً ... دُهمُ البِغالِ أو الهوجُ المراسيلُ
إلا رعاياتُك اللاتي يَعودُ بها ... حَدُّ الحوادثِ عني وهو مَفلولُ
[البسيط]

قال: وكان الحسن بن وهب يساير محمداً على مُسَنَّاة[4] فعدل عن المُسنَّاة لئلا يضيق الطريق على محمد، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المُسنَّاة، فعدل عنها ولم يُساعده على طريقه، وضنّ بنفسه أن يصيبها ما يصيبه، فقال له محمد:

قد رأيناك إذ تركت المُسنَّا ... ة وحاذيتني يَسار الطريقِ
ولعمري ما ذاك منك وقد جَدَّبك الجِدُّ من فِعال الشَّفيقِ
[الخفيف]

فقال له الحسن:

إن يكن خوفيَ الحُتوفَ أراني ... أَن تراني مُشَبِّهاً بالعقوقِ
فلقد جارت الظنونُ على المُشـ ... ـفق والظنُّ مُوَلَعٌ بالشفيقِ
عذر السيد الأجلَّ وقد سا ... ر على الجُرف من يمين الطريقِ

(١) تُجدُّ الحِبَال: تُقطَع.
(٢) مرحول: محطوط عليه الرَّحل.
(٣) متبول: مُصابٌ بالتَّبل.
(٤) المُسنَّاة: ما يبنى في وجه السيل أو نوع من السدود.

فـأخـذت الـشِّـمـال بُـقـيـا عـلـى الـسـيـ ـد إذ هـالـنـي سـلـوكُ الـمـضـيـقِ
إن عـنـدي مـودة لـك حـازت مـا حـوى عـاشـقٌ مـن الـمـعـشـوق
طـود عِـزٍّ خُـصِـصْـتُ مـنـه بـبـرٍّ صـار قـدري بـه مـع الـعَـيُّـوقِ
وبـنـفـسـي وإخـوتـي وأبـي الـبَـرِّ وعـمّـي وأُسـرتـي وصـديـقـي
مـن إذا مـا رُوِّعـت آمَـنَ رَوعـي وإذا مـا شَـرِقـتُ سَـوَّغ ريـقـي
[الخفيف]

يمدح نفسه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش والصولي قالا: حدثنا المبرد قال:

استسقى الحسن بن وهب نبيذاً من محمد بن عبد الملك وهو ببلد الروم، وهو مع المعتصم، فسقاه وكتب إليه:

لـم تـلـق مـثـلـي صـاحـبـاً أَنـدى يـداً وأَعـمَّ جُـودا
يـسـقـي الـنـديـم بـقـفـرةٍ لـم يـسـقِ فـيـهـا الـمـاءُ عُـودا
صـفـراءَ صـافـيـةً كـأنَّ بـكـأسِـهـا دُرّاً نَـضـيـدا[1]
وأجـودُ حـيـن أجـودُ لا حَـصِـراً بـذاك ولا بَـلـيـدا
وإذا اسـتـقـلَّ بـشـكـرهـا أوجـبـتُ بـالـشُّـكـر الـمـزيـدا
خـذهـا إلـيـك كـأنـمـا كُـسِـيَـتْ زُجـاجـتـهـا عُـقـودا
واجـعـل عـلـيـك بـأن تَـقـو مَ بـشـكـرهـا أبـداً عُـهـودا
[مجزوء الكامل]

حدثت عن ضعف إسلامه:

[أَخبرني الصولي قال: حدثني أحمد بن محمد الأنصاري قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال:

دعا محمدُ بن عبد الملك الحسنَ بن وهب قبل وزارته في آخر أيام المأمون فجاءه، ودخلا حمَّاماً له وأقاما على لهوهما، ثم طُلب الحسنُ بن وهب لعمل احتيج فيه إليه، فمضى وبَطل يومُهم، فكتب الحسن إليه:

سـقـيـاً لـنَـضـرِ الـوجـهِ بَـسَّـامِـهِ مُـهـذَّبِ الأخـلاق قَـمـقـامِـهِ[2]

(١) النَّضيد: المتراكم بعضه فوق بعض. (٢) القمقام: السيد العظيم الكثير العطاء.

تكسبه شُكراً على أنها ... مُطبقةُ السِّنّ للوَّامِهِ
زُرَناه في يوم علا قدرُه ... من سائر الأيام في عامِهِ
أسعده اللَّه وأحظى به ... وجاده الغيث بإرْهامِهِ[1]
فكان مسروراً بنا باذلاً ... لرحْلِه الرحب وحمَّامهِ
نَخدمُه وهو لنا خادم ... بفضله من دون خُدَّامهِ
ثم سقانا قَهوةً لم يدَعْ ... أطيبَ منها بقُري شامِهِ
صهباء دَلَّتْ على دينها ... وحدَّثَتْ عَن ضَعف إسلامهِ

[السريع]

فأجابه محمد:

وزائرٍ لذَّ لنا يومُهُ ... لو ساعد الدهرُ بإتمامهِ
ماذا لقينا من دواوينه ... وخطّه فيها بأقْلامهِ؟
أُسرّ ما كنا فمن مازح ... وشارب قد عَبَّ في جامهِ[2]
فارقنا فالنفس مطروفة ... بواكف[3] الدمع وسَجَّامهِ[4]
وعاد بالمدح لنا منعماً ... به إلى سالف إنعامهِ
ليت ـ وأنَّى لي بها مُنْيةً ـ ... لو كنت فيه بعض قُوَّامهِ
يَشكر ما نال على أنه ... لا يُشكرُ الحرُّ لحَمَّامِهِ
أمسحه فيه وأدنو له ... من خلفه طوراً وقُدَّامهِ
جعلت نفسي جنَّة للصِّبا ... وبعث إسلامي بإسلامهِ
فصار ما يشرب حِلّاً له ... وصرت مأخوذاً بآثامهِ

[السريع]

في حديد ثقيل:

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب قال: سمعت القاسم بن ثابت يحدث عن أبيه قال: قال أحمد الأحول:

---

(١) الإرهام: تساقط المطر.
(٢) الجام: الكأس.
(٣) الواكِف من الدّمع: المتصبّب قليلاً قليلاً.
(٤) السَّجّام من الدمع: المتصبّب الكثير السيلان.

فما قُبِضَ على محمدِ بن عبد الملك الزيات تلطَّفتُ في الوصول إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلت له: أعْزِزْ عَليَّ ما أرى، فقال:

سَلْ ديارَ الحيّ ما غيَّرَها ... ومحاها ومحا مَنظرَها؟
وهِيَ اللّاتي إذا ما انقلبت ... صيَّرت مَعروفَها مُنْكرَها
إنما الدنيا كظلٍّ زائل ... نحمد اللَّه كذا قدَّرها

[الرمل]

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أدري لمن هو.

ومما يغنى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيات:

صوت

ظالمي ما علمتُه ... مُعتدٍ لا عدمتُهُ
مُطْمِعي بالوصال مما ... تنعٌ حين رُمتُهُ
مُرْصِدٌ بالخلاف والـ ... ـمنْع من حيثُ سمْتُهُ
هاجرٌ إن وصلتهُ ... صابرٌ إن صَرَمتهُ
كم وكم قد طويتُ ما ... بي وكم قد كتمتُهُ
رُبّ همٍّ طويت فيـ ... ـك وغيظ كظمتهُ
وحياة سئمتُها ... والهوى ما سئمتهُ
رُمتُ شيئاً هَوِيته ... ليس لي ما حُرِمتهُ
قال إذ صرَّح البكا ... ءُ بما قد سترتُهُ
لو بكى طول دهرِه ... بدمٍ ما رحمتهُ

[مجزوء الخفيف]

صوت

إذا أحببتُ لم أسْلُ ... وإن واصلت لم أقطَعْ
وإن عاتبني الناسُ ... تصاممت[1] فلم أسمع
وقد جربتُ ما ضرَّ ... وقد جربت ما ينفعْ

(١) تصاممتُ: تظاهرتُ بالصَّمَمِ.

فـمـا مـثـل الـهـوى أنـهَـكُ لـلـجـسـم ولا أضـرَعْ[1]
ولا كـالـهـجـر فـي الـقـرب إلـى الـمـوت ولا أسـرعْ
وإن أوجـعـنـي الـعَـذْل فـنـيـرانُ الـهـوى أوجـعْ
وهـذا عَـدَمُ الـعـقـلِ فـمـا أسـتـطـيـع أن أصـنَـعْ
ولا والـلَّـه مـا عـنـدي لـمـا قـد حـلَّ بـي مَـدْفـعْ
ولا فـيَّ لـهـجـرانـك لـولا ظـلـمـكـم مـوْضـعْ

[الهزج]

الغناء لعريب لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، وهزج بالوسطى.

يمدح الحسن بن سهل:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني الحسن بن رجاء قال:

قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلح، وامتدحه بقصيدته التي أولها:

كـأنـهـا حـيـن تـنـاءى خَـطْـوهـا أخْـنـس مَـوْشِـي الـشّـوى يَـرعـى الـقُـلَـلْ

[الرجز]

وقال فيها:

إلـى الأمـيـر الـحـسـن اسـتـنـجـدتُـهـا أيّ مَـرادٍ ومـنـاخ ومـحَـلّ
سـيـف أمـيـر الـمـؤمـنـيـن الـمُـنْـتـضـى وحِـصْـنُ ذي الـريـاسـتـيـن الـمُـقْـتـبـلْ
أبـاؤك الـغـرّ الأولـى جَـدُّهـمُ كـسـرى أنـو شـروان والـنـاسُ هـمَـلْ
مـن كـل ذي تـاج إذا قـال مـضـى كـلُّ الـذي قـال وإن هَـمَّ فَـعـلْ
فـأيـنَ لا أيـنَ وأنَّـى مِـثـلُـكـمْ وأنْـتُـمُ الأمـلاكُ والـنـاسُ خَـوَلْ[2]

[الرجز]

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

زمان وزمان:

قال: ومرض الواثق فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ومحمد بن عبد الملك

(١) أضرع: أذل وأخضع.
(٢) الخَوَل: العبيد والخَدَم.

يومئذ وزيره، والحسن بن سهل متعطل، فجعل الحسن بن سهل يتكلم في العلة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام، قال: فحسده محمد بن عبد الملك وقال له: من أين لك هذا العلم يا أبا محمد؟ قال: إني كنت أستصحب من كل صنعة رؤساء أهلها وأتعلم منهم ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية، فقال له محمد ـ وكان حسوداً ـ: ومتى كان ذلك؟ قال: في زمان قلتَ فيّ:

فـأيـن لا أيـن وأنـى مـثـلُـكُـمْ وأنْـتُـمُ الأمـلاك والـنـاسُ خـوَلْ

[الرجز]

فخجل محمد بن عبد الملك وأطرق وعدل عن الجواب.

عسى أُمور بعد ذاك تكون:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني حماد بن إسحاق قال:

حدثني ميمون بن هارون بن خلف قال: كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يريد يومئذٍ منزله حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح، فرأى فيها قبة مشيدة فقال:

أمـا الـقِـبـابُ فـقـد أَراهـا شُـيِّـدتْ وعـسـى أمـورٌ بـعـد ذاك تـكـونُ

عـبـدٌ عَـرَتْ مـنـه خـلائـقُ جـهـلـهِ إذ راح وهـو مـن الـثـراء سـمـيـنُ

[الكامل]

فما كانت إلا أيام حتى أوقع [به].

ابن أبي دواد يكيد له:

أخبرني عمّي قال: حدثني الحسن بن علي بن عبد الأعلى عن أبيه قال:

كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبي دُوَاد فكفّ محمد عن ذكره، وجعل ابنُ أبي دواد يخلو بالواثق ويغريه به حتى قبض عليه، وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه، فقبض الواثق عليه ثم أطلقه بعد مدة، ثم وزر للمتوكل، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكل، وقام وقعد في أمره حتى ولي، وعمَّمه بيده، وألبسه البردة، وقبل بين عينيه، وكان المتوكل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيتجهمه محمد ويُغلظ له الردّ، إلى أن قال يوماً بحضرته: ألا تعجبون إلى هذا العاصي، يعادي أمير المؤمنين ثم يسألُني أن أصلح له قلبه؟ اذهبْ ويلك وأصلح له حتى يصلح لك قلبه، فكان موقع ذلك يحسن عند

الواثق، فدخل إليه يوماً وقد كان قال للواثق: إن جعفراً يدخل إليّ وله شعر قفاً وطُرّة مثل النساء فقد فضَحَك، فأمره بأن يحلقهما ويُضرب بشعرهما وجهه، فلما دخل إليه المتوكل فعل ذلك به، وتجهّمه بالقبيح، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره وخلع عليه، وجعل ابنُ أبي دواد يغريه ويجد عنده لذلك موقعاً واستماعاً حتى قبض عليه وقتله، فلم يجد له من أملاكه كلها من عَين وَقَرِق وأثاث وضيعة إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار، فندم على ذلك، ولم يجد منه عوضاً، وكان أمره مما يُعتد على أحمد بن أبي دواد ويقول: أطمعتني في باطل، وحملتني على أمر لم أجد منه عوضاً.

قواصم الظهر:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: زعم محمد بن عيسى الفساطيطي:

أن محمد بن عبد الملك احتار بدندن الكاتب، وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له، فقال دندن:

راح الشقيّ بخلعة الشُّكْر ... مثل الهَدِيّ لليلة النَّحْرِ
لا تمّ شهر بعد خِلْعته ... حتى تراه طافيَ الجَمْرِ
ويُرى يُطَامِنُ[1] من إساءته ... يَهْوِي له بقواصم الظّهرِ

[الكامل]

فكان الأمر كما قال:

محمد بن تنور حديد:

قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى:

فلما قبض عليه المتوكل استعمل له تنورَ حديد، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرك إلا دخلت في جسده، ثم أحماه له وجعله فيه، فكان يصيح: ارحموني، فيقال له: أنت. كنت تقول: ما رحمتُ أحداً قطّ، والرحمة ضعف في الطبيعة، وخَوَرٌ في المُنَّة، فاصبر على حكمك. وخرج عليه عبادة فقال: أردت أن تشويني فشَووك.

من حفر بئر سوء وقع فيها:

أخبرني طاهر بن عبد اللَّه بن طاهر الهاشمي قال: قال العباس بن طومار:

أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات ـ وقد أحمى تنور

(١) يُطامِن: يُسَكِّن الأمر.

حديد وجعله فيه ـ فيكايده، فدخل إليه فوقف بإزائه ثم قال: اسمع يا محمد، كان في جيراننا حفار يحفر القبور، فمرضت مخنَّثة من جيراني، وكانت صاحبةً لي، فبادر فحفر لها فسوى من الطمع في الدراهم، فبرأت هي ومرض هو بعد أيام، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنّزع[1] فقالت: وَيْ يا فلان؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية، وما علمت أن من حفر بئر سوء وقع وفيها، وَوَحياتك يا محمد لقد دفناه في ذلك القبر، والعقبى لك، قال: فواللَّه ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ويكاده إلى أن مات.

الحسن بن وهب يرثيه:

قال الصولي:

وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك، وكان في حياته ينتفي منها ويجحدها ثم شاعت بعد ذلك ووُجدت بخطه:

يكاد القلب من جزع يطيرُ ... إذا ما قيل قد قُتل الوزيرُ
أميرَ المؤمنين هدمت ركناً ... عليه رَحاكمُ كانت تدورُ
سيبلى الملك من جزع عليه ... ويخرب حين تضطرب الأمورُ
فمهلاً يا بني العباس مهلاً ... فقد كُوِيَتْ بفعلكمُ الصدورُ
إلى كم تَنْكبون الناس ظلماً ... لكم في كل مَلحمة عَقيرُ
جَزيتم ناصراً لكمُ المنايا ... وليس كَذلِكُمْ يُجْزَى النصيرُ
فكنتم سائقاً أرسا إليكم ... وذلك من فعالكُمُ شهيرُ
وكان صلاحه لو شئتموه ... قريباً لا يحاوله البصيرُ
كأنَّ اللَّه صيّركم ملوكاً ... لئلّا تَعدلوا ولأنْ تجوروا

[الوافر]

(١) النَّزع: نزع الروح أي الموت.

أخبار أبي حشيشة ونسبه

اسمه ونسبه:

أبو حَشيشة لقب غلب عليه، وهو محمد بن علي بن أُمية، ويكنى أبا جعفر، وكان أهله جميعاً متصلين بإبراهيم بن المهدي، وكان هو من بينهم مغنياً بالطُّنبور أحسن الناس غناء، وخدم جماعة من الخلفاء منهم المأمون أولاً إلى المعتمد، وله يقول أبو صالح بن يزداد وكتب إليه بها في استتاره:

جُعلت فداك يا ابن أبي أُمَيَّهْ أرى الأيام قد حَملتْ عليَّهْ
ومَلَّنيَ الصديقُ وخان عهدي فما أقْرا لهم كُتباً إليَّهْ
فإن كان الضمير كما بَدا لي فهذا والإلهِ هو البَليَّهْ

[الوافر]

وكان أكثر انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد مدة أيام حياته، وكان أبوه وجدّه وأخواله كتاباً.

يتقدم كل طنبوري:

قرأت على أحمد بن جعفر جحظة ما ذكره عن أبي حشيشة في كتابه الذي ألفه في أخبار مراتب الطنبوريين والطنبوريات.

فكان في ذلك أنه قال:

شاهدت أبا حشيشة مدة، وكان يتغنى في أشعارٍ لخالد بن محمد الكاتب وبني أبي أمية، وكانت معه فقر من الأحاديث يضعها في مواضعها، وكانت له صنعة تقدَّم فيها كل طنبوري لا أتحاشى من قول ذلك، فمنها:

كأن هموم الناس في الأرض كلها عليَّ وقلبي بينهم قلبُ واحدِ
ولي شاهِدا عدْلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ وكم مُدَّعٍ للحق من غير شاهدِ

[الطويل]

وهو خفيف رمل مطلق.

المعتمد يهب له مائتي دينار:

قال جحظة:

ورأيته في القدمة التي قدمها مع ابن المدبّر بين يدي المعتمد وقد غناه في شعر علي بن محمد بن نصر:

لـمـا أنِـسْـتِ بَـدَا لِـكْ واسـوأتـا مـن فـعـالِـكْ
لـمـا مـلـكـتِ وصـالـي آيَـسْـتِـنـي مـن وِصـالِـكْ

[المجتث]

فوهب له مائتي دينار.

واللحن رمل مطلق.

عريب تفضله على علُّويه ومخارق:

أخبرني جحظة فيما قرأته عليه قال: حدثني ابن نوبخت ـ يعني علي بن العباس ـ قال: رأيته وقد حضرت عريب عند ابن المدبر وقد تغنى، فقالت له عريب: أحسنت يا أبا جعفر، ولو عاش الشيخان ما قلتُ لهما هذا، تَعني علُّويه ومخارقاً.

ثلاثمائة دينار:

حدثني جحظة قال:

حدثني أبو حشيشة قال: هجم عليّ خادمٌ أسود فقال لي: البس ثيابك، فعلمت أن هذا لا يكون إلا عن أمر الخليفة، فلم أراجعه حتى لبست ثيابي ومشيت معه، فعبر بي الجسر، وأدخلني إلى دار لا أعرفها، ثم أجازني في زقاق فيه حجر تفوح منهن رائحة الطعام والشراب، فأدخلني إلى حجرة مفروشة، وجاءني بمائدة كأنها جَزْعة[1] يمانية وقد نشر في عِراضها الحِبَرُ فأكلت، وسقاني رطلين. وجاء بصندوق ففتحه فإذا فيه طنابير فقال: اختر واحداً. وأخذ بيدي وأدخلني إلى دار فيها رجلان، على أحدهما قَباء غليظ، وعلى الآخر ثياب مُلحَم[2] خز، فقال لي صاحب الخزّ: اجلس، فجلست، فقال: أكلت وشربت؟ فقلت: نعم، فقال: تَغَنَّ ما نقول لك. فقلت له: قل، فقال: تَغَنَّ بصنعتك:

يـا مـلـيـح الـدلالِ والإنـصـاف ومـلـولاً ولـو أشـا قـلـت: جـافـي

[الخفيف]

(١) الجزعة: الخرز اليماني الذي فيه بياض وسواد.
(٢) المُلحَم: النسيج.

وهو رمل مطلق، فغنيته إياه، وجعل يطلب مني صوتاً بعد صوت من صنعتي فأغنيه ويستعيده للشرب هو والرجل وأسقى بالأنصاف المحثوثة إلى أن صلوا العشاء الآخرة وهم لا يشربون إلا على الصوت الأول لا يريدون غيره، ثم أومأ إليَّ الخادم: قم، فقمت، فقال صاحب القباء منهما: أتعرفني؟ قلت: لا، فقال: إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وهذا محمد بن راشد الخنّاق، واللَّه لئن بلغني أنك تقول: إنك رأيتني لأضربنك مائتي سوط، انصرف. فخرجت، ودفع إليَّ الخادمُ ثلاثمائة دينار، فجهدت أن يقبل منها شيئاً على سبيل البِرِّ فما فعل.

تسعة أبواب خزّ:

حدثني جحظة قال:

حدثني أبو حشيشة قال: وجّه إليَّ إسحاق بن إبراهيم الطاهري، فصرت إليه وهو في داره التي في طرف الحدق، فدعا بخوانه فأكل وأكلت من ناحية، ودعا بستارة وقال: تغنّ بصنعتك.

صوت

عادِ الهوى بالكاس بَرْدَا وأطِعْ إمارة من تبَدَّى

[مجزوء الكامل]

وهو خفيف رمل مطلق.

فغنيته مراراً، ثم ضُربت الستارة وقال: قولوه. فقالته جارية فأحسنت غاية الإحسان، فضحك ثم قال: كيف تراه؟ قلت: قد واللَّه بغّضوه إليّ، فازداد في الضحك وأنا أرمق جُبّة؟ خزّ خضراء كانت عليه، فقال: كم تَرمق هذه الجبة؟ يا غلام، كانت عشرة أثواب خز قطعت منها هذه الجبة، فهات التسعة. فجيء بها، فدفعها إليَّ، فكنت أبيع رذالها بثلاثين ديناراً.

الظريف:

حدثني جحظة قال:

حدثني أبو حشيشة أن بني الجند الإسكافيين كانوا أول من اصطعنه. وإنهم كانوا يسمونه: الظريف، وأن أول منزل ابتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبره وتفاقم أمره. قال: وكانوا آكلَ الناس، رأيت رجلاً منهم قد أكل هو وابن عم له اثنين وعشرين رأساً

كباراً، وشربا عليه، فسكرا وناما، ثم أنبهتهما في وقت الظهر، فدعوا بالطعام، فعادا إلى الطعام ما أُنكر منهما شيئاً.

المأمون أول من سمعه من الخلفاء:

ونسخت من كتاب ألفه أبو حشيشة وجمع فيه أخباره مع من عاشره من الخلفاء وهو كتاب مشهور قال:

أول من سمعني من الخلفاء المأمون وهو بدمشق، وصفني له مخارق، فأمر بإشخاصي[1] إليه، وأمر لي بخمسة آلاف درهم تجهز بها، فلما وصلت إليه أدناني وأعجب بي، وقال للمعتصم: هذا من خدمك وخدم آبائك وأجدادك يا أبا إسحاق، كان جَدُّ هذا مَيَّةُ كاتب جدك المهدي على كتابة السرّ وبيت المال والخاتم. وحج المهدي أربع حجج وكان جدّ هذا زميله فيها كلها.

واشتهى المأمون من غنائي:

كان يُنْهى فَنَهى لما انتهى ... وانجلتْ عنه غَيابات الصِّبَا
خلع اللّهو وأَضحى مُسْبِلاً ... للنُّهَى فَضْلَ قميص ورِدَا
كيف تَرجو البيضُ مَنْ أَوّلُه ... في عيون البيض شيبٌ وجلا؟
كان كُحْلاً لما آقيها فقد ... صار بالشيب لعينيها قَذَى

[الرمل]

الشعر لدعبل، والغناء لحمدان بن الحسين بن المحرز رمل بالوسطى.

قال أبو حشيشة: وكان مخارق قد نهاني أن أغني ما فيه ذكر الشيب من هذا الشعر، وأن أقتصر على البيتين الأولين، لأن المأمون كان يشتد عليه ذكر الشيب، ويكرهه جداً من المغنين، فأمرهم ألا يغنيه أحد منهم بشعر قيل في الشيب أو فيه ذكر له، فسكرت يوماً فمررت في الشعر كله. فقال: يا مخارق، ألا تُحسن أدب هذا الصبي؟ فنقفني مخارق نقفة صُلبة، فما عدت بعدها أذكر شيئاً فيه الشيب.

أصوات يحبها الأمراء:

وذكر أبو حشيشة في كتابه ما كان يشتهيه المأمون عليه وغيره أصواتاً كثيرة لا فائدة في ذكرها بكتابنا لأنها طويلة، فذكرت مما كان يختاره كل خليفة صوتاً. قال أبو حشيشة: كان المعتصم يشتهي مني:

---

(١) إشخاصي: إحضاري.

صـوت

أسـرفـتَ فـي سـوء الـصَّـنـيـع وفـتـكـتَ بـي فَـتْـك الـخـلـيـع
وولـعـت بـي مـتـمـرِّنـاً والـعُـذْر فـي طَـرْفِ الـولـوعِ[1]
صَـيَّـرْتُ حـبَّـك شـافـعـاً فـأُتِـيـتُ مـن قِـبَـل الـشـفـيـع
[مجزوء الكامل]

الشعر لأصرم بن حميد، والغناء لأبي حشيشة رمل.

قال أبو حشيشة: وكان الواثق يختار من غنائي:

صـوت

يـا تـاركـي مُـتَـلَـدِّدَ[2] الـعُـوَّاد جَـذَلانَ الـعُـداةِ
أنـظـرْ إلـيّ بـعـيـن را ضٍ نـظـرةً قـبـل الـمـمـاتِ
[مجزوء الكامل]
خـلّـيـتـنـي بـيـن الـوعـيـد وبـيـن ألـسِـنـة الـوشـاةِ
مـاذا يُـرجِّـي بـالـحـيـا ةِ مُـنَـغَّـصٌ رَوْحَ الـحـيـاةِ؟
[مجزوء الكامل]

الشعر لمحمد بن سعيد الأسدي، والغناء لأبي حشيشة خفيف رمل.

قال: وكان أمير المؤمنين المتوكل يحبني ويستخفني، وكانت أغانيه التي يشتهيها عليّ كثيرة منها:

صـوت

أطـعـتَ الـهـوى وخـلـعـتَ الـعِـذارا وبـاكـرتَ بـعـد الـقـراحِ الـعُـقـارا
ونـازعـك الـكـأسَ مـن هـاشـم كـريـمٌ يُـحـبّ عـلـيـهـا الـوقـارا
فـتـى فـرَّق الـمـجـدُ أمـوالَـه يـجـرُّ الـقـمـيـص ويُـرخـي الإزارا
رأى الـلَّـهُ جـعـفَـرَ خـيـرَ الأنـام فـمـلَّـكـه ووقـاه الـحِـذارا
المتقارب]

الشعر والغناء لأبي حشيشة.

وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ:

---

(١) الولوع: الاستخفاف والكذب. (٢) مُتلدِّد: مُتَحيِّر.

صـــوت

قالوا عشقتَ فقلت أحسنَ مَن مشى والعشقُ ليس على الكريم بعارِ
يا من شكوت إليه طول صبابتي فأجابني بتهجُّم الإنكارِ
[الكامل]

قال: وكان المستعين يشتهي عليّ:

صـــوت

وما أنس لا أنس منها الخشوع وفيضَ الدموع وغمز اليدِ
وخدي يضاف إلى خدِّها قياماً إلى الصبح لم نَرقدِ
[المتقارب]

الشعر لمحمد بن أمية، والصنعة لأبي حشيشة.

قال أبو حشيشة: أخبرني محمد بن عليّ أبو عصمة ـ وكان إلٰه المربد في الدنيا كلها ـ قال: حضرت المعتز وقد [وفد] عليه جواب كتابه إلى محمد بن عبد اللَّه بن طاهر ـ وكان كتب إليه يطلبني منه ـ فكتب إليه محمد: إني عليل لا فضل فيَّ للخدمة، قال أبو عصمة: قال لي المعتز: يا محمد، صديقك يؤثر علينا آل طاهر. فقلت: يا سيدي أنا أعلم الناس بخبره، وهو واللَّه عليل ما فيه موضع لخدمة أمير المؤمنين، قال: ثم ذكرني أمير المؤمنين المعتمد وحرّضه عليّ ابنُ حمدون، فكتب إلى [أبي] أيوبَ سليمان بنِ عبد اللَّه بن طاهر وهو يومئذٍ أمير بغداد بإشخاصي، فأشخصني عن ساعتي، فأكرمني وأدنى مجلسي، وأمر لي بجائزة، واشتهى عليَّ:

صـــوت

قلبي يُحبّك يا مُنى قلبي ويُبغض من يُحبُّكْ
لأكون فرداً في هوا ك فليت شعري كيفَ قلْبُكْ؟
[المجتث]

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب، والغناء لأبي حشيشة رمل.

إبراهيم بن المهدي يطلب سماعه:

قال أبو حشيشة: سمع إبراهيم بن المهدي أصواتاً من غنائي من محمد بن الحارث بن بسخُنَّر وعمرو بن بانة فاستحسنها وأخذها جواريه وقال: الطنبور كله

باطل، فإن كان شيء منه حقاً فهذا، واشتهى أن يسمعني، فهبته هيبة عظيمة وقلت: إن رضيني لم يزدني ذلك، وإن لم يرضني بقيتْ عليّ وصمة آخر الدهر، وكان يطلبني من محمد بن الحارث بن بسخُنَّر خاصة ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع، فكنت أَفرّ منهما، حتى حضرنا بسر من رأى وأنا في تلك الأيام منقطع إلى أبي أحمد بن الرشيد، ونحن في مضارب لم نكن سكنا المنازل بعد، فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسول إبراهيم بن المهدي، فأبلغه السلام وقال: يقول لك عمك: قد أعيتني الحِيَل في هذا الخبيث، وأنا أحب أن أسمعه وهو يهرب مني، فأحب أن تبعث به إليّ وتكون ربرب معه تؤنسه، فقال لي أبو أحمد: لا بُدَّ أن تمضي إلى عمي، فجهدت كل الجهد أن يعفيني فأبى، فلما رأيت أنه شيء لا بُدَّ منه لبست ثيابي ومضيت إليه، وهو نازل في الدير، فرحَّبَ وقرَّب، وبسطني كل البسط، ومعي ربرب، ودعا بالنبيذ وأمر خدماً له كباراً فجلسوا معي وشربوا وسقوني، وعرض عليَّ بكل حيلة أن أغني، فهبته هيبة شديدة، وحَضِرْتُ، وشرب رطلاً، ودعا بثلاث جوارٍ، فخرجن وجلسن، فقال لهن: قلنَ:

صـــوت

كـيـف احـتـيـالـي وأنـتَ لا تَـصِـلُ ... عِـيـل اصـطـبـاري وقـلَّـت الـحِـيَـلُ
إن كـان جـسـمـي هـواك يُـنْـحِـلـه ... فـإن قـلـبـي عـلـيـك يـتّـكـلُ

[المنسرح]

الشعر لخالد الكاتب والغناء لأبي حشيشة رمل. وكان يسميه الرُّهباني، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهْبان في الليل يرددوه فعمله عليه.

فقالته إحداهن، فذهب عقلي، وسمعت شيئاً لم أسمع مثله قطّ، فقال: يا خليلي: هذا لك؟ فقلت: نعم أصلح اللَّه الأمير، فأخذتني رعدة وقال لهن: قلن:

صـــوت

ربِّ مـا لـي ولـلـهـوى ... مـا لـهـذا الـهـوى وَمَـا
حـار طـرفـي الـذي هـوى الـ ... ـحـسـن قـلـبـي ومـا حَـوَا

[مجزوء الخفيف]

الشعر لخالد، والغناء لأبي حشيشة رمل.

فغنته ما هو أعجب من الأول، فقال: يا خليلي هذا لك؟ فقلت: نعم يا سيدي،

قال: هكذا أخذناهما من محمد بن الحارث. ثم شرب رطلاً آخر، فقلت في نفسي: دعاك الرجل يَسمعك أو يُسْمِعك، وقوّيت عزمي وغنيته بشعر لخالد الكاتب وهو:

صـوت

لـئـن لـجَّ قـلـبـك فـي ذِكـرِهِ ... ولـجَّ حـبـيـبـك فـي هَـجْـرِهِ
لـقـد أورث الـعـيـن طـول الـبُـكـا ... وعَـزَّ الـفـؤاد عـلـى صـبـرِهِ
فـإن أذهـبَ الـقـلـبَ وجْـداً بـه ... فـجـسـمـك لا شـكَّ فـي إثْـرِهِ
وأيُّ مـحـب تـجـافـي الـهـوى ... بِـطـولِ الـتـذكّـر لـم يـبْـرِهِ

[المتقارب]

فجعل يردد البيت الأول والبيت الأخير وقال: لا تخرجَنَّ يا خليلي إلى غيره، فلم أزل أردده عليه حتى شرب ثالثاً، واسترحت ساعة وشربت رطلاً وطابت نفسي، ثم استعادني فغنيته لحنه به خلاف الأول، فنظر إليّ وضحك ولم يقل شيئاً، وشرب رطلاً رابعاً، وجاءت المغرب فقال لي: يا خليلي ما أشك أني قد أوحشت ابني منك، فامض في حفظ اللّه.

فانصرفت أطير فرحاً، فلما وافيت أبا أحمد ونظر إليّ من بعد قال: حنطة أو شعير؟ فقلت: بل سمسم وشهد، انج على رغم أنف من رغم، فقال: ويحك، أتراني لا أعرف فضلك؟ ولكني أحببت أن أستعين برأيه على رأيي فيك. فقصصت عليه القصة فسرّه ذلك، ولم يرضَ حتى دسَّ إليه محمد بن راشد الخنَّاق فسأله عني فقال: ما ظننت أنه يكون في صناعته مثله.

إسحاق يستحسن غناءه:

قال أبو حشيشة: وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي غنائي فاستحسنه، وسئل عني فقال: غناء الطنبور كله ضعيف وما سمعت أقوى ولا أصح من هذا قط.

سبب موته:

حدثني جحظة قال:

كان سبب موت أبي حشيشة بسرّ من رأى أن قلماً غلامَ الفضل بن كاووس صار إليه في يوم بارد فدعاه إلى الصبوح، فقال: أنا لا آكل إلا طعاماً حارّاً، وليس عندك إلا فضلة من مُحْلِيَّة قال: ساعدني وكُلْ معي، فجمَّدت دمَ قلبه، فمات، فحَدَرَه إبراهيم بن المدبر إلى بناته، وما كسبه بسرّ من رأى معه فاقتسمنه.

صـــوت

سـقـيـاً لـقـاطـول لا أَرى بـلـداً أَوْطَـنـه الـمـوطِـنـون يُـشـبِـهُـهَـا
أَمْـنـاً وخِـصْـبـاً ولا كـبـهـجـتـهـا أَرْغـد أَرض تُـرى وأَرْفَـهُـهَـا

[المنسرح]

البيت الأول من البيتين لعنان جارية الناطفي، والثاني يقال: إنه لعمر الوادي. ويقال: إنه لأبي نواس، ويقال: بل هو لها.

والغناء لعريب خفيف رمل. وكان الشعر:

سـقـيـاً لـبـغـداد

فغيرته عريب وجعلته:

سـقـيـاً لـقـاطـول

أخبار عنان

الناطفي يشتريها ويربيها:

كانت عنان جارية مولّدة من مولّدات اليمامة. وبها نشأت وتأدبت، فاشتراها الناطفي وربَّاها. وكانت صفراء جميلة الوجه شَكِلَة مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة، وكان فحول الشعراء يساجلونها ويعارضونها فتنتصف منهم.

أبو نواس وعنان:

فأخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد، وعليّ بن صالح بن الهيثم قالا: حدثنا أبو هِفان عن الجمَّاز قال:

دخل أبو نواس يوماً على عنان جارية الناطفي فتحدثا ساعة ثم قال لها: قد قلت شعراً، قالت: هات: فقال:

إن لـي أيْـراً خـبـيـثـاً ... لـونـه يـحـكـي الـكـمـيـتـا
لـو رأى فـي الـجـوِّ صَـدعـاً ... لَـنَـزَا حـتـى يـمـوتـا
أو رآه فـوقَ سـطـح ... لـتـحـوّل عـنـكـبـوتـا
أو رآه جـوفَ بـحـر ... خِـلـتـه فـي الـبـحـر حـوتـا

[مجزوء الكامل]

قال: فلم تلبث أن قالت:

زوِّجـوا هـذا بـألـف ... وأظـن الألـف قُـوتـا
إنـنـي أَخـشـى عـلـيـه ... إن تـمـادى أن يـمـوتـا
بـادروا مـا حـلّ بـالـمـسـ ... ـكـيـن خـوفـاً أن يَـفـوتـا
قـبـل أن يـنـتـكـس الـدا ... ء فـلا يـأتـي ويُـوتـى

[مجزوء الكامل]

قال: ودخل إليها يوماً فقال لها:

مـا تـأمـريـن لـصَـبٍّ ... يَـكـفـيـه مـنـك قُـطَـيْـرَهْ

[المجتث]

فأجابته:

إيـــاي تـــعـــنـــي بـــهـــذا عـلـيـك فـاجْـلِـدْ عُـمَـيـرهْ

[المجتث]

فقال لها:

أريـــد هـــذا وأخـــشـــى عـلـى يـدي مـنـك غَـيْـرَهْ

[المجتث]

قال: فخجلت وقالت: تعست وتعس من يغار عليك.

أبو حنش يطارح عنان:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني أحمد بن معاوية قال:

سمعت أبا حنش يقول: قال لي الناطفي: هلمَّ إلى عنان فطارِحْها، فعزمت على الغدُوّ، فبتّ ليلي أقول بيتين، ثم غدوت عليها فقلت:

أَحـبَّ الـمـلاحَ الـبـيـضَ قـلـبـي وربـمـا أَحـبَّ الـمـلاحَ الـصُّـفْـرَ مـن ولـد الـحَـبَـشْ

بـكـيـتُ عـلـى صـفـراء فـي الـدهـر مـرَّةً بـكـاءً أصـاب الـعـيـن مـنّـيَ بـالـعَـمَـشْ

[الطويل]

فقالت:

بـكـيـت عـلـيـهـا إن قـلـبـي يـحـبـهـا وإن فـؤادي كـالـجـنـاحـيـن ذو رَعَـشْ

تَـعَـنَّـيْـتَـنَـا بـالـشِّـعـر لـمـا أَتـيـتـنـا فـدونـك خـذه مُـحـكـمـاً يـا أبـا حَـنَـشْ

[الطويل]

مروان بن أبي حفصة يشهد لها:

أخبرني أحمد قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني أحمد بن معاوية قال:

سمعت مروان بن أبي حفصة يقول: لقيني الناطفي فدعاني إلى عنان، فانطلقت معه، فدخل إليها قبلي فقال لها: قد جئتك بأشعر الناس مروان بن أبي حفصة، فوجدها عليلة، فقالت: إني عن مروان لفي شغل، فأهوى إليها بسوطه فضربها وقال لي: ادخل، فدخلت وهي تبكي، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها، فقلت:

بـكـت عـنـان فـجـرى دمـعـهـا كـالـدرّ إذ يَـسْـتَـنّ[1] مـن خَـيْـطِـهِ

[السريع]

---

(١) يستنّ: ينصَبُّ وينحدِر.

فقالت وهي تبكي:

فـلـيـت مـن يـضـربـهـا ظـالـمـاً تـجـف يـمـنـاه عـلـى سَـوْطِـهِ

[السريع]

فقلت: أعتق مروان ما يملكه إن كان في الجن والأنس أشعر منها.

عليك بعنان:

أخبرني الجوهري قال: حدثني أبو زيد عن أحمد بن معاوية قال:

قال لي رجل: تصفحت كتباً، فوجدت فيها بيتاً، فجهدت جُهدي أن أجد من يُجيزه فلم أجد، فقال لي صديق: عليك بعنان جارية الناطفي، فجئتها فأنشدتها:

صـوت

ومـا زالـي شـكـو الـحـبّ حـتـى رأيـتـه تـنـفَّـس فـي أحـشـائـه وتـكـلّـمـا

[الطويل]

فلم تلبث عنان أن قالت:

ويـبـكـي فـأبـكـي رحـمـة لـبـكـائـه إذا مـا بـكـى دمـعـاً بـكـيـت لـه دمـا

[الطويل]

في هذين البيتين لحن من الرمل أظنه لجحظة أو لبعض طبقته.

قرأت في بعض الكتب:

هزيمة:

دخل بعض الشعراء على عنان جارية الناطفي، فقال لها الناطفي: عَايِية[1]، فقالت:

سـقـيـاً لـبـغـداد لا أرى بـلـداً يـسـكـنـه الـسـاكـنـون يـشـبِـهُـهَـا

[المنسرح]

فقال:

كـأنـهـا فـضّـة مُـمَـوَّهـة أَخـلَـص تَـمْـوِيـهَـهَـا مُـمَـوِّهُـهَـا

[المنسرح]

---

(١) العايية: المريضة.

فقالت:

أمْـنـاً وخـصـبـاً ولا كـبـهـجـتـهـا أرغـد أرض عَـيْـشـاً وأرفـهُـهـا
[المنسرح]

فانقطع الرجل.

أبو نواس يحركها:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني مسعود بن عيسى قال: أخبرني موسى بن عبد اللَّه التميمي قال:

دخل أبو نواس على الناطفي وعنان جالسة تبكي، وخدّها على رَزَّة[1] من مصراع الباب، وقد كان الناطفي ضربها، فأومأ إلى أبي نواس أن يحرّكها بشيء فقال:

عـنـان لـو جـدْتِ لـي فـإنـيَ مـن عُـمْـرِيَ [فـي] آمَـنَ الـرَّسـولُ بـمـا
[المنسرح]

فردّت عليه وقالت:

فـإن تـمـادى ولا تـمـاديْـت فـي قَـطْـعِـك حـبـلـي أَكُـن كـمَـن خَـتَـمـا
[المنسرح]

فردّ عليها فقال:

عـلـقـتُ مـن لـو أتـى عـلـى أنـفـس الـ ـمَـاضـيـن والـغـابـريـن مـا نَـدِمـا
[المنسرح]

فردّت عليه:

لـو نـظـرتْ عـيـنُـهـا إلـى حَـجَـرٍ ولَّـد فـيـه فـتـورُهـا سَـقَـمـا
[المنسرح]

أحمر وأخضر:

حدثني ابن عمران قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن أبي مروان الكاتب قال:

أخذ أبو نواس من عنان جارية الناطفي خاتماً فَصُّه أحمر، فأَخَذه أحمد بن خالد جيلوه من أبي نواس، فطلبته منه، فبعث إليها خاتماً فصه أخضر، فاتهمته في ذلك، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد:

---

(١) الرزّة: الحديدة التي يدخُل فيها القفل ونحوه.

فـدتّـك نـفـسـي يـا أبـا جَـعـفَـرِ جـاريـة كـالـقـمـر الأزهـرِ
تَـعَـلَّـقَـتْـنـي وتـعـلَّـقْـتُـهـا طـفـلـيـن فـي الـمـهـد إلـى الـمـكـبَـرِ
كـنـت وكـانـت نـتـهـادى الـهـوى بـخـاتَـمَـيْـنَـا غـيـر مُـسـتَـنْـكـرِ
حـنَّـت إلـى الـحـاكـم مـنـي وقـد سَـلَـبْـتَـنـي إيـاه مُـذْ أشْـهُـرِ
فـأرسـلَـتْ فـيـه فـغـالـطْـتُـهـا بـخـاتـم فـي قَـدِّه أحْـضـرِ
قـالـت لـقـد كـان لـنـا خـاتـمٌ أحـمـرُ أهـداه إلـيـنـا سَـرِي
لـكـنـه عُـلّـق غـيـري فـقـد أَهـدى لـهـا الـخـاتـم لا أَمْـتَـرِي
كـفـرتُ بـالـلَّـه وآيـاتـه إن أنـا لـم أهـجـره فـلْـيـبـصِـرِ
أو فـأْتِ بـالـمـخـرج مـن تُـهْـمـتـي إيَّـاه فـي خـاتـمـه الأحـمـرِ
فـارْدُدْهُ تَـرْدِدْ وصْـلَـهـا إنـهـا قُـرَّة عـيـنـي يـا أبـا جـعـفـرِ
فـإنـنـي مُـتَّـهـمٌ عـنـدهـا وأنـت قـد تـعـلـم أنـي بَـرِي

[السريع]

قال: فرد إليه الخاتم، وبعث إليه معه بألفي درهم.

بيت بعشرين ألف!!

أخبرني ابن عمار وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا المبرد عن المازني.

عن الأصمعي قال: ما رأيت أثر النبيذ في وجه الرشيد قطّ إلا مرة واحدة، فإني دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجي، فرأيت التَّخَثُّرَ[1] في وجهه، فقال لنا: اسْتَبِقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم، قال: فانثنيت ومنعتني هيبته، فقال أبو حفص:

كـلـمـا دارت الـزجـاجـة زادتـ ـه اشـتـيـاقـاً وحُـرقـةً فـبـكـاكِ

[الخفيف]

قال: أَحسنت، فلك عشرة آلاف درهم، فزالت الهيبة عني فقلت:

لـم يـنـلْـكِ الـرجـاء أن تَـحْـضُـريـنـي وتـجـافَـتْ أُمـنـيّـتـي عـن سِـواكِ

[الخفيف]

فقال: للَّه درك، لك عشرون ألفاً. قال: فطرق مليًّا ثم رفع رأسه فقال: أنا واللَّه أشعر منكما، ثم قال:

(١) التَّخثُّر: يقال: فلان خاثر النفس، أي غير طيب ولا نشيط.

فتمنيت أن يُغَشّيَني اللَّهُ نُعاساً لعلّ عيني تراكِ
[الخفيف]

ما فيها غير الشعر:

أخبرني ابن عمار والأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد عن المازني قال:

قال الأصمعي: بعثتْ إليّ أم جعفر: أن أمير المؤمنين قد لهج بهذه الجارية عنان فإن صرفته عنها فلك حكمك. قال فكنت أُريغ لأجد للقول فيها موضعاً، فلا أجده، ولا أَقدم عليه هيبة، إذ دخلتُ يوماً فرأيت في وجهه أثر الغضب، فانخزلت فقال: ما لك يا اصمعي؟ قلت: رأَيت في وجه أمير المؤمنين أثر غضب، فلعن اللَّه من أَغضبه، فقال: [هذا الناطقي] واللَّه لولا أني لم أَجُرْ في حكم قطّ متعمداً لجعلت على كل جبل منه قطعة، ما لي في جاريته أَرب غير الشعر، فذكرت رسالة أم جعفر فقلت له: واللَّه ما فيها غير الشعر، فيسرّ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق؟ فضحك حتى استلقى، واتصل قولي بأم جعفر فأجزلت لي الجائزة.

تُباع بمائتين وخمسين ألفاً:

أخبرني عمّي قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني محمد بن هارون عن يعقوب بن إبراهيم:

أن الرشيد طلب من الناطفي جاريته، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار، على أن يأخذ الدينار بسبعة دراهم، فامتنع عليه، فأمر أن تُحمل إليه، فذكروا أنها دخلت مجلسه فجلست في هيبتها تنتظره، فدخل إليها فقال لها: ويلك إن هذا قد اعتاص عليّ في أمرك، قالت: وما يمنعك أن ترضيه وتوفيه؟ قال: فليس يقنع بما أعطيه، وأمرها بالانصراف، فبلغني أن الناطقي تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه، فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها، فلما مات بعث مسروراً الخادم فأخرجها إلى باب الكرخ وأقامها على سرير وعليها رداء [سِنْدِي قد جَلَّلها] [وقال]: إن سيدي قد حلَّلها، فنودي عليها فيمن يزيد بعد أن شاور الفقهاء فيها وقال: هذه كبد رطبة، وعلى الرجل دين، فأشاروا ببيعها، فبلغني أنها كانت تقول وهي على المطبة: أهان اللَّه من أهانني وأذل من أذلني فلكزها مسرور بيده، وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم، وجاء رجل فقال: علي زيادة خمسة وعشرين ألفاً. فلكزه مسرور وقال: أتزيد على أمير المؤمنين؟ ثم بلغ بها الرجل مائتين وخمسين ألفاً فأخذها له ـ قال: ولم يكن فيها شيء يعاب، فطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها عين، فأوقعوا بخنصرها في ظفر رجلها

شيئاً ـ فأولدها ابنتين، قال: أظنهما ماتتا صغاراً. ثم خرج إلى خراسان فمات هناك وماتت عنان بعده. قال: وأنشدوا لأبي نواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد، ويذكر عناناً في تشبيبها:

عنان يا من تشبه العِينا أنت على الحبّ تلومينا
حسنك حسن لا أرى مثله ترك الناس مجانينا

[السريع]

ابن الأحنف يهواها:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني أحمد بن القاسم العجلي قال:

حدثني أبو جعفر النخعي قال: كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفي، فجاءني يوماً فقال: امض بنا إلى عنان، فصرنا إليها، فرأيتها كالمهاجرة له، فجلسنا قليلاً ثم ابتدأ العباس فقال:

قال عباس وقد أُجـ ـهِد في وجْدٍ شديدِ
ليس لي صبر على الهجـ ـر ولا لِلذعِ الصدودِ
لا ولا يصبر للهجـ ـر فؤاد من حديدِ

[مجزوء الرمل]

فقالت عنان:

من تراه كان أغنى منك عن هذا الصدودِ
بعد وصل لك مني فيه إرغامُ الحسودِ
فاتّخذ للهجر إنْ شئـ ـتَ فؤاداً من حديدِ
ما رأَيناك على ما كُنْـ ـت تَجنِي بِجَليدِ

[مجزوء الرمل]

فقال العباس:

أو تَجُودين بصَفحٍ عن أخي وجْدٍ شديدِ
وأخي جهل بما كا نَ تجنَّى من صُدودِ
ليس من أحدث هجراً لصديق بسديدِ
ليس منه الموت إن لم تصليه ببعيدِ

[مجزوء الرمل]

قال: فقلت للعباس: ويحك، ما هذا الأمر؟ فقال: أنا جنيت على نفسي بتَتَايُهي[1] عليها. فلم أبرح حتى ترضيتها له.

أبو نواس يكرّه الرشيد في عنان:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الحارث بن محمد بن أسامة قال: حدثني يحيى بن محمد:

أن الرشيد كان يُساوم بعنان جارية النَّطَّاف، فبلغ ذلك أم جعفر، فشق عليها، فدسَّت إلى أبي نواس على أن يحتال في أمرها، فقال يهجوها.

إن عنانَ النَّطَّاف جاريةٌ أصبح جِرها للنيك ميدانا
ما يشتريها إلا ابنُ زانية أو قُلْتُبان[2] يكون من كانا

[المنسرح]

فبلغ ذلك هارونَ الرشيد، فكان يقول: لعن اللَّه أبا نواس وقبحه، فلقد أفسد عليّ أمري في عنان بما قال فيها، ومنعني من شرائها.

صوت

ما لي وللخمر وقد أرعشت مني يميني فهاتِ بالأخرى
حتى تراني مائلاً مُسْنَداً لا أستطيع الكأس باليسرى

[السريع]

الشعر للحسن بن وهب، والغناء لعبد اللَّه بن العباس الربيعي رمل بالوسطى، وفيه أيضاً خفيف رمل بالبنصر.

(١) التتايُه: الصَّلف والكِبر.
(٢) قُلتُبان: قوَّاد.

أخبار الحسن بن وهب ونسبه

اسمه ونسبه:

هو الحسن بن وهب بن سعد، شاعر كاتب مترسل فصيح أديب، وأخوه سليمان بن وهب بمحلّ من الكتاب.

ويكنى أبا علي، وهو عريق في الكتابة، ولأولاده نجابة مشهورة تستغني عن وصف ذلك، وكانوا يقولون: إنهم من بني الحارث بن كعب بن عمرو، وأصلهم نصارى. وفي بني الحارث نصارى كثير. وفي الحسن بن وهب يقول البحتري:

يا أخا الحارث بن كعب بن عمروٍ أشهوراً تصوم أم أعواما؟

[الخفيف]

وكان البحتري مداحاً لهم، وله في الحسن، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته:

أناةً أيها الفلك المُدَارُ أنَهْبٌ ما تَطَرَّف أم جُبارُ

نزلنا منزل الحسن بن وهب وقد درست معالمه القفارُ

[الوافر]

يقول فيها يصف صبوحاً كانوا اصطبحوه:

أقمْنا أكْلُنا أكلُ استلابٍ هناك وشربُنا شربٌ يُدَارُ

وما إن ذاك من سُخْفٍ ولكن رأيت الشَّرْبَ سُخْفُهمُ الوقارُ

[الوافر]

من سارقيقا:

أخبرني الصولي وذكر ذلك عن جماعة من الكتاب:

أن الحسن بن وهبٍ كان أشد تمسُّكاً إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سليمان، وكان سليمانُ ينكر ذلك ويعاقب أخاه الحسنَ وابنَه أحمدَ بن سليمان. وأصلهم من قرية من سواد واسط، من خُسّ سابور يقال لها: سارقيقا.

يتباهون بحفظ أشعاره:

أخبرني عمّي قال:

حدثني عمر بن نصر الكاتب ـ وكان من مشايخ الكتاب بسرّ من رأى ـ قال: كنا نتهادى ونحن في الديوان أشعار الحسن بن وهب ونتباهى بحفظها. وأنشدني له، وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس أيام الواثق:

خَطْبٌ أبا أيوب جلّ محلّه ... فإذا جزعت من الخطوب فَمَنْ لَها؟
إن الذي عقد الذي انعقدت به ... عُقَد المكارِهِ [لهْوَ] يُحسن حَلَّها
فاصبر لعلّ الصبر يفتق ما ترى ... وعسى بها أن تنجلي ولعلَّها

[الكامل]

قال: وكتب إليه وهو في الحبس بسرّ من رأى:

خليليَّ من عبد المدَانِ تَرَوَّحا ... ونُصّا صُدور العيس[1] حَسْرى وطُلّحا[2]
فإن سليمان بن وهبٍ ببلدَة ... أصاب صميم القلب مني فأقرحا
فلا يُهْنِئ الأعداءَ أسْرُ ابنِ حُرَّةٍ ... يَراه العِدا أندى يميناً وأسمحا
وأنهضَ للأمر الجليل بعزمه ... وأقرع للباب الأصمّ وافتحا

[الطويل]

أبو تمام يمتدحه:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال:

وجّه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالموصل خِلعاً فيها خزّ ووشي، فامتدحه بقصيدة أولها:

أبو عليّ وسْمِيُّ[3] مُنْتَجِعِهْ ... فاحلُلْ بأعلى واديه أو جَرَعِهْ[4]

[المنسرح]

ثم وصف الخلعة فقال:

وقد أتاني الرسول بالملبس الـ ... ـفخْم لصيف امرئ ومُرْتَبَعِهْ

---

(١) العيس: مفردها أعيس وواحدتها عيساء، وهي الإبل التي يخالط بياضها شُقرَة.
(٢) الطُلَّح: مفردها الطالح وهو البعير المعيي.
(٣) الوسمي: أول مطر الربيع.
(٤) الجَرَع: مفردها الجرعة وهي الرَّملة المستوية.

لـو أنـهـا جُـلّـلـت أُويـسـاً لـقـد أسـرعـتِ الـكـبـريـاء فـي وَرَعِـهْ
رائـقُ خـزٍّ أُجـيـد سـابـرُه سَـكْـبٌ تَـدِيـن الـصِّـبَـى لـمُـدَّرِعِـهْ
وسَـرْوُ وَشْـيٍ كـأن شـعـري أحْـ ـيـانـاً نَـسـيـبُ الـعـيـون مـن بِـدَعِـهْ
تـركـتـنـي سـامِـيَ الـحـفـون عـلـى أزْلـم دَهْـرٍ بـحُـسْـنِـهـا جَـذَعِـهْ
[المنسرح]

يعني الدهْرَ، والدهرُ يقال له: الأزلم الجذع. والأزلم: الطويل، والجذع: الجديد، يقول: هو قديم سالف، ويومه جديد، قال لقيط الأيادي:

يـا قـوم بـيـضـتُـكـم لا تُـفـجَـعُـنَّ بـهـا إنـي أخـاف عـلـيـهـا الأزلـم الـجـذَعـا
[البسيط]

حزنه لحبس أخيه:

أخبرني الصولي قال: أخبرنا محمد بن يزيد المبرد قال:

لما حبس محمدُ بنُ عبد الملك الزيات، سليمانَ بنَ وهب وطالبه بالأموال وقت نكبته قال الحسن بن وهب:

خـلـيـلـيّ مـن عـبـد الـمـدان تـروَّحـا ونُـصَّـا صُـدورَ الـعـيـس حَسْـرى وطُـلَّـحـا
فـإن سـلـيـمـان بـن وهـب بـمـنـزلٍ أصـاب صـمـيـم الـقـلـب مـنـي فـأقـرحـا
أَسـائـل عـنـه الـحـارِسـيـن لـحـبـسـه إذا مـا أتـونـي كـيـف أمـسـي وأَصـبـحـا؟
فـلا يُـهْـنِـئ الأعـداءَ أسـرُ ابـن حُـرّة يـراه الـعـدا أنـدى بَـنـانـاً واسـمـحـا
وقـولا لـهـم صـبْـراً عـلـيـه وأَصْـبِـحُـوا فـمـا أقـرَبَ الـلـيـل الـبـهـيـمَ مـن الـضُّـحَـى
[الطويل]

قال: وقيل له وسليمانُ محبوسٌ: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت واللَّه عليل النشاط، كالَّ القريحة، صَدِئ الذهن، ميت الخاطر من سوء فعل الزمان، وتوَرُّد الأحزان، وتغيّر الإخوان. قال: وآلى ألا يذوق طعاماً طيّباً، ولا يشرب ماء بارداً ما دام أخوه محبوساً. فوفى بذلك.

أخبرني الصولي قال: أخبرني أبو الأسود قال:

كان للحسن بن وهب جارٌ هاشميٌّ يلقب بالطير، فحج سنة من السنين ورجع آخر الناس، فقال الحسن بن وهب فيه:

أيـنـقـصُ أم يَـزيـد مـن الـرقـاعَـهْ أخـو حُـمُـقٍ لـه الـدُّنـيـا مُـشـاعَـهْ

يـحـجّ عـلـى الـجـمـال ولـو تـخـلّـى لـمـكّـة جـاءهـا فـي بـعـض سـاعَـهْ
[الوافر]

البكاء حزن محلول:

أخبرني الصولي قال: حدثني الطالقاني قال:

حدثنا أحمد بن سليمان بن وهب قال: رآني الحسن بن وهب عمّي وأنا أبكي لفراق بعض أُلّافي فقال:

إبـكِ فـمـا أنـفَـعَ مـا فـي الـبـكـا لأنـه لـلـوجـد تـسـهـيـلُ
وهْـو إذا أنـت تـأمـلـتـه حـزنٌ جـرى فـي الـخـدّ مـحـلـولُ
[السريع]

حبه للغلمان:

أخبرني الصولي قال: حدثني علي بن صالح قال:

بلغ الحسنَ بنَ رجاء، أن الحسن بن وهب عابه بحب الغلمان، وكان الحسن أشد حبّاً لهم منه، فقال: مثلي ومثله كما قال حسان بن ثابت:

وإني لأغنى الناسِ عن وصل صاحب يرى الناس ضُلّالاً وليس بمهتدي
[الطويل]

جواد ولكن...:

أخبرني محمد قال: حدثنا الحزنبل قال:

كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستميحه، فوقّع في رقعته:

ألجودُ طبعي ولكن ليس لي مالُ وكيف يحتال من بالرهْن يحتالُ؟
[البسيط]

شغفه ببنات:

أخبرنا الحسن بن علي قال:

حدثني الحسين بن موسى بن حماد قال: كنت أكتب في حداثتي بين يدي الحسن بن وهب، وكان شديد الشغف ببناتَ جاريةِ محمد بن حماد كاتب راشدٍ، فكنا يوماً عنده، وهي تغني بين أيدينا، وعندنا كانون فحم، فتأذّت به، فأمرت أن يباعد، فقال الحسن:

بـأبـي كـرهـتِ الـنـار حـتـى أُبـعـدتْ فـعـلـمـت مـا مـعـنـاك فـي إبـعـادِهـا

هـي ضَـرَّة لـك بـالـتـمـاع ضـيـائـهـا وبـحُـسـن صـورتـهـا لـدى إيـقـادِهـا
وأَرى صـنـيـعـك فـي الـقـلـوب صـنـيـعـهـا فـي شـوكـهـا وَسَـيـالـهـا[1] وقَـتـادِهـا[2]
شَـرِكَـتْـك فـي كـل الـجـهـات بـحـسـنـهـا وضـيـائـهـا وصـلاحـهـا وفـسـادِهـا
[الكامل]

فرحة:

أخبرني الصولي قال:

أخبرني الحسين بن يحيى قال: كنا عند الحسن بن وهب فقال: لو ساعدنا الزمانُ لجاءتنا بناتُ، فما تكلم بشيء حتى دخلت، فقال: إني وإياك لكما قال علي بن أُمية:

وفـاجـأتـنـي والـقـلـب نـحـوك شـاخـص وذكـرك مـا بـيـن الـلـسـان إلـى الـقـلـبِ
فـيـا فـرحـة جـاءت عـلـى إثْـرِ تَـرحـةٍ ويـا غـفـلـتـي عـنـهـا وقـد نـزلـت قُـربـي
[الطويل]

صورة الشمس والقمر:

أخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن موسى قال:

جاءت بناتُ تسأل الحسن من عِلَّة نالته، فحين رآها دعا برطل فشربه على وجهها وقال: قد عوفيت فأقيمي اليوم، فأبت وقالت: عند مولاي دعوة، فأمر بإحضار مائتي دينار فأحضرت، فقال: هذه مائة لمولاك فابعثي بها إليه، ومائة لك، فقالت: أما هو فابعث إليه بمائته، وأما أنا فواللَّه لا أخذت المائة الأخرى، ولأتصدقن بمثلها من مالي لعافيتك، ولكن اكتب إليه رقعة تقوم بعذري. فأخذ الدواة وكتب:

صـورةَ الـشـمـس والـقَـمَـرْ مَـتِّـعـيـنـي مـن الـنَّـظـرْ
مَـتِّـعـيـنـي بـجـلـسـة مـنـك يـا أَحـسـن الـبـشـرْ
أشـتـريـهـا إن بِـعْـتِـنِـيـ ـهـا بـسـمـعـي وبـالـبـصـرْ
أذهـبَ الـسُّـقـمَ سـقـمُ طَـرْ فِـكِ بـالـغُـنـج والـحـورْ
فـأديـمـي الـسـرور لا تـمـزجـي الـصـفـوَ بـالـكـدرْ
لـيـس يُـبْـقـي عـلـيَّ حُـبُّـك هـذا ولا يَـذَرْ

(١) السيال: نبات له شوك طويل أبيض. (٢) القَتَاد: شجر صلب له شوكةٌ كالإبَر.

أنـــا مـــنـــه فـــأنْـــعِـــمـــي بـــمـــقـــام عـــلـــى خـــطـــرْ
وتَـــغَـــنَّـــيْ فـــداكِ كـــلّ مُـــغَـــنٍّ لـــكـــي أُسَـــرّ
ربـــع ســـلـــمـــى بـــذي بـــقـــرْ عُـــرضـــة الـــريـــح والـــمـــطـــرْ
[مجزوء الخفيف]

أخوه يعاتبه في حبه لبنات:

حدثني إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان ـ والحكايتان متقاربتان ـ أخبرني الصولي قال: حدثني الحسين بن يحيى قال:

حدثني أحمد بن سليمان قال: قال لي أَبي: قد عزمت على معاتبة عمك في حبه لبنات، فقد شُهر بها وافتضح بها، فكن معي وأَعنّي عليه، وكان هواي مع عمي، فقال له أبي وقد أَطال عتابه: يا أخي، جعلت فداك، الهوى أَلَذّ وأَمتع، والرأي أصوب وأمنع، فقال عمّي متمثلاً:

إذا أَمـــرتْـــك الـــعـــاذلات بـــهـــجـــرهـــا أبـــتْ كـــبـــدٌ عـــمـــا يـــقـــلـــن صـــديـــعُ
وكـــيـــف أَطـــيـــع الـــعـــاذلات وحـــبُّـــهـــا يُـــؤرّقـــنـــي والـــعـــاذلاتُ هـــجـــوعُ؟
[الطويل]

فالتفت أبي إليّ ينظر ما عندي فتمثلت:

وإنـــي لـــيـــلْـــحـــانـــي[1] عـــلـــى فـــرط حـــبّـــهـــا رجـــال أطـــاعـــتْـــهـــم قـــلـــوبٌ صـــحـــائـــحُ
[الطويل]

فنهض أبي مغضباً، وضمني عمّي إليه وقبلني، وانصرفت إلى بنات وحدثتها بما جرى وعمّي يسمع، فأخذت العود وغنت:

يـــلـــومـــك فـــي مـــودتـــهـــا رجـــالٌ لـــوَ انَّـــهـــمُ بـــدائـــك لـــم يـــلـــومـــوا
[الوافر]

فيه ثقيل أول.

منى تلومه ثم تعذره:

قال أحمد بن سليمان: وعذلته عجوز لنا يقال لها: منى، فقال لها: قومي فانظري إليها واسمعي غناءها ثم لوميني، فقامت معه فرأَتها وسمعت غناءها فقالت له: لست أُعاود لومك بعد هذا، فأنشأ يقول:

---

(١) يلحاني: يلومني.

ويـوم سـهـا عـنـه الـزمـان وأَصـبـحـت نـواظـره قـد حـار عـنـهـا بـصـيـرُهـا
خـلـوتُ بـمـن أَهـوى بـه فـتـكـامـلـت سـعـودٌ أدار الـنـحْـسَ عـنّـا مُـديـرُهـا
أمـا تـعـذريـنـي يـا مـنـى مـن صـبـابـتـي بـمـن وجـهـهـا كـالـشـمـس يـلـمـع نـورُهـا؟
[الطويل]

بنات تتوسط لإبراهيم:

قال أحمد بن سليمان: كان لعمّي كاتب يعرف بإبراهيم، نصراني، وكان يأنس به، فسأل بناتَ مُساءلة عمّي أن يجعل رزقه ألف درهم في الشهر، فلما شرب أقداحاً وطرب وثبت قائمة وقالت: يا سيدي لي حاجة، فقام لقيامها، فقالت: تجعل رزق إبراهيم ألف درهم، فقال: سمعاً وطاعة. فجلست وجلس وأَنشأ يقول:

قـامـت وقـمـت ولـم أَكـن لـو لـم تـقـم لأخـفَّ وقـتـاً عـنـدهـا فـأقـومـا
شـفـعـتْ لإبـراهـيـم فـي أَرزاقـه فـوددت أَنـي كـنـت إبـراهـيـمـا
فـأجـبـتـهـا إنـي مـطـيـع أمـرهـا وأَراه فـرضـاً واجـبـاً مـحـتـومـا
مـا كـان أَطـيـب يـومـنـا وأَسـرَّه لـو لـم يـكـن بـفـراقـهـا مـخـتـومـا
[الكامل]

قال: ثم إن عمّي صار إلى أبي فأخبره الخبر، وأمر أبي أن يجعل لإبراهيم من ماله ألف درهم أجَر شفاعتها.

الحسن يكتب إلى بنات:

أخبرني الصولي قال: حدثني إسماعيل بن الخصيب قال:

إعتل الحسن بن وهب، فلم تعلم بنات بذلك، وتأخرت عن عيادته، فكتب إليها:

عـلـيـلٌ أنـت أَعْـلَـلْـتِـهْ فـلـو أَنـك عَـلَّـلْـتِـهْ
بـوعْـدٍ أن تـزوريـه إذا مـا مـمـكِـنٌ نِـلْـتِـهْ
قـريـبـاً لـنـفـيـت الـدا ءَ عـنـه حـيـن واعـدتِـهْ
ومـا ضـرّك لـو جـاءَ رسـول مـنـك أَرسـلـتِـهْ
فـيـحـكـي لـك مـا قـال كـمـا يـحـكـي الـذي قـلـتِـهْ
أمـا واللَّـه لـو أن الـ ـذي حُـمِّـلَ حُـمِّـلْـتِـهْ
لـمـا احـتـاج إلـى الـتـعـلـيـ ـم فـيـمـا قـد تـجـاهـلـتِـهْ
[الهزج]

هدايا وشفانين:

أخبرني الصولي قال: أخبرني أحمد بن إسماعيل قال: حدثني أحمد بن عبد اللَّه بن جميل قال:

أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علة اعتلتها هدايا جمَّة، وأهدى معها قفصاً فيه شفانين[١] وكتب إليها:

شفاءُ أَنينٍ بالشفانين أَوَّلت ... لكم نفسُ من أهدى الشفانين عائدا
كُلُوها يَكِلُّ الداءُ منكم فإنني ... أَزوركمُ للشوق لا زرت عائدا

[الطويل]

أذكري مغرماً بحبك:

أخبرني عمّي قال: حدثني ميمون بن هارون قال:

كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها، فكتبت إليه: عند مولاي أصدقاء له، وقد منعها من المصير إليه، فكتب إليها:

يومنا يوم جمعة بأبي أنـ ... ـت وعند الوضيع لا شك قَوْمُ
سَفَلٌ مثله يسومونه الخسـ ... ـف فيرضاه وهو للوغد سَوْمُ
فامنعيه منك البشاشة حتى ... يتغشَّاهمُ من البرْد نومُ
وليكنْ منك طول يومك للَّـ ... ـه صلاة إلى المساءِ وصومُ
وارفعي عنهمُ الغِناء وإن نا ... لك عَذْل من الوضيع ولومُ
واذكري مغرماً بحبك أمسى ... همُّه أن يُدِيله منك يومُ

[الخفيف]

برق ورعد ومطر:

أخبرني عمّي قال: حدثنا ميمون بن هارون قال:

كان الحسن بن وهب يشرب عند عبد اللَّه بن طاهر، فعرضت سحابة فبرقت ورعدت وقطرت، فقال الحسن:

هطلتْنا السماءُ هطلاً دِراكا ... عَارَضَ المرْزمانِ[٢] فيها السِّماكا[٣]

---

(١) الشفانين: مفردها الشفنين وهو ضرب من الطيور.
(٢) المرزمان: نجمان مع الشعريين.
(٣) السِّماك: هو أحد السِّماكين أي السِّماك الرامح والسِّماك الأعزل وهما كوكبان نيّران.

قـلـت لـلـبـرق إذ تـألّـق فـيـهـا يـا زنـاد الـسـمـاء مـن أوراكـا؟
أحـبـيـب نـأيـتـه فـبـكـاكـا فـهـو الـعـارض الـذي اسـتـبـكـاكـا
أم تـشـبـهـت بـالأمـيـر أبـي الـعـبّـاس فـي جـوده فـكـنـت كـذاكـا؟
[الخفيف]

يحلف ألا يشرب النبيذ شهراً:

أخبرني عمّي قال: حدثنا أبو العيناء قال:

طلب محمدُ بنُ عبد الملك الزيات، الحسنَ بنَ وهب، وكان قد اصطبح مع بناتَ، فكتب إليه:

يا سيدي، أنا في مجلس بَهِيّ، وطعام هَنِيّ، وشراب شَهِيّ، وغناء رَضيّ، فتحوّلني عنه، كذا الشقيّ.

ووثبت بناتُ لتقوم فردّها وكتب:

مـا بـان عـنـك الـذي بِـنْـ ـت عـنـه لا عـاش بـعـدكْ
إن لـم يـكـن عـنـده عَـنـ ـك لـلـسُّـلُـوِّ فـعـنـدكْ
ومـا وجـدْتـيـه إلا عـبْـد الـرجـاء وعَـبْـدَكْ
[المجتث]

فاستلبها الرسول ومضى بها إلى محمد، فوقع فيها:

أبـا عـلـيٍّ أراك الـ ـإلـهُ فـي الأمـر رُشـدَكْ
إن لـم تـكـن عـنـديَ الـيـ ـومَ كـنـتُ بـالـشـوق عـنـدكْ
فـاهـدِم مـحـلَّـك عـنـدي واجـهـدْ بـذلـك جَـهْـدَكْ
فـلـسـت أزداد إلا رعـايـة لـك وُدَّك
فـانـعَـمْ بـمـن قـلـت فـيـه عـبـد الـرجـاء وعـبـدَك
أُزِيـلَ نـحْـسُـكَ فـيـهـا وأطـلـع الـلَّـه سـعـدكْ
[المجتث]

ورد الرقعة إلى الحسن فلما قرأها خجل، وحلف ألا يشرب النبيذ شهراً، ولا يفارق مجلس الوزير فيه.

بنات تلد فيهجرها:

أخبرني عمّي قال: سمعت إبراهيم بن المدبر قال:

ولدت بناتُ من مولاها ولداً وسمته إبراهيم، فأبغضها الحسن بن وهب وكتب إليها:

نُتِجَ المهرةُ الهجانُ هَجيناً ... ثم سَمَّى الهجين إبراهيما
أخليلَ الرحمن سميت عبداً ... أم قريع الفتيانِ ذاك الكريما؟

[الخفيف]

وبعث بالبيتين إليها، وكان آخر عهده بها.

رومي وخزري:

أخبرنا الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى قال:

كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً روميّاً لأبي تمام، وكان أبو تمام يعشق غلاماً للحسن بن وهب خزريّاً، فرأى أبو تمام الحسنَ يوماً يعبث بغلامه، فقال له: واللَّه لئن أعنقت إلى الروم لنركضنَّ إلى الخزر، فقال له الحسن: لو شئت لحكمتَ أو حكمتُ، فقال أبو تمام: ما أشبهك إلا بداود، ولا أشبه نفسي إلا بالخصمين، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً حفظناه، فأما المنثور فهو عارض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبا عليٍّ لصرْف الدهر والغِيَرِ ... وللحوادث والأيام والعِبرِ
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها ... وأنت مضطرب الأحشاء للقمرِ
أذكرتني أمر داود وكنت فتى ... مُصرَّف القول في الأهواء والذِّكَرِ
إن أنت لم تترك السيرَ الحثيثَ إلى ... جآذر الروم أعنقنا إلى الخزرِ
إن النُّفورَ له مني محلّ هوىً ... يحلّ عندي محلّ السمع والبصرِ
وربَّ أمنع منه جانباً وحِمىً ... أمسى وتكَّته مني على خطَرِ
جرّدت فيه جُنود العزم فانكشَفت ... منه غيابتها عن سِكَّة هَدَرِ
سبحان من سبّحته كل جارحة ... ما فيك من طمحان الأير والنظرِ
أنت المقيم فما تغدو رواحله ... وأيره أبداً منه على سفرِ

[البسيط]

السبب!!

قال الصولي: فحدثني أحمد بن إسماعيل قال:

حدثني محمد بن إسحاق قال: قلت لأبي تمام: غلامك أطوع للحسن بن وهب

من غلام الحسن لك، قال: أجل واللَّه، لأن غلامي يجد عنده مالاً، وأنا أعطي غلامه قيلاً وقالاً.

مائة دنّ ومائة دينار:

أخبرني الصولي قال: حدثني أبو الحسن الأنصاري قال: حدثني أبي وحدثني أبو الفضل الكاتب المعروف بنفتجاح:

أن الحسن بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وهو وزير الواثق، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما، فتقدم إلى بعض ولده وكانوا يجلسون إلى الحسن بن وهب بأن يعلموه خبرهما وما يكون منهما. قالا: وعزم غلام أبي تمام على الحجامة، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ويسأله التوجيه إليه بنبيذ مطبوخ، فبعث إليه بمائة دَنّ ومائة دينار وبخور كثير وخلعة حسنة وكتب إليه:

ليت شعري يا أملح الناس عندي هل تداويت بالحجامة بعدي؟
دفع اللَّه عنك لي كل سوء باكرٍ رائح وإن خنت عهدي
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدي مُبدياً منه غير ما كنت أُبدي
وخلعت العِذار فليعلم النا س بأني إياك أُصْفي بودّي
وليقولوا بما أحبوا إذا كنـ ـت وصولاً ولم تَرُعْني بصدِّ
من عذيري من مقلتيك ومن إشـ ـراق وجه من دون حُمرة خدِّ؟

[الخفيف]

قال: ووضع الرقعة تحت مصلاه، وبلغ محمدَ بن عبد الملك خبرُ الرقعة، فوجه إلى الحسن فشغله بشيء من أمره، وأمر من أخذ الرقعة من تحت مصلاه وجاء بها، فقرأها وكتب في ظهرها:

ليت شعري عن ليت شعرك هذا أبهزلٍ تقوله أم بِجِدِّ؟
فلئن كنت في المقال مُحقّاً يا ابن وهب لقد تغيرت بعدي
وتشبَّهت بي وكنت أرى أنّي أنا العاشق المتيّم وحدي
أترك القصد في الأمور ولولا غَمَرات الهوى لأبصرت رشدي
وأحب الأخ المشارك في الحبِّ وإن لم يكن به مثل وجدي

[الخفيف]

صـــوت

إن مـــولاي عـــبـــدُ غـــيـــري ولـــولا شـــؤم جَـدِّي لـكـان مـولاي عـبـدي
سـيـدي سـيـدي ومـولاي مـن أوْ رَثـــنـــي ذلّـــة وأضـــرع خَـــدِّي
[الخفيف]

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل أظنه لجحظة أو لغيره من طبقته.

إفتضحت عند الوزير:

قال: ثم وضع الرقعة في مكانها، فلما قرأها الحسن قال: إنا للّه، إفتضحت عند الوزير، وحدّث أبا تمام بما كان، ووجه إليه بالرقعة، فلقيا محمد بن عبد الملك وقالا: إنما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا لريبة، فتضاحك وقال: من يظن بكما غير هذا؟ فكان قوله أشد عليهما من الخبر.

شهر أيلول:

قرأت في بعض الكتب:

كان الحسن بن وهب يعاشر أبا تمام عشرة متصلة، فندب الحسن بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي، فتشاغل عن عشرة أبي تمام، فكتب إليه:

قـالـوا جـفـاك فـلا عـهـد ولا خـبـرٌ مـاذا تـراه دهـاه؟ قـلـت: أيـلـولُ
شـهـر كـأن حـبـال الـهـجـر مـنـه فـلا عَـقـد مـن الـوصـل إلا وهـو مـحـلـولُ
[البسيط]

فأجابه الحسن:

مـا عـاقـنـي عـنـك أيـلـولٌ بـلـذَّتـه وطـيـبـه ولـنِـعـم الـشـهـرُ أيـلـولُ
لـكـنْ تـوقّـعَ وشـك الـبـيـن عـن بـلـد أحـلّـه فـوِكـاءُ[1] الـعـيـن مـحـلـولُ
[البسيط]

يهجو الغنوي وابن أبي دواد:

وقرأت فيه:

كان بين الحسن بن وهب وبين الهيثم الغنوي وأحمد بن أبي دُواد تباعدٌ، فقال يهجوهما:

---

(١) الوِكاء: الرِّباط.

سـألـت أبـي وكـان أبـي خـبـيـراً بـسُـكَّـان الـجـزيـرة والـسَّـوادِ
فـقـلـت لـه: أهـيـثـمُ مـن غـنـيٍّ؟ فـقـال لأحـمـد بـن أبـي دُوَادِ
فـإن يـك هـيـثـمٌ مـن جَـذْم قـيـس فـأحـمـد غـيـر شـك مـن إيـادِ
[الوافر]

يطلب من الواسطي أن يصير إليه:

فأخبرني عمّي قال: حدثني عمر بن نصر الكاتب قال:

كتب الحسن بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطي يسأله أن يصير إليه فكتب إليه محمد:

وقـيـتـك كـل مـكـروهٍ بـنـفـسـي وبـالأدنـيـن مـن أهـلـي وجـنـسـي
أتـأذن فـي الـتـأخُّـرِ عـنـك يـومـي عـلـى أن لـيـس غـيـرك لـي بـأُنْـس؟
[الوافر]

فأجابه الحسن بن وهب:

أقـم لا زلـت تـصـبـح فـي سـرور وفـي نِـعَـمٍ مـواصـلـة وتُـمـسـي
فـمـا لـي راحـة فـي حـبـس مـن لا أراه يـكـون مـحـبـوسـاً بـحـبـسـي
[الوافر]

قال: وكان الحسن حينئذٍ معتقلاً في مطالبة يطالب بها.

الحسن والحسن:

وجدت في بعض الكتب بغير إسناد:

كان الحسن بن وهب يعشق بنات جارية محمد بن حماد الكاتب. وكانت له معها أخبار كثيرة، وكان لا يصبر عليها، فقدم الحسن بن إبراهيم بن رياح من البصرة، فاتصل به خبرها، ووصفها له الحسن بن وهب، وصار به إليها فأتمّ ليلته معها، فمرت بينهما أعابيث، ثم خالفه الحسن بن إبراهيم بن رياح وخاتله في أمرها، فكتب إليه الحسن بن وهب:

لا جـمـيـلٌ ولا حَـسَـنْ خـنـتَ عـهـدي ولـم أَخُـنْ
كـمـلـت إذ فـعـلـت هـ ـذا أعـاجـيـبُ ذا الـزمـنْ
فـإلـى الـلَّـه أشـتـكـي مـا بـقـلـبـي مـن الـحَـزنْ
ربّ شـكـوى الـصـديـ ـق إلـى غـيـر ذي شـجـنْ

بأبي أنت يا حسنْ ... يا أخا الطَّوْل والمِنَنْ
أيّ رَأْيٍ أراك خـ ... ـتـ ... ـلِيَ في الشّادِنِ الأغَنْ
تتخطَّى إليه دُو ... نِيَ في حالِك الدُّجُنْ
فترى منه سُنَّةً ... تتعالى على السُّنَنْ
مَعَ كشْفي لك الحديـ ... ـثَ الذي عنك لم يُصَنْ
واعتمادي زعمت منـ ... ـك على أحصن الجُنَنْ
وعلى خير صاحب ... وعلى خير ما سَكنْ
خجلي من إساءة ... فضحت حُسن كل ظنّ
ثم ممن جَرتْ إلى ... مَنْ وفيمن وعند منْ؟
إن تكن تلك هفوة ... فهي كالشيء لم يكنْ
أو تكن بِعْت خُلَّتي ... بموافٍ من الثمنْ
دُرَّة البحر من عَدَنْ ... ذُخر سيف بن ذي يزنْ
لمْ يكن قطُّ مثلها ... في مَعَدٍّ ولا عَدَنْ

[مجزوء الخفيف]

فتغافل عن جوابه، وأقام على مواصلتها وسماعها، وحظر عليها فلم يكن الحسن بن وهب يلقاها، فغلظ ذلك عليه، وكتب إليها بهذه الأبيات:

أنكرتِ معرفتي جُعلتِ لك الفِدا ... إنكار سَيِّدةٍ تُلاعب سَيِّدا
أنا ذو مَنعتِ جفونَه أن ترقدا ... وتركتِه ليل التمام مُسهَّدا
وبريت لحم عظامه فتجرَّدا ... وأزرْت مضجعَه النساءَ العُوَّدا
أنا ذا فإن لم تَعْرِفيني بعد ذا ... فأنا ابن وهْبٍ ذو السماحة والنّدى
أشكو إلى اللَّه الفؤاد المُقْصَدَا[1] ... وجوًى[2] ثوى تحت الحشا فتلدَّدا
وغريرة ما كنت من إسعافها ... يوماً وإن بَعُدَ التلاقي مُسْعِدا
يا طينة في روضة مَوْلِيَّةٍ ... جاد الربيع تُرابها فتلبَّدا
هل تجزِينَّ الودّ مني مثله ... أو تصدقين من المواعد موعدا؟

(١) المُقصَد: هو الذي يمرض ويموت سريعاً.
(٢) الجوى: الهوى الباطن أو الحُزن.

إني وإن جعل القريض[١] يجول بي ... حتى أُغوِّر ما أقول وأُنْجِدا
لعلى اليقين بأن قلبك موجع ... عندي المثال أنا الحمى ولك الفّدا
وكما علمت إذا لبست المُجْسَدا ... وثَنيت خَلْفَ الأذْن حاشية الرّدا
وحبوت جيدك من حُليّك عسجدا[٢] ... ونظمت ياقوتاً به وزبرجدا[٣]
وشكوت وحدك في الغناء شكاية ... تُنسي حُنيناً والغريض ومَعبدا
سِيّما إذا غنيتني بتعَمُّدٍ ... بأبي وأُمي ذاك منكِ تعمُّدا
أثوي وأقصر ليلة ليزَوِّدا ... ومضى وأخلف من قُتيلة موعدا

[الكامل]

فوقع الشعر في يد ابن رباح، فقرأه وعلم أنه قد بلغ منه، فكتب:

فِدًى لك آبائي وحقَّ بأن تُفَدَّى ... فِدًى لك قَصْداً مِنْ ملامك لي قَصْدا
ولا تَلْحَني[٤] في عَشْرةٍ إن عشرتُها ... فلا والذي أمسيتُ أُدْعى له عَبْدا
وعهدك يا نفسي تقيك من الردى ... فأعظِمْ به عندي وأكرمْ به عَهْدا
يمين امرئ بَرٍّ صدوق مُبَرَّأٍ ... من الإثم ما حاولتُ هزلاً ولا جِدّا
سوى ما به أزداد عندك زُلفة ... ويُكسبني منك المودّة والحمدا
أرى الغيَّ إن أومأت للغيّ طاعة ... لأمرك فضْلاً عن سوى الغيّ لي رُشدا
وأسعى لما أسعى وأتبع ما ترى ... وفي كل ما يرضيك أستغرق الجهدا
إذا أنا لم أمنحك صفو مودّتي ... فمن ذا الذي أُصفي له غيرك الوُدّا؟
ومن ذا الذي أرعى وأشكر والذي ... أشدُّ به أَزري فيعصمني شَدّا؟
وآثر خلق اللَّه عندي ومن له ... أيادٍ وودّ لست أحصيهما عَدَّا
فلا تحسبنّي حائلاً عن حقيقتي ... لك الدهر حتى أسكن القبر واللحدا
معاذ إلهي أن أُرى لك خاذلاً ... ولكنَّ عذري أنني ميّت وجدا
فأحسن من أبصرت شخصاً وصورة ... وأملح خلق اللَّه كلهم قدّا
بمالكة أمري وإن كنت مالكاً ... لها ففؤادي ليس من حبها يَهْدا

(١) القريض: الشعر.
(٢) العَسْجَد: الذهب، والجوهر كلّه.
(٣) الزبرجد: الجوهر.
(٤) تلحني: تَلُمني.

إذا ساءلتني أن أقيم عشيَّة ... لأُونسها لا أستطيع لها ردّا
تراشفني[1] صفو المودة تارة ... وأجني إذا ما شئت من خَدّها الوَردا
قنعت بها لما وثقت بحبها ... فلا زينباً أبغي سواها ولا هندا
ولو بُذِلتْ لي جنة الخلد منزلاً ... وقلتَ اجتنبْها لاجتنَبتُ لك الخُلدا

[الطويل]

فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه قد ندم، فكتب إليه:

حَسَنٌ يشكو إلى حَسَنِ ... فَقْدَ طعْمِ النومُ والوَسَنِ[2]
وَهَوًى أمسَتْ مطالبُه ... قُرنَت واليأس في قَرَنِ
من حبيب في محلّته ... معه في الدار لم يَبنِ
فإذا ما رام زورته ... فهو كالغادين في الظُّعُنِ
عجباً للشمس لم ترَها ... مقلتي حَوْلاً ولم ترني
أتراها بعد ما صرمت ... حَيَّنا هذا من اليمنِ
فقديماً كان مطلعُها ... بيدي سيف بن ذي يزنِ

[المديد]

فكتب إليه ابن رباح:

حسن يفدي بمهجته ... حَسَناً من حادثِ الزَّمنِ
ويقيه ما تضمّنه ... من دخيل الهَمِّ والحَزَنِ
يا لَعَيْني فابكِ واقية ... عينك العَبرَى على الشَّجَنِ
وفؤادي فامْلَهُ حَزَناً ... من ضروبِ الهمّ والفتنِ
إن تكن شمس الضُّحى حُجبت ... عن سليل المجد من يَمنِ
فهي حَيرَى من تطلُّعها ... في سوى قوم ابن ذي يزنِ

[المديد]

ثم اعتذر إليه ورجع إلى معاشرته، فكان لا يحضر دار محمد بن حماد ولا يسمع غناء بناتَ جاريتهِ إلا مع الحسن بن وهب ولا يستأثر بها عليه.

---

(١) تراشفني: تعني هنا تبادلني، والأصل من فعل رشف أي مصّه بشفتيه وتراشف أي رشف كلٌ منهما صاحبه وتراشفا صفو المودة أي تبادلاها.

(٢) الوَسَن: النُعاس.

فقال محمد بن داود بن الجراح: حدثني بعض أصحابنا:

أن الحسن بن وهب أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حماد، وكان الحسن بن وهب يتعشقها، وأفسدها عليه الحسن بن مخلد.

ولم يذكر محمد بن داود من خبرها غير هذا، وإنما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتضح خبره مع بنات، إذ كان ما مضى من ذكرها وخبرها لم يتضح لي بروايته لي.

أبو تمام يستسقيه نبيذاً:

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني عبد الرحمن بن أحمد قال: وجدت بخط محمد بن يزيد:

كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً:

جعلت فداك عبد اللَّه عندي ... بعقب الهجر منه والبعادِ
له لُمَةٌ[1] من الكتَّاب بِيض ... قضَوْا حق الزيارةِ والودادِ
وأحسب يومهم إن لم تجُدْهم ... مُصادِف دعوةٍ منهم جَمادِ
فكم نَوْءٍ[2] من الصهباء سارٍ ... وآخر منك بالمعروف غادي
فهذا يستهلّ على غليل[3] ... وهذا يستهلّ على بلادِ
فيسقي ذا مذانِبَ كل عرق ... ويروي ذا قرارة كل وادي
دعوتهمُ عليك وكنت ممن ... نُعَيِّنه على العُقَد[4] الجيادِ

[الوافر]

قال: فوجه إليه بمائة دينار ومائة دن نبيذ.

أبو نهشل:

قال محمد بن داود:

---

(١) اللُّمَة: الأقران.

(٢) النَّوْء: المطر، وقد استعار الشاعر هذه الصفة للصهباء التي شبهها بالمطر والذي يؤكد هذا المعنى البيتان التاليان لهذا البيت.....

(٣) الغليل: العطشان عطشاً شديداً.

(٤) العُقَد: مفردها العقدة وهو ما يدَّخر من الأموال الكريمة.

رأى الحسنُ بنُ وهب وأبو تمامٍ، أبا نهشل بن حميد، فبدأ أبو تمام فقال:

أغـــصَّـــك الـــلَّـــه يـــا نـــهـــشـــلِ

ثم قال للحسن: أجِزْ، فقال الحسن:

بِـــبَـــدْرِ تِـــمٍّ شـــادِنٍ أكـــحـــلِ

ثم قال: أجِزْ يا أبا نهشل، فقال:

يُـطـمـع فـي الـوصـل فـإن رُمـتـه صـار مـع الـعَـيُّـوق[1] فـي مـنـزلِ

[السريع]

كتابه إلى أبي تمام:

أخبرني حفص بن محمد بن قدامة بن زيد الكاتب قال:

كتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام وقد قدم من سفر:

جعلت فداك، ووقاك، وأسعدني اللَّه بما أوفى عليّ من مقدمك، وبلغ الوطر كل الوطر من انضمام اليد عليك، وإحاطة الملك بك، وأهلاً وسهلاً، فقرّب اللَّه داراً قربتك، وأحيا رِكاباً أدّتك، وسقى بلدة يلتقي ليلها ونهارها عليك، وجعلك اللَّه في أحسن معاقله، وأيقظ محارسه، وأبعدها على الحوادث مراماً برحمته.

يدافع عن أبي تمام:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى قال:

قال رجل للحسن بن وهب: سرق [أبو تمام] من رجل يقال له مِكْنَف من ولد زُهير بن أبي سُلمى وهو رجل من أهل الجزيرة قصيدته التي يقول فيها:

كـأن بـنـي الـقـعـقـاع يـوم وفـاتـه نـجـوم سـمـاءٍ خَـرَّ مـن بـيـنـهـا الـبـدْرُ

تُـوفِّـيـت الآمـالُ بـعـد مـحـمـد وأصـبـح فـي شُـغـل عـن الـسَّـفَـر الـسَّـفْـرُ

[الطويل]

فقال الحسن: هذا دعبل حكاه وأشاعه في الناس وقد كذب، شعر مكنف عندي، ثم أخرجه وأخرج هذه القصيدة بعينها، فقرأها الرجل فلم يجد فيها شيئاً مما قاله أبو تمام في قصيدته، ثم دخل على تفيئة ذلك دعبلٌ على الحسن بن وهب، فقال له: يا أبا علي، بلغني أنك قلت في أبي تمام كيت وكيت، فهبه سرق

(١) العَيّوق: نجمٌ أحمر مضيء في طرف المجرَّة الأيمن.

هذه القصيدة، وقبلنا قولك فيه، أسرق شعره كله؟ أتُحسن أن تقول كما قال:

سَـهـدتُ لـقـد أقـوَتْ مـغـانـيـكُـمُ بَـعْـدِي ومَـحَّـتْ كـمـا مَـحَّـتْ وشـائـعُ فـي بُـرْدِ
فـأنـجـدتـمُ مـن بـعـد إتـهـام دارِكـمْ فـيـا دمـعُ أَنـجـدْنـي عـلـى سـاكـنـي نـجـدِ

[الطويل]

فانخزل دعبل واستحيا، فقال له الحسن: الندم توبة، وهذا الرجل قد توفي، ولعلك كنت تعاديه في الدنيا حسداً له على حظّه منها. وقد مات الآن فحسبك من ذكره، فقال له: أصدقك يا أبا علي، ما كان بينه وبيني شيء قطّ إلا أني سألته أن ينزل لي عن شيءٍ استحسنته من شعره فبخل به عليّ، وأنا الآن أُمسك عن ذكره، فجعل الحسن يضحك من قوله واعترافه بما اعترف به.

اليزيدي يعيّر ابن حماد:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال:

كتب إبراهيم بن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى محمد بن حماد الكاتب يهجوه ويعيّره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رياح والحسن بن وهب جاريته وتغايرهما عليها:

لـي خـلـيـلان مـحـكـمـان مُـجِـدَّا نِ لـمـا يـعـمـلانـه حـاذقـانِ
واحـدٌ يـعـمـل الـقِـسِـيَّ فـيـأتـيـ ـك بـهـا فـي اسـتـقـامـة الـمـيـزانِ
وفـتـى يـعـمـل الـسـكـاكـيـن فـي الـقَـرْ نِ مُـقِـرٌّ بِـحِـذقـه الـثـقـلانِ[1]
وهـمـا يـطـلـبـان قَـرْنـاً عـلـى رأ سِـك فـانـظُـرْ فـي بـعـض مـا يـسَـلانِ
قـلـت: هـل يُـؤلـم الـفـتـى مـا مـنـ ـه تـريـدانِ أيـهـا الـفـتـيـانِ؟
فـأجـابـا بـلُـطْـفِ قـول وفَـهْـم قـمْ فـإنّـا إذاً لـنَـوْكـى[2] مَـدَانـي[3]
فـاقـطـع الآن مـا بـرأسـك مـنـهـا إن فـيـمـا تـرى لـقـطـعُ بَـيـانِ
ذاك خـيـر مـمـا تُـسَـمَّـى اسـم سَـوْء فـيـقـال انـظـروا إلـى الـقَـرْنـانِ[4]

[الخفيف]

---

(١) الثقلان: الجنّ والإنس.
(٢) النَّوْكى: الحمقى.
(٣) المداني: الضعيف الذليل.
(٤) القرنان: الدَّيوث.

صـــوت

قـد كـان عـتْـبـك مـرَّةً مـكـتـومـا فـالـيـوم أصـبـح ظـاهـراً مـعـلـومـا
نـال الأعـادي سُـؤْلـهـم لا هُـنِّـئـوا لـمـا رأونـا ظـاعـنـاً ومـقـيـمـا
والـلَّـه لـو أبـصـرتـنـي لـوجـدتـنـي والـدمـعُ يـجـري كـالـجُـمـان سُـجـومـا
هـبـنـي أسـأتُ فـعـادةٌ لـك أن تُـرَى مُـتَـطَـوِّلاً مُـتـجـاوزاً مـظـلـومـا

[الكامل]

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب، والغناء لعبيد اللَّه بن الحسن الناطفي اللطفي ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه خفيف رمل يقال إنه رذاذ، وفيه ثقيل أول مجهول.

أخبار أحمد بن يوسف

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن يوسف بن صَبِيح الكاتب، وأصله من الكوفة، وكان مذهبه الرسائل والإنشاء، وله رسائل معروفةٌ، وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، ويكنى أبا جعفر، وكان موسى بن عبد الملك غلامه وخرِّيجه.

فذكر محمد بن داود بن الجراح أن أحمد بن عيد حدثه:

عن موسى بن عبد الملك قال: وهب لي أحمد بن يوسف ألفي ألف درهم تفاريق عن ظهرِ يَدٍ.

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر، وكان ينتمي إلى بني عجل، ولم يكن أخوه أحمد يدَّعي ذلك.

أخوه يمدح البهائم ويرثيها:

وكان القاسم قد جعل وَكْدَه[1] في مدح البهائم ومراثيها، فاستغرق أكثر شعره في ذلك، منها قوله يرثي شاة:

عَـيْـن جـودي لـعـنـزِنـا الـسـوداءِ كـالـعـروس الأدمـاءِ يـوم الـجِـلاءِ[2]

[الخفيف]

وقوله في الشاهمرك:

أقـفـرت مـنـك أبـا سَـعْـدٍ عِـرَاصٌ وديـارُ

[مجزوء الرمل]

وقوله في السِّنَّوْر:

ألا قُـلْ لـمـخَّـةَ أو مـارِدَهْ تُـبَـكِّـي عـلـى الـهِـرَّة الـصـائـدَهْ

[المتقارب]

---

(١) الوَكْد: السعي والجهد.

(٢) يوم الجِلاء: يوم الزفاف، لأن العروس تُجلى وتُزَفّ إلى زوجها.

وقوله في القُمْرِيّ:

هـــل لامـــرئ مـــن أمـــانِ مـــن طـــارقِ الـــحَـــدثـــانِ؟

[المجتث]

يتبنى مؤنسة:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني رجل من ولد عبد الملك بن أبي صالح الهشامي قال:

كان أحمد بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمها مؤنسة، فأراد المأمون أن يسافر ويُخلفها، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها، وأمر بعض المغنين فغناه به، فلما سمعه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه وهو:

قـد كـان عـتـبـك مـرّة مـكـتـومـا

يعتب على جارية له:

وقال محمد بن داود: حدثني ابن أبي خيثمة [أحمد قال: أخبرنا أبو جعفر] الأطروش قال:

عتب أحمد بن يوسف على جارية له فقال:

وعـامـلٍ بـالـفـجـور يـأمـر بـالـبـرّ كـهـادٍ يـخـوض فـي الـظُّـلَـمِ

أو كـطـبـيـب قـد شَـفَّـه سَـقـمٌ وهـو يُـداوي مـن ذلـك الـسَّـقَـمِ

يـا واعـظَ الـنـاسِ غـيـر مـتَّـعـظ نـفـسَـك طَـهِّـرْ أوْلا فَـلا تَـلُـمِ

[المنسرح]

يقول شعراً على لسان مؤنسة:

ووجدت في بعض الكتب بلا إسناد.

عتب المأمون على مؤنسة، فخرج إلى الشَّمَّاسية متنزهاً، وخلفها عند أحمد بن يوسف الكاتب، فرجت أن يذكرها إذا صار في مُتَنزهه فيرسل في حملها، فلم يفعل، وتمادى في عتبه، فسألت أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً تُرَفِّقه به فقال:

يـا سـيّـداً فَـقْـدُه أغـرى بـي الـحَـزَنـا مـا ذُقـتُ بـعـدك لا نَـوْمـاً ولا وَسَـنـا

لا زلـت بـعـدك مـطـويّـاً عـلـى حُـرَقٍ أشْـنَـى الـمُـقـامَ وأَشـنـى الأهـلَ والـوَطـنـا

ولا الـتـذذتُ بـكـأس فـي مـنـادمـةٍ مـذ قـيـل لـي إنَّ عـبـد الـلَّـه قـد ظَـعـنـا

ولا أرى حـسـنـاً تـبـدو مـحـاسـنُـه إلَّا تـذكـرتُ شـوقـاً وجـهَـك الـحَـسـنـا

[البسيط]

وبعثت به إلى إسحاق الموصلي فغناه به، وقيل: بل بعثت به إلى سندس فغنته به فاستحسن ذلك وقال: لمن هذا الشعر؟ فقال أحمد بن يوسف: لمؤنسة يا سيدي تترضاك وتشكو البعد منك. فركب من ساعته حتى ترضَّاها ورضي عنها.

ليتها جادت . . . :

ووجدت في هذا الكتاب قال:

كنا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس، وعندنا قينة، فتحلَّاها أحمد بن يوسف، فكتب إلى صاحب المنزل:

أنـا رَهْـنٌ لـلـمـنـايـا بـيـن إبـرام ونَـقْـضِ
مـن هَـوَى ظـبـيٍ غـريـرٍ مُـونـقِ الـمـنـظـرِ غَـضِّ
لـيـتـهـا جـادت بـتـقـبـيـ ـلٍ لـخـدَّيـهـا وعَـضِّ
إن عـجـزتـمْ عـن شِـراهـا لـي بـفَـرْض أن بـقَـرْضِ
فـتـمـنَّـوا لـي جـمـيـعـاً أنـهـا قـبـر لـبـعـضـي

[مجزوء الرمل]

عند ابن سهل:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الحسن بن عليل قال: ذكر مسعود بن أبي بشر:

أن أحمد بن يوسف دخل يوماً على الفضل بن سهل أو أخيه في يوم دجن، فأطال مخاطبته، وكان أحمد بن يوسف آنساً به، ففتح دواته وكتب إليه:

صـوت

أرى غـيـمـاً تُـؤلِّـفـه جَـنـوبٌ وأحـسـبـه سـيـأتـيـنـا بـهَـطْـلِ
فَـوَجْـهُ الـرأي أن تـدعـو بـرطْـلٍ فـتـشـربـه وتـدعـو لـي بـرطـلِ

[الوافر]

ودفعها إليه، فقرأها وضحك وقال: إن كان هذا عَيْنَ الرأي قَبِلْناه ولم نردَّه. ثم دعا بالطعام والشراب فأتموا يومهم.

الغناء في هذين البيتين للقاسم بن زرزور ثاني ثقيل بالوسطى.

ومما يغنّى فيه من شعره:

صوت

صَدَّ عنِّي محمدُ بنُ سعيدِ أَحسن العالمين ثانِيَ جِيدِ
ليس من جفوة يصدُّ ولكن يتجنَّى لحسنه في الصُّدودِ

[الخفيف]

الغناء فيه لزرزور خفيف رمل، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه.

ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتّاب بسرّ من رأى، وكان أحمد يتعشّقه.

ومن شعره الذي يغنّى فيه.

صوت

كم ليلةٍ فيك لا صباحَ لها أحييتها قابضاً على كَبِدِي
قد غَصَّت العينُ بالدموع وقد وَضَعْتُ خدِّي على بَنان يدي
كأنَّ قلبي إذا ذكرتكمُ فريسةٌ بين ساعِدَيْ أَسَدِ

[المنسرح]

الغناء لشارية، من رواية طباع، وفيه خفيف رمل، ذكر حبش أنه لأحمد النصيبي، وهو خطأ، يشبه أن يكون لأحمد بن صدقة أو بعض طبقته.

صوت

ألراحُ والنَّدمان أحسنُ منظراً من كلّ ملتفِّ الحدائقِ رائقِ
فإذا جمعت صفاءَه وصفاءَها فارجُمْ بكلّ ملمة من حَالقِ

[الكامل]

الشعر للعطوي، والغناء لبنان ثقيل أول بالوسطى، وفيه لذكاء وجه الرزة خفيف ثقيل.

أخبار العطوي

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عَطيَّة، مولى بني ليث بن بكر بن عبد منافة بن كنانة، ويكنى أبا عبد الرحمٰن، بصري المولد والمنشإ.

اتصاله بابن أبي دواد:

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية، واتصل بأحمد بن أبي دُوَاد، وتقرَّب إليه بمذهبه وتقدُّمِه فيه بقوة جِدالِه عليه، فلما توفِّي أحمد نقصت حاله. وله فيه مدائح يسيرة ومراثٍ كثيرة، منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرة أخي العطوي:

أَحْنَطْتَهُ يا نصرُ بالكافورِ ورفَعْتَه للمنزل المهجورِ
هلّا ببعض خِصاله حَنَّطْته فَيَضُوع أفقُ منازلٍ وقُبورِ؟
تاللَّه لو بشريفِ أَخلاقٍ له يُعزى إلى التقديس والتطهيرِ
حنَّطت من سَكَن الثرى وعلا الرُّبا لتزوِّدُوه عُدَّةً لِنُشورِ
فاذهبْ كما ذهب الوفاء فإنه ذهبتْ به رِيحا صَباً ودَبورِ
واذهبْ كما ذهب الشباب فإنه قد كان خيرَ مُصاحب وعَشيرِ
واللَّهِ ما أَبَّنتُهُ لأزيده شرفاً ولكنْ نَفْثةُ المصدورِ

[الكامل]

وأنشدني الأخفش للعطوي أيضاً يرثي أَحمد بن أبي دواد:

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلابُ قَوْمٍ تَقصَّفُ
وليس نسيم المسك رَيّا حَنُوطِه ولكنه ذاك الثناءُ المُخَلَّفُ

[الكامل]

فاق جميع نظرائه:

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء فقال:

كان له فن من الشعر لم يُسبق إليه، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام، ففاق

جميع نظرائه، وخفَّ شعره على كل لسان ورُوي، واستعمله الكتّابُ، واحتذوا معانيه، وجعلوه إماماً.

قال ابن داود: وحدثني المبرد قال:

كان العطوي وهو عندنا بالبصرة لا ينطق بالشعر، ثم ورد علينا شعره لما صار إلى سرّ من رأى، فكنا نتهاداه.

وكان مقتراً عليه رزقه دَفِراً[١] وسخاً منهوماً بالنبيذ، وله في وصف الصَّبوح[٢] وذِكر الندامى والمجالس أحسن قول، وليس له قول يسقط، فمن ذلك قوله:

فِيئي إلى أهدى السُّبُلْ ... قولاً وعلماً وعَملْ
قاتلها اللَّه لقد ... سامَتْكُما إحدى العُضَلْ[٣]
تقول هلَّا رحلة ... تَنقلنا خير نَقَلْ
أخشى على جائلة الـ ... ـآمال جوَّالَ الأجلْ

[مجزوء الرجز]

المال والأيام:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال:

سمع العطوي رجلاً يُحدّث أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: إن فلاناً قد جمع مالاً، فقال عمر: فهل جمع له أياماً؟ فأخذَ العطوي هذا المعنى فقال:

أرْفِهْ بعيش فتىً يغدو على ثِقةٍ ... إنَّ الذي قَسّمَ الأرزاق يَرْزُقُهُ
فالعِرضُ منه مصونٌ لا يُدنِّسه ... والوجهُ منه جَديد ليس يُخْلِقُهُ
جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ... يا جامع المالِ أياماً تُفَرِّقُهُ؟
ألمال عندك مخزونٌ لوارِثه ... ما المالُ مالُك إلَّا حين تُنْفِقُهُ

[البسيط]

ومن قوله في الندمان والنبيذ مما يغنى فيه ما أنشدنيه الأخفش وغيره من شيوخنا.

---

(١) الدَّفِر: خبيث الرائحة مُنتِنُها.
(٢) الصبوح: شراب الصباح.
(٣) العُضَل: مفردها العضلة وهي الدَّاهية.

صـــوت

فـكـم قـالـوا تَـمَـنَّ فـقـلـت كـأسـاً يَـطـوف بـهـا قـضـيـبٌ فـي كَـثـيـبِ
ونـدمـانـاً تُـسـاقـطـنـي حـديـثـاً كـلـحْـظ الـحـب أو غَـضِّ الـرقـيـبِ

[الوافر]

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزة خفيف رمل.

مجلس كالرياض ولكن. . . :

أخبرني عمّي قال:

حدثني كوثرة أخو العطوي قال: كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكتّاب، ومعهم قينة يقال لها مصباح، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم غناء، فما زالوا في قصف[1] وعزف، إلى أن انقطع نبيذهم، فبقوا حيارى، وكانوا قريباً من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن، فكتب إليه:

يـا ابـنَ مـن طـاب فـي الـمـوالـيـد مـذْ آ دَمَ جَـرّاً إلـى الـحُـسَـيْـنِ أبـيـهِ
أنـا بـالـقـرب مـنـك عـنـد كـريـم قـد ألـجَّـت عـلـيـه شُـهْـبُ سِـنـيـهِ
عـنـدنـا قـيـنـة إذا مـا تـغـنَّـت عـاد مـنـهـا الـفـقـيـهُ غـيـر فـقـيـهِ
تـزدهـيـنـي وأيـن مِـثْـلِـيَ فـي الـفَـهْـ ـم تُـغَـنِّـيـه ثـمَّ لا تـزدهـيـهِ؟
مـجـلـس كـالـريـاض حُـسـنـاً ولـكـن لـيـس قـطـب الـسـرور واللـهْـوِ فـيـهِ
وبـأشـيـاخِـك الـكـرام إلـى الـسُّـؤْ دَد مـوسـى بـنِ جـعـفـرٍ وأبـيـهِ
أنْ تَـحَـشَّـمْـتَـنـي[2] وأن كـنـتَ إلَّا مـثـلَ مـا يـأنـس الـفـتـى بـأخـيـهِ

[الخفيف]

قال: فلما وصلت الرقعة إلى أبي العباس أرسل إليهم براوية شراب، فلم يزالوا يشربون مجتمعين حتى نفدت في أخفض عيش.

العُقار تميت الهموم:

حدثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب الكاتب قال:

(١) القصف: اللهو واللعب.
(٢) تحشَّم: استحيا.

جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العطوي بعد وفاة عمّي أحمد بن الخصيب بسنتين، وكان صديقه وصنيعته، فجلس عندي يحادثني حديثه ويبكي ساعة طويلة، ثم تغيمت السماء وهطلت، فسألته أن يقيم عندي، فحلف ألا يفعل إلا بعد أن أحضره من وقتي ما راح من الطعام، ولا أتكلف له شيئاً، ففعلت وجئته بما حضر، فقال لي: ما فعلتْ عُقَد؟ قلت: باقية، وهي في يومنا هذا مقيمة عندي، والساعة تسمع غناءها، فقال لي: عجِّل إذَنْ فإن النهار قصير، ثم أنشأ يقول:

أدرِ الكأس قد تعالى النهارُ ... ما يُميتُ الهمومَ إلَّا العُقارُ[1]
صاحِ هذا الشتاءُ فاغدُ عَليها ... إن أيامه لِذاذٌ قصارُ
أيّ شيء ألذُّ من يَوم دَجْنٍ ... فيه كأسٌ على النَّدامى تُدارُ
وقيانٌ كأنهنّ ظِباءٌ ... فإذا قُلن قالت الأوتارُ

[الخفيف]

أحسن يوم وأطيبه:

حدثني عمّي قال: حدثني كوثرة قال:

كان لأبي عبد الرحمٰن صديق من الأدباء، وكان يتعشق جارية من جواري القيان يقال لها: عَثْعَث، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير، واجتماع يسير، فأرسل إليها يوماً، فأحضرها في يوم رذاذٍ به من الطيب والحسن ما اللَّه به عليم، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر، ويسأله المصير إليه، ووصف له القصة بشعر فقال:

ويوم مطير وعيش نضيرُ ... وكأس تدور وقِدر تفورُ
وعَثعث تأتي إذا جئتنا ... فتسمع منها غناء يَصُورُ[2]
وعندي وعندك ما تشتهيه ... شِعر يَمُرُّ وعِلم يدورُ
إذا كان هذا كما قد وصفتُ ... فإنَّ التفرُّق خَطبٌ كبيرُ
فقُم نصطبحْ قبل فوتِ الزمانِ ... فإن زمان التلَهِّي قصيرُ

[المتقارب]

قال: فسار إليه صاحبه، فمرّ لهما أحسن يوم وأطيبه.

العطوي يأخذ شعره من كلام إسحاق:

وهذا الشعر أخذه العطوي من كلام إسحاق.

---

(١) العُقَار: الخمر.
(٢) يصور: يُصَوِّت.

أخبرني به وسواسة بن الموصلي.

عن حماد عن أبيه قال: كان يألفني بعض الأعراب، وكان طيباً، فجاءني يوماً فقلت له: لم أرك أمس، فقال: دعاني صديق لي، فقلت: صف لي ما كنتم فيه، فقال لي: كنا في مجلس نظامه سرور، بين قدور تفور، وكأس تدور، وغناء يصور، وحديث لا يجور، وندامى كأنهم البدور.

قال إسحاق: وقلت لأعرابي كان يألفني: أين كنت بالأمس؟ قال: كنت عند بعض ملوك سرّ من[١] رأى، فأدخلني إلى قبة كإيوان كسرى، وأطعمني في قصاع تترى، وغنتني جارية سَكرى، تلعب بالمضراب كأنه مِدْرى[٢]، فيا ليتني لقيتها مرة أخرى.

قال إسحاق: وقلت لبعض الأعراب: طلبتك أمس فلم أجدك، فأين كنت؟ قال: كنت عند صديق لي، فأطعمني بنات التنانير، وأطعمني أمهات الأبازير[٣]، وحلواء الطناجير، وسقاني زعاف القوارير، وأسمعني غناء الشادن الغرير، على العيدان والطنابير، قد مُلِكت بأوْقار الدراهم والدنانير.

ظبي غرير:

قرأت في بعض الكتب بغير إسناد:

أن العطوي كان يوماً جالساً في منزله، وَطَرَقه صديق له ممن كان يُقَيِّن[٤] بسرّ من رأى، فقال له: قد أهديت إليك جواريَّ اليومَ، ونبيذاً يكفيك، وحسبك بالكفاية. وأقام عنده، فدخل عليه غلام أمرد أحسن من القمر، فاحتبسوه، وكتب العطوي إلى صديق له من أهل الأَدب:

يومنا طَيِّبٌ به حَسُنَ القَصْـ ـفُ[٥] وحثُّ الأرطال والكاساتِ
ما ترى البرق كيف يلمع فيه ورشاشاً يَبلُّ في الساعاتِ
ولدينا ظبي غرير ظريف قد غنينا به عن القَيْناتِ
إن تخلفت بعد ما تصل الرُّقْـ ـعةُ عنا فأنت في الأمواتِ

[الخفيف]

(١) سُرَّ من رأى: سامراء.
(٢) المِدْرى: العصا.
(٣) الأبازير: كل حب يبذر للنبات.
(٤) يُقَيِّن: يُزيِّن.
(٥) القصف: اللهو واللعب.

فأجابه الرجل فقال:

أنا في إثرْ رقعتي فاعلمَنْ ذا ... كَ عَلى أنني من البُيَّاتِ
فافهم الشرط بيننا لا تَقل لي ... قد تثاقلتَ فانصرفْ بحياتي
لا لسوءٍ لكن لأُمتع نفسي ... بحديثِ الظّبي الغرير المواتي

[الخفيف]

صوت

أيا بَيت ليلى إن ليلى مريضةٌ ... بِرَاذَان[1] لا خالٌ لديها ولا ابنعمْ
ويا بيت ليلى لو شهدت أعوّلَتْ ... عليك رجالٌ من فصيح ومن عَجمْ
ويا بيت ليلى لا نُسيتَ ولا تزَلْ ... بلادُك يسقيها من الواكف[2] الدِّيَمْ

[الطويل]

الشعر لمرّة بن عبد اللَّه النهدي، والغناء لأحمد النصيبي ثقيل أول بالوسطى، ويقال إنه لحنين.

(١) راذان: موضع.
(٢) الواكف: المطر المنهلّ.

أخبار مرة ونسبه

اسمه ونسبه:

هو مُرَّة بن عبد اللَّه بن هُليل بن يسار، أحد بني هلال بن عصم بن نصر بن مازن بن خزيمة بن نهد.

وليلى هذه من رهطه، يقال لها: ليلى بنت زهير بن يزيد بن خالد بن عمرو بن سلمة.

يهجو من يخطب ليلى:

نسخت خبرها من كتاب ابن أبي السرى قال: حدثني ابن الكلبي عن أبيه قال:

كانت امرأة من بني نهد يقال لها: ليلى بنت زهير بن يزيد، وكان لها ابن عم يقال له: مرة بن عبد اللَّه بن هليل يهواها، واشتد شغفه بها، فخطبها وأَبوْا أن يزوجوه، وكان لا يخطبها غيره إلا هجاه، فخطبها رجل من بني نهشل يقال له: إران، فقال مرة يهجوه:

وما كنت أخشى أن تصير بِمَرَّةٍ ... من الدهر ليلى زوجةً لإرانِ
لمن ليس ذا لبٍّ ولا ذا حفيظة ... لعِرس ولا ذا منطق وبيانِ
لقد بُلِيتْ ليلى بشرٍّ بليّة ... وقد أُنزلت ليلى بدارِ هوانِ

[الطويل]

موت ليلى ورثاؤه لها:

قال: فتزوجها المِنجابُ بن عبد اللَّه بن الهيثم بن مسروق بن سلمة بن سعد من بني زُوَيّ بن مالك بن نهْد، فخرج إلى البعث بِراذان، وهي إذ ذاك مسلحةٌ لأهل الكوفة، فخرج بها معه، فماتت براذان ودفنت هناك، فقدم رجلان من بَجيلة من مكتبهما براذان، وكانت بجيلة جيران بني نهد بالكوفة، فمرّا على مجلسهم، فسألوهما عمَّن براذان من بني نهد، فأخبراهم بسلامتهم ونعيا إليهم ليلى، ومرَّةُ في القوم، فأنشأ يقول:

أيا ناعِيَيْ ليلى أما كان واحدٌ ... من الناس ينعاها إليَّ سواكما؟

ويا ناعيي ليلى ألم نك جيرة ... ندامى ذوي حَقٍّ فألّا نهاكما؟
ويا ناعيي ليلى لقد هجتما لنا ... تجاوُبَ نوْح[1] في الديار كلاكما
ويا ناعيي ليلى لجلَّتْ مصيبةً ... بنا فَقْدُ ليلى لا أُمرَّت قواكما
ولا عشتما إلّا حَليفَيْ بلِيَّةٍ ... ولا متُّ حتى يُشْترى كفناكما
فأشمَتَ والأيام فيها بوائقٌ ... بموتكما إني أحب رَدَاكما
[الطويل]

وقال فيها أيضاً:

كأنك لم تُفجع بشيء تُعِدُّه ... ولم تصطبر للنائبات من الدهرِ
ولم تر بؤساً بعد طول غضارةٍ[2] ... ولم ترمِكَ الأيامُ من حيث لا تدري
سقى جانبيْ راذانَ والساحةَ التي ... بها دَفَنوا ليلى مُلِثٌّ[3] من القَطرِ
ولا زال خِصبٌ حيث حَلَّت عظامُها ... براذانَ يُسقى الغيث من هَطِلٍ غمْرِ
وإن لم تُكلِّمنا عظامٌ وهامةٌ ... هناك وأصداءٌ بقينَ مع الصَّخْرِ
[الطويل]

وقال فيها:

أيا قبر ليلى لا يَبستَ ولا تزل ... بلادك تسقيها من الواكفِ الدِّيمْ
ويا قبر ليلى غُيِّبَتْ عنك أُمُّها ... وخالتها والناصحون ذوو الذِّممْ
ويا قبر ليلى كم جَمَال تُكنُّه ... وكم ضمَّ فيك من عفافٍ ومن كرمْ
[الطويل]

وساق باقي الأبيات التي فيها الغناء.

وحكى الهيثم بن عدي، عن شيخ من بني نهد:

أن مرة كان تزوجها، وكان مكتبه براذان، وأخرجها معه، ثم ضُرب عليه البعث إلى خراسان، فخلّفها عند شيخ من أهل منزله هناك، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها، ومضى لبعثه، ثم قدم بعد حول، فلقي فتى من أهل راذان قبل وصوله إلى دارها، فسأله عنها فقال: أترى القبر الذي بفناء الدار؟ قال: نعم، قال: هو واللَّه قبرها، فجاء فأكبَّ عليه يبكي ويندبها، وترك مكتبه، ولزم قبرها يغدو ويروح إليه حتى لحق بها.

(١) النَّوْح: البكاء.
(٢) الغضارة: السعة وطيب العيش.
(٣) المُلِثُّ: الدائم الذي لا ينقطع.

صـــوت

بـــأبـــي أنـــت يـــا ابـــن مَـــنْ لا أُســـمِّـــي لـــبـــعـــضِ مـــا
يـــا شـــبـــيـــهَ الـــهـــلالِ كُـــلَّـــلَ فـــي الأُفْـــق أنـــجـــمـــا
راقـــبِ الـــلَّـــهَ فـــي أســـيـــ ـرك إن كـــنـــت مـــســـلـــمـــا

[مجزوء الخفيف]

الشعر لعليّ بن أمية، والغناء لعمر الميداني رمل مطلق.

أخبار علي بن أمية

اسمه ونسبه:

علي بن أُمية بن أبي أُمية، وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديواني الرسائل والخاتم، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهدي وإلى الفضل بن الربيع، وقد تقدم خبر أخيه في مواضع من هذا الكتاب.

بين علي وأبي موسى الأعمى:

فحدثني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال:

حدثني محمد بن علي بن أُمية، عن عمّه محمد بن أمية بن أبي أُمية قال: لما قال علي بن أمية:

صوت

يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمَنِ[1]؟ كم لكِ من مَحْوِ منظرٍ حَسَنِ
مَحَوْتِ آثارنا وأحدثت آ ثاراً بِرَبْع الحبيب لم تَكُنِ
إنْ تَكُ يا ربعُ قد بَلِيت من الري ـح فإني بالٍ من الحَزَنِ
قد كان يا ربْعُ فيك لي سَكَنٌ فصرتَ إذْ بانَ بعده سَكَني
شَبَّهتُ ما أَبْلت الرياحُ من آ ثار حبيبي النُّؤَى[2] بلا بُدُنِ[3]
يا ريحُ لا تطمسي الرموس[4] ولا تَمْحِي رسوم الديار والدِّمَنِ

(١) الدِّمن: آثار الدَّار والناس.
(٢) النؤى: الحفير حول الخيمة والدَّار.
(٣) البُدُن: مفردها البُدنة وهي الناقة.
(٤) الرموس: مفردها الرَّمس وهو القبر.

حـاشـاك يـا ريـح أن تـكـونـي عـلـى الـعـا شِـــق عَـــوْنـــاً بـــجـــانـــب الـــزَّمَـــنِ
[المنسرح]

كَثَّر الناسُ فيه، وغناه عمرو الغزال، فقال أبو موسى الأعمى:

يـا رب خُـذْنـي وخُـذْ عَـلِـيّـاً وخُـذْ يـا ريـح مـا تـصـنـعـيـن بـالـدِّمـنِ
عـجِّـلْ إلـى الـنـار بـالـثـلاثـةِ والـرا بـــع عـــمـــرِو الـــغَـــزَالِ فـــي قَـــرَنِ
[المنسرح]

ثم ندم وقال: هؤلاء أهل بيت وهم إخواني، ولا أحب أن أُنشب بيني وبينهم عداوة وشرّاً، فأتى أمية فقال: إني قد أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً، وقد جئتك مستجيراً بك من فتيانك، فدعا بعليّ بن أمية فقال: هذا عمك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله. قال: وما هو؟ فأنشده، فقال: قد ضجرنا نحن واللَّه منه كما ضجرت أنت وأكثر، وأنت آمِنٌ من أن يكون منا جواب، وأتى محمد بن أمية فقال له مثل ذلك، ومضى أبو موسى، فأخذ علي بن أمية رقعة فكتب فيها:

كـم شـاعـرٍ عـنـد نـفـسـه فَـطِـنِ لـيـس لـديـنـا بـالـشـاعـرِ الـفَـطِـنِ
قـد أخـرجَـتْ نَـفْـسَـه بِـغُـصَّـتـهـا يـا ريـحُ مـا تـصـنـعـيـن بـالـدِّمـنِ
[المنسرح]

ودفع الرقعة إلى غلام له وقال: ادفعها إلى غلام أبي موسى وقل له: يقول لك مولاك: اذكرني بهذا إذا انصرفت إلى المنزل، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامه بالرقعة، فقال: ما هذه؟ فقال: التي بعثت بها إليَّ فقال: واللَّه ما بعثت إليك رقعة، وأظن الفاسق قد فعلها، ثم دعا ابنه فقرأها عليه، فلما سمع ما فيها قال: يا غلام لا تنزع عن البغلة، فرجع إلى علي بن أمية فقال: نشدتك اللَّه أن تزيد على ما كان، فقال له: أنت آمِن.

عمرو الغزال:

لحن عمرو الغزال في أبيات علي بن أمية رمل بالوسطى.

وقال يوسف بن إبراهيم: حدثني إبراهيم بن المهدي قال:

حدثني محمد بن أيوب المكي: أنه كان في خدمة عبيد اللَّه بن جعفر بن

المنصور، وكان مستخفّاً لعمرو الغزال مُحبّاً له، وكان عمْرو يستحق ذلك بكل شيء إلا ما يدَّعيه ويتحقق به من صناعة الغناء. كان ظريفاً أديباً نظيف الوجه واللباس، معه كل ما يحتاج إليه من آلة الفتوة، وكان صالح الغناء، ما وقف بحيث يستحقّ، ولم يدَّع ما لا يستحق، فإنه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما، لا يرى لهم عليه فضلاً، ولا يشك في أن صنعتهم مثل صنعته، وكان عبيد اللَّه قليل الفهم بالصناعة، فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز، فكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو الغزال وصنعته، ولم يكن في ندمائه من يفهم هذا، ثم إستزار عبيدُ اللَّه بن جعفر أخاه عيسى، وكان أفهم منه، فقلت له: استعن برأي أخيك في عمرو الغزال فإنه أفهم منك، وكانت أم جعفر كثيراً ما تسأل الرشيد تحريك أخيها عبيد اللَّه وتقديمه والتنويه به، فكان عيسى أخوه يُعرِّف الرشيد أنه ضعيف عاجز لا يستحق ذلك، فلما زاره عيسى أسمعه غناء عمرو، فسمع منه سُخنةَ عَين، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيماً، ليزيد بذلك عبيد اللَّه بصيرة فيه، ويجعله عيسى سبباً قويّاً يشهد عند الرشيد بضعف عقله، وعلمتُ ما أراد، وعرفت أن عمراً الغزال أول داخل على الرشيد، فلما كان وقت العصر من اليوم الثاني لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاءنا يطلب عمراً الغزال، فوجه إليه وأقبل يلومني ويقول: ما أظنك إلا قد فرّقت بيني وبين عمرو، وكنت غنيّاً عن الجمع بينه وبين عيسى، واتفق أن غنّى عمرو، الرشيدَ في هذا الشعر صنعته:

يا ريح ما تصنعين بالدِّمَنِ؟ كم لك من مَحْوِ منظرٍ حسنِ

[المنسرح]

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه ووصله بألف دينار وأخذه وصار في عداد مغني الرشيد، إلا أنه كان يلازم عبيد اللَّه إذا لم تكن له نوبة، فأقبلت أتعجب من ذلك، واتصلت خدمته إياه ثلاث سنين، ثم انصرفنا يوماً من الشَّمَّاسِية مع عبيد اللَّه بن جعفر، فلقيه الخضر بن جبريل، وكان في الناس في العسكر، فعاتبه عبيد اللَّه على تركه وانقطاعه عنه، فقال: واللَّه ما أفعل ذلك جهلاً بحقك، ولا إخلالاً بواجبك، ولكنا في طريقين متباينين لا يمكن معهما الاجتماع، قال: وما هما ويحك؟ قال: أنت على نهاية السرف عليَّ في أمر

عمرو الغزال وحبه وأنا على نهاية السرف في بغضه، وأنت تتوهم أنه لا يطيب لك عيش إلا به، وأنا أتوهم أني إن عاشرته ساعة متّ وتقطعت نفسي غيظاً وكمداً، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً، فقال له عبيد اللَّه: إذا كان هذا هكذا فأنا أعفيك إذا زرتني منه، فصِرْ معي الآن آمناً، ففعل. ولم يجلس عبيد اللَّه حتى قال لحاجبه: لا يَدخلنّ اليوم عليّ أحدٌ، ولا تستأذن عليَّ لخلق بتَّةً، ودخلنا، فلما وضعت المائدة لم نأكل ثلاث لقم حتى دخل الحاجب فوقف بين يديه، وأقبل عمرو الغزال خلفه، فرآه من أقصى الصحن، فقال له عبيد اللَّه: ثكلتك أمك، ألم أَقل لك لا يَدخلْ عليّ أحدٌ من خلق اللَّه؟ فقال له الحاجب: امرأَته طالق ثلاثاً إن كان عنده أَن عمراً عندك في هذا المجرى، ولو جاء جبريل وميكائيل وكل من خلق اللَّه لم يدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو، فإنك أَمرتني أن آذن له خاصة، وأن يدخل متى شاء على كل حال. قال: ولم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو فجلس على المائدة، وتغير وجه الخضر، وبانت الكراهية فيه. فما أكل أَكلاً فيه خير، وتبين عبيد اللَّه ذلك، ورفعت المائدة وقدم النبيذ، فجعل الخضر يشرب شرباً شديداً كثيراً لم أَكن أَعهده يشرب مثله، فظننت أنه يريد بذلك أن يستريح من عمرو الغزال، وعمرو يتغنى فلا يفتر، وكلما تغنى قال له عبيد اللَّه: لمن هذا الصوت يا حبيبي؟ فيقول: لي. وعندنا يومئذٍ جوارٍ مطربات محسنات، وهو يقطع غناءهن بغنائه، وتبينت في وجه الخضر العربدة، إلى أن قال عمرو بعقب صوت: هذا لي، فوثب الخضر وكشف استه، وخرى في وسط المجلس، على بساط خزّ لم أَر لأحد مثله، ثم قال: إن كان هذا الغناء لك فهذا الخرء لي، فغضب عبيد اللَّه وقال له: يا خضر، أَكنت تستطيع أَن تفعل أَكثر من هذا؟ قال: إي واللَّه أيها الأمير، ثم وضع رجليه على سَلْحه، ثم أَخرجها فمشى على البساط مقبلاً ومدبراً، حتى خرج وقد لوثه، وهو يقول: هذا كله لي. وتفرقنا عن المجلس على أَقبح حال وأسوئها. وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد، فضحك حتى غُلِب عليه، ودعا الخضر وجعله في ندمائه منذ يومئذٍ، وقال: هذا أطيب خلق اللَّه. وانكشف عنده عُوَارُ عمروٍ الغزال، واسترحنا منه، وأَمر أن يُحجب عنه،

فسقط منذ يومئذٍ. وقد كان الجواري والغلمان أَخذوه ولهجوا[١] به. وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصلي وابن جامع قبل ذلك، فسقط غناؤه أيضاً منذ يومئذٍ، فما ذكر منه حرف بعد ذلك اليوم إلا صنعته في:

يا ريحُ ما تصْنعِيْنَ بالدِّمَنِ

ولولا إعجاب الرشيد به لسقط أيضاً.

سبب القطيعة:

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن القاسم قال:

حدثني أبو هفان قال: كنا في مجلس، وعندنا قينة تغنينا، وصاحب البيت يهواها، فجعلت تكايده وتومئ إلى غيره بالمزح والتجميش[٢]، وتغيظه بجهدها، وهو يكاد يموت قلقاً وَهَمًّا، وتنغّص عليه يومه، ولجَّت في أَمرها، ثم سقط المضراب من يدها، فأكبَّت على الأرض لتأخذه، فضرطت ضرطةً سمعها جميع من حضر، وخجلت فلم تدر ما تقول، فأقبلت على عشيقها فقالت له: أيش تشتهي أن أغني لك؟ فقال: غني.

يا ريحُ ما تصْنَعِينَ بالدِّمَنِ كَمْ لك من مَحْوِ منظرٍ حَسَنِ

[المنسرح]

فخجلت وضحك القوم وصاحب الدار حتى أَفرطوا، فبكت وقامت من المجلس وقالت: أَنتم واللَّه قوم سفل، ولعنة اللَّه على من يعاشركم. وغضبت وخرجت. وكان عَلِم اللَّهُ سبب القطيعة بينهما، وسُلوّ ذلك الرجل عنها.

مسرور هو الرسول:

أَخبرني ابن عمار وعمّي والحسن بن علي قالوا: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال:

حدثنا الحسين بن الضحاك قال: كنت في مجلس قد دعينا إليه ومعنا علي بن أمية، فعلقت نفسه بَقْينة دُعِيَتْ لنا يومئذٍ، فأقبل عليها فقال لها: أَتغنين.

---

(١) لهجوا به: أغروا به، فثابروا عليه.

(٢) التجميش: الملاعبة والملاطفة.

خـبـريـنـي مـن الـرسـول إلـيـكِ واجـعـلـيـه مـن لا يـنـمُّ عـلـيـكِ
وأشـيـري إلـيَّ مَـنْ هُـوَ بـالـلـحْـ ـظ لِـيَـخْـفَـى عـلـى الـذيـن لَـدَيْـكِ

[الخفيف]

فقالت: نعم، وغنته لوقتها، وزادت فيه هذا البيت فقالت:

وأَقِـلّـي الـمـزاح فـي الـمـجـلـس الـيـو مَ فـإن الـمـزاح بـيـن يـديـكِ

[الخفيف]

ففطن لما أرادت، وسُرّ بذلك، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له: يا مسرور اسقني، فسقاها، وفطن ابن أمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسروراً هو الرسول، فخاطبه فوجده كما يريد، وما زال ذلك الخادم يتردد في الرسائل بينهما.

أخبار عمر الميداني

متقدم في الصنعة والأداء:

هو رجل من أهل بغداد، كان ينزل الميدان، فعرف به، وكان لا يفارق محمداً وعليًّا ابنَيْ أمية وأبا حشيشة، ينادمهم ويغني في أشعارهم، وكان منزله قريباً منهم، وهو أَحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء.

حدثني جحظة قال: سمعت ابن الدقاق في منزل أبي العبيس بن حمدون يقول: سمعت أبا حشيشة والمستورد ومن قبلهما من الطنبوريين، فما سمعت منهم أصح غناء ولا أكثر تصرفاً من عمر الميداني.

مائدة إِسحاق وجائزته:

حدثني جحظة قال: حدثني [رجل من اليزيديين قال:

حدثني] علي بن أمية قال: دخلت يوماً على عمر الميداني، وكان له بَقَّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه، ويقارضه إذا أعسر، ويتصرف في حوائجه، فإذا حصلت له دراهم دفعها إليه يقبض منها ما رأى [وينفق ما رأى] لا يسأله عن شيء، فوجدت عنده يومئذٍ هذا البقال، فقال لنا عمر: معي أربعة دراهم، تعطوني منها لعلف حماري درهماً، والثلاثة لكم فكلوا بها ما أحببتم، وعندي نبيذ وأنا أغنيكم. والبقال يحضرنا من الأبقال اليابسة ما في حانوته، فوجّهنا بالبقال، فاشترى لنا بدرهم [لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم] فاكهة وريحاناً، وجاءنا من حانوته بحوائج السِّكْباج[1] ونَقْل، فبينا نحن نتوقع الفراغ من القِدْر إذا بفُرانق[2] يدق الباب، فأدخله عمر، فقال له: أجب الأمير إسحاق بن إبراهيم، فحلف علينا عمر بالطلاق ألَّا نبرح، ومضى هو، وأكلنا السِّكْباج وشربنا، وانصرف عشاء، وبَكر إليَّ رسولُهُ في السّحَر: أنْ صِرْ إليَّ، فصرت إليه، فقلت: أَعطني خبرك من النَّعْل إلى النَّعْل، فقال: دخلت فوُضعتْ بين يديّ مائدة كأنها جَزْعة[3] يمانية، قد فرشت في عراضها الحِبَر، فأكلت، وسقيت رطلين، ودُفع

(١) السِّكباج: اللحم يُطهى بالخلّ. (٢) الفُرانق: الرسول.

(٣) الجَزعة: مفردها الجزع وهو الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد.

إليَّ طنبور، فدخلت إلى إسحاق، فوجدته في الصدر جالساً، وخلفه ستارة، وعن يمينه مخارق، وعن يساره علُّويه، فقال لي: أَنت عمر الميداني؟ فقلت: نعم، فقال: أَأَكلت؟ فقلت: نعم، قال: هاهنا أو في منزلك؟ فقلت: بل هاهنا، قال: أَحسنت، فغنّ بصوتك الذي صنعته في:

يـــا شـــبـــيـــهَ الـــهِـــلَالِ كَـــلَّـــلَ فـــي الأُفْـــق أَنـــجُـــمَـــا

[مجزوء الخفيف]

وهو رمل مطلق، فغنيته، فضرب الستارة وقال: قولوه أنتم، فقالوه، فقال لمخارق وعلُّويه: كيف تسمعان؟ فقالا: هذا واللَّهِ ذا، وذا ذاك، فردَّدْنَه مراراً، وشرب عليه وقال لي: أنا اليوم على خلوةٍ ولك عليَّ دعوات، فانصرف اليوم بسلام، فخرجت، ودفع إليَّ الغلام خمسة آلاف درهم، فهي هذه، واللَّه لا استأثرت عليكم منها بدرهم، فلم نزل عنده نقصف حتى نفدت.

صـــوت

أَمـــيـــنَ الـــخـــالـــقِ الـــبـــاري وراعـــي كـــلِّ مـــخـــلـــوقِ

أَدِرْ راحَـــكَ[1] بـــالـــمـــعـــشـــو ق مـــن راحـــة مـــعـــشـــوقِ

[الهزج]

الشعر لأبي أَيوب سليمان بن وهب، والغناء للقاسم بن زرزور ثقيل أَول بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أبي القاسم عبيد اللَّه بن القاسم.

(١) راحك: خمرك.

فهرس المحتويات

نسب خالد بن عبد اللَّه وأخباره ٦
نسبه ٦
غلبة بجيلة على هذا النسب ٦
كرز الأعنة ٧
رب بجيلة ٧
إعراقهم في الشعر ٨
وهي قصيدة طويلة. ٨
إسلام أسد بن كرز وابنه ٨
هل دعا الرسول لأسد بهذا الدعاء؟ ٩
أسد ينجد جرير بن عبد اللَّه ٩
يزيد بن أسد يروي الحديث ٩
خطبة يزيد يوم صفين ١٠
خمول ذكر عبد اللَّه بن يزيد ١٠
خالد الخِرِّيت ١٠
مجلس الأحبة ١١
موعد عمر بن أبي ربيعة ١١
خالد يترسّل بين عمر والنساء ١٢
أصل كرز بن عامر ١٣
عبد اللَّه بن يزيد عبدٌ آبق ١٤
الرياسة والسخاء يستران أمر خالد ١٥
حديثه يدل على نسبه ١٥
خالد من أجبن الناس ١٥
أول كذبة لابن الكلبي ١٦

ابن منظور ينفي نسب خالد لقومه ١٦
خالد يعرض باللَّه عز وجل ١٦
ابن البظراء ١٦
خالد يكره عليّاً ١٧
أَما آن لربكم أن يغضب لكم؟ ١٧
حائك بن حائك ١٨
أمير المؤمنين أكرم على اللَّه من أنبيائه ١٨
ذلك ملح أجاج وهذا عذب نقاخ ١٩
خالد زنديق ١٩
إسماعيل بن خالد يسب بني أمية ١٩
سليمان يأمر بقطع يد خالد ٢٠
ابن عياش يشتم خالداً ٢١
علاقة خالد بهشام ٢١
استغلال السلطة ٢٢
بخله على الطعام ٢٢
زمزم يسأل عن الحمار ٢٣
زمزم الأحمق ٢٣
خالد والمغنيات ٢٣
إِمارة العراق لا تشرف خالداً ٢٤
هشام يعزل خالداً ويعذبه ٢٤
تخنَّث خالد ٢٥
ذكريات عمر بن أبي ربيعة ٢٥
أخبار صخر بن الجعد ونسبه ٢٨
اسمه ونسبه ٢٨
غرامه بكأس بنت بجير ٢٨
ندم وذكريات ٣٠
صخر يرثيها ٣١

جزع صخر لما زوجت كأس ٣٢
هرب صخر من التاجر سيار ٣٣
أبو الصموت وسمحاء ٣٣
بين صخر ودرن ٣٤
أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه ٣٦
اسمه ونسبه ٣٦
عليَّة تنتحل شعره ٣٦
صفات أبي حفص ٣٦
أبو حفص يجيب الرشيد نيابة عن ماردة ٣٧
شعر أبي حفص يرقق الرشيد على عُليّة ٣٨
البيت بمائة دينار ٣٩
أبو عيسى لا يعود أبا حفص ٣٩
الرشيد يستحسن شعره ٤٠
أبو حفص يشعر بدنو أجله ٤١
دمن تأخذ هذا الصوت من إسحاق ٤١
ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أميمة بنت عبد شمس ٤٣
نسب أميمة ٤٣
الفجاران ٤٣
أول أمر الفجار ٤٣
اليوم الثاني من أيام الفجار الأول ٤٤
اليوم الثالث من أيام الفجار الأول ٤٤
أول حروب الفجار الثاني ٤٥
لطيمة النعمان ٤٥
ابن جدعان ٤٧
اليوم الثاني من الفجار الثاني ٤٨
إنتصار الفئة التي ينضم إليها الرسول ٤٩
اليوم الثالث من الفجار الثاني ٥٠

اليوم الرابع من الفجار الثاني ٥١
سبيعة تؤمّن الناس ٥١
اليوم الخامس ٥٣
الدعوة إلى الصلح ٥٤
الرسول يطعن ملاعب الأسنة ٥٥
سبيعة تُؤمِّن زوجها ٥٥
أميمة ترثي القتلى ٥٥
أخبار مالك ونسبه ٥٨
اسمه ونسبه ٥٨
حبه لجنوب ٥٨
يراها فيغمى عليه ٥٩
عوائق الورود ٥٩
أخبار ربيعة ونسبه ٦١
اسمه ونسبه ٦١
ابن مقروم يعرّض بضابئ ٦١
مسعود بن سالم يخلص ربيعة من الأسر ٦٢
عجرد يعطي ربيعة ماله ٦٣
حماد ينشد قصيدة لربيعة فيأخذ ألف دينار ٦٣
أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم ٦٧
الكاهنان ٦٧
العماليق ٦٧
الهجرة من الشام إلى الحجاز بعد انتصار الروم ٦٨
أهل مأرب وسيل العرم ٦٩
أبو جبيلة الغساني يقتَل يهود المدينة ٦٩
مالك بن العجلان يقتل من بقي من اليهود ٧١
أخبار السموأل ونسبه ٧٤
اسمه ونسبه ٧٤

الأبلق ٧٤
وفاء السموأل ٧٤
الأعشى يستجير بابن السموأل ٧٦
سَعية بن عُريض ٧٧
معاوية يتمثل بهذا الشعر ٧٨
عبد الملك يسمع شعره قبل القضاء ٧٨
حلَّان المال ٧٩
أخبار الربيع بن أبي الحقيق ٨١
رئيس بني قريظة ٨١
النابغة يشهد له بالشعر ٨١
أبان بن عثمان يتمثل بأبياته ٨٢
الربيع يعاتب قوماً من الأنصار ٨٢
أخبار كعب ونسبه ومقتله ٨٤
اسمه ونسبه ٨٤
ذكر خبره في ذلك ٨٤
أخبار بيهس ونسبه ٨٦
اسمه ونسبه ٨٦
من صفراء؟ ٨٦
بيهس يرثي صفراء ٨٧
بيهس على قبر صفراء ٨٨
محمد بن مروان يجيره ٨٩
أخبار الكميت بن معروف ونسبه ٩١
اسمه ونسبه ٩١
كلهم شعراء ٩١
أخبار يعلى ونسبه ٩٤
اسمه ونسبه ٩٤
شاعر لصّ ٩٤

نسب جواس وخبره في هذا الشعر ٩٦
اسمه ونسبه ٩٦
جواس وجميل يتهاجيان ٩٦
بين يدي مروان بن الحكم ٩٧
جواس يرثي علقمة بن مجزز وصحبه ٩٨
أخبار إبراهيم بن المدبر ١٠٠
إبراهيم عند المتوكل ١٠٠
إبراهيم في الحبس ١٠١
محمد بن عبد اللَّه بن طاهر يخلصه ١٠٣
كتاب عريب أحسن من صوت معبد ١٠٣
يقبل على نبت وتدبر عنه ١٠٤
وقوله أيضاً ١٠٥
خاتما عريب ١٠٥
عريب تقترح حضور أبي العبيس ١٠٦
أبو العبيس يبدأ وإبراهيم يكمل ١٠٧
نسبة هذا الصوت ١٠٧
إبراهيم يستشفع بابن حمدون ١٠٨
قول خبير مجرب ١٠٩
مجلس إبراهيم ١١٠
مكاتبات عريب لإبراهيم ١١١
غريب بين أهله وجيرته ١١٢
عود إلى مكاتبات عريب ١١٢
أبو الشَّر ١١٣
في دير سليمان ١١٤
عريب تذكره فيثني عليها ١١٤
يتلقاها حافياً ١١٥
لإبراهيم في عريب ١١٦

أهل البصرة يودعونه ١١٦
أمر بيِّن ١١٧
بدعة وتحفة لا تقومان مقام عريب ١١٧
إبراهيم يكتب إلى بدعة وتحفة ١١٨
وكنا حيثما كنتم ١١٨
برق يهيجه ١١٩
شمس ونجوم ١١٩
إبراهيم يعاتب صديقاً له ١٢٠
رؤيا تحققت ١٢٠
ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب ١٢٢
يوم أوارة ١٢٢
قيس بن جروة يتوعد عمرو بن هند ١٢٢
عمرو يغزو طيئاً ١٢٤
مقتل مالك بن المنذر ١٢٤
هرب زرارة وعودته ١٢٥
عمرو بن هند يحرق مائة من بني حنظلة ١٢٥
لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة ١٢٦
زرارة يوصي بالثأر ١٢٧
لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين ١٢٧
وصية قيس بن خالد لابنته ١٢٩
ماء ولا كصدَّاء ١٢٩
أخبار محبوبة ١٣١
محبوبة أجمل من فضل وأعف ١٣١
على البديهة ١٣١
تفاحة تشعل نار الهوى ١٣٢
حزن محبوبة على المتوكل ١٣٢
يتصالحان في المنام ١٣٣

أخبار عبيدة الطنبورية ١٣٥
إسحاق يشهد لها ١٣٥
إسحاق يستحسن غناء عبيدة ١٣٥
الأستاذة عبيدة ١٣٦
مَن عبيدة؟ ١٣٧
أحذق الناس ١٣٩
هذيان ١٣٩
أخبار أحمد بن صدقة ١٤٠
صنعة ظريفة كثيرة ١٤٠
خمسة آلاف درهم ١٤٠
في يوم السعانين ١٤١
بين أحمد بن صدقة والمسدود ١٤٢
قتل أحمد ١٤٢
أحمد أبخر ١٤٢
أخبار الحارث بن وعلة ١٤٤
اسمه ونسبه ١٤٤
يتمثلان بشعر الحارث وأبيه ١٤٤
وعلة يدرك ثاره ١٤٥
كأنه عقاب ١٤٥
أخبار علي بن عبد اللَّه بن جعفر ونسبه ١٤٨
اسمه ونسبه ١٤٨
حبسه ١٤٨
تديَّث في شعره ١٤٨
هوى اللذات والدين ١٤٩
أخبار عتيبة ونسبه ١٥١
اسمه ونسبه ١٥١
لماذا لقب بابن فسوة؟ ١٥١

ابن عباس يهدّده ويحبسه ١٥٢
خبيث اللسان ١٥٤
تراجع ١٥٤
هيفاء ناهد ١٥٥
سفار قبر التغلبي ١٥٥
ابن فسوة يهجو بشر بن كهف ١٥٦
يمدح قومه ويهجو بني سعد ١٥٦
أخبار عبد اللَّه بن العجلان ١٥٨
اسمه ونسبه ١٥٨
قتله العشق ١٥٨
يرغم على طلاق هند وهو سكران ١٥٨
بين نهد وبني عامر ١٥٩
امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم ١٦٠
أسير عبد اللَّه بن العجلان ١٦٠
نذير هند ١٦٠
نهاية حب ١٦١
هند. . . وهند ١٦٢
تباعد يا ابن عمي ١٦٣
رجاء ١٦٣
أخبار المؤمّل ونسبه ١٦٥
اسمه ونسبه ١٦٥
منزلته ١٦٥
يتمنى العمى فيعمى ١٦٥
المهدي يعطيه وأبو جعفر يسترد منه ١٦٥
المهدي يرد إليه جائزته ١٦٧
في البيعة لموسى وهارون ١٦٧
يتلف في ضحكه كل مال ١٦٨

ما له لحم ولا دم ١٦٩
المتألِّي على اللَّه ١٧٠
أخبار أبي مالك ونسبه ١٧١
اسمه ومنزلته ١٧١
أبو مالك يرثي أباه ١٧١
أخبار أبي دهمان ١٧٣
يخاف أن يبوح باسم حبيبته ١٧٣
ظريفة ١٧٣
السبب!!! ١٧٣
وصيته ١٧٣
أخبار أبي حزابة ونسبه ١٧٥
اسمه ونسبه ١٧٥
أبو حزابة يطلب العطاء ١٧٥
يرثي ويذم ١٧٦
أبو حزابة ينشد طلحة ١٧٧
أبو حزابة ويزيد بن معاوية ١٧٧
يرهن سرجه ليبيت ١٧٨
يمدح العبشمي ثم يهجوه ١٧٩
أبو حزابة يمدح قومه ١٨٠
نسب زهير السكب وأخباره ١٨٢
اسمه ونسبه ١٨٢
السكب يغاضب قومه ١٨٢
الرّباب ١٨٣
أخبار النمر بن تولب ونسبه ١٨٤
اسمه ونسبه ١٨٤
الكيس ١٨٤
النبي يكتب له كتاباً ١٨٤

كتاب النبي وحديثه له ١٨٥
يعطي فحل إبله ١٨٥
النمر وحمزة بنت نوفل ١٨٦
النمر أفتى الشعراء ١٨٧
النمر وحمزة في منى ١٨٧
النمر ينشد الرسول ١٨٨
دعد تشغله عن حمزة ١٨٨
أظرف الناس ١٨٨
نعي حمزة له ١٨٩
عمر يترحم عليه ١٨٩
النمر يرثي أخاه الحارث ١٩٠
النمر يحتمل الدية كلها ١٩٠
سيف كريم ١٩١
كيف أصبح؟ ١٩٢
أفتى خلق اللَّه ١٩٣
أخبار مالك بن الريب ونسبه ١٩٤
اسمه ونسبه ١٩٤
مالك يقطع الطريق ثم يتوب ١٩٤
مروان بن الحكم يطلبه فيهرب ١٩٤
مالك والرجل الأسود ١٩٧
صاحب حرب لا إبل ١٩٩
مالك والذئب ١٩٩
ابنته تخشى فراقه ٢٠٠
هرباً من ضرطة!! ٢٠١
ذكريات لصوص ٢٠١
حديث أبي حردبة ٢٠١
أعجب سرقاته ٢٠٢

أبو حردبة يموت شهيداً ٢٠٢
حديث شظاظ ٢٠٢
أعجب وأحمق ٢٠٣
الحجاج يصلب شظاظاً ٢٠٣
مالك بن الريب يرثي نفسه ٢٠٤
أخبار عبد بني الحسحاس ٢٠٥
أهشنت واللَّه!! ٢٠٥
السواد والبياض ٢٠٥
أول ما تكلم به من الشعر ٢٠٦
سحيم ينشد عمر شعره ٢٠٦
حظ أهل العبد الشاعر ٢٠٦
قبيح الوجه ٢٠٧
سحيم يشبب بنساء مواليه ٢٠٨
حتى كلنا غير لابس ٢٠٩
سيده يكمن له ٢٠٩
يحرق في أخدود ٢١٠
أصابهنّ كلهنّ إلا واحدة ٢١٠
مخارق يكيد إسحاق ٢١١
متمم العبدي والجويرية العجيبة ٢١٢
خبر حسان بن تبّع ٢١٥
طوفة في البلاد ٢١٥
وجوه حمير يأتمرون بحسان ٢١٥
أخوه يقتله فيُمنع نومه ٢١٦
ذو شناتر وذو نواس ٢١٦
أخبار مرة بن محكان ٢١٨
اسمه ونسبه ٢١٨
مرّة ينحو مائة بعير ٢١٨

مصعب يقتله ٢١٩
الغريض يغني شعر مرة ٢١٩
(نسبة هذا الصوت) ٢٢١
أخبار العديل ونسبه ٢٢٢
اسمه ونسبه ٢٢٢
العديل ودابغ ٢٢٢
جرثومة العنزي يعيّر العديل ٢٢٣
العديل يهرب من الحجاج ٢٢٤
الحجاج يعفو عن العديل ٢٢٤
وجوه بكر يستوهبونه من الحجاج ٢٢٦
أنف جبار ويد وكيع ٢٢٩
واحدة بواحدة ٢٣٠
العديل يمدح مالك بن مسمع ٢٣١
شاعر بكر بن وائل ٢٣٢
مدح أم تحريض؟ ٢٣٢
فرس حوشب يغرق في خميرة عكرمة ٢٣٣
شعره بين الفحل والسهل ٢٣٤
الفرزدق يرثي العديل ٢٣٤
أخبار صخر الغيّ ونسبه ٢٣٦
اسمه ونسبه ٢٣٦
صخر يقتل رجلاً من بني مزينة ٢٣٦
الأعلم العداء أخو صخر ٢٣٧
صخر يرثي أخاه أبا عمرو ٢٣٨
مقتل صخر ورثاء أبي المثلم له ٢٣٨
نسب عمرو ذي الكلب وأخباره ٢٤٠
اسمه ونسبه ٢٤٠
أم جليحة ٢٤٠

أخته ترثيه ٢٤١
أخبار لقيط الإِيادي ونسبه ٢٤٣
والسبب في قوله هذا الشعر ٢٤٣
سبب غزو كسرى إياداً ٢٤٣
دير الجماجم ٢٤٤
موج الأَكم ٢٤٥
أخبار نصيب الأصغر ٢٤٧
نصيب يمدح هارون الرشيد ٢٤٧
المهدي يوجهه لشراء إبل فينفق ثمنها ٢٤٨
ثمامة بن الوليد يشفع له ٢٥٠
شيبة الخير ٢٥١
نصيب يهجو عبد اللَّه بن محمد بن الأشعث ٢٥٢
النصيب هجاء ملعون ٢٥٢
فأجابه الربيع فقال ٢٥٣
فقال النصيب ٢٥٣
النصيب يمدح الفضل بن يحيى ٢٥٤
النصيب يمدح زبيدة ٢٥٧
الحجناء تنشد المهدي ٢٥٨
العباسة تعطي الحجناء ٢٥٨
إسحاق بن الصباح الأشعثي يهب له مسرورة ٢٥٩
خزيمة بن خازم يصله ٢٦٠
شعره في جعد ٢٦٠
مصطل بحريق وهو محترق ٢٦١
ثلاثون ألف درهم لا تكفي ٢٦١
أحسن معنى ٢٦٢
أخبار أبي شراعة ونسبه ٢٦٣
اسمه ونسبه ٢٦٣

يرمي للسائل بنعله ويمشي حافياً ٢٦٣
أَخْذُ المغنِّي من الشاعر يدل على ضعف الشاعر ٢٦٤
ابن المدبر يعطيه عشرة آلاف درهم ٢٦٥
مواليك أم موالي الهلال؟ ٢٦٥
السِّدْري لا يدعوه ٢٦٦
سقوط داره بالبصرة ٢٦٦
عروس وعزب ٢٦٧
شكراً لربي ٢٦٧
حبه لسوَّار ٢٦٧
صنعة النبيذ ٢٦٨
أبو مظلومة يُغنيه ٢٦٨
قبيح الوجه ٢٦٨
يطلق امرأته ليشرب النبيذ ٢٦٨
روحُ الأهواز ابنُ رجاء ٢٦٩
ينحر ناقة فيكافأ ٢٦٩
أبو شراعة يعبث بأبي أمامة ٢٧٠
بُرمة الطفشيل ٢٧١
كتابه إلى سعيد بن موسى ٢٧١
مليحة ٢٧٣
يهجو بني سدوس ٢٧٤
لا يخرج من شتيمة إلى وليمة ٢٧٤
أخبار ابن البواب ونسبه ٢٧٦
اسمه ونسبه ٢٧٦
هذا يخفى تحت ذاك ٢٧٦
راوية لأخبار الخلفاء ٢٧٦
المأمون وشعر ابن البواب ٢٧٦
يؤلف شعراً رديئاً وينسبه إلى إسحاق ٢٧٧

في منزل أبي عمير ٢٧٨
ليلة حمراء ٢٧٨
يمدح المأمون فيعفو عنه ٢٧٩
يشد في ساقيه خرزاً ٢٨٠
أبو دلف يعطيه ثلاثين ألف درهم ٢٨٠
أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه ٢٨٢
اسمه ونسبه ٢٨٢
يمتنع من التجارة ويلزم الأدب ٢٨٢
لا يقاس به أحد من الكتاب ٢٨٢
يهدد إبراهيم بن المهدي ٢٨٣
رأيه في يحيى بن خاقان ٢٨٦
الرحمة خورٌ في الطبيعة ٢٨٦
الاقتصاص ٢٨٦
يرثي سكرانة ٢٨٧
يعتذر إلى ابن طاهر ٢٨٧
الأصبهاني ينتصف منه ٢٨٧
يَسرق ويُسرق ٢٨٨
ترجوه فتُحرمه ٢٨٨
يتبادلان المدح ٢٨٩
كيف ينتصف من ساقط أحمق؟ ٢٨٩
أضيع ميتة ٢٨٩
بيت أحسن من خمسين ٢٩٠
أبو تمام يمدحه ٢٩٠
راشد الكاتب يطلب منه هدايا ٢٩١
المعتصم يأخذ برذونه فيرثيه ٢٩٢
ناظر ليس له ناظر ٢٩٢
ابن جبلة وابن الزيات يتهاجيان ٢٩٣

يا ليتني فارس ذا الفارس ٢٩٥
سماء تعوق عن سماء ٢٩٥
ابن وهب وابن الزيات ٢٩٥
يمدح نفسه ٢٩٨
حدثت عن ضعف إسلامه ٢٩٨
فأجابه محمد ٢٩٩
في حديد ثقيل ٢٩٩
يمدح الحسن بن سهل ٣٠١
زمان وزمان ٣٠١
عسى أُمور بعد ذاك تكون ٣٠٢
ابن أبي دواد يكيد له ٣٠٢
قواصم الظهر ٣٠٣
محمد بن تنور حديد ٣٠٣
من حفر بئر سوء وقع فيها ٣٠٣
الحسن بن وهب يرثيه ٣٠٤
أخبار أبي حشيشة ونسبه ٣٠٥
اسمه ونسبه ٣٠٥
يتقدم كل طنبوري ٣٠٥
المعتمد يهب له مائتي دينار ٣٠٦
عريب تفضله على علُّويه ومخارق ٣٠٦
ثلاثمائة دينار ٣٠٦
تسعة أبواب خزّ ٣٠٧
وهو خفيف رمل مطلق. ٣٠٧
الظريف ٣٠٧
المأمون أول من سمعه من الخلفاء ٣٠٨
أصوات يحبها الأمراء ٣٠٨
إبراهيم بن المهدي يطلب سماعه ٣١٠

إِسحاق يستحسن غناءه ٣١٢
سبب موته ٣١٢
أخبار عنان ٣١٤
الناطفي يشتريها ويربيها ٣١٤
أبو نواس وعنان ٣١٤
أبو حنش يطارح عنان ٣١٥
مروان بن أبي حفصة يشهد لها ٣١٥
عليك بعنان ٣١٦
هزيمة ٣١٦
أبو نواس يحركها ٣١٧
أحمر وأخضر ٣١٧
بيت بعشرين ألف!! ٣١٨
ما فيها غير الشعر ٣١٩
تُباع بمائتين وخمسين ألفاً ٣١٩
ابن الأحنف يهواها ٣٢٠
أبو نواس يكرّه الرشيد في عنان ٣٢١
أخبار الحسن بن وهب ونسبه ٣٢٢
اسمه ونسبه ٣٢٢
من سارقيقا ٣٢٢
يتباهون بحفظ أشعاره ٣٢٣
أبو تمام يمتدحه ٣٢٣
حزنه لحبس أخيه ٣٢٤
البكاء حزن محلول ٣٢٥
حبه للغلمان ٣٢٥
جواد ولكن... ..... ٣٢٥
شغفه ببنات ٣٢٥
فرحة ٣٢٦

صورة الشمس والقمر ٣٢٦
أخوه يعاتبه في حبه لبنات ٣٢٧
منى تلومه ثم تعذره ٣٢٧
بنات تتوسط لإبراهيم ٣٢٨
الحسن يكتب إلى بنات ٣٢٨
هدايا وشفانين ٣٢٩
أذكري مغرماً بحبك ٣٢٩
برق ورعد ومطر ٣٢٩
يحلف ألا يشرب النبيذ شهراً ٣٣٠
بنات تلد فيهجرها ٣٣٠
رومي وخزري ٣٣١
السبب!! ٣٣١
مائة دنّ ومائة دينار ٣٣٢
إفتضحت عند الوزير ٣٣٣
شهر أيلول ٣٣٣
يهجو الغنوي وابن أبي دواد ٣٣٣
يطلب من الواسطي أن يصير إليه ٣٣٤
الحسن والحسن ٣٣٤
أبو تمام يستسقيه نبيذاً ٣٣٨
أبو نهشل ٣٣٨
كتابه إلى أبي تمام ٣٣٩
يدافع عن أبي تمام ٣٣٩
اليزيدي يعيّر ابن حماد ٣٤٠
أخبار أحمد بن يوسف ٣٤٢
اسمه ونسبه ٣٤٢
أخوه يمدح البهائم ويرثيها ٣٤٢
يتبنى مؤنسة ٣٤٣

يعتب على جارية له ٣٤٣
يقول شعراً على لسان مؤنسة ٣٤٣
ليتها جادت. ٣٤٤
عند ابن سهل ٣٤٤
أخبار العطوي ٣٤٦
اسمه ونسبه ٣٤٦
اتصاله بابن أبي دواد ٣٤٦
فاق جميع نظرائه ٣٤٦
المال والأيام ٣٤٧
مجلس كالرياض ولكن. ٣٤٨
العُقار تميت الهموم ٣٤٨
أحسن يوم وأطيبه ٣٤٩
العطوي يأخذ شعره من كلام إسحاق ٣٤٩
ظبي غرير ٣٥٠
أخبار مرة ونسبه ٣٥٢
اسمه ونسبه ٣٥٢
يهجو من يخطب ليلى ٣٥٢
موت ليلى ورثاؤه لها ٣٥٢
أخبار علي بن أمية ٣٥٥
اسمه ونسبه ٣٥٥
بين علي وأبي موسى الأعمى ٣٥٥
عمرو الغزال ٣٥٦
سبب القطيعة ٣٥٩
مسرور هو الرسول ٣٥٩
أخبار عمر الميداني ٣٦١
متقدم في الصنعة والأداء ٣٦١
مائدة إِسحاق وجائزته ٣٦١